دار العيداروس للكتاب الحديث

دراسات في :

الكتاب الرابع

الخليج والجزيرة العربية

البروفيسور الدكتور / محمد حسن العيدروس



دار الكتاب الحديث

دار العيدروس للكتاب الحديث

دراسات في:

الخليج والجزيرة العربية

الكتاب الرابع

الدكتور / محمد حسن العيدروس
أستاذ التاريخ والعلاقات الدولية -
رئيس مركز العيدروس للدراسات والاستشارات

دار الكتاب الحديث

953.001 العيدروس ، محمد حسن.
م ح در دراسات فى الخليج والجزيرة العربية/ محمد حسن العيدروس.-ط 1.- القاهرة:دار الكتاب الحديث ،2008م.
مج. 540 ص ؛ 24 سم .
تدمك: 6 -190-350-977

1- شبه الجزيرة العربية – تاريخ .
أ- العنوان

دار الكتاب الحديث

القاهرة	94 شارع عباس العقاد – مدينة نصر – القاهرة ص.ب 7579 البريـدي 11762 هـاتف رقم : 22752990 (202 00) فاكس رقم : 22752992 (202 00) بريد إلكترونـي : dkh_cairo@yahoo.com
الكويت	شارع الهلالي ، برج الصديق ص.ب : 22754 – 13088 الصفاه هاتف رقم 2460634 (965 00) فـاكس رقـم : 2460628 (965 00) بريـد إلكترونـي : ktbhades@ncc.moc.kw
الجزائر	Wilaya d'Alger- Lot C no 34 – Draria B. P. No 061 – Draria Tel&Fax(21)353055 Tel(21)354105 dkhadith@hotmail.com E-mail
السويد	SCANDINAVIAAN CULTUER COMMERCIAL CONNECTIONS Norra kvar stad 8 . – 27396 Tommelilla- Sweden " EMAI: alaidaroosgp@hotmail.com
الامارات	دار العيدروس للكتاب الحديث ص ب 2855ابو ظبي هاتف 026392062 فاكس 0097126392065 aidaros@emirates.net.aeEMAIL:

رقم الإيداع	2008/7978
I.S.B.N	977-350-190-6

إهداء

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ ﴾ [الأنعام].

﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ... ﴿٢٣﴾ ﴾ [الإسراء].

صدق الله العظيم

إلى روح والدى الشريف/ حسن أحمد علوى العيدروس.. طيب الله ثراه وأغمده الجنة إن شاء الله..

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

أول ما نبدأ بالحمد لله كثيرا، وثناء عظيما، والصلاة على نبيه الأمين، وعلى ذريته الطاهرين.

أخيرا كانت بداية فكرة قديمة، تحققت بعد مرور أكثر من خمسة عشر عاما، وهى محاولة لجمع الأبحاث التي قدمت في المؤتمرات العلمية، وكذلك التى نشرت فى الدوريات العلمية، وهى حصيلة لتلك الأعوام فى هذا الكتيب الرابع.

ليست هذه هى جميع الأبحاث، وإنما تم اختيار بعض منها فى الفترة الزمنية الممتدة من الاستعمار الأوروبى المسيحى، إلى ما بعد قيام مجلس التعاون على نهاية مشارف القرن العشرين، أى أبحاث تتناول فى التاريخ الحديث والمعاصر لمنطقة الخليج العربى، كما تشمل مختلف أقاليم المنطقة، وتم ترتيب المواضيع، حسب المراحل الزمنية التاريخية، وعلى حسب الأقاليم الجغرافية، وليس الحدود السياسية المصطنعة من قبل الاستعمار، لأن التاريخ العربى هو تاريخ واحد، سواء أكان فى المشرق أو المغرب، وإن كنا نتناول فى هذا الكتيب جزءا من تاريخ المشرق العربى، وبالتحديد فى الخليج العربى، وذلك لاختصاصنا الدقيق، فى حين سوف يكون هناك كتابات لأبحاث فى التاريخ العربى بشكل عام، وخاصة فى الأعمال القادمة بإذن الله تعالى.

متمنيا أن يكون هذا العمل الإقليمى، دافعا إلى العمل القومى، وهو الهدف والغاية المنشودة لأجل كتابة تاريخ الأمة العربية، فلا يمكن الوصول إلى الكل، إلا بالبـدء عن طريق جمع الأجـزاء المتناثرة من التـاريخ العربى الموحـد والذى مزقـه الاستعمار من جهة، والظروف الخارجة عن إرادة الشعب العربى من جهة أخرى، بعـد أن خرج العـرب من التـاريخ بسـقوط «بغـداد» فى المشـرق، وترك دويلات وإمارات العرب فى الأندلس بالمغرب العـربى، بسبب الملذت وأهواء الحكام العرب وحب الذات والاستعانة بالمـسيحيين ضد إخوانهم المسلمـين من أجل الحفاظ على الحكم، وبالتالى ضـياع المجد العـربى، وسيطرة العـثمانيـين الأتراك الذين أعادوا المجد للإسـلام والمسلمين من جـهة، والتـسلل الاستعـمارى من جـهة، وتكوين الكيانات والأنظمة القطرية من جهة ثالثة.

نجد من هنا التاريخ الحديث والمعاصر للـعرب، متأثرا بهذه النواحى الثلاثة، وهذا ما نلاحظه من خلال دراسـتنا للأبحاث العلمية، وبالتـالى يجب إعادة النظر فى هذا التاريخ للاستفادة من الدروس والعبر بقدر الإمكان لأننا نجتاز اليوم مرحلة حاسمـة من تاريخنا القومى العربى، بعـدما أصبحنا نعـيش على هامش التاريخ، وليس فى داخل التاريخ لتاريخنا المعاصر، وهنا تكمن المشكلة. ولكن ما الحل؟!

موضوعات الأبحاث فى الجزء الرابع

تتناول الدراسات فى هذا الجـزء الرابع عدة مواضـيع وهى، الفصل الأول ـ الاستعمار البرتغالى فى شرق الجزيرة العـربية، الفصل الثانى ـ الإمامة اليعربية فى عمان، الفصـل الثالث ـ الصراع على زعامة الحزب الهنائى فى سـاحل عمان من خلال أحداث عام 1845 فى ضوء الوثائق البريطانيـة، الفصل الثانى ـ لمحات من الكويت فى عهد عبدالله الصباح 1776 ـ 1814، الفصل الثالث ـ الحكم العثمانى

فى شرق الجزيرة العربية 1871 ـ 1914، الفصل الرابع ـ وقوف ابن سعود إلى جانب طالب النقيب فى محنته عام 1915، دراسة من خلال المراسلات الرسمية، الفصل الخامس ـ ايران وعلاقتها بالغرب المسيحيى حتى سقوط نظام الشاه ـ الفصل السادس ـ مجلس التعاون ومسيرة التكامل والتنمية الاقتصادية، الفصل السابع ـ جزيرة قشت «الديبل» مشكلة الحدود القطرية ـ البحرينية، قراءة من خلال الصحافة العربية، الفصل الثامن ـ التراث الشعبى والتاريخ الشفهى.

وفى الختام نرجو من الله تعالى أن يوفقنا إلى كتابة الحق، وقول الحق، وعمل الحق، إنه ولى التوفيق وسميع المجيب، وأن يكون هذا العمل دافعا إلى أعمال بحثية أخرى مستقبلا، وأن يكون البداية وليس النهاية.

آخر ما نختم بالحمد لله والصلاة على أشرف خلق الله سيدنا وحبيبنا محمد ﷺ، وعلى آل بيته الطاهرين رضوان الله عليهم أجمعين.

د. محمد حسن العيدروس

الفصل الأول



الصراع على زعامة الحزب الهنائي في ساحل عمان من خلال أحداث عام 1845 في ضوء الوثائق البريطانية

نشرت في مجلة دراسات تاريخية - جامعة دمشق -

العددان 61 _ 62/ أيلول - كانون الأول 1997.

مقدمة:

تعتبر دراسة نشأة الإمارات فى ساحل عمان، فى القرن الثامن عشر وتطوراتها، فى النصف الأول من القرن التاسع عشر، أمر ضرورى لفهم التاريخ الحديثة لدولة الإمارات العربية المتحدة التى ورثت تراث وتاريخ هذه الحقبة الطويلة بسلبياتها وإيجابياتها، وفى خلال تلك الفترة جرت أحداث وصراعات فى صور شتى، منها التحالفات السياسية ومنها المحاولات الانقلابية، والإطاحة بالحاكم، ولاشك فى أن دراسة الصراعات السياسية فى ساحل عمان سوف تكشف مدى تورط الحكومة البريطانية فى القضايا الداخلية، سياسية كانت أم عسكرية، كما أنها توضح موقف الحكام، والسكان، من هذه السياسة، ومن سيطرة حكومة الهند على شؤون الخليج العربى بصفة عامة، وساحل عمان بصفة خاصة.

تلقى هذه الدراسة الكثير من الأضواء على جوانب عديدة تعين على فهم السياسة البريطانية ذاتها، وتبين لنا مدى صدق البريطانيين فى تطبيق سياسة عدم التدخل فى الشؤون الداخلية لساحل عمان. والواقع أنه لم يتطرق إلى هذه الدراسة إلا القليل من المؤرخين المحدثين وبصورة عابرة، أو بعدم فهم. ويمكن إرجاع ذلك إلى عدم الاعتماد على الوثائق أحيانا، أو صعوبة الوصول إليها أحيانا آخر، ولهذا تعد هذه الدراسة من الدراسات التى تعتمد على الوثائق البريطانية المباشرة والتى تكشف أحداث، وملابسات جديدة لعام 1845 فى تاريخ ساحل عمان ولاسيما أن أحد موظفى حكومة الهند «كالوكيل البريطانى» فى الشارقة، كان أقرب إلى الأحداث ومعاصرا لها فكتب عنها عقب وقوعها مباشرة بوصفه شاهد عيان، إلى رؤسائه كالمقيم السياسى البريطانى فى الخليج العربى، الذى قام بدوره برفع تلك المعلومات إلى حكومته فى الهند، قبل أن تتخذ حكومة الهند أو المقيم السياسى البريطانى أية خطوات تجاه تلك الأحداث الداخلية. والسياسة البريطانية فى تلك الفترة كانت تأتى بعد قيام الحدث، وبعد إجراء دراسة مستفيضة

من كافة الجـوانب لتلك الأحداث وذلك حسب الأهميـة للمصالح والاستراتيـجية العليا البريطانية.

التحزب الهنائي والغافري والتكوين السياسي لساحل عمان:

أصبحت عمان فى حـالة غير مستقرة نتيجة لسـقوط دولة اليعاربة، وظهور التفكك السياسى فى عمان منذ النصف الأول من القرن الثامن عشر، وذلك حينما انقسـمت البلاد إلى حزبين سـياسيين، همـا الحزب الهنائى، والحزب الغـافرى. وتمخضت هذه الأحـوال غيـر المستقـرة عن أحداث تاريخيـة هامة، منهـا: ظهور موجـات من الهجرة الـقبلية من عـمان وحضـرموت واليمن إلـى سواحل الخليج العربى الجنوبـى أو شمال عـمان أى «ساحل عـمان». وقد أدت هذه الهـجرة فى النهاية إلى ظهـور تكوينات أو مجموعـات سياسية جـديدة فى المنطقة، ومن أهم هذه المجموعات المهـاجرة قبائل: البوفلاح والرواشد والعـوامر والمناهيل والمناصير والظواهر والحبوس وبنى نقب والـطنيج والشرقيون واستـقر بهم المقام فى أبو ظبى «دبا» خورفكان ـ رأس الخـيمة ـ وكـما شهـد ساحل عمـان فى ذلك الوقت نموا وازدهارا للقـرى الصغـيرة القديـمة. ولعب ظهـور التحـزب الغافرى فـى ساحل عمان، الذى تزعمه القواسم، حكام رأس الخيمة، وكذلك ظهور الحزب الهنائى، فى ساحل عـمان، الذى تزعمه آل بوفـلاح، حكام أبوظبى، دورا بارزا فى تعزيز الانفصال بدلا من تعزيز الوحدة العمانية بعد سقوط الإمامة اليعربية، بل أدى إلى انقسـام ساحل عـمان نفسـه إلى قسـمين: القواسم فى الشـمال، والبـوفلاح فى الجنوب، وحال الوضع السياسى منذ ذلك الوقت دون قيام الوحدة أو الاتحاد حتى عام 1971 أى قيام دولة الامارات العربية المتحدة.

ظل هذا التحزب الهنائى والغافرى قويا بين قـبائل ساحل عمان طوال القرن التاسع عشـر، كما ظل فترة طويلة فى القـرن العشرين، وتنقسم قبـائل عمان منذ

القرن الثـامن عشـر إلى كتلتـين كبيـرتين سيـاسيتـين هما الكتلة الهنائيـة والكتلة الغافرية، وتؤيد القبيلة الهنائية أو الغافرية مثيلاتها من القبائل فى الحروب الداخلية والقضـايا العامة وقـتذاك فى عمـان. ولاشك أنه كان لكل من الحزبين زعـامات خاصة بها فى أنحاء عـمان. وقد ضعفت هذه العصبية كـثيرا فى السنوات الأخيرة أى منذ قيـام دولة الإمارات العربيـة المتحدة فى (ساحل عـمان) وبعد قـيام حكم مركـزى فى عمـان منذ تولى قابوس. إذ تـغيرت ولاءات القـبائل والسكـان نحو الدولة الحديثة بكل مقوماتها.

ظهر هذان الحـزبان السياسـيان فى أواخر أيام إمـامة اليعـاربة التى حكمت عمان الموحدة مدة مائة وسـبعة عشر عاما (1624 ـ 1741) وتعتبر هذه الإمامة من أقوى الدول التى شهدتها ليس عمان وإنما منطقة الخليج العربى والمحيط الهندى فى التاريخ الحديث وأكثرها ازدهارا ونشاطا خارجـيا. وقد تمكن أئمة دولة اليعاربة من تحرير عمـان من الاحتلال المسيحى البـرتغالى لسواحلها ثم تعقـبوهم إلى سواحل الهند وساحل أفريقـيا الشرقية التى اسـتطاعوا أن يحكموّها إضافـة لحكم البحرين وجزيرة هرمز وقشم. وكان لعمان فى عهـدهم أسطول حربى وتجارى كبير، وبعد الإمام سلطان بن سـيف اليعـربى عام 1718، وهو خامس أئمـة اليعـاربة، حيث اجتـاحت البلاد إشكالية شـرعية كبـيرة حول تولى الحكم، إذ كـان ابنه سيف بن سلطان الثانى صـغير السن لم يـبلغ الحلم. وظهر فى الميدان السـياسى شخـصان كبيران قادا الحرب الأهلية. الأول هو خلف بن مبارك الهنائى. وينتسب لقبيلة بنى هنة. والثانى محمد بن ناصر الغافرى، وينتسب لقبيلة بنى غافر، وانقسمت قبائل عمان كافة فى تأييد هذين الزعيمين. وعلى الرغم من أنهما قتلا أثناء الصراع فيما بينهما، خارج حـصن صحار، عام 1728 إلا أن طول فترة الانقسام الـتى عاشتها عمان، وانتشار المعارك الأهلية فى طول البلاد وعرضها ترك هوة عميقة بين حزب القبائل الهنائية وحزب القبائل الغافرية. وأودى هذا النزاع وهذا الانقسام - بطبيعة الحال - بدولة اليعاربة عام 1741. ولا شك فى أن هذا النزاع ترك أثره الكبير على

القبائل التى تسكن ساحل عمان. ومع ظهور حكام البوسعيد فى عمان عام 1741 ظهرت قوتان سياسيتان جديدتان على ساحل عمان الشمالى والجنوبى استقلتا عن البوسعيد فى عمان[1]:

القوة الأولى: الحزب الغافرى لساحل عمان:

يتألف هذا الحزب من حلف قبائل يتزعمهم القواسم الذين تزعموا الحزب الغافرى المعارض لتولى أحمد بن سعيد الحكم فى عمان، والتى ساندتها القبائل الهنائية. وكان مقرهم رأس الخيمة ويمتد نفوذهم على ساحل الشميلية على خليج عمان، وعلى ساحل الخليج العربى حتى الشارقة. ويتألف الحزب الغافرى فى هذه المنطقة من القبائل التالية: النعيم بفروعها الثلاثة وهى: البوشامس والبوخريبان والخواطر ـ طنيج ـ الغفلة ـ بنى نقب ـ بنى كعب.

القوة الثانية: الحزب الهنائى لساحل عمان:

يتألف هذا الحزب من حلف يتزعمهم البوفلاح الذين يساندون حكم أحمد بن سعيد فى عمان ويمتد نفوذهم من دبى على طول ساحل عمان حتى حدود قطر فى خور العديد، ويتألف الحزب الهنائى فى هذه المنطقة من القبائل التالية: الرواشد ومنهم البوفلاسة، العوامر ـ المناهيل ـ المناصير ـ بنى ياس ـ الظواهر، وهى جميعها قبائل أبوظبى.

الحزب الهنائى فى أبوظبى:

ظهرت هجرة من أفرد القبائل الهنائية فى ساحل عمان من «الظفرة» فى الداخل عام 1761 إلى الساحل فى مدينة «أبوظبى»، التى سرعان ماكثر عدد سكانها، وزاد البناء بها. ولكن ظل شيوخ البوفلاح يديرون شؤون الحكم من واحة (ليوا) فى الداخل، حتى اتخذ شخبوط بن دياب، عام 1793، من مدينة

---

1 ـ د. محمد مرسى عبدالله ـ دولة الإمارات العربية المتحدة وجيرانها ص123.

أبوظبى الناشئة، عاصمة له. وهى خطوة جـريئة، ذات أثر سياسى واقتصادى بالغ فى حياة الإمارة، إذ فـتحت لقبائل الهنائية ساحل عمـان فى أبوظبى نشاط البحر بخبراته الواسعـة فى التجارة والملاحة والغوص. وانتشرت بقيـة أفراد القبائل على الجزر الـعديدة المقـابلة لساحلهم. ومن هنا تبـدأ جزيرة (دلما) تاريـخها فى عـالم الغوص واللؤلؤ أثناء القرن التاسع عشر. ويعتبر شخبوط بن دياب من الشخصيات الهامـة فى تاريخ أبوظبى. وقد امتد حكمـه حتى 1816، حينمـا ترك الأمر لابنه الأكبر، محمـد، ثم أقام فى العين حتى وفاته[1]، وقام طحنون بن شخبوط، فى عام 1818، بإسقاط أخيه الحاكم محمد بن شخبوط عن سدة الحكم وتولى المسئولية بدلا عنه. وكان طحنون يمثل حزبا معارضا لسيـاسة أخيه محمد، حيث كان يرى ضرورة الانضمام إلى الجبهة المساندة لحاكم عمان.

تم هذا الانقلاب بموافقة الوالد، وبتمويل من السلطان سعيد، حاكم عمان، فقام طحنون بانقلابه بنجاح وأجبر أخاه على ترك البلاد فهرب محمد بحرا وتوجه إلى قطر ،نزل مدينة البدع، ومن هناك طلب اللجوء السياسى عند آل خليفة حكام البحـرين فاجـابوه إلى ذلك. وفى عهـد طحنون قامت بريطانيـا باحتـلال ساحل عمان. ووقعت مع حكامها اتفاقية السلام العامة لعام 1820، والتى بموجبها أصبح ساحل عـمان تحت الحماية أو السـيطرة البريطانية. لقـد شكل مجىء طحنون إلى السلطة فى أبوظبى من عـام 1818 إلى عام 1833 عنصـر قوة للإمارة. لأنـه كان شخصية انضـباطية قيادية ممتازة، ذا أفكار متحررة، واسـتطاع بناء جيش قوى كما امتاز بالانضبـاط العسكرى الشديد، وفرض سيطرته فى المنطقة، وكـان قاسيا على أخيه «خليفـة بن شخبوط» حتى منعه من حمل السـلاح مادام فى البلاد ويقال إنه سمع ذات يوم صوت طلقـة نارية فى ظاهر البلد فاستفسر عن مـصدرها فعلم أن أخاه خليفة يصطاد الطيور فأمـر بإبعاده إلى خارج البلاد. وحاول والدهم إصلاح

---

1 ـ د. محمد مرسى عبدالله ـ نفس المرجع ص127.

الخلاف ولكنه لم ينجح. وكان محبا لخليفة الذى وجده ذات ليلة فى أبوظبى عام 1833 يصلح رميا لبندقيته فقال له ما جاء بك واخوك يبحث عنك دوما؟ فأجاب خليفة: جئت لأصيد طيرا. ففهم الوالد أنه يحاول قتل طحنون فلم يعترض عليه لأن شخبوط فى قلبه على ابنه طحنون حقد لعدم قبول شفاعته فى خليفة ورده إلى أبو ظبى. فلما جاء الصباح كمن له فى طريقه فرماه، فخر طحنون صريعا. قيل إنه ركض وضربه بخنجر وقيل إن أخاه الآخر سلطان هو الذى ضربه بخنجر[1] وتولى السلطة فى أبوظبى.

أحداث عام 1845:

لم تخل زعامة خليفة بن شخبوط للحزب الهنائى فى أبوظبى من الطامعين فى الحكم، وهم أقرباؤه وأولاد عمه. ويقول فالح حنظل فى كتابة عن تاريخ الإمارات العربية : «إذ تشكلت فى هذا العام وربما فى نهايته نواة حزب سياسى معارض ينوى الإطاحة بالحكم والاستيلاء على السلطة بقيادة أحفاد «سعدون بن فلاح الأول» فعندما انتقل الزعيم الأول فلاح إلى رحمة الله، خلف أولادا وهم نهيان وسعدون وسلطان وصقر ومحمد وخالد، فى حين قتل صقر ومحمد ثم آلت الزعامة إلى أولاد أحفاد نهيان فكان سعدون هو أخو نهيان وكان الحزب المعارض هذا من أحفاد «سعدون» أما المتآمرون فيقال إنهم ثمانية، ذكر منهم «لوريمر» عيسى بن خالد وخالد بن عيسى وذياب بن عيسى ورجل آخر اسمه «جعفور» أما المطوع فذكر إنهم كانوا عيسى بن خالد وذياب بن عيسى وفتيان من آل نهيان وعلى رأسهم رجل يسمى «عنقاشا»، ولكن لوريمر أخطأ إذ وضع عيسى بن خالد وكأنهم أحفاد خالد بن فلاح[2] والأصح حسب الرواية المحلية التى تذكر

1 ـ فالح حنظل ـ المفصل فى تاريخ الإمارات العربية المتحدة ـ ج2 ـ ص474.
2 ـ فالح حنظل ـ نفس المرجع ـ ص526 ـ ج2.

الحادثة بأنها حادثة «عـيال سعدون» فهم إذن أحفاد سعـدون بن فلاح. إضافة إلى ذلك أقرباء شخبوط بن ذياب وماذكره ملا حـسين «الوكيل الاستعمارى البريطانى» فى الشارقـة أقرب إلى الصحـة، فقد رفع مـذكرة مبـاشرة بعد وقـوع الحادثة فى 15/1/1845 إلى الرائد هنيل المقـيم السيـاسى البـريطانى فى الخليج العربى جـاء فيها[1]:

كنت أستعد للتوجه إلى عجمان وأم القوين ورأس الخيمة بعد مغادرة مساعد المقيم السياسى البريطانى لتقصى الأمور والاستفسار عن أعمال ملاحى السفن التى وصلت مؤخرا من زنجبار وساحل أفريقيا الشـرقية ولأقدم إلى جميع شيوخ ساحل عمان الهـدايا المرسلة من الحكومة البريطانية إليهم وفى هذه الفـترة علمت بحدث هام فى أبوظبى.

اتفق أحد عشر رجلا وهم أقرباء خليفة بن شخبوط وشقيقه سلطان منذ مدة طويلة على التخلص منهما وهم «عيسى بن خالد» وابناه ويعتبر ابن أخت شخبوط بن ذياب، و «خالد ابن عـيسى بن ذياب» وهو ابن شقيق شـخبوط، و «جعـفور» وهو ابن أخت شخبوط و «عنقاش» وهو ابن عم شخبوط، وابن «محمد بن صقر» شقـيق شخـبوط ورجـلان من قبـيلة المزاريع، و «مقـرن بن عانيـون» شيخ قبـيلة «الهوامل» فـإن هؤلاء الأحد عشر كـانوا ينتظرون الفرصة المناسبـة للقيام باغـتيال خليفـة وشقيقـه سلطان وحجز ممتلكاتـهم وإبلهم وتعيين عـيسى بن خالد زعيـما

---

1 ـ R/15/1/105 ـ مذكرة من مـلا حسين الوكيل الاسـتعمارى البريطـانى فى الشارقة إلى الرائد هنيل ـ المقيم السياسى البـريطانى فى الخليج العربى بتاريخ 15/ 7/ 1845 صفحة 199 ـ 202.

لأبوظبى بدلا من خليفة وسلطان لـيحكموا قبائل أبوظبى فى حين أصـبح الباقون زملاءهم. . ولكن لم يرد فى الوثيقـة سوى ثمانية أسماء فـقطْ وإذا ما أضفنا ولدا عيسى بن خالد فـيصبح العدد عشرة فيكون هناك ناقص واحـد حتى يكتمل العدد «إحدى عشرة». وفيما يلى نسب البوفـلاح وأعضاء مجلس قيادة الانقلاب، الذين شاركوا فى الانقلاب وجلاده من المزاريع ـ مقرن بن عانيون شيخ قبيلة الهوامل.

وهناك عدة آراء حول حادثة الانقلاب هذه، ويمكن إيجازها بما يلى:

الرأى الأول لفالح حنظل ويقول:

لم تكد الأحوال تهدأ حتى ثارت الفتنة العـمياء فى أبوظبى فلقد كان حزب أحفاد سعدون بـن فلاح بقيادة عيسى بن خالد وذياب بن عيـسى يعمل ليلا ونهارا لإنجاح خطة انقلابيـة فى أبوظبى وعندما حل موسم الصيف وتهـيأ الرجال لرحلة الغوص الكبير فغادر «سنيـار» أى أسطول سفن أبوظبى إلى المغاصات وعليه معظم رجال المدينة بحـيث إن المدينة كادت تخلو من الرجـال، كانت تلك الفـرصة التى ينتظرها رأس المؤامره عـيسى بن خالد الذى يشكل مـايشبه مجلس قـيادة ثورة من ثمانية أعضاء وقرروا اغتيـال الحاكم وأسندوا تلك المهمة إلى رجل اسمه «عنقاش» وفى حوالى شـهر مايو الخـامس خلت المدينة من الرجال إذ لم يبق مع خليـفة إلا أخوه سلطان وقوة صغـيرة من الحرس الخاص فسنحت الفرصة للتنفـيذ وتم تعيين ساعة الصفر عندما وصلت معلومات إلى عيسى بن خالد بأن خليفة وأخاه سلطان سيتـوجهان غدا لتناول طعـام الغداء على ظهر سفـينة تابعة لبعض رعايـا البحرين الذين قدموا إلى أبوظبى لغرض المتاجرة باللؤلؤ، وإن الحاكم وأخاه سيتوجهان إلى هناك بحـرس قليل معـهم، ومنذ الصبـاح الباكـر كان أولاد عـيسى بن خـالد قد

انتشروا فى المدينة وقرب القصر الأميرى وعندما حل الظهر توجه الأخوان خليفة وسلطان إلى السفينة حيث استقبلهما البحارة بحفاوة وتناولوا الغداء سويا على شاطئ البحر وبعد الغداء قرر خليفة أن ينام القيلولة هناك فى ظل السفينة الراسية. أما سلطان فلقد عاد إلى قصر الحصن وبعد أن نام خليفة ومن معه وثب عليهم عيسى بن خالد وزمرته فأطلقوا النار على خليفة وهو نائم فاردوه قتيلا ثم توجه المتآمرون نحو قصر الحصن حيث دخلوا إلى هناك بقيادة «جعفور» وفاجأوا سلطان بعدة طعنات من خناجرهم قضت عليه فى الحال[1].

الرواية الثانية للمطوع فى الجواهر واللآلى تقول:

إن «عنقاش» رئيس زمرة التنفيذ وزع على ثلاثة أقسام، قسم لاغتيال خليفة فى الطريق، وقسم لاغتيال سلطان وكانت زمرة اغتيال تجلس معه فى مجلسه، وهناك زمرة اقتحام كانت ترابط فى باب قصر الحصن. وعندما ترك خليفة بن شخبوط مجلسه العام متوجها نحو قصر الحصن وصل إلى الكمين وهناك خرج له «عنقاش» وجماعته واطلقوا عليه النار فأردوه قتيلا. وعلى صوت إطلاق النار قامت جماعة التنفيذ الثانية الموجودة بمجلس سلطان فاستلوا خناجرهم وأهووا بها على جسد سلطان الذى كان نائما وملتفا بقماش «اللاس» فقتلوه فنام نومته الأبدية، ثم قامت جماعة الاقتحام بإطلاق النار على حرس القصر فاقتحموه ودخلوا إليه وأعلنوا ولاية عيسى بن خالد[2].

1 ـ فالح حنظل ـ المرجع السابق ـ ص521 ـ ج2.

2 ـ فالح حنظل ـ نفس المرجع ـ ص529 ـ ج2.

الرواية الثالثة لجون بى كيلى تقول:

ظلت الحالة هادئة هدوءا مشوبا بالقلق فى المنطقة الشمالية من عمان أى «ساحل عمان» خلال الفترة الباقية من عام 1845 وقد عادت الأمور فاضطربت بشكل خطير عندما اغتيل كل من خليفة بن شخبوط شيخ أبوظبى وأخوه سلطان من قبل أحد أفراد آل بوفلاح فى نهاية الصيف غير أن القاتل قتل هو الآخر من قبل بعض اتباع سعيد بن طحنون نجل الزعيم السابق طحنون بن شخبوط الذى وقع صريع ضربة نصل من خليفة بن شخبوط فى شهر إبريل 1833.[1].

الرواية الرابعة لملا حسين الوكيل البريطانى فى الشارقة تقول:

كان سلطان مدركا للعدواة التى بدت من عيسى بن خالد وانجاله، وبرغبتهم بالتخلص من حراسه لكى يذبحوه. واستنجد بأخيه خليفة كى يبعد كلا من عيسى وابنائه من أبوظبى والمذكورين آنفا. إلا أن ذلك لم يأت بنتيجة لأن خليفة لم يكن يعتقد بأنهم سوف يرتكبون مثل هذه الجريمة البشعة.

فمنذ أن تولى «سلطان وخليفة» السلطة كانا يعاملان عيسى وابناءه بالمودة والاحترام ويعتبرانهم فى عداد الزملاء المقربين، نظرا لأنهم على اتصال دائم بهم ويتناولون الطعام معهم مما يبعد الشكوك عما يفكر به خليفة. عاش المتآمران عيسى وشقيقه بهدوء فى أبوظبى وهما يضمران العداوة ضد «خليفة وسلطان» حتى تفرق السكان وتوزع غواصو اللؤلؤ فى البحر. كما توزع سكان الحضر والبدو فى مزارع النخيل فى «ليو» و«الظفرة» و «الختم» وفى ضواحى مدينة العين وأبوظبى، حتى إن شخبوط ذهب إلى مزارع النخيل التى يملكها فى البريمى وبقى الكثيرون فى

---

1 ـ جون. بى. كيلى ـ بريطانيا والخليج ـ ص678 ـ ج2.

أبوظبى مثل خليفة بن شخبوط وأخيه سلطان وبعض التجار ووجهاء القبائل وآخرون لايعملون فى الصيد وبعض البحرينيين والأجانب[1].

عزم عيسى بن خالد عندما رأى أن البلد خالية من السكان على اغتيال الشيخين خليفة وسلطان، ففى يوم الجمعة 28جمادى الثانى الموافق 4يوليو وقبل الظهر اجتمع الجميع ومعهم الشيوخ وخمسة رجال ينتمون إلى خليفة اجتمعوا على الشاطئ تحت ظل سفينة «بتيل» ثم وجه كل من خليفة وشقيقه الأوامر إلى الذين جلبوا معهم الطعام المعتاد.. إلخ. وبعد تناول الجميع الطعام والشراب جرت مناقشة حول مواضيع تافهة وغير هامة وقام بعدها سلطان وذهب وجلس مع شخص بعيدا من أجل التحدث عن عمل وبعد انتهائه من ذلك ذهب إلى الشاطئ حيث تبعه ابناء عيسى بن خالد وخالد بن عيسى بن دياب وبعض الرجال من قبيلة المزاريع كأنهم يطلبون منه شيئا لاقيمة له وعندما اقتربوا من سلطان بن شخبوط سحبوا فجأة خناجرهم وطعنوه[2].

تلحق خليفة بأخيه عندما سمع ضربات الخنجر حاول أن يسحب سيفه ويدفعه إلى الأعلى ثم ينهض ولكن عيسى بن خالد ومن معه سحبوا خناجرهم دون أن يمكنوه من الفرصة للدفاع عن نفسه وطعنوه اثنى عشر جرحا ثم تركوا خليفة وشقيقه كل منهما ملقى على الأرض ثم أسرع عيسى بن خالد وأبناؤه

1 ـ R/15/1/105 ـ مذكرة من ملا حسين ـ الوكيل الاستعمارى البريطانى فى الشارقة ـ إلى الرائد هنيل المقيم السياسى البريطانى فى الخليج العربى بتاريخ 15/ 7/ 1845 صفحة 399 ـ 202.

2 ـ R/15/1/105 ـ نفس المرجع.

واستولوا على الحصون ودخلوا منازل الشيوخ وطردوا نساءهم وأطفالهم وسلبوا كل مالديهم من مقتنيات وأرسلوها إلى الحصن، ثم كتب عيسى بن خالد باسم الشيخين المقتولين رسائل وأرسلها سرا على الفور عن طريق البر إلى المسؤولين عن الجياد والإبل يطلب منهم أن يأتوا بالجياد فى الحال إلى أبوظبى. بدأ خوف ورعب فى المنطقة بين السكان بسبب حدوث الأعمال العدائية المذكورة آنفا، استدعى عيسى بن خالد جميع وجهاء العشائر فورا وهم راشد بن فاضل شيخ أسرة «المرور»، وخادم بن نهيان وشقيقه شيخى «القبيسات»، وبطى بن سويدان شيخ أسرة المحاربة وخادم بن مطر شيخ أسرة الرميثات وصالح بن سيف وخليفة بن خميس شيخى أسرة السودان وسعيد بن سهيل شيخ أسرة البوفلاسة وعلى بن سعيد شيخ أسرة المغالبة وبطى بن عمير شيخ بومهير وواحد من شيوخ أسرة قمزان وشيبان بن حسين وشقيقه زعل ومحمد بن نهد إلا أنهم رفضوا فى بادئ الأمر أن يقوموا بزيارته حتى أرسل عيسى بن خالد إليهم شيبان بن حسين الذى رتب الأمور بشكل جيد فيما بينهم. ثم بعد ذلك ذهبوا إلى عيسى بشكل ظاهرى لمنع حدوث أى اضطراب حتى يتم جمع العشائر وبعد أن قام عيسى بن خالد بالتهديد والوعيد حيث قال لهم: «إنها مشيئة الله أن يموت خليفة وشقيقه إذ أن مصيرهما محدود، وعليكم الآن أن تختاروا من بيننا من هو حى بدلا من ميت وأنتم رجال شرفاء ومحترمون فليبق كل واحد فى مكانه الحالى كشيخ لأسرته كما هو الحال من قبل وأنا لا أريد منكم سوى المساعدة والنصيحة حتى لا ينتصر علينا أعداؤنا[1].

1- R/15/1/105 - نفس المرجع.

يتابع الوكيل الاستعماري البريطاني تقريره بقوله: علمت أن بعض المذكورين آنفا من شيوخ أسر بني ياس كانوا مسرورين من حديثه وراضين عما قام به بالنسبة لأبناء شخبوط وأن آخرين كانوا مشمئزين من ذلك ومع ذلك فقد انضموا واعترفوا بعيسى بن خالد كزعيم عوضا عن خليفة بن شخبوط ولكن الله وحده يعلم ما يضمرون في أنفسهم من مخططات حياله.

انتشر اتباع عيسى بن خالد في أرجاء العاصمة ينشرون الرعب والاضطراب وهم يدعون إلى مبايعة الحاكم الجديد عيسى بن خالد زعيما لحزب الهنائي في ساحل عمان وحاكم أبو ظبي. ومن داخل قصر الحصن كانت زوجة شخبوط قد تمكنت من الهرب مع طفليها زايد وذياب واستطاعت عبور نقطة المقطع، وبعد رحلة مع العذاب وصلت هذه الأرملة المنكوبة ومعها ولداها إلى دبي حيث حلت لاجئة عند مكتوم بن بطي الذي أكرم وفادتها ثم ذهبت مع ولديها إلى أهلها وإخوتها من أسرة السودان وكان أخوها عبدالله بن الهول السويدي الذي بنى لها بيتا في منطقة «اللية» في الشارقة ليعيش هناك ولداها زايد وذياب في كنف خالهم عبدالله بن الهول السويدي، أما عيسى بن خالد وزمرته الثمانية فلقد احكموا قبضتهم على جزيرة أبوظبي العاصمة [1] في الوقت الذي اعترفت بهم بعض أسر بني ياس كان نفوذهم لايكاد يذكر على بقية قبائل أبوظبي الكبيرة مثل العوامر والمناهيل والمناصير. حيث كانت هذه القبائل الكبيرة والقوية تدين بالولاء لخليفة بن شخبوط ولانخشى من عيسى بن خالد الذي كان يخشاهم ولذلك توجه إلى بريطانيا لكي تسانده وتدعمه.

ذكرت الأخبار أن عيسى بن خالد أرسل إلى سعد بن مطلق قائد حاكم نجد العثماني، القائمقام الأمير فيصل بن تركي قائلا «إنها مشيئة الله تعالى بالنسبة لما

---

1 ـ فالح حنظل ـ المرجع السابق ـ ص529 ـ ج1.

حدث مع خليفة وشقيقه سلطان فقد أصبحت بديلا عنهما متمتعا بنفس السلطة لقيادة قبائل أبوظبى وأنا احتفظ بشرعية ما حدث بينكما عن طريق معاهدة أو ميثاق ولن أقوم بنقض هذا الميثاق وكتب إلى شيوخ قبائل النعيم والقبائل والحكام الآخرين وبعث شيبان بن حسين ومعه رسائل إلى مكتوم ووجهاء دبى وإلى سلطان بن صقر وابنه صقر ورسالة إلى ملا حسين الوكيل الاستعمارى البريطانى فى الشارقة والذى بدا من أسلوب رسالته له ومن كلام شعبان ابن حسين أن عيسى بن خالد متلهف لأن يقمع جميع الأعمال والانتهاكات الموجهة ضد المصالح البريطانية حتى يكسب رضا الحكومة البريطانية واعترافها بالأمر الواقع، وأنه ينبغى على قبائل أبوظبى الهنائية ان تخضع لسلطته وتسوى الخلافات وديا وان تتوصل إلى تفاهم بطريقة سلمية مع مكتوم بن بطى وسلطان بن صقر وابنه صقر. ويقول ملا حسين الوكيل الاستعمارى البريطانى فى الشارقة فى تقريره:

علمت بأن مكتوم وصقر بن سلطان قد ردا عليه بشكل مرضٍ وهما يميلا إلى إقامة علاقات ودية ولكننى أعتقد بأن مكتوم ينتظر جميع قبائل أبوظبى فإذا أقر الجميع بسلطته وخضعوا له فسيقوم هو وصقر بتوطيد العلاقات الودية ويتجدبا الاتفاقيات معه ولكنه سيعامله معاملة مختلفة إذا رفضوه وتحولوا إلى أحد أبـ ء شخبوط مثل هلال أو محمد أو جعفور أو إذا اتحدوا مع سعيد بن طحنون ‹ى العداء ضده وضد أصدقائه.

سمعت بأن سعد بن مطلق عندما علم باغتيال خليفة وسلطان والاستيلاء على ممتلكاتهما من قبل عيسى وآخرين أعطى أوامره بجمع قواته وجنده وأرسل فى طلب هلال بن شخبوط وقبائل أبوظبى المقيمة فى الجهة الغربية للتحدث حول موضوع مهاجمته هو ومن معه فى أبوظبى إلا أن بن مطلق سينقاد عن طريق المال وواضح إخلاص الرجل الذى يمكن جلبه عن طريق المال[1].

---

1 ـ R/15/1/105 ـ المرجع السابق.

يتضح من تلك الروايات الثلاثة عدم الوضوح حيث أن الرواية الأولى والثانية تختلط فيها الحقيقة مع بعض الخيال فى حين الرواية الثالثة مقتضبة ولا تعطى أو تشير إلى الحادثة بشكل واضح فى حين نجد فى مذكرة الوكيل الوطنى البريطانى فى الشارقة تقريرا واضحا عن ملابسات الحادث وهى أقرب الروايات السابقة إلى الواقع ومعاصرة لتلك الحادثة فى تلك الفترة، كما نلاحظ فى هذه المذكرة بأن شخبوط ذهب إلى مزارعه في العين مما يعنى أنه لم يتوفى ومازال يعيش حتى تلك الحادثة التى ألمت بابنه.

نلاحظ أيضا من تقرير الوكيل الاستعمارى البريطانى كيف استطاع عيسى بن خالد أن يقنع بقية شيوخ العشائر بالاعتراف به كزعيم عندما استدعاهم وطلب منهم ترشيح أحد الحاضرين كزعيم للحزب الهنائى فى أبوظبى فى حين لم يفرض عليهم نفسه وإنما أجبرهم بطريقة فرض الأمر الواقع وهو نوع من التحايل لكسب الشرعية الشعبية بطريقة ديكتاتورية أو الحاكم الأوحد كما يحدث حاليا فى انتخابات الرئاسة بنتيجة 99,9٪ حيث لم يكن أمام شيوخ الأسر والعوائل خيار آخر غير اختيار عيسى بن خالد خوفا من ان تتحول البلاد إلى حرب أهلية تأكل الأخضر واليابس كما وعد بإبقاء شيوخ الأسر والعوائل فى مناصبهم من الناحية الاجتماعية والسياسية ومن ثم حاول الحصول على الاعتراف من القبائل الكبيرة فى أبوظبى، مثل: العوامر والماهيل والمناصير والظواهير والذين رفضوا ذلك أو الاعتراف بشرعيته. ثم من القبائل والحكام المجاورين حيث بعث برسائل لكسب الاعتراف والحصول على شرعية حكمه من قبل حكام دبى والشارقة وخاصة من البريطانيين عندما بعث برسالة إلى الوكيل الاستعمارى البريطانى فى الشارقة.

رسالة عيسى بن خالد إلى المقيم السياسى البريطانى:

كمـا بعث عيـسى بن خالـد كحاكـم أبوظبى رسالة إلى الرائد هنيل المقـيم السياسى البـريطانى فى الخليج العربى بتاريخ 10رجب الموافق 16 يوليو 1845 جاء فيها:

لقد حـدث ما قـدره الله لنا وكان ذلك بسـبب حـماقـة سابقة جـرت بيننا وبشكل واضح مع أناس لهم نفس المزاج وليـست لهـم علاقـات بمختلف طبـقات الناس وكل من استولى على السلطة تصـبح القبيلة بجانبه. ونتيجـة لهذه الأعمال وجدت من المهم أن اكـتب إليك حول موضـوع الهدنة المبرمـة التى شاركت فيـها والمتعلقة بقـمع الاضطرابات والأعمال الخارجة على القـانون كالنهب والقرصنة فى البحر[1].

سيكون سلوكى إن شـاء الله مطابقا للشروط والالتزامـات الواردة فى الهدنة المبرمة وسأعـمل حسب أوامرك وسأكف عن القيـام بأى عمل تحظرونه وستكونون راضـين بإذن الله عن أهدافى وقـصـدى ولى الشـرف أن أقـوم بتنفـيـذ أوامـرك ورغباتك[2].

نجد من رسـالة عيسى بن خـالد أنه يوضح للمقـيم السياسى الـبريطانى فى الخليج العربى أن من يستـولى على السلطة بالقوة تصبح القبائل بجـانبه أى جميع الشعب يؤيده ويقف إلـى جانبه مهـما كان وكـيفمـا كان سلوكه وتوجـهاته، وإنه الحـاكم الفعلى الأوحـد، ولهـذا يجب على بريطانيـا الاعتـراف به كحـاكم على

---

1 ـ R/15/1/105 ـ مرفق رقم (3) رسالة من عـيسى بن خالد الشـيخ الفعلى لأبوظبى إلى الرائد «هنيل» المقـيم السيـاسى البريـطانى فى الخليج العربى المؤرخـة فى 10رجب الموافق 16 يوليو 1845 ـ صفحة 395 ـ 396.

2 ـ R/15/1/105 ـ نفس المرجع.

أبوظبى فى الوقت الذى يقدم عيسى بن خالد ولاءه لبريطانيا كغيره من حكام العرب ويعمل على تلبية كافة مطالبهم ويلتزم بجميع المواثيق والاتفاقيات وخاصة الهدنة البحرية ويقدم أقصى التنازلات مقابل ذلك، كما يلاحظ عنه وعن غيره أن أقصى المطالب والمساعى التى يسعون لها لدى الاستعمار البريطانى هو كسب شرعية الحكم ممن ليس له الشرعية بل هو استعمار مغتصب وذلك فى سبيل الاحتفاظ بالحكم والسلطة الزائلة إن عاجلا أو آجلا ولم يدم إلا الله وحده وهو على كل شىء قدير، وليس بريطانيا، وهذه الحقيقة لا يفهمها الحكام العرب حتى يومنا هذا مما يخلقون المآسى ويجلبون على الشعب العربى الكوارث والمحن والتخلف والتبعية وعبودية الغرب الاستعمارى الرأسمالى الذى لايهمه مصالح الشعب العربى ولا يهمه من يحكم وكيف يحكم أو يستولى على السلطة وإنما استمرار مصالحه الاستعمارية الرأسمالية. هذا ما يمثل أحد نماذج الحكم العربى.

رسالة الوكيل الإستعمارى البريطانى فى الشارقة:

كتب ملا حسين الوكيل الاستعمارى البريطانى فى الشارقة إلى الرائد «هنيل» المقيم السياسى البريطانى فى الخليج العربى بتاريخ 16/ 7/ 1845 بقوله: كنت قد أعلمتكم فى رسالتى السابقة عن اغتيال خليفة وشقيقه سلطان وعندما علم أفراد قبائل أبوظبى المقيمين فى العاصمة وكذلك المنتشرين فى البحر لصيد اللؤلؤ بما حدث استبدت بهم الفوضى بشكل كبير وبعد ذلك مباشرة تجمعوا فى مكان واحد فى البحر بعيدين عن القبائل الأخرى وأرسلوا بعض أفرادهم إلى أبوظبى لكشف الحقيقة، وعندما سمع عيسى بن خالد بأن بعض قوارب أسرة المزاريع التى كانت على الشواطئ قد توجهت إلى «دوت بنى ياس» (أى مغاصات اللؤلؤ الخاصة ببنى ياس) لمواصلة الأعمال المخالفة للقوانين ومتابعة الفوضى فى البحر وذلك بعدما علمت تلك العشيرة بمقتل خليفة وشقيقه.

قام عيسى بن خالد بإرسال مقرن بن غانم الهلالى فى سفينة «البقارة» (وهى

أحد أنواع السفن المستخدمة فى الخليج العربى ذات الحجم الكبير) لمعرفة الوضع ولتوضيح الأمور معهم ثم توجه إلى بقية الأفراد المقيمين على ضفاف الشاطئ بهدف تهديدهم بشكل صريح من القيام بأى إزعاج لأى شخصية ومن التوجه إلى أى ميناء فى ساحل عمان عدا أبوظبى وذلك كما كانت العادة تقتضى من أولئك الأشخاص والسفن الذين تنقصهم المؤن والماء يأتون إلى أبوظبى ليتزودوا بما يريدون ثم يعودون لبدء صيد اللؤلؤ من جديد(أ).

ذهب مقرن بن غانم حسب تلك المهمة إلى «دوات بنى ياس» (أى مغاصات بنى ياس) وبعدما قام بتحذير جميع الأطراف من ارتكاب أعمال تخالف القوانين البحرية عاد مقرن إلى أبوظبى. وبعد ذلك أخبر شيخ أسرة «المرور» راشد بن فاضل لعيسى بن خالد بأن أتباعه أناس عديمى الخبرة وغير محنكين فإنه قلق ويخشى ان يرتكبوا إثمًا بقيامهم بأعمال مضرة فى البحر واستأذن من عيسى بن خالد ان يذهب إلى الغواصين ويحذر اناسا من ارتكاب عمل مخالف كهذا فوافق عيسى بن خالد على ذلك ثم التقى بهم فى مغاصات بنى ياس وأجرى ترتيبات مع جماعته بأنه فى حالة مجيء رسول إليهم من قبله أو من قبل محمد بن حمود فعليهم العودة حالا إلى أبوظبى، وعلمت بأن هؤلاء الغواصين الذين نفذت منهم المؤن والماء قد ذهبوا إلى أبوظبى فأخذوا مايحتاجونه وعادوا لى مزاولة مهمتهم، الغوص على اللؤلؤ.

يبدو ظاهريا بأن العمل يجرى كما هو معتاد ومن الصعب التأكد منه ولكن على معرفة بأن معظم غواصى أبوظبى مدينون إلى سلطان بن شخبوط الذى

أ ـ R/15/1/105 ـ مذكرة من ملا حسين ـ الوكيل الاستعمارى البريطانى فى الشارقة إلى الرائد «هنيل» المقيم السياسى البريطانى فى الخليج العربى المؤرخة فى 16/ 7/ 1845 ـ صفحة 201 ـ 203(أ) ـ مرفق رقم (2).

يحتفظ بحقـوقه حيالهم حيث هو المالك والممول لأعـمال الغوص على اللؤلؤ وأن بعض هؤلاء يعملون فى قـواربه ولايحتمل أن يعـود هؤلاء إلى أبوظبى وإن عادوا فيستولى عيسى بن خالد على ممتلكاتهم وقواربهم التابعة لسلطان بن شخبوط. فقد جاء إلى دبى ستة أشخاص اعترفـوا بما لديهم من أملاك تابعة لسلطان بن شخبوط وجاء آخران إلى الشارقة وقام بعضهم ببيع لآلئهم إلى زعل بن سيار وهو من تجار دبى وقـد قيل بـشكل سرى إن مكتـوم دعـاهم للإقـامة تحت سلطـته وأن تبـقى ممتلكاتهم وقواربـهم التى تعود ملكيتـها إلى سلطان بن شخـبوط وكذلك جـميع الأشياء المودعـة هناك فى حين قام البعض الآخر بعـرض لآلئهم على تجار وسكان الشارقة لبيعها هناك[1].

يتابع الوكـيل الاستعمـارى البريطانى فى الشارقـة قوله: لقد اسـتنتجت أن عشـائر وأسر بنى ياس المقيـمة فى أبوظبى حالـيـا تدعم عيسى بن خـالد وأن أنباء توصل إليـه من مكانة واعتـرفت بسلطتـه علنا والتى توطدت بشكل قـوى، كمـا قدمت إلى أبوظبى سفن اللؤلؤ وباعوا لآلئهم وأخذوا احتياجاتهم وتموينهم وعادوا مرة ثانية إلى صيد اللؤلؤ كما عادوا إلى مواصلة العمل كالمعتاد، ودهشت كثيرا أن أهالى أبوظبى الذين كانت فى حـوزتهم أملاك وقوارب شخـبوط لن يدخلوا ذلك الميناء وكذلـك الأمر فقـد قام الشيخ شـخبـوط بترحيل عـشائر وأسر الـقبيسات والمحاربة والمزاريع الذين كـانوا يمتلكون بلدتى «العـديد» و «دووح» فقد دمـرهما بالقوة ولـكن هل من الممكن أن تستـقر هذه القـبائل عند نهـاية فصل الصـيد فى «العديد» و «دووح» كـما كانـوا سابقا، فـإذا استقـروا بهما فـيكون ذلك مخـالفا للأصول وستكون بالتالى هذه النـتيجة. وان ما أرفقته هو رسـالة موجهة إليك من عيسى بن خالد وأيضا من رسالته الموجهة إلى[2].

---

1 ـ R/15/1/105 ـ نفس المرجع.

2 ـ R/15/1/105 ـ نفس المرجع.

جاء مفوضون من قبيلتى العوامر والمناصير إلى عيسى بن خالد ليناقشوا معه شرعية الحكم واستقبلهم بسرور وقدم إليهم هدايا ثمينة، سمعت بأن سلطان بن شخبوط يمتلك مبلغا كبيرا من المال جزء منه يعود إليه فى أبوظبى والباقى يعود إلى تجار مسقط وآخرين وإنه كان قد أودع لديه لشراء اللؤلؤ[1].

نلاحظ من ذلك كيف كانت مهمة الوكيل الاستعمارى البريطانى فى الشارقة بمراقبة الأوضاع فى المياة الإقليمية لساحل عمان أثناء عملية الغوص وكذلك مراقبة الحاكم الجديد لأبوظبى عن كثب وعن سير الأوضاع فى المنطقة ورفع تقارير بذلك إلى المقيم السياسى البريطانى فى الخليج العربى وكيف كان الحاكم الجديد فى أبوظبى حريصًا على استقرار الأوضاع فى بلاده حتى يثبت لبريطانيا قدرته على الحكم. والسيطرة على رعاياه مما يعنى موافقة الأخيرة على شرعيته وتثبيته على الحكم كما نلاحظ أن سلطان بن شخبوط كان غنيا ويملك الكثير من السفن واللؤلؤ والمال كما كانت لديه علاقات تجارية مع تجار خارج أبوظبى مثل مسقط والبحرين وقطر إضافة إلى التمويل لعمليات صيد اللؤلؤ.

الرسالة الأولى للمقيم السياسى البريطانى إلى حكومته عن الحادثة

بعث الرائد هنيل المقيم السياسى البريطانى فى الخليج العربى برسالة فى 11/ 8/ 1845 إلى ج - ب ويلو غبى رئيس حكومة بومباى بقوله: ستؤدى هاتان الرسالتان المرافقتان الواردتان من الوكيل الاستعمارى البريطانى فى الشارقة ملا حسين والمؤرختان فى 15 و16 من الشهر الجارى إلى إحاطة حاكم المجلس الموقر بالظروف المحيطة باغتيال زعيم أبوظبى خليفة وشقيقه سلطان على يد عيسى بن خالد، وفى 4 يوليو الماضى وحتى تاريخ رسالتى الوكيل فيسرنى أن أعلمكم بأن الهدوء العام لم يعكره شىء وأن ذلك الحدث المروع لم ينتج عنه انقسام وأخشى

1 - R/15/1/105 - نفس المرجع.

ان تحدث فوضى فى قبائل أبوظبى على أثر مقتل زعيـمين محبوبين لهما نفوذ مثل الشيخ خليفة وشقيقه[1].

يبدو حـاليا أن الشيخ عـيسى بن خالد قـد اعترف به بصـورة عامة كـزعيم لأبوظبى ولدى الاطلاع على فحـوى رسالة عيـسى بن خالد الموجهـة إلى (بعثت إليك نسخة عـن هذه الرسالة) إذ يبدو أنه رجل رزين وذو عزم وحـزم إضافة إلى ذلك فهو على بينة تماما بضرورة منع أى أعمـال لها صفة القرصنة ترتكب من قبل بنى ياس. ولـم يكن للمرحوم الشيخ خليفـة ولى عهد يتنافس مع عيسى بن خالد على السلطة العليا فى القبيلة إلا أنه من غير المحتمل أن يذعن أبناء المرحوم الشيخ طحنون ـ الزعيم السابق لأبوظبى ـ تماما للسلطة التى اغتصبها عيسى بن خالد[2].

إعادة احتـلال «العديد» من قبل أسرتى المحـارية والقبسات، كـما أشار إلى ذلك الوكيل، سيكون موضع استنكار كبير كما أنه من المحتمل أن يؤدى إلى تجديد أسلوب حوادث القرصنة التى كانت تجرى سابقا والتى سـببت لنا متاعب كثيرة فى عام 1837 حيث تم أخيرا إيقاف هذه المتـاعب عن طريق الاستيلاء على «العديد» من قبل الشيخ خليفة وترحيل جـميع السكان إلى أبوظبى حيث كانوا تحت إشرافه مباشرة.

ليس فى نيتى الآن أن أرد على الرسـالة التى بعث بها إلى عيـسى بن خالد إلا أننى إذا وجدت ان باستطاعته الحفاظ على منصبه كزعيم لأبوظبى فسأقوم بالرد

---

1 ـ R/15/1/105 ـ مذكرة من الرائـد «هنيل» المقيم السياسى البـريطانى فى الخليج العربى ـ إلى ج ـ ب ـ ويلوغى رئيس حكومة بومـباى ـ المؤرخة فى 11/ 8/ 1845 فى بوشهر ـ صـفحة 395 ـ 396.

2 ـ R/15/1/105 ـ نفس المرجع.

عليه وسأنتهز الفرصة للتأثير عليه بوسيلة ما لاتخاذ اجراءات فعالة لمنع ترحيل الرعايا إلى «العديد» أو ما يجاورها[1].

نجد من ذلك كيف تعمل الإدارة البريطانية بطريقة التدرج حيث يبعث الوكيل الاستعمارى البريطانى فى الشارقة بالأخبار والأحداث والتقارير بشكل دورى إلى المقيم السياسى البريطانى فى الخليج العربى، والذى يقوم بالتعليق وابداء وجهة نظرة تجاه تلك الأحداث وأحيانا يتقدم بتوصية ثم يرفعها إلى حكومته فى بومباى، وينتظر ردها فى شأن تلك الأمور قبل أن يتخذ أية اجراء آخر كما نجد من خلال رسالة المقيم السياسى البريطانى فى الخليج العربى أنه لم يستعجل الرد على رسالة عيسى بن خالد بالإيجاب أو بالسلب وإنما آثر التريث حتى يستطيع هذا الزعيم اثبات قدرته فى الاحتفاظ على حكمه برغم توصيته الجيدة تجاه هذا الزعيم إلى حكومته وقوله بأنه «يبدو رجل رزين ذو عزم وحزم».

يبدو أن المقيم السياسى البريطانى كان يعلم بحكم تجاربه فى الصراعات السياسية حول الحكم فى الخليج العربى بأنه من الصعب استمراريه عيسى بن خالد فى السلطة نظرا لوجود تنافس قوى على زعامة الحزب الهنائى فى أبوظبى وخاصة من جانب أفراد عائلة البوفلاح إضافة إلى ظهور الثأر والانتقام من أجل الاستئثار بالحكم وهذا ما حدث فيما بعد.

الرسالة الثانية للمقيم السياسى البريطانى إلى حكومته عن عيسى بن خالد:

أرسل (هنيل» المقيم السياسى البريطانى فى الخليج العربى تقريرا فى 2/ 9/ 1845 إلى ج ـ ب ـ ويلوغبى رئيس حكومة الهند عن تطور الأوضاع فى ساحل عمان بعد حصول عيسى بن خالد على الاعتراف من جيرانه حكام ساحل

---

1 ـ R/15/1/105 ـ نفس المرجع.

عمـان وكيف حـاول حاكم دبى اقناع وكـيل قائمقـام نجد العـثمانى فى الـبريمى بالانتقام من عيسى بن خالد والإطاحة به وعن تلك الأمور يقول:

اعترف الشيخ سلطان بن صقر زعيم الشارقة وابنه الشيخ صقر اعترفا رسميا بعيسى ابن خالد خلفا للشيخ خليفة بن شخبوط زعيم أبوظبى الراحل وشكلا معه حلفا دفاعيا هـجوميا وحذا حذوهم شيوخ ساحل عـمان الآخرون في تلك المنطقة ماعدا شيخ مكتوم حاكم دبى الذى أبدى عداء واضحا حيال زعيم أبوظبى المنتخب حديثًا والذى إذا لم يتم دعمـه سيحاول طرده من ذلك المكان[1]. وهذا فيه تحريف للحقـيقة من قبل الوكـيل الاستعمـارى لأن عيسى بن خالد اسـتولى على الحكم بالقوة ولم ينتخب حسب زعم الوكيل البريطانى.

يقول الوكيل الاسـتعمارى البريطانى: أقر الشـيخ مكتوم وهو يتوهم بأن فى استطاعـة اقناع وكيل قائمـقام نجد العـثمانى فى البـريمى سعد بـن مطلق المطيرى بالانتقام من قاتل المرحوم شيخ أبوظبى، وقام بالاتصال مع سعد بن مطلق المطيرى وذلك بواسطة إرسال أخـيه لزيارته فى البريمى ومعه هـدية وهى عبارة عن 300 كروان، ولكن المهـمة فشلت فيـما هدفت إليه تمامـا، وإذا لم ينجح شيخ دبى فى زرع الشقاق بين الشيخ سلطان بن صقر حاكم الشارقة والشيخ عيسى بن خالد فإن هذا يتطلب منه ان يمارس جميع أوجه دهائه ليدعم مكانته بينهما[2].

أدت آمال زعيم أبـوظبى المنتخب حديثا «حـسب قول الوكيل الاسـتعمارى البريطانى وهو تحريف للحـقيقة» حتى الآن إلى رضاء التجـار المقيمين فى أبوظبى رضاء تاما فـقد أعاد إليهم بحـرص جميع المبالغ التى كـانت أودعت لدى المرحوم

---

1 ـ R/15/1/105 ـ مذكرة من الرائد «هنيل» المقيم السياسى البريطانى فى الخليج العربى إلى ـ ج ـ ب ويلوغبى ـ رئيس حكومـة بومباى ـ المؤرخة بومـباى ـ المؤرخة فى 2/ 9/ 1845 فى بوشهر ـ صفحة 450 ـ 452.

2 ـ R/15/1/105 ـ نفس المرجع.

سلطان بن شخبوط لشراء اللؤلؤ. لدى سبب ضئيل فى أن أشك حاليا فى كونه معززا وأن سلطته التى اغتصبها قد أقر بها تماما. وحتى نهاية فصل صيد اللؤلؤ واجتماع جميع أفراد قبائل أبوظبى فى العاصمة فإن هذه القضية لا تعتبر أنها قد حسمت بشكل نهائى[1].

اغتيال عيسى بن خالد:

لم يستمر حكم عيسى بن خالد طويلا فقد كان يعاونه أخوه ولكن لم يقر له قرار فى الحكم ففى إحدى اجتماعات أقطاب المؤامرة أو مجلس الثورة برئاسة عيسى بن خالد نفسه وعضوية ذياب بن عيسى وكان عدد المجتمعين أكثر من مائة شخص وبينما كانوا يتناولون طعام الغداء حدث خلاف بينهم فأطلق ذياب بن عيسى النار على عيسى بن خالد فأرداه قتيلا. وحدث هرج ومرج واطلاق نار كثيف ومعركة بالخناجر فصارت مذبحة كبيرة قتل فيها ستة وثلاثون شيخا من البوفلاح دون سائر الحاضرين الذين قتل تسعة منهم وهم لا يزالون على مائدة الطعام حتى اختلط الدم بالأرز، فدب جماعة عيسى بن خالد إلى الشارقة واستولى على الحكم ذياب بن عيسى وسميت هذه الواقعة بواقعة «اليدافة» ولم يطل الأمر بيد ذياب بن عيسى إذ مات مقتولا بيد ابن عيسى بن خالد واسمه خالد بن عيسى بن خالد. ولكن هذا الأخير لم يستطع أن يمسك زمام الأمور فهرب من أبوظبى إلى الشارقة وتولى الأمر أخوه وهكذا فلت الزمام وضاعت هيبة الحكم وسط صراع مراهقين من هواة السياسة والانقلابات مما حدا بأعيان أبوظبى ووجهائها أن يتقدموا إلى شيخ أسرة «المرور» وهو محمد بن حمد يطلبون إليه اعادة النظام فى المدينة الهائجة حيث كانت قوات الأخ لا تزال تطلق النار على قصر الحصن فى محاولة للسيطرة على حاميته التى لم تخضع لأحد بعد[2].

---

1 ـ R/15/1/105 ـ نفس المرجع.
2 ـ فالح حنظل ـ المرجع السابق ـ ص531 ـ ج2.

اختيار سعيد بن طحنون حاكم أبوظبي 1845:

وافق محمد بن حمد على ذلك وتمكن من استدعاء مقاتلين وكتائب عسكرية لفرض النظام في العاصمة فوصلت قوات بقيادة رجل اسمه راشد بن فاضل كما وصلت قوات أخرى من قبائل أبوظبي تمكنت من فرض النظام في المدينة وسيطرت عليها وطردت المتآمرين، كما يذكر صاحب كتاب «نهضة الأعيان بحرية عمان» إن الحكم آل بعد ذلك إلى امرة من آل البوفلاح لم تطل في حكمها فقيل أيامها أربعون يوما وقيل أربعة أشهر وقد يكون أربعين يوما لاقرار النظام بمساعدة محمد بن حمد شيخ أسرة «المرور» ثم عاد أعيان أبوظبي للاجتماع لانتخاب زعيم لهم فقرروا المسير إلى الشيخ هلال بن شخبوط وهو أخو القتيلين وكان طاعنا في السن ويقيم في بلدة «المارية» في صحراء «ليوا» فلما وصل الوفد إلى هنا شاهدوا الشيخ السابق لأبوظبي محمد بن شخبوط وهو الذي حكم قبل طحنون لمدة عامين وقد عاد مسرعا من منفاه في قطر ليكون بجانب أخيه الأكبر هلال لمعالجة الأوضاع في أبوظبي فعقد وجهاء وأعيان أبوظبي بقيادة محمد بن حمد عدة اجتماعات مع الشيخين فوجدوهما كارهين للحكم وقد طعنا في السن ولارغبة لهما في تحمل المسؤولية فطلب المجتمعون من الشيخ هلال ابن شخبوط ان يرشح لهم مرشحا فقال: «إن شاء الله وسيأتيكم بعد قليل». وبعد قليل دخل شاب في مقتبل العمر ومعه قطيع كبير من الأبل حيث كان يقوم على رعايتها وكانت تبدو على وجهه امارات البأس والقوة وقال الشيخ هلال للمجتمعين معه هاهو زعيمكم وشيخكم الجديد أسد من أسود الصحراء انه سعيد ابن أخي طحنون، وهكذا تمت البيعة لسعيد بن طحنون بن شخبوط حاكما جديدا وزعيما لحزب الهنائي في ساحل عمان[1].

---

1 ـ فالح حنظل ـ نفس المرجع ـ ص531 ـ ج2.

الرسالة الثالثة للمقيم السياسي البريطاني إلى حكومته عن اغتيال عيسى بن خالد

بعث هنيل المقيم السياسى البريطانى فى الخليج العربى إلى ج.ب ويلو غبى رئيس حكومة بومباى بمذكرة فى 16/ 9/ 1945 قال فيهـا: سيدى، لى الشرف أن أحيط حاكم المجلس الموقـر علما بأنه قد وصل مؤخرا قـارب إلى هذا الميناء قادما من أبوظبى ينقل أخبارا تفيد أنه فى الأول من الشهر الجارى كان عيسى بن خالد - قاتل الشيخ خليفة بن شـخبوط ومعه ابنه وشخص آخر قد اغتـيلوا جميعا بواسطة ذياب بن عيسى بتحريض من الشـيخ سعيد بن طحنون وهو الآن زعيم أبوظبى لـم أسمع بحدوث أى شغب خطير بمناسبة التغير الكلى فى الحكم ولكننى أخشى كثيرا أن ذلك سيؤدى إلى حدوث أعمال تخالف القواعد والأصول البحرية[1].

وصلتنى الآن معلومات تفيد بأنه خمـسة عشر فردا من أسرة المزاريع غادروا منطقة المياه الراكـدة المتعذرة الوصل إليها والتى تقـع بين «العديد» وأبوظبى ولجأوا إلى سفينة كانت تأتمر بأمر قريب شيخ جـزيرة «تاروت» وأحد رعايا الشيخ محمد بن خليفـة من البحرين وقام هؤلاء الأفـراد بالاستيلاء على قـارب يعود إلى تلك الجزيرة بينما كان يقوم بأعمال تجارية على ساحل الخليج العربى، ان الخطوات التى ستتخذ بشأن هذه القرصنة التى حدثـت ستكون موضوع الرسالة التالية ولدى آمال ضئيلة بامكانـية عمل أى شىء فعال حـيال قضايا كهـذه لحين قيام سلطة مسـتقرة وراسخة فى أبوظبى[2].

لانتفق مع مـا قاله المقيم السيـاسى البريطانى فى الخليج العربى بأن عـملية

---

1 - R/15/1/105 - مذكرة من الرائـد «هنيل» - المقيم السياسى البـريطانى فى الخليج العربى إلى ج - ب ويلوغبى رئيس حكومة بومباى مؤرخة 16/ 9/ 1845 فى بوشهر - صفحة 487 - 488.

2 - R/15/1/105 - نفس المرجع.

اغتيال قادة الانقلاب حدث بتدبير من قبل سعيد بن طحنون الذى كان صغير السن كما كان بعيـدا كل البعد عن تلك الأحداث، فهو كان فى تلك الفتـرة بعيدا أكثر من أربعمائة كليومـتر فى صحراء «ليوا» مع قطيع من الأبل ومع أعمـامه فى حياة هادئة والذين كانوا قـد زهدوا فى الحكم وفى مشاكل أبوظبى حتـى جاء وفدا من أعيان البـلاد ليرشحوا أحـد أفراد البوفلاح للحكم فـتح اختيار سعـيد بن طحنون للحكم الذى لم يكن يسعى لهـا، كما يشيـر المقيم السياسى البـريطانى إلى وقوع حوادث بحـرية ويخشى أن تزيد تلك الحوادث من وجـود فراغ فى أبوظبى إذا لم يستطع حاكم قوى السيطرة على الأمن والاستقرار فى تلك المنطقة.

خشى هنيل المقيم السياسى البريطانى فى الخليج العربى من الاضطرابات فى أبوظبى والخلاف بين أسرة آل بوفلاح حول زعامة الحزب الهنائى لساحل عمان فى أبوظبى قـد يمتد إلى المناطق الـبحرية ولهـذا رأى أن يعتـرف لسعيـد بن طحنون بالحكم باعـتبـاره الرجل الأقـوى وانطلاقا من هذا الـتصـور أرسل «هنيل» الطراد «دجلة» إلى أبوظبى فى شهـر أكتوبر لتـسليم خطاب الاعتراف إلى الحـاكم الجديد وعرض التـأييد والمساندة لهـذا الشيخ وإن أى تأخـير فى الاعتـراف قد يؤدى إلى المزيد من الانقسامات والاغتيالات كمـا حدث لعيسى بن خالد، وقد رحب شيوخ القبائل فى أبوظبى خطوة «هنيل» وتعهد سعيد بن طحنون باحترام التزامات المشيخة للحكومة البريطانـية وفى بومباى أمر الحاكم الـكومندور «هنرى بلاكود» الذى كان فى ذلك الوقت فـى زيارة «البـومـبـاى» على رأس بعض قطع من أسـطول الهند الشرقية بالإبحار إلى الخليج العربى واثبات الوجود البريطانى هناك[1].

نتائج الدراسة:

أولا: لا تخلو فترة الدراسة من الصراع على السلطة السيـاسية عبرت فيه كل

---

1 ـ جون. ب. كيلى ـ المرجع السابق ـ ص678 ـ ج2.

القوى السياسية عن نفسها وان الحكم طوال هذه الفترة كان وراثيا فى خط الذكـور ومرت فى هذا الخط دون ان تخـرج عن حدود عـلاقة القـربة المتـمـثلة فى الأخ أو الابن أو ابن الأخ أو ابن العم وإن مـدة الحكم فى السلطة هى بمـتوسط عـشرة أعـوام كـانت وسطا مقـارنة بنظائرها فى الأسرة الحاكمة الأخرى المعاصرة لها إذا ما استثنينا حكم عيسى بن خـالد وذياب بن عيسى لعدة أشهر فـقط. فقد حكم ذياب بن عيسى بن نهيان عامين فقط 1791 ـ 1793 ثم حكم ابنه شخبوط 23عاما من 1793 ـ 1816، ثم حكم أبناء شخـبوط كل من محـمد عامين 1816 ـ 1818، وطحنون خمسة أعوام 1818 ـ 1823، وخليفة 22عاما من 1823 إلى 1845.

ثانيا: يمكن تتبع حـيثيات قضـية الحكم فى ساحل عمـان من خلال تحليل الممارسـة العمليـة إذ لم يكن هناك قواعد أو ترتـيبات قـانونية أو أن يكون الحكم الوراثى بتـطبق بمبدأ الـبكورة فى وراثة الحكم أو الأخ، فقـد كان الحكم فى المرحلة الأولى مبـاحا من أسرة البوفـلاح حيث يرث الحكم أقوى أبناء أو أحفاد البوفلاح وذلك قبل أن يستقر وينتقل بشكل نهائى فى نهيان بن فلاح فى المرحلة الثانية.

ثالثا: لم تؤد تلك الاغتيالات من أجل الاستيلاء على السلطة إلى صراعات أو حروب أهلية وهذه سمة من سـمات الإيجابية فى نظام الحكم فى أبوظبى وكان ينحـصر الصراع فيـما بين المتنافسـين على الحكم فقط دون جر الآخـرين من القبائل إلى الصـراع حيث كان القبـائل تأخذ موقف الحيـاد وإن كانت تفضل أحد الطرفـين على الآخر مما كان له دوراً مهـما فى عدم جر البـلاد إلى الحرب الأهلية وبرغم ذلك فـقد كان التنافس على الحكم فى أبوظبى ضعـيف بل بعضهم كان يرفض

الحكم، وكان لدى جميع قبائل أبوظبى قناعة تامة حول ضرورة بقاء أسرة البوفلاح فى الحكم ووحدة وسيادة إمارة أبوظبى وذلك لمحاربة الأخطار الخارجية وخاصة أطماع أسرة آل سعود الذين كانوا تابعين للدولة العثمانية ويحملون لقب قائمقام نجد العثمانى انطلاقا من البريمى، فالولاء لهذه الأسرة لم يحد ولم ينحرف طالما بقيت هذه الأسرة تقدم الحكام سواء أكانوا مقتنعين أم لا فلم يكن هناك اقتراح بعزل الأسرة على الاطلاق، وبقاء الحكم وراثى فى هذه الأسرة قد وفر لعملية الحكم بهذه الطريقة عنصر الحماية أو الوقاية من قدوم أو مجىء حاكم من قبيلة أخرى أو غير ضليع قد يجلب على الإمارة مالا يحمد عقباه.

رابعا: لم تكن العقلية التركيبية القبلية قادرة أبدا على التمييز بين الحاكم بحكم الأمر الواقع بالقوة والحاكم القانونى أى صاحب الحق الفعلى فى وراثة الحكم وكان من يعتلى الحكم فعلا هو صاحب الحق فيه وبغض النظر عن كيفية وصوله إلى الحكم أو طريقة حكمه وذلك نظراً لاستخدام وفرض القوة فى قبول الآخرين لحكمه. لذا كانت هناك محاولات لإعادة الحاكم المخلوع أو المعزول أو أحد ابنائه إلى الحكم ولو بعد حين أو فى أقرب فرصة.

خامسا: مضت فترة الحكم فى هذه المرحلة من الأب أو من الأخ إلى الأخ ولكن ليس على أساس من البكورة وإنما فى بعض الحالات ورث الحكم أبناء أو أخوة ليسوا هم الأكبر سنا بين إخوتهم فقد مضى الحكم من الأب إلى الابن مثل من فلاح إلى ابنه محمد ثم ابنه زايد وبعدها عاد نهيان بن فلاح (العم) ثم حفيده ذياب بن عيسى، ثم شخبوط بن عيسى وبعدها إلى أبنائه من الأخ إلى الأخ مثل محمد

بن شخبـوط وطحنون بن شخبوط وخـليفة بن شخبـوط ثم خرجت إلى فرع آخر من الأسرة فرع «السعدون بن فلاح الأول» «شقيق نهيان الأول» «عيسى بن خالد» ثم فرع «خالد بن فلاح الأول» فى ذياب بن عيسى، ثم عادت إلى فرع «نهيان» إلى ابن الأخ سعيد بن طحنون بن شخبـوط ثم إلى ابن العم زايد بن خليفة ثم إلى الأخـوة حمدان بن زايد - طحنون بن زايد - صـقـر بن زايد إلى ابن الأخ شـخبـوط بن سلطان ثم زايد بـن سلطان بن زايد حـاكم دولة الإمـارات العـربيـة المتحدة حاليا.

سادسا: نلاحظ فى هذه المرحلة ظهور الإرادة الشعـبية وتجسيدها والتـعبير عنهـا فى أكـثر من مناسـبـة فى شكل الموافـقة عـلى الحاكم وعـدم الاعتراض عليه مـثلما حدث «لعيسى بن خالد» أو اخـتيار الحاكم من بين أفراد أسرة البوفلاح دون غيرها مثل «سعيد بن طحنون».

سابعا: نجد أن الحكومة البريطـانية لاتهتم كثيرا فيـمن يستولى على السلطة بالقوة أو بالانقلاب برغم تعهدها الـسابق لحكام ساحل عمان بالحكم الوراثى، ولكن عندمـا يصل إلى الحكم أى فرد فإنهـا تعتـرف بالأمر الواقع ولا تحاول تغييره مادام هذا الشخص يعترف ويقر ويحافظ على المصالح البـريطانية والاتفاقـيات والمعاهدات الـسابقة ويقدم الخـضوع والولاء الكامل لبريطانيا التى تعـترف به أو بهذا الشخص الذى وصل إلى الحكم بغض النظر عن كيـفية وصوله إلى الحكم سـواء أكان عن طريق اغتـيال الحاكم لعيـسى بن خالد أو القتل الجمـاعى كذياب بن عيـسى ولكم المهم أن لايؤثر ذلك على سلطتهـا أو استقـلال ساحل عمـان فبـرغم أحداث 1845 إلا أن بريطانيـا كانت فى طريقـها إلى الاعتراف بهم لولا مـقتل عيسى بن خالد حـيث لم تكن تحاول إعادة

أبناء آل نهيان للحكم بل وقفت إلى جانب قادة الانقلاب واعطت لتلك الأعمال الإجرامية نوعًا من الشرعية عندما قال المقيم السياسى البريطانى عن عيسى بن خالد أنه «رجل رزين وذو عزم وخزم إضافة إلى ذلك فهو على بينة تماما بضرورة منع أى أعمال لها صفة القرصنة ترتكب من قبل بنى ياس».

أى أن بريطانيا ليست لديها مبدأ أو تحافظ على التزامها برغم المعاهدات أو المواثيق وتبرر تصرفاتها بتخوفها من الإخلال بالأمن فى مياه الخليج العربى بقولها «أعمال القرصنة» مما يضر بمصالحها فى المنطقة فى حين لا تهتم بمصالح الآخرين وخاصة الحكام الذين وقعوا معها اتفاقيات ومعاهدات أو شعبهم فى ساحل عمان.

ثامنا: نلاحظ كيف تهافت الحاكم أو قادة الانقلاب والذين يستولون على السلطة بالقوة العسكرية أو بالقتل والاغتيال إلى حصول الاعتراف بشرعيتهم من بريطانيا مقابل الالتزام بالسياسة أو الخط الاستعمارى البريطانى وذلك كما يحدث اليوم فى العديد من الدول العربية والعالم الثالث عندما يبادر قادة الانقلاب إلى الاعتراف بالمصالح الغربية المسيحية الرأسمالية مقابل الحصول على التأييد والدعم من تلك القوى الغربية وليس من الشعب الذى يمثل الشرعية الحقيقية مما يعنى ضعف للفهم السياسى وان مايحدث حاليا هو استمرار لذلك الماضى بكل إفرازاته الخاطئة فى فهم الشرعية والسلطة والحكم.

تاسعا: نجد توقيت الانقلاب كان فى موسم الصيف وهو الموسم الذى يخرج فيه معظم السكان إلى البحر للغوص على اللؤلؤ مما يعنى أن العاصمة تكون خالية من السكان وبالتالى يسهل عملية الانقلاب أو الاغتيال والاستيلاء على السلطة، كما نجد أن الغزو العراقى للكويت

حدث في الصيف عندما كانت خالية من السكان لأنهم كانوا يصطافون إلى الخارج فى أوربا هربا من فصل الصيف الحار فى الوقت الذى كان أجدادهم يذهبون وقت الحر والرطوبة إلى أعماق البحر للحصول على قوتهم ورزقهم من اللؤلؤ واليوم نجد أبناءهم فى الخليج العربى فى نفس موسم الصيف يذهبون للاستمتاع والاستجمام فالفرق بين الأمس واليوم كبير ولكن هناك يحدث فراغ أو تصبح مدن الخليج العربى خالية من السكان فى فصل الصيف مما يعنى أن توقيت قادة الانقلاب كان فى محله ومخطط جيداً وليس اعتباطيًا أو صدفة.

تلك هى إحدى أهم الخطوات الإدارة البريطانية التى جاءت عقب أحداث عام 1945 فى ساحل عمان وهنا تكمن أهمية هذه الدراسة التى تبين لنا الظروف والمتغيرات التى طرأت فى ساحل عمان من خلال تلك الأحداث أو الصراع السياسى على الزعامة، وقد نخرج من هذه الدراسة بحقيقة وهى أنه مثلما كان للسياسة البريطانية فى ساحل عمان تأثير كبير على الصراعات السياسية فيها، فإن المتغيرات الداخلية الناتجة من هذه الصراعات والاستيلاء على السلطة فى هذه الإمارات رغم صغر حجمها لعبت دورها فى تشكيل خط السياسة البريطانية فى هذه المنطقة وهذا واضح فى تغير موقف حكومة الهند من الأحداث والصراعات فى ساحل عمان.

وفى الختام أرجو أن أكون قد وفقت فى هذا النوع من الدراسة حول أحد النماذج للحكم بالقوة أو الاستيلاء على السلطة بالقوة والظروف والملابسات المحيطة بضوء الوثائق البريطانية فى تلك الفترة والذى يتمثل فى الخط الوراثى للسلطة فى أبوظبى حاليا والتى هى امتداد لذلك الماضى القريب وكيف كانت السلطة محفوفة بالمخاطر والاغتيالات والتهجير واللجوء السياسى إلى الأقطار

المجاورة وإن النظام القائم حاليا بكل مظاهر التقدم والتطور والرقى ما هو إلا امتداد لذلك الواقع القاسى الماض كقسوة الطبيعة الصحراوية فى تلك الفترة فالفرق كبير بين ماكان يجرى بالأمس البعيد واليوم القريب مع وجود بعض التشابه لبعض الأمور التى تحدث حاليا.

المراجع والمصادر باللغة الأجنبية:

الوثائق البريطانية غير المنشورة:

1 ـ R/15/1/105 ـ مذكرة من ملا حسين ـ الوكيل الاستعمارى البريطانى فى الشارقة إلى الرائد «هنيل» ـ المقيم السياسى البريطانى فى الخليج العربى مؤرخة 15/ 7/ 845 ـ الشارقة ـ صفحة 199 ـ 202.

2 ـ R/15/1/105 ـ رسالة من عيسى بن خالد ـ الشيخ الفعلى لأبوظبى إلى الرائد «هنيل» المقيم السياسى البريطانى فى الخليج العربى ـ المؤرخة فى 10رجب الموافق 16 يوليو ـ مرفق رقم (3) ـ صفحة 395 ـ 396.

3 ـ R/15/1/105 ـ مذكرة من ملا حسين ـ الوكيل الاستعمارى فى الشارقة إلى الرائد «هنيل» المقيم السياسى البريطانى فى الخليج العربى ـ المؤرخة فى 16/ 7/ 1845 ـ الشارقة ـ مرفق رقم (2) ـ صفحة 202 ـ 203.

4 ـ R/15/1/105 ـ مذكرة من الرائد «هنيل» المقيم السياسى البريطانى فى الخليج العربى إلى 1 ـ ج ـ ب ـ ويلو غبى ـ رئيس حكومة بومباب ـ مؤرخة فى 11/ 8/ 1845 ـ بوشهر ـ صفحة 395 ـ 396.

5 ـ R/15/1/105 ـ مذكرة من الرائد «هنيل» المقيم السياسى البريطانى فى الخليج العربى إلى: ج ـ ب ـ ويلوغبى ـ رئيس حكومة بومباى ـ مؤرخة فى 2/ 9/ 1845 بوشهر ـ صفحة 450 ـ 452.

6 ـ R/15/1/105 ـ مذكرة من الرائد «هنيل» ـ المقيـم السياسى البريطانى فى الخليج العربى ـ إلى: ج ـ ب ـ ويلوغبى ـ رئيس حكومة بومباى ـ مؤرخة فى 16/ 9/ 1845 بوشهر ـ صفحة 487 ـ 488.

المراجع باللغة العربية:

1 ـ جون. ب. كيلى ـ بريـطانيا والخليج ـ وزارة التراث القومى والثـقافة ـ مسقط 1979.

2 ـ فالح حنظل ـ المفصل فى تاريخ الإمارات العـربية المتحدة ـ لجنة التراث والتاريخ فى دولة الإمارات العربية المتحدة ـ أبوظبى 1983.

3 ـ د. محمد موسى عبدالله ـ دولة الإمارات العربية المتحدة وجيرانها ـ دار القلم ـ الكويت 1981.

الفصل الثاني



لمحات من تاريخ الكويت الحديث

المقدمة:

تستقطب منطقة الخليج والجزيرة العربية اليوم أنظار العالم بسبب ثروتها البترولية الهائلة. كما تسترعى اهتمام الجميع بسبب التحولات الأجتماعية والاقتصادية الهامة التى تشهدها المنطقة، والاهتمام بشرق الجزيرة العربية ليس أمرا سهلا مستجدا فقد حظى بالدراسة فى مختلف العصور الخوالى، ولاشك أن أجدر الناس بدراسته والتعرف على أهميته فى القديم والحديث هم العرب الذين يحيطون به إحاطة السوار بالمعصم. لقد تتابعت على سواحل شرق الجزيرة العربية وعلى مياهه الدافئة أحداث جسام، منذ فجر التاريخ حتى يومنا هذا. وتتابعت على هذا البحر الداخلى مختلف القوى العالمية، التى همها السيطرة على سواحله، ومداخله وطرقه نظر لما له من أهمية استراتيجية وتجارية، بوصفه بوابة الشرق المؤدية إلى البحار الهندية ومكان التقاء الغرب بالشرق، ولقد شهدت مياهه صراعا مريرا بين القوى المسيحية الاستعمارية من جهة والعرب أربابه وحماته من جهة أخرى[1]. أما الكويت والتى نتحدث عنها فى هذا البحث فهى مشيخة من مشيخات شرق الجزيرة العربية إذ كانت شواطئها منذ قديم الزمان ملتقى السفن التى كانت تنقل التجارة بين الشرق والغرب. وقد دلت الآثار التى عثرت عليها البعثة الأثرية الدانماركية فى الكويت عام 1958 على أن منطقة الكويت وما حولها كانت عامرة فى الأزمنة القديمة. ففى جزيرة «فيلكا» عثر على بقايا حفريات ترجع إلى عصور موغلة فى القدم. كما تؤكد وجود علاقات حضارية بين المنطقة وبين مراكز الحضارة القديمة فى كل من الجزيرة العربية والعراق[2].

(1) د. بدر الدين الخصوصى دراسات فى تاريخ الخليج العربى الحديث والمعاصر الجزء الأول الطبعة الأولى 1978. ص15.

(2) د. نور الدين حاطوم د. شاكر مصطفى. تاريخ العرب الحديث والمعاصر الطبعة الرابعة 1977 . ص 56.

وتحتل الكويت من شرق الجزيرة العربية مكـانة مميزة فهى فى شماله الشرقى، وهى مهمـة فى بنائها السيـاسى والاجتماعى، ويقع جـانب ضمن المنطقة الشرقـية من الجزيرة العربيـة حيث تعانق المياه على سواحل القطيف والأحسـاء المياه الوافدة من موانىء الخليج. فـالخليج العربى هيأ الله له مـوقعا جغـرافيا أشبـه ما يكون بركن شجـرة تتفرع منها الأغـصان، فتكبـر وتمتد حتى تصل إلى المحـيط الهندى حيث يقطن قوم عـرفوا بالإباء فى النفس والجهـاد والكفاح فى المعيـشة. ويؤدى الخليج العـربى دوره فى العصـر الحاضـر، وفوق هذا فـقد ربط الخليج العـربى حـاضره بماضيه. فـمثلما كان بانيًا للحـضارات القديمة وناقلا لهـا وآخذا بها فقد واجـهته الحضارة الجديدة بنفس القابلية فاقتـبس منها ومايناسب مع الحدود الدينية والتقاليد المحلية[1].

اختلاف الآراء فى تسمية الكويت

نعرض الآراء المختلفـة فى بيان أصل تسمية الكويت واشتـقاقها، وهى آراء تتـراوح بين الاشـتقـاق اللغـوى والمكان الجـغرافـى، وبين الأصل الأجنبى لاسم الكويت. فبعضهم يرى أن اسم الكويت تصغير «الكوت» يعنى القلعة، ولعل هذا المصغر فيه الكفاية فيما يتعلق بما كان بها من مقام بسيط بين موانىء الخليج العربى عند نشأتها. ومما يذكره الأب انستاس مـارى الكرملى فى مقال له عن أصل تسمية الكويت «اسم الكويت هو تصغيـر لكلمة كوت، كلمة كوت كـما هى دارجة فى لهجـة سكان جنوب العراق والبلدان المجاورة لهـا فى شبه الجزيرة العـربية، تعنى البيت الذى يشـبه القلعة فى شكله بحـيث يمكن الدفاع عنه إذا تعرض لهـجوم، وحوله عـدة بيوت تنتـمى إلى بيت الأب، ولا يطلق عليـه هذا الاسم إلا إذا كان قريبا من الماء سـواء كان نهرا أو بحرا أو مـستنقعا أو غيـر ذلك، ثم يضرب على ذلك أمثلة كثـيرة مثل كوت العمارة و«كـوت بندر» والظاهر أن هذه اللفظة قديمة

(1)ـ عبد الله محمد الطائى ـ دراسات عن الخليج العربى. ص32.

الاستعـمال فى هذه الربوع وهى ترتقى إلى عهد العـرب القدماء. ثم يروى الأب الكرملى، عن الشيخ محمود شكرى الألوسى أنها نبطية الأصل ويعقب على ذلك قائلا: «وأنت لا تجهل أن النبطية قد وردت عند الناطقين بالضاد».

يقول البعض ممن تعـرضوا لبحث معنى هذه التسميـة أنها من أصل برتغالى يعنى الحـصن، ولكن الأستـاذ عباس يـنفى ذلك فى كتـابه تاريخ علم الفلك فى العراق إذ يقـول «الكويت تصغير كـوت وهى القلعة الحصيـنة واللفظة هندية قطعا ولم تكن برتغاليـة، وقد سميت مدن كـثيرة فى الهند باسم قوت ومنـها قلعة راج وكـذا ورد «قـالقـوت» أى قلعـة الـبلدة المعـروفـة فى بلاد الهنـد والتى تسـمى «كالكوت». ومهمـا كان أصل التسمية فقد وردت كـلمة كوت بمعنى الحصن على أقلام الكتاب فى القرن الماضى وجمعـوها على أكوات بمعنى حصون وكذلك يذكر أنها سميت كويت نسبة إلى حصن صغـير كان موجودا فيها والذى بناه ابن عريعر زعيم بنى خالـد، وقد أقام فيه أحـد عبيده واتخذه مـستودعا للزاد والذخـيرة وما يحتاج إليه، وقـد وهبه إلى الخليفات والعتوب ومن كان مـعهم عندما نزلوا تلك الأرض[1]، ولذلك تسمى الكويت أيضًا بكوت بنى خالد.

طبيعة الكويت

تقع الكويت فى أقصى الشمال الشرقى من الجزيرة العربية، وهى على هيئة مثلث، يتصل ضلعه الشمالى والغـربى بالعراق، وضلعه الجنوبى بالمملكة العربية، وضلعه الشرقى هو شاطئ الخليج العربى، وتبلغ مساحـتها نحو عشرين ألف كيلو متر مربع وأرضها صحراء قاحلة غالبـا، لا نبات فيها يذكر ولا ماء، والمنطقة كلها تسمى الكويت، والعاصمة أيضا تسمى الكويت وهناك فى الكويت، ما يقرب من خمس عشرة محاضر متوسطة أو صغيرة، وهى متناثرة وأغلبها على شاطئ الخليج العربـى، ومن هذه المحاضر: «الدمـنة» أى السالمية الآن والـفنطاس والفحـاحيل،

(1) نورية محمد الصالح ـ علاقات الكويت السياسى بشرقى الجزيرة العربية ص 12 ـ 13.

والجهرة، والشعبية وبوحليفة والحولى، والبدع، والفروانية. وتتبع الكويت فى الخليج العربى بعض الجزر الصغيرة وأهمها «فيلكة» و «بوبيان». وكانت صناعة عرب الكويت قديما صيد السمك والبحث عن اللؤلؤ ثم برعوا فى التجارة بحرا وبرا، ولا يزال العمل التجارى صبغة غالبة عليهم. وأرض الكويت تظل عارية طيلة السنة إلى أيام الشتاء فتنزل عليها الأمطار فتنبت بعض الحشائش والنباتات ولكن الأمطار ليست كثيرة ولا غزيرة فهى تنزل بضع مرات وبكميات غير كبيرة، وهم يستبشرون بالمطر، ويودون المزيد منه لنفعه إياهم فى الزرع والشرب. وهواؤها جاف لا تناله الرطوبة فى الصيف ويعتدل الجو فيها من منتصف أكتوبر إلى أواخر أبريل، ثم تبتدئ الحرارة بعد ذلك حيث تقسو فى شهرى يوليه وأغسطس وأحيانا تصل درجة الحرارة فى أيام الصيف القاسية إلى ثمانية وأربعين ومشكلة المشكلات فى الكويت هى قضية الماء، فلو وجد الماء لأمكن زرع المنطقة، لأن التربة صالحة لذلك، وهى ممهدة مستوية، وإذا زرعت وجدت الأشجار والخمائل، وهى من غير شك تلطف الحرارة فى أيام الصيف وتخفف حدة «السموم» الذى يهب أحيانا قرب الظهيرة، وما بين الغرب والجنوب. ولا يكثر فى الكويت ما يكثر فى غيرها من البعوض والبق، ولذلك يحلو لأهلها النوم على سطوح المنازل صيفا، حيث يلطف نسيم الليل جوانب مما لفح النهار. وفى الكويت بعض آبار متناثرة، ويُزرع على ماء هذه الآبار بعض النباتات كالبرسيم والطماطم والكرات والفجل ولكن هذه الآبار غير كاملة العذوبة وأهل الكويت إذا حفروا فى الأرض باحثين خرج لهم ماء مالح[1].

حياة السكان

موقع الكويت على البحر جعل أهلها من وراء البحار، ومن أمهر أهل الخليج العربى فى صنع المراكب الصغيرة والكبيرة التى وصلوا بها، فى أسفارهم

(1) أحمد الشرباص ـ أيام الكويت ـ صـ7.

التجارية، إلى الهند وشرق أفريقيه ولهم جاليات بالهند حتى يومنا هذا. وهى إلى جانب اتصالها بالعالم الخارجي عن طريق البحر متصلة بالأقطار العربية عن طريق البر، وكانت القوافل تخرج منها بما يستورده تجارها من الخارج وتأتيها محملة من بادية الشام عن طريق بغداد ثم البصرة. ومن حائل ونجد واليمن. وكانت قافلة الإبل تستغرق فى سيرها من الكويت إلى بغداد نحو ثلاثين يوما. ومن الكويت إلى حلب نحو ثمانين يوما عن طريق بغداد. والكويت اليوم مدينة تجارية تأتيها البواخر والطائرات والسيارات كل يوم، وقد ثرى بعض عرب الكويت من الاشتغال بالتجارة واستخراج اللؤلؤ وصيد الإسفنج وصناعة السفن، قبل ظهور البترول فى أرضهم. وكانت شهرة الكويت فى الماضى تقوم على صيد السمك وأجوده ما يسمى بالزبيدى[1]. كما كانت معروفة بالغوص على اللؤلؤ. وإلى العقد الثالث من القرن العشرين، ولم يخرج فى أحد الأعوام سوى خمس سفن. وصناعة بناء السفن من الصناعات التى عرفت بها الكويت منذ زمن بعيد واستمرت أنواع السفن الكويتية «البغلة» وتحمل ألفين وخمسمائة جوال أى كيس و«البوم» وتحمل ستمائة وهى المستعملة الآن مع موانئ إيران وكذلك الشوعى[2].

تأسيس الكويت:

ليس هناك قول فصل فى تعيين السنة التى تأسست فيها الكويت أو بتعبير آخر. السنة التى نزل فيها الكويت الخليفات والعتوب لأن نشأة مدينة أو إقامة مجتمع، لا تتم فى عام واحد، وخصوصا فى بيئة كجزيرة العرب والراجح أن الكويت بدأ بناؤها بعد ذلك يتزايد بمرور الأيام، والبانى للكويت هو براك أمير بنى خالد، وقد بنى ما بنى فيها ليكون مستودعا للذخيرة والزاد. وتأسيس الكويت

---

(1)ـ أحمد الشرباص نفس المرجع صـ109.

(2) د: سيد نوفل ـ الأوضاع السياسية للإمارات الخليج العربى وجنوب الجزيرة صـ168.

يرجع إلى قرية صغيرة اتخذها بعض الصيادين من البدو لهم مستقرا، واستقروا حول كوت بنى خالد. فى القرن الثامن عشر دفع قحط دائم إلى هجرة «عبيدة» الخليفات والعتوب من وادى «العبيد[1]» فى جنوب شرق «مأرب» والشمال الغربى من صحراء حضرموت للبحث عن موطن أيسر عيشا وتحركوا فى البداية إلى وادى الدواسر ولكنهم وجدوه أقسى حالا من صحراء حضرموت فتوجهوا إلى الزبارة فى شبه جزيرة قطر فى شرق الجزيرة العربية وحين وجدوا الأحوال فى قطر سيئة تحركوا بماشيتهم ومتعاعهم إلى موقع فى جنوب العراق هو موقع الكويت الحالية. وكانت السيادة للعثمانيين فى البصرة فأجمع الخليفات والعتوب على أن يبعثوا صباح إلى الباشا العثمانى يبين له أنهم فقراء نزحوا فى طلب العيش لا يبغون ضدا لأحد وهكذا أسست الكويت فى بداية القرن الثامن عشر . وصل الخليفات والعتوب إلى الكويت فى القرن الثامن عشر واستوطنوها وقاموا فى إدارة شئونها واختاروا صباح بن جابر[1] أول شيخ عشيرة لهم. وفى السنوات التى أعقبت تأسيسها نجح عرب الكويت فى أن يدعموا وجودهم عن طريق تحالفهم البحرى مع سواهم من القبائل المجاورة، ومواجهة بنى خالد الذين كانوا يسيطرون على كل الساحل الشمالى الشرقى للجزيرة العربية وقد نشطت التجارة فى الكويت مع العراق واليمن والهند[2].

عندما استولى الإيرانيون على البصرة 1766/ 1779م ساعد ذلك على نمو الكويت، حيث هاجر إليها آنذاك عدد كبير من السكان والقبائل العراقية حتى أصبح معظم سكان الكويت، كما تحولت تجارة البصرة الهندية إلى الكويت. فساعد ذلك على الرخاء التجارى وكذلك سيطرة الخليفة والجلاهمة للبحرين عام 1783 عزز تجارتهم البحرية حيث كانت البضائع تستورد هناك من مسقط والزبارة

(1) عبد الله حاتم ـ من هنا بدأت الكويت ـ صـ15.
(2)ـ ج. ج. لوريمر ـ جـ3 ـ دليل الخليج ـ صـ1503.

والبحرين. وفى عام 1790 وبعد أن استعاد العثمانيون البصرة من أيدى الإيرانيين أجبرت المشاكل التى واجهها المسؤلون البريطانيون فى الوكالة التجارية مع العثمانيين إلى الانسحاب من المنطقة وفى عام 1793 تم نقل مركزها من البصرة إلى الكويت حيث بقوا حتى عام 1795م[1] .

مقدمة عن هجرة العتوب واستقرار آل الصباح فى الكويت:

هاجرت بعض القبائل العربية من اليمن وجنوب العراق، بما فيها قبيلة «الخليفات» والعتوب واستقرت فى الكويت، خلال القرن الثامن عشر[2]. ويذهب المورخون إلى أن هجرة تلك القبائل كانت بسبب القحط الكبير الذى ألم بمنطقة شبه الجزيرة العربية فى القرن السابع عشر وخاصة صحراء «حضرموت» و«مأرب»، مما دفع بعشائر هذا التجمع القبلى إلى الهجرة نحو مواطنه الجديدة. وهناك رأى يذهب إلى أن سبب الهجرة يعود إلى الخلافات العشائرية التى وقعت بين أفراد هذا التجمع القبلى فى وادى «عبيدة» فى اليمن، وكانت هى السبب فى تلك الهجرة، ولكن الدافع المقنع أو بمعنى أدق الدافع الأكثر صحة أن الهجرة فى ذلك الوقت كانت سمة من سمات العصر والحياة القبلية فى الصحراء[3]. وقد تضافرت عوامل ثلاثة ليتمكن الخليفات والعتوب من إثبات وجودهم فى الكويت خلال القرن الثامن عشر. ومن هذه العوامل موقع الكويت على طريق التجارة بين الخليج العربى وطريق الصحراء. وقد استفاد الخليفات والعتوب من النشاط التجارى عن طريق البر والبحر[4].

---

(1) ـ د. احمد مصطفى أبو حاكمة ـ تاريخ شرقى الجزيرة العربية ـ ص184.
(2) د. احمد مصطفى أبو حاكمة ـ نفس المرجع صـ69.
(3) د. بدر الدين عباس الخصوصى ـ دراسات فى تاريخ الخليج الحديث والمعاصر ـ الجزء الأول صـ98 ـ صـ99.
(4)ـ د. احمد مصطفى أبو حاكمة ـ المرجع السابق صـ65.

العامل الثـانى موجة القلاقل والاضـطرابات التى اجتاحت العراق وخـاصة البصرة، وافتقارها إلى سلطة مركـزية موحدة تقبض على زمام الأمور وبذلك أدت هذه القلاقل والاضطرابات والتـغيرات المسـتمرة فى المنطقة إلى ظهـور مجتمـعات صغيـرة استطاعت أن تهاجر وتبنى نفسـها بعيدة عن السلطة العـراقية فى الكويت وبذلك أصبح معظم سكان الكويت من أصول عراقية.

أمـا العامل الثـالث مـوقع الكويت ضمن أراضى بـنى خالد، الذين كـانوا يشجعـون التجارة، تلك التجارة كانـت عاملا مساعدا فى تحـقيق النمو والازدهار لعرب الكويت[1]. والظاهر أن الكويت كـان ميناءً مزدهرا بعض الـشىء حتى من قبل استقـرار الخليفات والعتوب فيه. وازدهار الميناء فى جـون خليج عميق يصلح لرسو الـسفن الكبـيرة وقد ذكـر «نيبـو» الذى زار تلك البـلاد عام 1765 أن أهل الكويت يمـتلكون قوارب وأنهم مهـرة فى بناء السفن ويسـتوردون الأخـشاب من الهند. ولا يعـرف بالضـبط تاريـخ تأسيـس مديـنة الكويت وإنما المعـروف هو أن مؤسسها صباح الأول وخلفـه ابنه عبد الله. الأول الذى امتد حكمه إلى 1813 وقد اتخذت الكويت فى عهده شكلا بارزاً كما تطور سكان المدينة إلى مجتمع حضرى يشتغل بالتجارة والغوص على اللؤلؤ وصناعة السفن[2].

علاقة عرب الكويت مع بني خالد:

تعتـبر جماعـات «بنى خالد» من أهم التجـمعات التى ظهرت على مـسرح أحداث شرق الجزيرة العـربية فى القرنين 17، 18، ويذكر صاحب لمع الشهاب أن بنى خالد عشائر عربية تنتمى إلى ربيعة وتتفـرع منها جماعات «آل حميد ـ الصبيح ـ المهاتيـر ـ العمير» وهـى جماعات كـانت تعيش فى جنوب العراق خـلال القرن

---

(1) د. أحمد مصطفى أبو حاكمة ـ نفس المرجع صـ65.
(2) د. صلاح العقاد ـ التيارات السياسية فى الخليج العربى صـ54.

السادس عشر، ثم جلبهم العثمانيون من العراق إلى الإحساء وتم ضم الاحساء إلى البصرة فى عهد العثمانيين، وقد استفادت من ضعف العثمانيين الذين كانوا يسيطرون على منطقة الأحساء فتوارثت ملكهم فى تلك الجهات عام 1670 واختارت براك بن غرير آل حميد حاكما عليها. وعندما استقرت فى الأحساء كانت تزاول نوعا من النفوذ على حكام نجد وبذلك حصل صدام بين الخوالد والنجديين وأخذت معاقل الخوالد تتساقط فى أيديهم وانتهى الأمر بزوال ملك بنى خالد فى الأحساء والتجاء بعض الخوالد إلى كل من الكويت والزبارة[1]. وبذلك استقر الخوالد فى هذه المنطقة، وكانت الكويت تؤلف جزءا من أراضى بنى خالد، الذين كان العتوب والخليفات متمتعون بحمايتهم سابقا. وقد ساعدت الحركة التجارية فى الخليج العربى واستقرار الأحوال على تطور البلاد ونموها ومن ناحية أخرى فقد كان موقع الكويت الجغرافى بمينائه الطبيعى عاملا بالغ الأهمية فى نشاطها وتطورها[2].

علاقة عرب الكويت مع العثمانيين:

بعد الخوالد ودورهم فى الكويت وعلاقاتهم مع عرب الكويت نجد أن الدولة العثمانية التى كانت الدولة الأولى فى العالم الإسلامى تمد حكمها تجاه الخليج العربى وشبه الجزيرة العربية[3].

وبالنسبة لعلاقة عرب الكويت مع العثمانيين فى الكويت فقد كانت اسمية. وقد يرجع ذلك لعدم الجدوى الاقتصادية للعثمانيين مع احتفاظ الكويت بالسيادة العثمانية مثل بقية مناطق نجد والأحساء. كان عرب البحرين يتعرضون للأخطار

(1) د. بدر الدين عباس الخصوصى - المرجع السابق صـ95.
(2) د. أحمد مصطفى أبو حاكمة - المرجع السابق صـ65 - صـ69.
(3) د. صلاح العقاد - المرجع السابق صـ53.

من عرب الساحل الشرقى للخليج وسلطنة عمان، كان بنو عمومتهم فى الكويت يتعرضون أو يواجهون خطر الزحف من قبل العثمانيين بسبب تورط حاكمها «عبد الله الأول الصباح» فى الخلاف الذى نشب بين السلطات العثمانية القائمة فى بغداد[1]. حيث كان هناك التبعية العثمانية باعتبارها دولة الخلافة الإسلامية كما أنها سمحت للخليفات والعتوب حين قدموا إلى الكويت بالبناء فيها[2].

لما عقدت معاهدة 1913 بين بريطانيا تضمن نصوصها اعتراف الدولة العثمانية بالاتفاقية البريطانية كما تضمنت التبعية والسيادة العثمانية. وعندما نشبت الحرب العالمية الأولى (1914 ـ 1918) طالبت بريطانيا شيخ الكويت بمهاجمة المواقع العثمانية فى الخليج العربى، كما أغلقت شواطىء الكويت لمحاصرة المناطق العثمانية[3]. وعندما أعلنت الحرب بريطانيا على العثمانيين عام 1914، أرسل المقيم السياسى البريطانى رسالة إلى الشيخ مبارك بتاريخ 3 نوفمبر عام 1914، أعطته ضمانا، إزاء أى هجوم تشنه بريطانيا على العثمانيين بقصد الاستيلاء على البصرة واحتلالها. وأعلن المقيم فى هذه الرسالة «إن الحكومة البريطانية تقر وتعترف بأن مشيخة الكويت، تحت الحماية البريطانية». وكان الشيخ مبارك، قائما بمهمة حصار مراكز الحدود العسكرية العثمانية فى صفوان وأم قصر، وكذلك القوات التى فى الجانب الجنوبى لجزيرة بوبيان وكان مقررا أن يهدد البصرة من جهة الأرض أو يستولى عليها مع المحافظة على الأرواح والممتلكات الخاصة بالأجانب[4].

---

(1) د. بدر الدين عباس الخصوصى ـ المرجع السابق ـ الجزء الأول صـ113 ـ 114.
(2) محمد الحسينى عبدالعزيز ـ حضارة الكويت ودول الخليج العربى صـ29.
(3) محمد الحسينى عبد العزيز ـ نفس المرجع صـ27، 28، 29.
(4) د. حسن سليمان محمود ـ الكويت ماضيها وحاضرها صـ 190.

نجاح عرب الكويت فى صد هجمات بنى كعب:

يعتبر بنو كعب القوة العربية التالية بعد عمان، التى لعبت دورا بارزا فى ميدان السياسة والتجارة فى الخليج العربى، فهى قبيلة يمكن أن تثير من الاهتمام أكثر مما يمكن أن تثيره المطاريش، وذلك بسبب علاقاتها المباشرة بالكويت وبنى خالد[1]. وموطن هذه القبيلة الأصلى هو اليمن حيث هاجر فرعها الأول إلى البصرة والثانى إلى عمان. أما بالنسبة لعلاقة بنى كعب مع عرب الكويت كانت كالتالى: كان الخطر الحقيقى قد جاء للكويت من بنى كعب الذين كانوا يتمركزون عمان فى الدورق وكذلك بند ريق وبوشهر. كان ازدهار الكويت ورواج حركة النقل بسفنها التى سرعان ما ازدهرت، يغرى بنى كعب بغزو الكويت ومن ثم نهبها وكان بنو كعب يهاجمون السفن البريطانية والإيرانية والعثمانية فى الخليج العربى وقد زاد من قوتهم أنهم انتصروا على كريم خان شاه إيران فى أكثر من موقعة كما أنهم استطاعوا إحباط الحملة التى شنها العثمانيون ضدهم[2]. لم يعلن بنو كعب حقيقة أهدافهم وإنما اختاروا لذلك سببا، فتظاهروا بأنهم يريدون خطبة مريم ابنة عبد الله لواحد من أبنائهم، وكانوا يدركون سلفا أن هذا الأمر لن يكون وهذا ما حدث فعلا حيث استشار عبد الله قومه فرفضوا وكان الرفض ما يريده بنو كعب ليتخذوا منه ذريعة للعدوان ولم يكن عبد الله بن صباح يجهل ما يبيته بنو كعب للكويت وأدرك أن الغزو قادم، لذلك أخذ يستعد لملاقاتهم فكان أن أودع الكويتيين أموالهم فى بعض السفن للهرب من الكويت إذا ما انهزموا فى حين وساروا لملاقاة العدو فى سفن أخرى.

حدث بعد مسيرتهم أن خاف الشيخ عبد الله على قومه وندم على تسييرهم لملاقاة العدو خوفا من أن يكون له الغلبة عليهم، وخصوصا وأنه يعرف قوة العدو

---

(1) د. احمد مصطفى أبو حاكمة ـ المرجع السابق صـ 108.

(2) هدايه السالم ـ أحمد الجابر رائد النهضة الحديثة فى الكويت صـ 37.

فى المنطقة فقرر إرسال رسول إليهم كى يرجعوا قبل الاشتباك[1] وجرت بين الفريقين وقعة عظيمة فى الرقة وهى جزء من البحر قرب فيلكة يصبح الماء فيها شديد الضحالة عند الجزر بحيث لا تستطيع اجتيازها إلا السفن الصغيرة، بسبب حدوث جزر مفاجىء وفى وقت توقفت فيه الرياح مما أفقد السفن الكعبية الكبيرة حرية الحركة، وقد أتاح ذلك الفرصة أمام السفن الكويتية كى تحيط بسفن الخصوم وتشعل فيها النيران. وانهزم الكعبيون على هذا النحو لعدم معرفة بنى كعب وجهلهم بالبيئة الكويتية، وتمكن الكويتيون من الاستيلاء على بعض سفنهم وأسلحتهم ومن بينها بعض المدافع التى حملوها معهم إلى الكويت حيث نصبوها على ساحل مدينتهم[2].

نجاح عرب الكويت فى صد هجمات السعوديين

انتهى فى الفترة ما بين 1818 و 1841 الخطر السعودى قد كانت العلاقات ما بين 1824 و 1838 طيبة مع الحكم المصرى ويدل على ذلك حادثة نزول تركى بن عبد الله على ماء الصبيحة فى الكويت، وكان عندئذ يطارد جماعة من سبيع. وقد أقام تركى على ذلك الماء مدة قدمت إليه وفود العربان للتحية، أما شيخ الكويت جابر بن عبد الله بن صباح فقد أهدى إليه هدايا[3]. ولعل موقف الشيخ جابر، من استضافة عمر بن عفيصان، القائد السعودى والذى قام بعدة هجمات ضد الكويت وعدو محمد خورشيد باشا يعتبر دليلا على تسامح الكويت ضد أعدائها السعوديين. أما خلال الحقبة الثانية الممتدة ما بين 1841 و 1866 فقد بقى حال العلاقات الطيبة على ما كان عليه، ولكن يبدو أن تطورا جديدا قد طرأ على

---

(1) هداية السالم ـ نفس المرجع من 37 ـ 38.

(2) د. بدر الدين عباس الخصوصى ـ المرجع السابق صـ 106.

(3) د. احمد مصطفى أبو حاكمة ـ المرجع السابق ـ صـ156 ـ 157.

العلاقات، وذلك أن القائمقام العثمانى فى نجد الأمير فيصل بن تركى، عين وكيلا له فى الكويت عام 1851، أما طبيعة أعمال الوكيل فهى غيز معروفة(1).

أما بالنسبة لصد الكويتيين لهجمات السعوديين، حيث قاموا بشن غاراتهم على الكويت، كانت غاراتهم تلك فى فترة وجود الوكالة التجارية البريطانية فيها، مما دفع الباحثين إلى التساؤل عن دور «الوكالة» فى صد هذه الغارات، إذ فى الوقت الذى لا تشير فيه سجلات الوكالة البريطانية فى البصرة إلى شىء من هذا القبيل، وفى الوقت الذى ينفى فيه «بريدجز» المساعد الأول «المانيستى» تورط رجال وكالته فى النزاع بين السعوديين والكويت حيث وقعت مسؤولية صد غارات السعوديين على عاتق عرب الكويت؛ فلاذوا بالفرار، فإن «جون ريبود» المساعد الثانى «المانيسى» يشير إلى أن قوة السعوديين الذين هاجموا الكويت كانت تقدر بألفى جمل على كل واحد منها رجلين عمل الراكب الأمامى منها حمل بندقية بينما يعمل راكب المؤخرة لحماية زميله عندما يملأ بندقيته، وأنه بناء على تعليمات «مانيستى» أنزل مدفعا وعشرين جنديا من إحدى السفن البريطانية التى كانت مكلفة بحماية الوكالة التجارية البريطانية فى الكويت، وأن حرس الوكالة من الهنود اشتركوا فى صد الهجوم الذى شنه السعوديون الذين خسروا خسائر جسيمة عند فرارهم على امتداد شاطىء الكويت أمام نيران المدفعية البريطانية أخذوا يقومون باعتداءاتهم على بريد «الشركة عبر الصحراء إلى حلب وقد دفعه ذلك إلى التوجه للدرعية لتحسين العلاقات بين الشركة والسعوديين. وقد فشلت هجمات السعوديين على الكويت فى الوقت الذى استطاعوا فيه شن هجمات على عرب الزبارة فتركوا لهم الزبارة وانسحبوا إلى البحرين(2).

---

(1) د. احمد مصطفى ابو حاكمة ـ نفس المرجع صـ183 ـ 184.

(2) د. بدر الدين عباس الخصوصى ـ المرجع السابق ـ الجزء الأول صـ114 ـ 115 ـ 116.

الشيخ عبد الله الصباح 1776، 1814م

حكم الشيخ عـبد الله الصبـاح، مدة طويلة أخذت خـلالها الكويت، تشق طريقها فنشطت تجارتها في عهده مع العراق والهند واليمن. وسجلات شركة الهند الشرقيـة البريطانية يمكن أن يُعتمـد عليها في تسجيل أو تـدوين تاريخ تلك الفترة من تاريخ الكويت، ولعل أول ذكـر للكويت في السجـلات قد أورده أحـد رجال الشركة هو الدكتور «آيفز»، وكان قد توجه من الهند إلى بريطانيا عن طريق الخليج العربي، ونـزل جزيرة «خرج» في ضـيافـة البارون «بنهـارون» وكيل شركـة الهند الشرقية الهولندية في الخليج العربي، وكان ذلك عام 1758[1].

يقول «آيفز» إنه سأل البـارون عن أسرع طريق يسلكه حتى يصل إلى حلب في مدة وجيـزة فأجابه البارون: إن أسرع طريق، هو الطريـق الذي يمر بالقرين، ويشير الدكتور إلى أن شيخ الكويت، أو أحـد رجاله قد حضر إلى جزيرة «خرج» للتفـاوض معهم ولكنهم لم يصـلوا إلى اتفاق. وعلى الرغم من أن نشاط شـركة الهند الشرقية البريطانية قد بدأ في الخلـيج العربي في منتصف القرن السابع عشر، إلا أن نشاطها الحقـيقي، لم يتبلور في منطقة الخليج العربي إلا بعـد القضاء على البرتغاليين في منتـصف القرن المذكورة من قبل القوات العمانيـة اليعربية ولـم تكن العلاقـات بين الشركـة والكويت قد توطدت، أو ساءت علـى الرغم من أن سفن الشركة كـادت أن تحتكر التجارة في الخلـيج العربي في هذا الوقت، وعلى الرغم من أن مدينة الكويت بدأت فيهـا نواة أسطول تجاري، كان لابد من أن يتنافس مع أسطول الشركة، على حد قـول وكلائها في الخارج[2]. وفي عام 1775 في عهد الشيخ عبد الله بن الصـباح ألم بمنطقة الخليج العربي حدث، جعل عـلاقة الشركة

---

(1) محمد الحسيني عبد العزيز - المرجع السابق صـ56 - 57.

(2) د. بدر الدين عباس الخصوصي - المرجع السابق صـ102.

بالكويت، تصبح علاقة مباشرة وفعالة ذلك هو حصار الإيرانيين للبصرة، ثم احتلالها عام 1776 بعد حصار دام تسعة أشهر وقد دام احتلالها لمدة ثلاث سنوات أى حتى عام 1779، وكانت البصرة مركز الشركة بالخليج العربى وبها وكالتها التجارية، ثم كانت مركز وكالات الشركة القادمة من لندن فى طريقها إلى الهند بحرا وبالعكس. وبالنظر إلى الاضطرابات فى البصرة رأى وكلاء الشركة أن تصبح الكويت مركزا لبريد الشركة، وأقام فيها ممثلا للشركة للعناية بشأن البريد، وقد استفادت الكويت فى عهده[1]. وكذلك انتقال جزء كبير من النشاط التجارى المسيحى الأوربى إليها طول الأربعة أعوام السالفة الذكر.

تحدثت السجلات أن فى عهد الشيخ عبد الله حدث صراع دموى بين عرب الخليج الذى كان ينشب من آن لآخر وقد يكون هذا الصراع استثاراً بالتجارة أو غير ذلك من الأسباب التى لم تكشف السجلات عنها وأن هذه الأسباب المبهمة هى أسباب استعمارية وخاصة أن الاستعمار البريطاني الذى كانت سياسته فى الخليج العربى تنطلق من عبارة «فرق تسد» أن هذا الاستعمار يهتم بالتجزئة وقد طبقها فى منطقة الخليج العربى وصار يسعى فى الإيقاع بين مشيخات القبائل العربية فى الخليج العربى مما سبب فى حدوث صراع دموى بينهما[2]. وفى هذه الصراعات، التى قامت بين الكويت وبين بنى كعب وأيضا أشارت إلى صراع الكويت وحلفائها من العرب شرق الجزيرة مع الساحل الإيرانى ولا سيما مع شيخ أبوشهر وهو الشيخ ناصر آل مذكور الذى كان يسيطر على الساحل الإيرانى من الخليج العربى، ويخضع لشاه إيران خضوعا اسميا.

تشير أحد الوثائق المؤرخة عام 1779، إلى قيام قوات من أبو شهر، يصاحبها أسطول الدورق (ميناء بنى كعب)» وأسطول بندرريق، فى محاولة لتدمير

(1) د. احمد مصطفى أبو حاكمة - المرجع السابق - صـ237.
(2) د. بدر الدين عباس الخصوصى - المرجع السابق صـ104 - 105.

مدينة الزبارة[1] ونزلت البر وتصدى الخليفات والعتوب وأنصارهم من عرب قطر والأحساء، وكانت القوة الغازية تتألف من نحو خمسة آلاف مقاتل فانهزمت شر هزيمة، في الوقت الذى هربت فيه فلول القوات المهزومة إلى سفنها.

ذكرت السجلات أنه فى 17 أبريل عام 1789 رفض حاكم الكويت تسليم مصطفى آغا متسلم البصرة ثوينى السعدون أمير قبيلة المنتفق بعد فشل ثورتهما فى البصرة ورغبتهما فى الاستقلال عن بغداد، على الرغم من توسط وكيل الشركة فى البصرة لدى صديقه الشيخ عبد الله فى أمر تسليمها، وعلى الرغم من أنه أبلغه بتحرك قوات الباشا «باشا بغداد» إذا لم يمتثل، إلا أن، الشيخ عبد الله اعتذر عن تسليم ضيفه قائلا «إن الباشا لن يقدر على ذلك فهو يعلّم أن العربى لا يخذل من يستجير به». وبقيت مدينة الكويت تنمو وتزدهر بعد ذلك عندما اختلف ممثل الوكالة البريطانية للشركة بالبصرة مع يهود تلك المدينة اختلافا شديدا اضطر معه الوكيل البريطانى أن يهدد باشا بغداد وكان نصير اليهود فى تلك القضية بالانسحاب من البصرة، وبالتالى تهديد مصالح الباشا التجارية وينقل كل نشاط الشركة إلى ميناء آخر[2] ورسائل وكيل الشركة من الكويت على جانب كبير من الأهمية بالنسبة لتاريخ المدينة وهى تتحدث عن عهد عبد الله بن صباح - الشيخ الوقور وكيف أنه كان فى عهده رخاء ويمن وبركة على السكان. توفى الشيخ عبد الله عام 1814 بعد حكم دام 39 سنة وكان عمره حوالى مائة عام[3].

عهد الشيخ جابر بن عبد الله والمصريون فى شرق الجزيرة

لعبت الكويت دورا فى الملاحة فى الخليج العربى وأن يتجنب مخاطر الحرب وصد خطر بنى كعب وذلك فى موقعة الرقة وحصانة حاكم الكويت من حيث

---

(1) حسن سليمان محمود - المرجع السابق - 156.

(2) حسن سليمان محمود - نفس المرجع صـ158 - 159.

(3) د. احمد مصطفى أبو حاكمة - المرجع السابق صـ161 - 162.

تعامله مع باشا بغداد ومتسلم البصرة العثمانيين فى أكثر من مناسبة. وهناك قول آخر بشأن تولى جابر بن عبد الله خلفا لأبيه عبد الله الصباح حيث كان «جابر» عند وفاة والده فى البحرين مغاضبا له، لذلك أنابوا بدلا منه «محمد بن سليمان» فى الحكم لحين عودته، ولما رجع جابر تولى الحكم. وقد غزا جابر قبيلة «النصار» وهى من القبائل العربية القاطنة فى الجهة الشرقية من شط العرب وهى أحد فروع بنى كعب وكانت تقيم بمكان «البريم» وسبب الغزو أن قبيلة النصار، قتلت كويتيا بلا سبب فأراد الشيخ جابر تأديبهم ومشى إليهم فى جيش متحمس، وأراد أن يهاجمه ولكن الحماسة جعلت أحد رجاله واسمه «سالم» أن يعض سيفه بأسنانه ويهرول نحو الأعداء كانت قبيلة النصار تمردت على حاكم البصرة الذى طلب من حاكم الكويت ارسال بعض القوات فهتف الناس «سالم ... سالم»[1] فاندفع الجنود وحدثت المعركة، وانتهت بانتصار الكويتيين وفى هذه المعركة يقول الشاعر النبطى:

خاسر يلى قعد فى الدير ما حضر يوما على النصار

الوجود المصرى فى الربع الأول من القرن التاسع عشر ثم فى ربعه الثانى، أهم الأحداث وبمعنى أوضح أسرعها تحركا، ذلك الهجوم الذى شنه والى مصر محمد على باشا، على اسعوديين عام 1811م والذى بلغ ذروته عام 1819م، بدمار الدرعية، عاصمتهم على يد إبراهيم باشا، نجل محمد على باشا. كذلك تعرض الخليج العربى لهجوم آخر شنه البريطانيون على ساحل عمان، وكان لابد أن يتداول البريطانيون الأمر مع إبراهيم باشا لمعرفة أين تقف أهداف السياسة المصرية. وقد أراد البريطانيون أن يتأكدوا من أن المصريين لن يبسطوا نفوذهم على الخليج العربى مما سوف يعيق بالتأكيد مخططهم القائم على احتلال الخليج وتركيز مثل ذلك النفوذ. وفى عام 1831 زار الكويت السائح الأوربى Stocqueler ويقول بأنه

(1)ـ د. احمد مصطفى أبو حاكمة ـ نفس المرجع صـ32.

الوحيد الذى زار البقاع منذ أمد بعيد ويقول إن المدينة فى زمنه كانت تمتد نحو ميل على الشاطىء وسكانها لا يزيدون على أربعة آلاف نسمة وأنها كانت تحكم بواسطة شيخ، يحصل ضريبة قدرها 2٪ على جميع الواردات[1].

يقول حافظ وهبه «عندما وصل المصريون إلى شـواطىء الخليج العربى فى محـاربتهم للسعـوديين عام 1838. فى عهـد الشيخ جابر عـينوا مندوبا لهم فى الكويت، وكانت وظيفـته سياسية. أما عن مـسيرة الشيخ جابر عبـد الله فقد كان سمح اليد ولذلك سـموه «جابر العيش» والعـيش فى لغة الكويت هو الأرز ثم إنه كان عدلا مع رعيـته. أن ابنه صباح فرض دون علمه ضـريبة على الحوانيت، ولما علم والده بذلك. انبه وقـال له: لأهل الكويت علينا حقـوقا عظيمـة، ولو كانت تحت يدى ثروة طائلة لقمت بحاجـات الفقراء والمحتاجـين منهم أن يموتوا. وكان كريما مع ضيوفه، وعندما ثارت الفتنة بين راشـد السعدون والحكومة العثمانية فى العراق، التـجأ راشد إلى الشـيخ جابر وظل يتقلب فى الـكويت على فرش الكرم والاحترام حـتى أنساه جابر بإحسانه مـصيبته التى نزلت به، ويقـال أيضا أن جابر أظهر له الاستعداد بمعـاضدته في رد جماح الحكومة العثمانى فى السيـر إليها معه بنفسه. وهذه أمثلة على شخصية هذا الرجل الكريم الذى تحلت به الكويت[2].

يوصف رحمة بن جـابر الجلاهمة بالبحـار النابه، ولعل هذا الوصف يسهل تفسيره فـمن عرف تسيير شراعـه فى الخليج آنذاك، عبر المسالك الصعـبة وأمواجه الصاخبة وصفه بالنباهة. والذى تتحدث به المصادر، أن رحمة قد ظهر منذ أن كان فتح البحرين عام 1783، ولم تخب نيران شهرته، إلا حين أتت تلك النيران على سفينته وهو يخوض معركة ضد الاستعمار البريطانى مجاهداً تأرجح فيها خطة بين الحياة والفـوز، والموت والحرق وكان ذلك إثر معركة بـحرية، على ساحل الخليج

---

(1) حسن سليمان محمود ـ المرجع السابق ـ صـ160 ـ 161.

(2) د. أحمد مصطفى أبو حاكمة ـ تاريخ الكويت صـ32 ـ 33.

العـربى، وغيره بـعيد عـن البحريـن عام 1826 ولكن قـدره هو الأخيـر إذ مات محترقا[1].

تبدأ حـياته مع ابـتداء ظهور اسـم الجلاهمة فـى الزبارة ثم «خور حـسان» الرحالة الأوربيون قد وصفوه وإن تحاملوا عليه فى وصفهم. ثم إن سجلات شركة الهند الشرقية التى كان يتركز نشاط وكالتها، خلال بزوغ نجم رحمه فى بوشهر قد أمدتنا بالكثير من المعلومات المطلوبة. وكان رحـمه أحد أبناء أربعة لجابر بن عذبى وهم عبد الله وكان أكبرهم ثم محمد وشعبان ولما تم للعتوب والخليفات مجتمعين فتح البحرين عام 1782 ـ 1783، ولـم ينل أبناء جابر بن عذبى الأربعة ما يرضيهم من غنائم الفتح، غادروا البحرين مغاضبـين فترة من الزمن أقاموا خلالها فترة فى بوشهر ثم توجهوا إلى جزيرة خـرج ثم غادوا إلى خور حسان فى وقت لم يعرف تاريخه على وجه الدقة. ويبدو أن الصـراع دار فى وقت مبكر بين الإخوة الأربعة من أجل الرئاسـة التى صارت إلى رحمـة، ولقد حـرص رحمة منـذ أن آلت إليه رئاسة الجلاهمة علـى الانتقام من آل خليفه وهو لـم يترك فرصـة مواتية تمر به من أجل تحقيق هذه الأمنية إلا وقد اغتنمها[2]. وهكذا نجده تارة يحالف سلطان عمان حين يراه معاديا لآل خليفة وطورا ينظم إلى جـموع أهل رأس الخيمة، إذا ناصبوا آل خليفـة العداء، وهو كذلك ينظم إلى السـعوديين من أجل تحقـيق الهدف، بل يذهب إلى أبعـد من ذلك حين يحارب ضـد البريطانيـين حلفاء الخليـفة من أجل تحقيـق أمله المنشود وهكذا ظل رحمه مـعاديا آل خليفـه وقد كان «رحمـة» ملاحا عربيا فذا حيث شـارك فى كثير من المعارك البحرية وانتهت بانـهياره عليهم، وقد كان يتعرض لسفن وقوارب البريطانيين.

(1) حسن سليمان محمود ـ نفس المرجع ـ صـ164.

(2) د. احمد مصطفى ابو حاكمة ـ المرجع السابق ـ صـ 47.

ورد فى بكنجهام ومـيجنان عن سيرة رحمـة بن جابر وهنا لابد أن أذكر أن هذه السيرة كتـبت بأيدٍ استعمارية معادية أو مسـيطرة على تلكَ المنطقة بقولهم بأن رحمة بن جابر عذبى هو أنجح قرصـان فى الخليج العربى، وربما كان أنجح قرصان على درجة بحـار قد يكون ظهر فـى تلك الفترة، وأمـا مسقط رأسـه فكان مدينة القـرين، حيث يحكم المديـنة الآن أحد أبناء عـمومـته وأبـناء المدينة يصفـونه بما يستـحقـه: إذ يطلقون عليـه اسم القرصـان الخارج عن القـانون (حسب المفـهوم الاستعمار المسيحى البريطانى) وذلك بسبب كراهتهم المتناهية لمهنته، إن هذا الزعيم السفاح يرتدى ملابس غـاية فى البساطة، وكذلك قيل عن عاداته ومعـيشته، وهو عندما يخرج من بيته فى معية اتبـاعه يصعب على المرء أن يميزه من بينهم وبساطته تبلغ غايتهـا فى ملابسه الرثة القذرة، وذلك أن رداءه المعتـاد هو جلباب لا يخلعه لكى يغـسل أو ينظف، بل يلازمه منذ أن يرتديه حـتى الاهتراء، ثم يـرتدى فوق ذلك عـباءة من شـعر الماعـز، وأما غطاء رأسـه فكوفـيه قـذرة منسدلة من فـوق رأسه[1]. وهذا الوصف يدل على الحقد البريطانى بسبب كفاحه ضدها.

يستمر بكنجهام، يصف جلسة فـى دار المقيم البريطانى فى بوشهر، كان قد دعا إليها رحـمة، بقصد أن طبيب فى البحرية البـريطانية دعاه إلى منزله، بعد أن أصابه رصاصة، تركتها تتدلى من كتفه، نظرا لكسر العظام. كان هدف الطبيب أن يصف دواء ليد رحـمة. ثم يصف بكنجهـام منظر رحمة، وقـد دخل ليجلس إلى طاوله ليتناول قدحـا من الشاى فى صحبـة نفر من أصحابه بدا رحمـة فى غسيل جسـده، ويرك أطرافه الأربعـة كله ولم يخل جزء مـن جسده من طعنـة حربة أو خنجر، أو إصابة من صاحبه وربما تبلغ جراحه أكـثر من عشرين، أما وجهه فبشع

(أ)ـ د. احمد مصطفى أبو حاكمة ـ نفس المرجع ـ صـ48 ـ 49.

متجهم بطبعه ملئ بالجراح التى بدت فيه وكذلك الأعوار حيث فقد إحدى عينيه[1]. وأن رحمة بالرغم من أن يده كانت معلقة إلى جسده بقليل من اللحم وبعض الأوتار إلا أنه كان يستطيع بمعاونة يده الأخرى يمسك بها بخنجر ويقبض عليه بقوة خارقة، تمكنه من القضاء على من يقع تحت رحمته. أما بالنسبة لميجنان قد يكون حضر نفس الجلسة التى حضرها بكنجهام لأن فى وصفه لرحمة كان وصفه مشابها تماما وصف بكنجهام وكان مبالغ فى وصف عداء أهل المنطقة.

(1) حسن سليمان محمود ـ المرجع السابق ـ صـ163.

الفصل الثالث



الحكم العثماني في شرق الجزيرة العربية

1871-1914

تقديم

كان يسكن فى شرق الجزيرة العربية قبل الفتح الإسلامى خلق كثير من عبد القيس وبكر بن وائل وكـانت آنذاك تحت الحكم بنى شيبـان من كندة فوجه إليـها الرسول محمد ﷺ العلاء بن عبدالله الحضرمى ليدعو أهلها إلى الإسلام أو الجزية فأسلم أهلها العرب وصالحه الباقون عـلى الجزية. وأول من عمر الأحساء وجعلها قصبة هجر أبو طاهر القرمطى(1)، وفى القرن الخامس عشر وقـبل مجىء البرتغال كانت تحكم من قبل أسـرة «الجبور» وهى القبائل المعروفـة فى العراق وكانت تحكم من البصرة حتى خليج سلوى.

ترجع علاقة العثـمانيين بالأحساء إلى عهد السلطـان سليمان القانونى الذى أرسل إلى الخليج العربى حـملة بحرية بقيادة «مـحمد باشا فـروخ» الذى استطاع انتزاع الأحساء من أيدى المسـيحيين البرتغاليـن فتولت قواته القطيف 1550(2) ثم الهفوف عاصمة الأحساء وحررته أيضًـا من الاستعمار البرتغالى وعين ذلك القائد حاكما للأحساء فبنى فى عـاصمتها مسجدا 1555م وتلاه حكم الأحساء عدد من الحكام العثمانيين كان آخرهم عمر باشا الذى أطاحت به ثورة القبائل العراقية علما بأن قبيلة بنى خالد أيضـا من القبائل العراقية التى تم احضارها من قـبل العثمانيين عندما قاموا بتحرير الاحساء من الاستـعمار المسيحى البرتغالى قادها براك بن غرير زعيم بنى خالد عام 1670 الذى قام بطرد العـثمانيين من الأحـساء وأسس أسرة حكمت البلاد حتى عام 1795 حين تمكن السعوديون من القضاء على تلك الأسرة وإدخال الأحسـاء ضمن ممتلكاتهم واتخذوا منهـا قاعدة للتوسع فى شـرق الجزيرة العربيـة وجنوب العراق مما أثار حفيظة الدولة العـثمانية فـحاولت استرجـاعها من السعوديين أكثر من مرة ولكنها كانت مشغولة لتحرير مصر من الاستعمار المسيحى

(1)ـ د. حافظ وهبة، الجزيرة العربية فى القرن العشرين، صـ66.

(2)ـ د. محمد عرابى نخلة تاريخ الأحساء السياسى صـ147.

الفرنسى الذى احتل مصر بقيادة نابليون وأخيرا لجأت إلى «محمد على» عاملها على مصر الذى استطاع أن يقضى على السعوديين فاستولى على عاصمتهم الدرعية عام 1818[1] ثم زحف ابنه «إبراهيم باشا» إلى الأحساء ففتحها وادخلها ضمن النفوذ المصرى ولكن تلك القوات اضطرت للانسحاب من الأحساء فى عام 1819م تحت ضغط الدولة العثمانية وبتأثير مباشر من والى العراق العثمانى الذى كان يتعاطف مع بنى خالد ويريد إجاعهم للحكم العراقى على الأحساء نوابا عن الباب العالى باعتبار الأحساء جزءاً من العراق ولقد تم له ذلك إلا أن الإقليم شهد بعد ذلك صراعا بين القوى المحلية حتى عام 1838 حين عادت القوات المصرية بقيادة خورشيد باشا فاستولت على الإقليم مرة ثانية، وحاولت أن تتخذ منها قاعدة للسيطرة على شرق الجزيرة العربية ولكنها انسحبت تحت ضغط بريطانيا التى رأت فى الوجود المصرى تهديدا لمصالحها فى المنطقة وساعدت الدولة العثمانية فى الضغط على محمد على لكى ينسحب من الأحساء لأنها كانت تشعر بأن وجود القوات المصرية فيها يشكل خطرا جسيما على مصالحها فى العراق[2].

على أثر انسحاب القوات المصرية حاول العثمانيون جهدهم أن يحلوا محل الحكم المصرى فى الجزيرة العربية وخاصة إقليم الأحساء ولكن بعد عزل والى العراق «على رضا» عام 1841 الذى كان يعطى ذلك الموضوع اهتماما خاصا ويمثل بذلك اهتمام العثمانيين بأمور الخليج العربى، ولكن العثمانيين بتأثير من بريطانيا التى ساعدتهم فى طرد المصريين من الجزيرة العربية تركوا ذلك الباب مفتوحا لتدخل الطامعين فى شؤون هذا الإقليم من أمثال بريطانيا[3]. ومن ثم تركز النفوذ

---

(1)ـ على حسون ـ تاريخ الدولة العثمانية ـ صـ62.

- محمد فريد بك ـ تاريخ الدولة العلية العثمانية صـ203.

(2) محمد عرابى نخله ـ المرجع السابق ـ صـ147.

(3)ـ د. محمد عرابى نخله ـ نفس المرجع ـ صـ148

العثمانى فى الأحساء منذ عام 1871 حتى 1913 وقد اعترضت الحكومة البريطانية على سير هذه الحملة. ولا يعنى هذا أن هذه الحملة هى أول حملة عثمانية للسيطرة على المنطقة، بل سبقتها عدة حملات(1). إلا أنه فى عام 1869 بعد فتح قناة السويس وتهافت الدول المسيحية الاستعمارية على الأقاليم العربية أرادت الدولة العثمانية أن تعيد سيطرتها على تلك البلاد. ومن هنا نرى أن السلطان العثمانى يضاعف حامياته فى الحجاز ويجرد حملة على اليمن ويعين مدحت باشا واليا على العراق. ومدحت هذا كان يطمع فى إعادة النفوذ العثمانى إلى الأحساء مرة أخرى(2).

حاولت الدولة العثمانية فرض سيطرتها على الجزيرة العربية وقد استطاعت فى فترات من الزمن أن تكون السيادة الفعلية على بعض المناطق والسيادة الاسمية على بعضها، وبعضها لم تستطع فرض هيمنتها عليها. وجدير بالذكر أنه كان قد طلب السلطان العثمانى من محمد على باشا والى مصر من التوجه إلى السعودية للقضاء على المتمردين الذين بدأ نفوذهم ينتشر فى المنطقة فجهز محمد على باشا حملة 1811 بقيادة إبراهيم باشا وحاصر الدرعية وقد أحكم الطوق والحصار على العاصمة السعودية الدرعية بعد أن استسلمت كافة الوحدات السعودية فى أرجاء نجد والحجاز وانسحب الأمير عبد الله ومعه أولاده وإخوته والعائلة السعودية وبقايا الجيوش التى تمكن من جمعها، وقرر الدفاع إلى آخر طلقة وآخر رجل فى المدينة التى أقفلت أبوابها وأسوارها وتهيأت للدفاع، وكانت قوات إبراهيم باشا بجيشه المصرى قد فتكت فتكًا ذريعا بفرسان البادية وهم يهاجمون تلك القوات المصرية التى كانت تستخدم أسلحة حديثة مثل المدافع الرشاشة أما الدرعية فلم تصمد طويلا فقد فتحها القائد المصرى إبراهيم باشا فى 4 ـ 9 ـ 1818، وأعمل السيف

(1)ـ محمد عدنان مراد ـ صراع القوى فى المحيط الهندى والخليج العربى ص32.
(2)ـ فالح حنظل المفصل فى تاريخ الإمارات الجزء الأول ص56 .

قتلا وتدميرا وتساقط آل سعود يمينا وشمالا من مواضعهم الدفاعية، واستسلم الأمير عبد الله بن سعود بعد أن قاتل بمسدسه وسيفه من حنجرة إلى حجرة فى قصره فوضعوا الحديد بيديه وأرسلوه محقورا مع إخوته وأولاده إلى القاهرة ثم أرسله بعدها إلى اسطانبول وأعدم هناك علنا فى ساحة أسطنبول أياصوفيا. وذلك بعد تمرد على الخلافة الإسلامية أثناء جهادها ضد المسيحيين الفرنسيين فى مصر. بقيادة نابليون بونابرت.

وقعت معركة عظيمة بين الجيش المصرى الزاحف نحو الرياض بقيادة خورشيد باشا وبين الأمير فيصل بن تركى بن عبد الله أمير نجد ومعه عمر بن عفيصان قائد جيشه ودارت الدوائر على الجيش السعودى واستسلم الأمير فيصل للقوات المصرية بعد معركة عنيفة ودخلت القوات المصرية المنتصرة من أسرة آل سعود إلى مدينة الرياض وأرسل الأمير فيصل منفيا إلى القاهرة وأصبح خورشيد باشا القائد المصرى هو الحاكم المطلق فى نجد. فنصب عليها أميرا هو الأمير خالد بن سعود وهو أخو الأمير عبد الله بن سعود الذى أعدمته السلطات العثمانية فى عام 1818م وكان خالد فى جملة الأسرى الذين أرسلوا إلى سجون مصر ولكنه لما أطلق سراحهم لم يرجع إلى السعودية بل بقى فى مصر وصار مواليا لمحمد على باشا الذى أنعم عليه بلقب خالد بك وهكذا أسقطت التمرد السعودى للمرة الثانية بيد القوات المصرية ـ التركية بيد أن سقوطها هذه المرة أثار فزعا فى بريطانيا خاصة أن محمد على باشا أعلن استقلاله التام فى مصر عن (الباب العالى) وقام بتوحيد العرب واحياء الدولة القومية العربية. وكان تخوف بريطانيا الأكبر نابعا من مقدار التقدم المصرى فى منطقة الخليج العربى اعتبارا من العراق إلى عمان[1]. وإلى اليمن والشام والسودان مما يشكل خطرا على الاستعمار المسيحى الأوروبى.

---

(1)ـ فالح حنظل نفس المرجع ص112.

بريطانيا تتخذ التدابير لمنع القوات المصرية من التوجه نحو ساحل عمان:

اجتمع فى عام 1840 الكابتن هينيل بقبائل النعيم لتشكيل قوات ضد القائد المصرى خورشيد باشا، ومن المفيد أن نذكر أن العلاقة بين قبائل النعيم والشومس العمانية وبين أمير السعودية الجديدة قد أصابها الفتور التام، ذلك أن النعيم لا يقرون بإمارة الأمير خالد بك كما أنهم لا يقرون بالوجود المصرى فى المنطقة ويعتبرون ذلك معاديًا لحلفائهم البريطانيين لذلك فقد استغل هينيل هذا الوضع السياسى وحاول أن يعقد صلحا بين النعيم والظواهر فى منطقة البريمى، فوافق النعيم على ذلك بشرط أن يكف الشيخ خليفة بن شخبوط حاكم أبوظبى عن مهاجمتهم علما بأن حاكم أبوظبى كان يقف بجانب القوات المصرية ضد بريطانيا على عكس موقف قبائل البوشامس ولهذا السبب قام بعدة هجمات ضد البوشامس النعيمية العمانية. فوافق هينيل على ذلك وأبلغ النقيب هامرتون بالتوجه نحو البريمى بحماية قوات الشوامس العمانية لدراسة الموقف هناك عن كثب وأخبره أن يقوم بتوزيع السلاح والعتاد والمواد الغذائية على المقاتلين من آل بوشامس ورفع معنوياتهم للصمود فى المعركة ضد القوات المصرية، كما يجب عليه أن يقوم بإجراء مصالحة عامة بين الشوامس والظواهر، اعتبر هينيل أن مهمته فى المنطقة قد انتهت عندما وصلت إشاعات بأن خورشيد باشا القائد المصرى سينسحب من نجد وأطرافها وذلك تنفيذًا لقرارات التحالف المسيحى الأوروبى الذى عقدا فى لندن عام 1840 . فتنفس هينيل الصعداء ذلك لأنه كان يعلم طول الوقت أنه إذا رغب خورشيد باشا بالتحرك نحو عمان وساحل عمان فإن بريطانيا لن تدرى ماذا تفعل إذ لا توجد لديها خطط لمواجهة مثل هذا الموقف غير التحذيرات التى يطلقها هينيل لنفسه بين الفينه والفينه[1].

(1) فالح حنظل ـ نفس المرجع ص115.

التوجه العثمانى إلى شرق الجزيرة العربية:

أعاد العثمانيون بناء جيوشهم فى نهاية حرب «القرم» عام 1856 على أسس حديثة وزودها بأسلحة متطورة وذلك بفضل مساعدات بريطانيا المالية التى قدمتها لهم، فوجد السلطان عبدالعزيز نفسه يملك قوة كبيرة فقرر إخضاع المناطق النائية من الدولة وإخضاع القبائل التى على حدود بلاده. وأغراه أكثر فتح قناة السويس عام 1869م والذى سوف يسهل أمر عبور السفن الحربية والسفن التى ستنقل الجنود وبذلك يكسب الوقت وقصر المسافة فى العبور إلى الجزيرة العربية. ولن يتعرض لغارات مثلما كانت تتعرض القوات العثمانية لغارات البدو أثناء عبورهم الصحراء إلى الجزيرة. وأيضا لفت نظره إلى الجزيرة العربية اهتمام الاستعمار المسيحى الأوربى بمنطقة الشرق العربى كل ذلك دعاه لغرض إعادة سيطرة الدولة العثمانية إلى تلك المناطق مرة أخرى وخاصة أن السلطان اعتبر نفسه وارثا للخلافة وهذا يعنى أن شبيه الجزيرة العربية من ضمن أملاكه ولذلك أرسل حامياته إلى الحجاز وجرد حملة إلى اليمن[أ].

عين «مدحت باشا» واليا على العراق ويطلق يده فى بسط نفوذ السلطان بأى اتجاه يراه مناسبا كان اهتمام العثمانيين بشرق الجزيرة العربية قد أثار مخاوف بريطانيا قبيل تعيين مدحت باشا على العراق ولذلك أصبحت بريطانيا قلقة جدا من محاولات الدولة العثمانية تجديد نشاطها ومد نفوذها إلى أطراف دولتها ولذا كان تعيين مدحت باشا واليا على العراق حدثا هاما بالنسبة للعلاقات العثمانية البريطانية فى شرق الجزيرة العربية. حرص «مدحت باشا» بالفعل منذ توليه ولاية بغداد على تبنى فكرة رجال الإصلاح العثمانيين الذين كانوا يدعون إلى إعادة سيطرتهم على الأقاليم الآسيوية فى الدولة العثمانية لكى يعوضوا خسارتهم فى

(أ) محمد عرابى نخلة ـ المرجع السابق ص149.

البلقان. ولقد أخذ مدحت على عاتقه مد سيطرة الدولة العثمانية فى شرق الجزيرة العربية لكى يحل النفوذ العثمانى المباشر[1]. أدى اهتمام العثمانيون بشرق الجزيرة العربية إلى إثارة مخاوف بريطانيا خاصة عندما قصفت فى عام 1866 قلعة الدمام محتجة على سياسة قائمقام العثمانى فى نجد فى عمان وعندما أرسل الأمير عبد الله بن فيصل فى مارس من نفس العام إلى والى العراق (نامق باشا) يطلب منه العون والمساعدة لصد الاعتداءات التى تتعرض لها بلاده من قبل بريطانيا وقام نامق باشا بدوره بنقل الاحتجاج إلى القنصل البريطانى كمبول فى بغداد مع طلبه بعدم تكرار الاعتداء على الأملاك العثمانية[2] ولكن بريطانيا رفضت هذا الاحتجاج[3]. واعتبرت بأن قائمقام العثمانى فى نجد الأمير عبدالله بن فيصل هو الذى يعتدى على المستعمرات البريطانية فى عمان وساحل عمان.

نقل كمبول هذا الاحتجاج إلى السفير البريطانى فى اسطنبول محذرة نامق باشا وذلك بتنفيذ سياسة جديدة تجاه الكويت وغيرها من موانىء شرق الجزيرة العربية وهى بهذا تقوى صلتهم بالدولة العثمانية. ثم نرى كمبول فى يناير عام 1867 يبعث برسالة إلى وزير الدولة بالهند يحذر فيها أن نامق باشا قد مد نفوذه إلى الكويت والزبير. فى جنوب العراق ومن خلال هذه الرسائل والتلميحات نرى أن كمبول كان يلمح لحكومته من أجل الاهتمام بالكويت أكثر وأكثر حتى لا تقوم الدولة العثمانية بالحاقها بها وبالتالى يؤدى ذلك إلى تدخلها فى إمارات ساحل عمان وعمان لتابعة لها. من هذه اللمحة الموجزة السريعة يتبين لنا مخاوف وقلق بريطانيا من سياسة الدولة العثمانية الجادة فى تجديد نشاطها لذا كان تعيين مدحت

---

(1)ـ د. محمد عرابى نخلة ـ المرجع السابق صـ149 ـ 150 ـ 151.

(2) د. محمد عرابى نخلة ـ نفس المرجع ـ صـ150.

(3) د. جال زكريا قاسم ـ دراسة لتاريخ الإمارات العربية (1840 ـ 1914) ـ صـ173.

باشا على العـراق هو تجسيـد لهذه المخـاوف خاصة إذا عـرفنا أن مدحت هذا من الرجال الذين بذلوا محاولات كثيرة لتغيير فى العلاقات بين الذولتين. منذ أن ولى مدحت باشا على العـراق حتى بدأ يهتم بمد نفوذه إلى منطقة شرق الجـزيرة العربية ولقد جـاءته الفرصة السـانحة لمدة النفوذ العـثمانى عندمـا تدخل فى الصراع على السلطة بين أبناء فـيصل بـن تركى القائمـقام العـثمـانى فى نجد وهمـا عبـد الله وسعود[أ]. هذا الصراع مهد لدخول العثمانيين نجد وضمها لبصرة.

الصراع بين عبد الله وسعود:

توفى القائـمقام العـثمانى فـى نجد الأمـيـر فيصل بـن تركى فى عام 1865 وخلف أربع أولاد وهم:- عبد الله (أكبرهم)، سعود، محمد وعبد الرحمن وكان عبد الله وسعود مـتنافسين منذ عهد أبيها واستمـر هذا التنافس والخلاف بعد موت أبيهما. بعد وفاة الأمير فيصل تولى قائمقامية نجد عبد الله عام 1865 فخرج سعود غاضبا عام 1866 من الرياض متوجها إلى عسير حيث محمد بن عائض فاستنجد به لقتال عبد الله، إلا أنه رفض ذلك فغيـر اتجاهه إلى نجران فى اليمن حيث السيد المكرمى الاسماعيلى الشيعى، الذى أجاب له طلبه فاجتمعت معه قبائل من الشيعة اليمنية العـجمان والمرة والهواجر فتـوجه بهم لقتال أخيه وكـان هذا قد بعث بقوة يرأسهـا أخوهما الثالث مـحمد الفـيصل فالتقـى الجمعان فى العـتلى قرب وادى الدواسر فـانهزم سعـود الذى توجه إلى الأحسـاء ومنها غادر إلى البـحرين وهناك جمع قوة جديدة من القبائل اليمنية العجمان والمرة والهواجر والقحطان فتوجه بهذه القوة إلى الأحساء وكان الذى يقوم بحكمها هو أحمد بن محمد السديرى نائبا عن عبد الله فـعندما وصلها سعود استـولى عليها وحاصر أهلهـا فى الهفوف فى هذه الأثناء وصلت لسعود أنباء تخبره بأن عبد الله قـد أعد قوة على رأسها محمد أيضا

(أ) د. محمد عرابى نخلة ـ المرجع السابق ـ صـ150.

فسارع سعـود بترك الهفوف وتوجه إلى مـلاقاة أخيه فالتقـيا عند مكان يسمى بماء جوده وانتهت المـعركة بانهزام جيش مـحمد وأسره فى القطيف. وهـنا تم لسعود الاستـيلاء على الأحساء فلمـا وصلت أنباء الجيش المنهـزم إلى عبد الله فزع فـزعا شديدا الأمر الذى جعله يجمع أهله وأقـربائه ويخرج بهم من الرياض ويتوجه إلى مكان يدعى البعثية. وهنا ارتكب عبد الله خطأ كبيرا عندما بعث بأحد رجاله وهو عـبد العـزيز بن عبـد الله البابطين بـرسائل وهدايا إلى والى بغـداد مدحت باشـا ومتصرف البصرة محمد النقيب طالبـا منهم العون ضد أخيه سعود. الذى استولى على قائمقامـية نجد العثمانى. ولكن سعود لـم يكتف بإخرج أخيه من الرياض بل طارده هو ومن لحق به فالتقى معهم فى البرة غربى الرياض فى موقعة وهزمهم[1].

نجا عبد الله من الموت فتـوجه إلى مكان آخر يدعى رويض العرض فى هذه المنطقة جـاءته الأنباء تفيد بأن مـدحت باشا وأميـر السعدون رئيس قبـيلة المنتفق، وعبـد الله بن الصباح حاكم الكـويت والشيخ مبارك وتسـاعدهم أيضا قـبائل بنى خالد يستـعدون لحملة ضد سعود. وهكذا قـدم الصراع على السلطة بين الأخوين «عبد الله بن فيصل» وأخيه «سعود بن فيصل» ـ فى نجد فرصة سانحة لمدحت باشا لكى يحـقق أهدافه وذلك عندمـا تمكن سعـود من إقصـاء أخيه عن الحـكم فراح الأخير يستنجد بوالى بغداد الذى بدأ على الفور بالاستعداد لإرسال حملة عسكرية إلى الأحساء ونجد هدفها الظاهرى إعادة عبـد الله للحكم واعتبرته الدولة العثمانية حاكما شرعيا معينا من قبلها كقائمقام لنجد وتوابعها. وكان فيصل بن تركى يعتبر قائمـقاما عـثمانيا وهكـذا يمكن اعتبـار ابنه عبد الله وريثه فـى الحكم تابعا لدولة العثـمانية وأن السلطان العـثمانى الذى عـينه بفرمان رسـمى. حيث إن القائمـقام العثـمانى الأمير عـبد الله عندما طلب مـساعدات من والى العراق ضـد بريطانيا،

(1) خير الدين الزركلى ـ شبه الجزيرة فى عهد عبدالرحمن ـ جـ2 ـ صـ47، 48.

أسـرع «مدحت باشـا» تدخله فى نجد والأحـسـاء لإنقاذ عـامل من عمـال الدولة استنجد به[1].

موقف بريطانيا من الحملة العثمانية على الأحساء:

استـمرت استعـدادات مدحت باشا فى تكتم شـديد وسرعة فائقـة إذ حذر مدحت باشا أتبـاعه من وصول المعلومات لبريطانيا فلم يـعلم بها قنصل البريطانى فى بغداد وكانت السلطات البريطانية قد علمت بها أواخر عام 1870م من خديوى مصر آنذاك «اسماعيل باشا» الذى وصلته رسـالة من الأمير عبد الله الفيصل يطلب منه المسـاعدة فى إقناع البـاب العالى لمد يد العـون والمساعـدة إلى حكمه وعنـدما علمت السلطات البـريطانية بأنباء تلـك الاستعـدادات سارعت تستـفسر أخـبارها فأرسل اللورد جـرانفيل وزير الخـارجية البـريطانى آنذاك إلى السيـر «هـ. اليوت» السفير البريطانى فى اسطنبول مستفسرا عن ذلك، كما أبرق إلى القنصل البريطانى فى بغداد «هـربرت» لنفس الهدف ونلاحظ هنا الاهتـمام الكبـير من بريطانيـا قبل الاستعـدادات خوفا على مصـالحها فى شرق الجـزيرة العربية. وأكد كـلاهما عام 1871 أنه لا أساس من الصـحة لتلك الشـائعات وفى 22 فبـراير عام 1871م بعث «اليوت» برسـالة أخرى إلى وزير الخارجيـة البريطانى يخبـره بأنه بناء على الرسالة التى تلقـاها من هربرت فى بغداد قـام بنفسـه ينقض الحقـيقة من الصـدر الأعظم «عالى باشا» الذى أكد له أنه ليست هناك نية فى القيام بأى حملة عسكرية[2].

عندما استفـسر «اليوت» عن تعزيز الوجود العثمـانى فى مياه الخليج العربى أكد « عالى باشا» أن السلطات العثمانيـة بعد الانتهاء من حملة اليمن رأت أن من الأفضل الإبقاء على سفينتين حربيتين فى مياه الخليج العربى وليس لذلك علاقة بما

---

(1) خير الدين الزركلى ـ نفس المرجع ـ جـ4، صـ47، 48.

(2) د. عبدالعزيز سليمان نوار ـ تاريخ العراق الحديث ص 412.

يشاع عن وجود حملة تعد فى بغداد لإرسالها إلى الأحساء ولكن السلطات البريطانية لم تأخذ بتلك التأكيدات بل ظلت تساورها الشكوك فى أقوال المسؤولين العثمانيين ولقد كانت تلك الشكوك فى محلها إذ تبين لسفير بريطانيا فى اسطنبول فى أواخر شهر مارس عام 1871م صحة الإشاعات فأبرق إلى «هربرت» فى أبريل سنة 1871م يخبره بذلك ثم أرسل ببرقية مماثلة إلى الخارجية البريطانية يعلمها فيها بأنه تأكد من موافقة الباب العالى على طلب المساعدات الذى قد تقدم به القائمقام العثمانى فى نجد الأمير عبد الله بن فيصل ولكن «اليوت» أكد فى نفس الوقت أنه حصل على تأكيدات من الصدر الأعظم بأن العثمانيين لا ينوون القيام بعمليات بحرية فى الخليج العربى ولكن نظرا لصعوبة إرسال الحملة عبر الصحراء، لذا فإن القوات العثمانية ستنقل بحرا إلى وجهتها كان مدحت باشا وراء الإصرار على أن تنقل المعدات مع قسم من رجال الحملة بواسطة السفن بحرا لكى يضمن سلامة وصولها حتى لا تتعرض لغارات أعراب البادية من قبائل المرة والعجمان القوية الذين يناصرون «سعودا» والذين لا يستبعدان أن يكونوا قد أقاموا الكمائن لها على الطريق الصحراوى وأثبت مدحت باشا بذلك بعد نظره وقبل السير إلى الأحساء أرسل بعض عيونه على هيئة تجار حيث أقاموا هناك شهرين رصدوا خلالها تحركات قوات «سعود بن فيصل» ووقفوا على أخبار مدافعها وقلاعها وتحصيناتها وعادوا إلى «مدحت باشا» يقدمون نتائج رحلتهم تلك ليكون على علم كامل بكل شىء يتعلق بالعدو حتى لا يرسل تلك الحملة إلى المجهول ويتركها فريسة لغارات قبائل العجمان ومجاهل الصحراء وكمائن قوات «سعود بن فيصل» وكانت الأمور قد أفلتت من أيدى السلطات البريطانية التى حاولت أن تمنع إرسال تلك الحملة ولكنها عندما تأكدت أنه لا مفر من ذلك أخذت تستفسر فى هذه المرة عن وجهة الحملة وقد انتاب السلطات البريطانية قلق شديد وخاصة بعد تصريح «مدحت باشا» الذى اعتبر فيه البحرين تابعة لنجد فأبرق «هربرت» إلى «اليوت» يخبره

بذلك وبعد أن اتصل «اليوت» بالمسؤولين العثمانيين عاد من جديد يتصل بهربرت فإن الباب العالى أكد له أنه لا يمكن التعرض للبحرين أو المشيخات التى تحت سيطرة السلطات البريطانية. وصرح مدحت باشا عام 1871 أن السيادة العثمانية أصبحت ممتدة تشمل نجد وليس الهدف من الحملة الاستيلاء على نجد بل لتوثيق الروابط بينها وبين الدولة العثمانية وكبح جماح «سعود بن فيصل» وإنهاء أعماله العدوانية[1].

وردت أنباء فى 17 مايو من اسطنبول إلى هربرت تؤكد من جديد أن «عالى باشا» قد أكد أن الحملة لا تتدخل فى شؤون المشيخات التى تحت سيطرة بريطانيا وأن نجداً جزء لا يتجزأ من ممتلكات السلطات وأن عبد الله بن فيصل لا يحكمها حكما مطلقا وإنما يمارس عمله كموظف عثمانى بناء على فرمان سلطانى وأضاف الصدر الأعظم بشىء من الامتعاض من تدخل البريطانيين بشأن الحملة وأضاف مؤيدا تصريح «مدحت باشا» الهدف من الحملة هو مصالحة الأخوين «عبد الله وسعود» ومنع الشغب واستعادة الهدوء والطمأنينة. نلاحظ هنا بعض التناقض بين قول الصدر الأعظم ومدحت باشا حيث أن مدحت باشا ذكر أن هدف الحملة هو إعادة عبد الله للحكم وإنهاء أعمال سعود العدوانية ولم يصرح مدحت باشا بالصلح بين الأخوين، والأرجح قول «مدحت باشا» فى تصريحه السابق أما الصلح فلا أعتقد أنه صرح به لأن كان هناك تنافرا بين الأخوين معروفا منذ أيام «فيصل بن تركى» وكان القائمقام العثمانى فيصل أراد وضع حد هذه المنافسة فجعل ولاية العهد لولده الأكبر عبد الله وأطلق يده فى كثير من الأحوال، عندما وصلت التأكيدات أسرع هربرت لمقابلة «مدحت باشا» واخبره عن رضى حكومته وحكومة الهند عما تلقته من الباب العالى. ونلاحظ أن تدخل بريطانيا واهتمامه بالحملة ووجهتها وهدفها كل ذلك جعل الصدر الأعظم يمتعض ويأفق منهم. وأعتقد أن

---

(1) د. محمد عرابى نخلة ـ المرجع السابق ص153.

اهتمامهم بكل صغيرة وكبيرة فى الحملة كانت حتى يثنوا القوات العثمانية من السير بالحملة إلى الأحساء وحتى يضايقونهم لتعطيل الحملة(أ) .

اشتركت الكويت فى الحملة بجميع قواتها باعتبارها تابعة للعثمانيين وعندما علم سعود بمشاركة الكويت طلب من «بلى» المقيم السياسى البريطانى فى الخليج العربى السماح له باستخدام البحر لضرب السفن الكويتية ربما كانت الكويت والدولة العثمانية لم يسبق لهما التوقيع على معاهدات السلم البحرى لذلك اقترح «بلى» على حكومة الهند أن توافق على طلب «سعود» ولقد وافقت بالفعل ولكنها أدركت أن ذلك سيعرض الأمن فى الخليج العربى للخطر فرفضت طلب «سعود» فلقد خافت بريطانيا أن يعمل «سعود» على تجميع القبائل الموقعة على معاهدات السلم البحرى فى مشيخات ساحل عمان ويكون منها حلفا ؟ ومنعت الحملة فى عرض البحر حتى لا يكون ما عملت من أجله بريطانيا قد انتهى وسوف تتمرد كل قبيلة وتعود الفوضى والاضطرابات ضد السفن البريطانية فى الخليج العربى. ولذلك عندما كانت الحملة قد اقتربت من سواحل الأحساء فى 6 يونيو عام 1871م كانت حكومة الهند قد ابرقت إلى (بلى) تطلب إليه أن يأمر جميع رؤساء القبائل فى الخليج العربى والذين تشملهم معاهدة السليم البحرى بالإمتناع عن الانضمام إلى أى من الفريقين المتصارعين. وبهذه الطريقة أفلتت زمام الأمور من يد السلطات البريطانية وتيقنت بأنه لا مفر من إرسال الحملة العثمانية لذلك أصبح همها الوحيد فى هذه الفترة يرتكز على وجهة الحملة وإذا ما كانت ستتعرض للبحرين أم لا. هنا التخوف جعل السير اليوت يتصل بالباب العالى ليتأكد من الأمر فأجابوه بعدم تعرض الحملة لأى مشيخة تحت الحماية البريطانية كذلك قام المستر بياتى السكرتير الأول بالسفارة البريطانية فى اسطنبول فى 12 مايو 1871

(أ) د. محمد عرابى نخلة ـ المرجع السابق ـ صـ153.

بمقابلة الصدر الأعظم وسؤاله عن حقيقة وجـهه الحملة وعما إذا كان مدحت باشا يسعى إلى مد نفوذه إلى البحرين ومسقط[1].

إلا أن عالى باشا أكد للمستر بيانى بأن الحملة ما ذهبت إلا لأعادة القائمقام العثمـانى الأمير عبد الله إلى الحكم، وأن الحـملة لن تتدخل فى شئون المشـيخات البريطانيـة. وهنا وبعد أن اطمـأنت الحكومة البريطانيـة من حقيـقة وجهـة الحملة أرسلت تطمئن المقيم السياسى البريـطانى فى بوشهر السير «لويس بلى» الذى أخذ بدوره يطمئن حكام المنطقة لعدم تعرض الحـملة لهم. كان مدحت باشا والى بغداد قد اتبع سيـاسة تهدف إلى إنشاء أسطول عـثمانى قوى فى الخليج الـعربى وإنشاء خط بواخر مـدنية أيضا يعـمل بين البصرة والسـويس والأستانة فـإن كان يرى أن يحكم قبضتـه على المشيخات فى شرق الجزيرة العربيـة التى لم ترتبط بالحماية مع بريطانيا حتى الآن. ولما اقتنع بوجهة نظر عبـد الله بأن سعود سيضيع نجدا وسيلقى بها بيد البريطانيين قرر أن يغزو السعودية وبقـية المشيخات فى شرق الجزيرة العربية فكتب إلى شـيخ الكويت يطلب منه المسـاهمة فى الحـملة باعتـباره تحت السـيادة العثـمانية، فوافق الشـيخ على ذلك وحشد قـواته بسرعة وأمـر أسطوله الشراعى الانضـمام إلى الحملـة إدراكا منه أن الاسـتعمـار المسيـحى البريطانى خطـر يهدد مستقبل الإسلام ومناطق الخليج العربى. وكان مدحت باشا وزع منشورات تبين أن الحملة هو إنقـاذ نجد وتوابعها مـن الخارج على الإسلام وعلى طاعة خليـفة المسلمين سعود بن فيصل، غادرت الحملة ميناء البصرة يوم 21/ 4/ 1871م[2].

تم الإنزال فى رأس تنورة وباشـرت الحـملة تقـدمـهـا البرى فى الأحـسـاء والقطيف كلها بيدها فى أوائل شهر يونيو. وعلى الرغم من صرخات الأمير سعود بطلب النجدة من المـقدم بيلى إلا أن الأخيـر لم يحرك ساكنا وكـان جوابه هو أن

---

(1) جون ـ ب ـ كيلى ـ بريطانيا والخليج ـ الجزء الأول ـ ص594.

(2) ـ جون ـ ب ـ كيلى ـ نفس المرجع ص597.

يهتم بأمن مياه الخليج العربى فقط وأنه سيقاوم التقدم العثمانى إذا ما تعرض لإحدى المشيخات المرتبطة بمعاهدات الحماية مع بريطانيا ولكن مخاوف بريطانيا من الحملة ما لبثت أن اشتدت عندما صدرت جريدة الزوراء البغدادية بالعدد رقم 148 فى 30 مايو 1871 لتؤكد أن هدف الحملة هو إعادة الحدود فى نجد إلى حالتها الطبيعية وأن منطقة نجد تشمل الأحساء والبحرين وقطر والبريمى وأبوظبى ودبى وعمان. مما دعا السير هربرت القنصل البريطانى فى بغداد إلى إرسال رسالة إلى مدحت باشا يدعوه فيه إلى تجنب الاشتباك مع المشيخات وعشائرها المتعاهدة مع بريطانيا ولكن رد مدحت باشا إذ قال أنه لن يتدخل فى شؤونها إذ لم تكن تحت حكم عبد الله من قبل وأنه يعتبر من يؤيد سعود عدو الدولة العثمانية. ولم تلبث الحكومة العثمانية أن أصرت على عدم تدخل بريطانيا مؤكدة أنه لاحق ولا سيادة لأحد على تلك البقاع سواء خليفة المسلمين العثمانى. وفى تلك الأثناء وصل إلى الأحساء مدحت باشا ومعه قائد البحرية العثمانية فى البصرة عارف بك ثم توجهوا نحو البحرين فلحقهم كل قطع الأسطول البريطانى التى كانت فى المنطقة ثم قام مدحت باشا وعارف بك بزيارة ودية إلى هناك[1].

سير الحملة:

هكذا لم تجد الاعتراضات البريطانية نفعا فالحملة قد سارت حسب الخطة المرسومة والتى كان مدحت باشا هو العقل المدبر والمنظم لها وتمكنت السلطات العثمانية من تسيير الحملة رغم معارضة بريطانيا لها، ففى 20 أبريل 1871 غادرت الحملة البصرة متوجهة إلى الأحساء تحت قيادة الفريق نافذ باشا كذلك تطوعت الكويت فى هذه الحملة حيث شارك أمير الكويت عبد الله الصباح نافذ باشا بقوات كويتية واتجه بحرا إلى الأحساء، وتوجه برا إلى الأحساء الشيخ مبارك الصباح على

---

(1) جى . بى . كيلى ـ نفس المرجع ص598.

رأس قوات الكويت وعشائرها. وشاركت الكويت بـ 80 سفينة من سفنه[1] كذلك انضم إلى هذه الحملة الكثير من جنود القبائل العراقية؟ ورئيس نقابة السادة فى العراق فى البصرة وناصر باشا السعدون شيخ قبيلة المنتفق، الذى شارك بألف فارس من عشيرته بالإضافة إلى قبائل بنى خالد[2]. لقد كانت السفن العثمانية المشاركة فى الحملة كالتالى:

السفينة بروسة (برونزه) وهى مسلحة بـ23 مدفع[3]. السفينة خوجه بك بها 18 مدفع. السفينة نينوى مسلحة تسليحا حديثا وبها 4 مدافع[4]. بالإضافة إلى ثلاث سفن صغرى بها 13، 4، 6 مدافع. تقدمت الحملة التى كانت تقل 5000 جندى نظامى إلى الأحساء.

وصلت الحملة فى 13/ مايو/ 1871م إلى أول محطة إنزال حسب مخططها وكانت تلك المحطة هى «رأس تنورة» وبدأت عمليات الإنزال فى اليوم التالى وعلى الفور بدأت القوات العثمانية تزحف نحو القطيف لكى تلتقى مع الجيش الزاحف برا ووقعت بعض المقاومة من السكان وشعروا بأنهم يضمرون لهم العداوة ولكن «مدحت باشا» قد بعث بإعلان لشرح أهداف الحملة للسكان ولما تفهموا ما جاء فيه أعربوا عن رضاهم. بدأت الحملة أعمالها العسكرية ضد مدينة القطيف التى امتنع قائد حاميتها السعودى من الاستسلام وأكد ذلك القائد بأن «سعود بن فيصل» قد أولاه ثقته ولا يمكن أن يخونها وأنه مصر على الدفاع عن القلعة حتى

---

(1) يذكر ج. ج ـ لوريمر أن الكويت ساهمت بـ300 سفينة فى الحملة . صـ1453.

(2) د. جمال زكريا قاسم ـ المرجع السابق ـ صـ182.

(3) يقول لوريمر بان اسمها برونز وبها 25 مدفع. جـ . جـ لوريمر ـ دليل الخليج ـ جـ3 ـ صـ1453.

(4) يقول لوريمر بأن اسمها نيبتون وهى أصلا غير مسلحة وزودت بأربعة مدافع ـ نفس المرجع ـ صـ1453.

آخر لحظة وتعزيزا لخطته فى الدفاع عن القلعة أخذ يهدم كل المبانى المحيطة بالقلعة لكى يمنع محاولة تقدم القوات العثمانية المحاصرة للمدينة.

بدأت قواتهم تطوق على المدينة من جميع جهاتها إذ حاصرتها القوات البرية من الجهات الثلاث وبدأت بقصفها بالمدفعية وأن الجهة المطلة على البحر فقد تعرضت لقصف مدفعى مركز من قطع الأسطول العثمانى والقوارب الكويتية وبعد ثلاث ساعات من القصف المتواصل تمكن العثمانيون من دخول المدينة بعد أن فر قائد حاميتها إلى نجد وترك المدينة تستسلم للقائد العثمانى الذى ما أن فرغ من الاستسلام على المدينة وجمع الأسلحة حتى أخذ يقرأ إعلانا موجها إلى سكان القطيف من الباب العالى وأهم ما جاء فيه[1]:

1 ـ تعتبر نجد وملحقاتها جزء من الدولة العثمانية.

2 ـ سبب الحملة هو تمرد سعود على أخيه القائمقام العثمانى الأمير عبد الله بن فيصل ال سعود وهدف الحملة إعادته إلى الحكم.

3 ـ إصدار عفو عام عن سعود وأتباعه إذا استسلم واعتذر عما بدر منه من سوء تصرف.

4 ـ إذا رفض الاستسلام فستدمره القوات العثمانية مع أتباعه وكل من يقدم له العون أو المساعدة.

توجهت الحملة بعد ذلك إلى الدمام وفى الطريق أخضعت لها قلعة عنك فلما وصلت الدمام سقطت فى أيديهم دون مقاومة فى 5 يونيو 1871 فوضعت بها الحملة حامية مكونة من سريتين من الجنود ثم عادت باقى القوات إلى القطيف. لقد كان هدف العثمانيون يرتكز فى الساحل لتأمين طرق مواصلاتهم . ومن خلال

---

(1) د. محمد عرابى نخله ـ المرجع السابق ص158.

الساحل يتخذون طريقهم إلى الداخل وبالفعل من أوائل يوليو وجهوا سيرهم إلى الهفوف واستغرق سيرهم إليها أسبوعين ويعود سبب ذلك للشمس المحرقة وتفشى الأمراض فى الجنود كالملاريا والكوليرا وفتكها بحوالها 400 جندى. . وكذلك إصابة 1000 جندى آخر بأمراض شتى وصلت الحملة إلى الهفوف ودخلها الفريق نافذ باشا وكان على طول الخط منذ دخولها القائد العثمانى يعلن أسباب دخول الحملة وعدم تعرض أهل البلاد بأى سوء مع التحذير من العصيان والمقاومة وبالفعل تم له الدخول لضعف الأهالى الذين آل إليهم بعد سوء المعاملة التى لاقوها من قبل العجمان أثناء سيطرتهم على البلاد كل هذا وكان الصراع ما زال مستمرا بين الأخوين سعود وعبد الله ففى الوقت الذى استطاع فيه سعود أن يهزم أخاه مرتين ويستولى على الرياض وتمكن عبد الله أن يدخلها أثناء غياب أخيه سعود عنها إلا أنه عاد وهرب إلى الأحساء ولجأ إلى نافذ باشا[1].

أثناء إقامة عبد الله فى الأحساء مع العثمانيين تبين له مخططاتهم وأنهم لم يأتوا من أجل مساعدته إنما جاءوا لتأكيد سيطرتهم على البلاد فتحين فرصة ثم مر هاربا هو مع ابنه وأخيه محمد[2]. أما سعود فكان فى هذا الوقت يلاقى ضغطا شديدا من أهل البلاد الذين ضاقوا ذرعا من تدخلات أتباعه العجمان الذى أدى إلى خلعه وطرده من البلاد وتعين عبد الله تركى بدلا منه[3] فقام عبد الله بن تركى هذا وأرسل إلى نافذ باشا يعلمه بالأمر . فكان جواب القائد العثمانى بأن ثبته على

---

(1) د. محمد عرابى نخله - نفس المرجع - صـ164.

(2) يذكر الزركلى أن أهل الرياض قد انتفضوا وعلى رأسهم عبد الله بن تركى على الأمير سعود. الزركلى - المرجع السابق - صـ48.

(3) ج. ج - لوريمر - المرجع السابق - صـ1679، صـ1680. إلا أنه يذكر أن محمد سبقه فى الفرار.

الرياض نيابه عن عبد الله. ولكن سعود لم يخضع للأمر فجمع صحبه من العجمان وهاجم بهم الأحساء فقاتل مع العثمانيين وأخيه إلا أنه هزم فى معركة الخويرة. وهنا اتجه إلى مناطق قريبة من قطر. وفى هذا الوقت بدأ العثمانيون يسعون فى مناطقهم جنوبا وشرقا حتى وصلوا إلى قطر ربما كان قصدهم هو حماية خطوط التجارة. واتجاه العثمانيين إلى قطر يعنى خلق صراع وتنافس مع بريطانيا التى عقدت مع حاكم قطر معاهدة عام 1868 ولأجل التمهيد لهذا التقدم أعلن مدحت فى جريدة الزوراء أن دبى والشارقة وقطر وأبوظبى والبحرين تابعة لنجد الأمر الذى أدى إلى تضايق بريطانيا فأبلغوا مدحت أن مناقشة مثل هذه الأمور الحساسة إنما هو بين الباب العالى ووزارة الخارجية البريطانية[1] إلا أن مدحت أمر برفع العلم العثمانى على قطر فعندما تأكدت من وجود العلم بواسطة السفينة Hugerose أرسلت مندوبا لها إلى قطر للتحقيق من الأمر ثم أرسلت إلى مدحت باشا من أجل معرفة حقيقة التدخل العراق وأنكر علمه بذلك ولكن ذكر بأنه لا يمانع تقدمهم وكذلك التقدم إلى البحرين لأنها تدفع الزكاة للقائمقام العثمانى فهذا يعنى أنها تابعة لنجد. وكان هذا الرد نذير بقرب نشوب صراع بين العثمانيين والبريطانيين على منطقة شرق الجزيرة العربية والذى زاد من اقتراب هذا الصراع هو تقدم عارف بك من عدن إلى الخليج العربى بصحبة سفينتان هما الإسكندرية ولبنان لتعزيز وجود قواتهم، كذلك إعلان السلطات بقرب إرسال عشر سفن أخرى واعتبرت بريطانيا أن هذا التصرف إنما هو تحدى لهم ولسيادتهم[2] وفى سبتمبر 1871 بدأ البريطانيون يحسون بتحرج موقفهم فى الخليج العربى.

(1) د. محمد عرابى نخلة ـ المرجع السابق ـ صـ166.

(2) جون ـ ب ـ كيلى ـ المرجع السابق ـ صـ605.

اعتبر تحـول قطر إلى الدولة العثمانية مبـاشرة تحديا سافرا لها ولموقـفها لهذا أخذت بريطانيـا تعلن عن تخوفهـا من ازدياد قوة الأسطول العثمـانى وأعربت فى مقالهـا بأنها لا ترفض أحقية الدولة العـثمانية فى التدخـل لفض النزاع بين سعود وعبد الله الدائر فى نجـد التابعة لها ولكنهـا تخاف من امتداد ذلك إلى مشـيخات الساحل العمانى تحت الحماية البريطانية فيؤثر على سلام المنطقة ولكن الباب العالى أجاب بأن من حقه زيادة أسطوله وأنها لا تريد التـوسع فى المشيخات ذات العلاقة مع بريطانيـا فأخذت تهـدد بزيادة أسطولها وهنا أخذ الـعثمـانيون يتراجـعون عن سيادتهم خاصة بعد انتهاء حكم مدحت عن العراق فى 23 نوفمبر 1872 وأكدت الدولة العثمانية هنا بأنه لا نية لها فى التوسع[1].

ما أن علم عـبد الله بن سعود بوصـول مدحت باشا إلى سواحل الأحـساء حتى توجه إلى القطيف ثم إلى العقير ثم إلى الهـفوف وأقام بها أربعين يوما ما أن علم بمقدمه وهو الذى خبر من تصرفات العثمانيين أنهم ما جاءوا ليعيدوا له الحكم بل جاءوا ليحكمـوا البلاد حكما مباشـرا فتيقن أن مقـدمه إنما لإبعاده هنا. أرسل مدحت خطابات لعـبد الله يستدعـيه فيها إلا أنه رفض ذلك ثـم إن مدحت عرض على عـبد الله أن يعيـنه قائمقـاما على الريـاض فقط إلا أن عبـد الله رفض ذلك وطالب بالأحساء كلها إلا أن هذا الرد لم يعجب مدحت الذى أعلن عزل عبد الله عن السيـادة على الأحساء وعودتهـا إلى حظيرة الدولة العثـانية المباشرة، غـير أن الخطأ الذى ارتكبه مدحت باشا وهو عدم متابعة قراراته بشأن إلغاء حكم آل فيصل واكتفى بأن عـين نافذ باشا قائمـقاما على نجد وذلك بسبـب الضعف الذى أصاب القوات العثـمانية هذا كان سببـا فى تجميد نشاط الحملة فى الجـزيرة العربية ثم إن مدحت غـادر الأحسـاء فى بداية 1872 حيث توجـه إلى العراق ومنهـا غادر إلى

---

(1) د. جمال زكريا قاسم ـ المرجع السابق ـ صـ185 ـ 186

الأستانة في 22 مايو من نفس العام وقبل مغادرته توجه إليه كلا من عبد الله وسعود بشأن إعادة النظر فيما اتخذه غير أنهما لم يصلا معه إلى نتيجة تذكر[1].

عند مغادرة مدحت باشا للأحساء في بداية 1872 أخذ معه بعض الجنود والمرضى والجرحى وبعض العشائر وعودة هؤلاء ساهمت في تضاءل عدد القوات العثمانية في الأحساء ثم أنه بعد عودة مدحت استمرت الاتصالات بين عبد الله وسعود ووالي بغداد وكان سعود يحث عبد الله على ضرورة توحيد الجهود ضد القوات العثمانية إلا أنه فشل في ذلك فاضطر هنا إلى مناوشة قوات أخيه والقوات العثمانية على السواء. وهنا أبدى سعود ميلا إلى العثمانيين فاتفق معهم على أن يدفع لهم ضريبة سنوية على أن يقوم بتقديم رهينة لهم في بغداد تضمن ولائه فتم تقديم أخيه عبد الرحمن الذي استمر وجوده في بغداد كرهينة حتى أغسطس عام 1874[2].

لم يفهم الولاة العثمانيون ممن جاءوا بعد مدحت طبيعة السكان فشرعوا في فرض ضرائب متعددة عليهم، ثم التدخل في شئونهم الأمر الذي دفعهم إلى التذمر من هذا الوقع إلا أن هذا التذمر تحول فيما بعد إلى حركة معارضة ضد الحاكم العثماني بزيع بن عرير فاستغل ذلك عبد الرحمن بن فيصل وأخذ يراسل شيوخ القبائل سرا لمعرفة تطلعاتهم وعندما تأكد له تأييد بعضهم، توجه على رأس 500 من عشائر البحرين إلى العقير واجتمع معه عشائر العجمان ثم اتجه إلى القطيف ثم إلى الهفوف للإطاحة بحاكمها إلا أن رد العثمانيين على هذه الحركة كان سريعا، حيث أمر والي بغداد «رديف باشا» قائد الباخرة «نجد» لنقل الجنود إلى الأحساء وكذلك أعداد الباخرتين «بورصه» و «الاسكندرية» وتوجيهها إلى

---

(1) د. عبد العزيز سليمان نوار ـ المرجع السابق ص432.

(2) د. عبد العزيز سليمان نوار ـ نفس المرجع ص433.

الأحساء ولاضطراب أمور العثمانيين فى العراق وضعفهم جعلهم يسندون عملية إخضاع هذه الحركة إلى الشيخ ناصر السعدون، الذى انتصر عليهم. وطاردهم فتوجه عبد الرحمن إلى الرياض فلما وصل الرياض وجد أخيه سعود فى النزع الأخير من حياته فتوفى فى 26 من يناير 1875 وذلك بسبب جراح أصيب بها فى معركة ضد أحد رؤساء القبائل عند غدير ماء يسمى طلال[1].

نظرا لضعف الولاة بعد مدحت باشا فإنهم أسندوا أمر الأحساء إلى مشايخ آل السعدون وهؤلاء لم تكن لهم مجهودات سوى المحافظة عليها[2]. يجب هنا التحدث عن التنظيمات التى أحدثها مدحت باشا في الأحساء وتتلخص هذه الأعمال فى أنه ضم الأحساء إلى الحكم المباشر وأعلن تنظيما إداريا جديداً فأصبحت متصرفة تسمى باسم لواء نجد واتبعت لوالى بغداد وعين محمد نافذ باشا متصرفا عليها وبذلك أصبحت نجد جزءاً من العراق، وقسمها إلى ثلاثة أقضية، القضاء الأول هو قضاء الهفوف وهو مركز الثقل ومكان لإقامة المتصرف، ثم قضاء قطر وعين عليها قاسم بن ثانى قائمقاما وبجانبه قائد عثمانى للإشراف على الحامية العثمانية، وقضاء القطيف وهو مركز التمويل للأقضية الأخرى[3].

وقد ألحق عبدالعزيز نوار الكويت بمتصرفيه نجد وتضم كذلك الأحساء[4] ولم تكن فيها قوات عثمانية كوجود عسكرى كما كانت الأحساء فلقد بقيت مسألة

---

(1)ـ د. حسين محمد حسين القهواتى ـ تاريخ الخليج الحديث والمعاصر ـ الصراع العثمانى البريطانى فى الخليج العربى خلال فترة 1871 ـ 1914 مجموعة دكاترة ـ صـ119 ـ صـ120.

(2) د. عبد العزيز نوار ـ المرجع السابق صـ434.

(3) د. محمد عرابى نخله ـ المرجع الساق ـ صـ176.

(4) د. عبد العزيز نوار ـ المرجع السابق صـ358.

تنظيم الشؤون الداخلية لشيخ الكويت، وعلل مدحت بأنها مستقرة وبغير حاجة إلى وجود حامية عسكرية فيها[1]. مع بقاء الكويت تحت السيادة العثمانية وعلاقة قوية مع البصرة.

مقاومة أبناء فيصل للوجود العثماني:

عادت الحملة من الأحساء في أواخر عام 1871[2] مع القوات الكويتية والقبائل المشتركة والعديد من الجنود الجرحى وكان يمكن للحملة أن تتقدم إلى الرياض لولا تفشى الأمراض فى صفوف القوات المشتركة اضطرابات الأحوال فى العراق أثناء تقدم الحملة حيث اضطر مدحت أن يوقف الدعم المقدم للحملة وذلك لدعم الوضع الداخلى بعد ثورة قبائل «شمر». شدة الطقس وطبيعة البلاد الصحراوية. مقاومة قبائل العجمان وال مرة للحملة وقد بدأت هذه المقاومة منذ البداية. ونتطرق للمقاومة منذ البداية وحتى نهايتها فقد بدأت هذه المقاومة عندما حاولت حاميات العجمان فى القطيف والدمام الصمود أمام الحملة منذ بداية تقدمها، إلا أن تعرضها للقصف المدفعى العنيف أدى إلى استسلامها. وهنا تراجعت قوات الأمير سعود الفيصل مع قبائل العجمان وآل مرة إلى الداخل بقصد استدراج الحملة إليهم وكان يخطط من وراء ذلك[3]. وأن يكون سعود أكثر حرية للعمل ضدهم. أن تتوقف الإمدادات عنهم بإبعادهم عن الساحل وأن يحرمهم من مساعدة أسطولهم ومدافعه وأن يضعهم فى دائرة مخاطر قطاع الطرق. إلا أن الحملة استطاعت رغم تعرضها لظروف صعبة وأمراض فتاكة أن تصل إلى الهفوف فى 1871 التى استسلمت لهم وغادرها حاكمها فرحان بن خير الله لإدراكه أن

---

(1) د. محمد عرابى نخله - المرجع السابق - صـ177.

(2) د. عبد العزيز نوار - المرجع السابق - صـ434.

(3) د. جمال زكريا قاسم - المرجع السابق - صـ195.

عرب الأحساء لا يرغبون في المقاومة بالإضافة إلى إعلان نائب الحملة الذى طمأنهم. ويمكن إجمال سبب عدم مقاومتهم فى[1]:

إن معظم سكانها وقبائلها من الفئات المعادية للسعوديين كبنى خالد الذين يعملون إلى إعادة حكمهم بالإضافة إلى وجود الشيعة أعداء السعوديين الطبيعيين. تعرض سكان الهفوف من قبل العجمان أنصار سعود. خوفهم من تهديد قائد الحملة لمن يقف ضده وعدم مقدرتهم على المقاومة لعدم توفر العتاد وعلى العكس كان العثمانيون من حيث توفر الأسلحة. هنا أرسل العثمانيون إلى عبد الله يستدعونه للقدوم إلى الأحساء فأراد سعود أن يتخلص من أخيه عبد الله لأن عبد الله هو الذى استدعى العثمانيين لمساعدته فأخذ يطارده إلى أن تلاقيا فى معركة قوية انتهت لصالح سعود فى مكان يسمى البرة فى 3 أغسطس 1871 إلا أن سعود لم يتمكن من القاء القبض على أخيه الذى فر إلى العثمانيين[2].

عاد إلى الرياض الأمير سعود إلا أنه أخرج منها لقيام الأهالى بثورة ضده، فما أسباب هذه الثورة؟ الضغط المتزايد عليه من قبل العثمانيين وفقد الأهالى الثقة به. دوره فى السماح لأنصاره فى التدخل فى شؤون أهل البلاد الداخلية وفرض الضرائب الباهظة عليهم، تقسيم سعود لبلاده إلى دوائر صغيرة وتعيين حكام عليها من أعوانه أدى بهم إلى محاولة الثورة للاستقلال مثل عمه عبد الله بن تركى، خروج أهالى القصيم عن طاعته ومحاولتهم تقديم خدماتهم للعثمانيين[3].

هذه العوامل التى أدت إلى خروجه وتعيين عمه الذى أعلن ولائه للعثمانيين

---

(1) حافظ وهبه ـ جزيرة العرب في القرن العشرين ـ صـ238.
(2) د. محمد عرابى نخله ـ المرجع السابق ـ صـ187.
(3) د. محمد عرابى نخله ـ نفس المرجع ـ صـ189.

أما سعود فإنه اجتمع مع شيوخ منطقة الخرج وطلب أن يجتمع بهم فى منطقة الزرنوته وقال لهم بأنه سيلحق بهم فى أقرب فرصة ممكنة ولكن يبدو أنه تأخر على أتباعه، وهم فى فترة صراع مع الزمن وأمام تأخيره هذا اضطر شيوخ المعسكر إلى إرسال وفد إلى العثمانيين لإعلان استقلالهم، وكان يرأس هذا الوفد راكان بن حثلين زعيم العجمان وتم لهم الاتفاق مع نافذ باشا ثم عادوا إلى معسكرهم فى هذا الوقت أرسل نافذ باشا الشيخ مبارك بن صباح إلى منطقة الزرنوبة من أجل التأكيد من نوايا ابن سعود[1] إلا أن سعود أكد له بأنه ستوجه إلى الأحساء من أجل تسليم نفسه (خلال يومين) وبعد مضى ثلاثة ولم يحضر سعود فبدأت الشكوك تساور نافذ باشا فأرسل الشيخ مبارك آل الصباح مرة أخرى إلى معسكر العجمان وما أن الشيخ وصل مبارك آل الصباح حتى أصيب بذهول نتيجة ما رأى من استعدادهم للزحف على الأحساء وعندما جلس مع سعود تبين له أن سعود نوى مقاومة العثمانيين حتى آخر رمق له. فعاد الشيخ مبارك آل الصباح وأبلغ القائد بذلك ولكن العثمانيون لم ينتظروا أن يشن عليهم الهجوم بل بدأوا به وشنوا هجوما عنيفا بقيادة حمدى باشا ودارت بينهما معركة حامية استبسل فيها العجمان إلا أنهم لم يحققوا نصرا على العثمانيين الذين تراجعوا إلى الهفوف فتراجع العجمان إلى معسكرهم سميت هذه المعركة بالخويراء وحدثت تقريبا فى عام 1871[2]. فى هذه الفترة كان عبد الله قد هرب من العثمانيين وتوجه إلى الرياض ووصلته رسائل من مدحت تستدعيه إلا أنه رفض ذلك

هنا أعلن مدحت انتهاء حكم آل فيصل وأعلن كذلك بأن الأحساء تابعة لحكمهم المباشر وتم ضمها إلى البصرة بعدما كانت تتبع «نجداً» والتى كانت تتبع

---

(1) د. محمد عرابى نخله - نفس المرجع - صـ189.

(2) إبراهيم صالح بن عيسى - تاريخ بعض الحوادث الواقعة فى نجد - صـ183.

بغداد هنا اضطر عبد الله إلى مهادنة أخيه سعود وذلك من أجل توحيد الجهود ضد العثمانيين. فى أبريل 1873 توحدت جهود الأخوة عبد الله وسعود ومحمد فى محاصرة القطيف وطلبوا من القائد العثمانى الذى بها أن يوافق على عقد معاهدة للسلام معهم وإلا فإنهم سيهاجمون المدينة فرفض القائد هذا التهديد وراح يستنجد من شيخ الصباح باعتبار الكويت يتبع العراق، فقامت الكويت بإرسال قوات من عرب البادية وتوجهوا إلى القطيف فى هذه الأثناء كان النجديون قد قسموا جيشهم فعبد الله مع قبائل الهواجر والدواسر وتوجهوا إلى مدينة الهفوف أما سعود فهو وقواته من العجمان وآل مرة توجهوا لمهاجمة القطيف ولكنه لم ينجح فى ذلك لأن سعود فشل فى منع القوات الكويتية من تقديم المساعدة للعثمانيين فاندحرت القوات السعودية امام قوة الجيش الكويتى ولولا تدخل الجيش الكويتى لأمكن لآل سعود من استرداد حكمهم. هنا عاد عبد الله إلى الرياض بينما بقى سعود فى البادية يهيم على وجهه بعد تخلى قواته عنه[1].

فى هذه الآونة كانت أحوال العثمانيين فى الأحساء تسير من سىء إلى أسوأ فظروف كلٌ من سعود والقوات العثمانية متشابهة وتنازل الطرفان عن بعض الأشياء قد يؤدى إلى اتفاق ينهى الخلاف والأزمة بينهما[2]. هنا استعان سعود بأحمد خان فى أبو شهر ليكون وسيطا له فى عملية إجراء الصلح مع الدولة العثمانية. فقام هذا بزيارة لرؤوف باشا والى بغداد ثم عاد للتفاوض مع سعود فقام بإرسال أخيه عبد الرحمن ورجل آخر هو فهد بن حنيتان وما إن وصل هذان الرجلان إلى بغداد حتى أُلقى بهما فى غيابه السجن وهذا التصرف آثار حفيظة قبائل العجمان فهبت إلى سعود لتقف بجانبه ضد العثمانيين إلا أنه فضل عدم

---

(1) إبراهيم صالح بن عيسى ـ نفس المرجع ـ صـ183.

(2) د. جمال زكريا ـ المرجع السابق ـ صـ195 ـ صـ196

مواجهتهم وضرورة تـوجيه جهوده ضد أخيه عبد الله فسـار فى قواته إلى عاصمة الخرج فقام عبد الله وأرسل جيشه إلى «الدلم» وكان على رأس الجيش أخيه محمد بن فيصل وعمـه عبد الله بن تركى فتحصن جيش عـبد الله فى «الدلم» فلما جاء سعود حاصرها حصارا شديدا اضطرها إلى الاستيلاء وفر محمد إلى الرياض. أما عبد الله بن تركى فقد أسر وسجن ثم توفى فى سجنه[1] ثم واصل سعود سيره إلى الرياض وفى طريقـه أخضع له بلدان عـديدة من نجد ثم هزم جـيش عبـد الله فى معركة الجزعـة الثانية فى بداية عام 1873، ثم تمكن من دخول «الرياض» وإعلان نفـسه حـاكمـا «للرياض». بينمـا هرب عبـد الله إلى الكويت وعـاش مع قبـائل قحطان[2] وفى مارس 1873 أخذ سـعود يلوح للمـقيم السـياسى البـريطانى فى الخليج العربى يطلب المعـونة والحماية، إلا أن الرد جاءه بأنه لا توجـد أى معاهدة تربط بينهما تنص على حـماية بريطانيا له كذلك طلب سعود من المـقيم السياسى البريطانى فى أن يتوسط له لدى السلطات العثمانية بضرورة إطلاق سراح أخيه عبد الرحمن وصاحبه فهد وتم له ذلك بفضل مساعدة بريطانيا[3].

يقول د. عبدالعزيز نوار بأن بريطانيـا كانت تسعى لأن تجمع الأخوين حلفاء بريطانيا الـطبيعـيين وتوحد جـهودهما ضـد الوجود العثـمانى فى الأحـساء التى أصبحت تهدد نفوذها فى الخليج العربى[4]. ثم إننا رأينا كيف استغل عبد الرحمن بعد عودته ثورة الأهالى على القوات العثمانية وقام بثورة حتى وصل إلى الرياض. ورأينا أنه وصلها فى الوقت الذى كان فيه سعود يحتضر[5].

---

(1) د. محمد عرابى نخله ـ المرجع السابق ـ صـ193.

(2) إبراهيم بن صالح بن عيسى ـ المرجع السابق ـ صـ185.

(3) د. محمد عرابى نخله ـ نفس المرجع ـ صـ194.

(4) د. عبد العزيز نوار ـ المرجع السابق ـ صـ433.

(5) أمين الريحانى ـ نجد الحديث ـ جـ5 ـ صـ100

بعد وفاة سعود تسلم مقاليد الحكم الأمير عبد الرحمن إلا أن أبناء سعود لم يعجبهم الوضع، الأمر الذى أدى إلى ثورتهم وبالتالى فـرار عبد الرحمن إلى أخيه عبد الله فى البـادية حيث يقيم مع قبـائل العتيبـة. ومن البادية زحف الاثنان على الرياض ودخلوها فهـرب أبناء سعود إلى بلده دلم فوفـد أهل نجد لمبايعـة عبد الله على الحكم إلا أن هذا اتسـم بضعـف نتيـجـة لشـدة الصـراع بين أفـراد البـيت السعودى[1]. وكان هذا الضعف فـرصة لتحقيق مآرب آل رشـيد فى التوسع على حساب السعـوديين كان عبد الله يرى بأنه لابد من وجود منفذ لنـجد على البحر، ولا سبيل إلى ذلك إلا عن طريق مكافـحة العثمانيـين فى الأحساء، لذلك بدأ فى إنهاء خلافـاته مع أبناء أخيه ثم قام بإرسـال قوات من العجمان إلى الأحـساء عام 1879 وحاصرت القطيف إلا أنها لم تسقطها وذلك بسبب الإمدادات العاجلة التى قدمت من الـعراق. هنا أدركت الدولة العـثمانيـة مدى الصـراع بينها وبين قـبائل الرياض وأخذت تـفكر فى هذا النزاع فسـاقها التـفكير إلى النـزاع الحادث بين آل رشيد حكام حائل و«شـمال نجد» وبين آل سعود فأخذت تميل كفـتها إلى آل رشيد على حساب آل سعود حتى إن محمد بن الرشيد شيخ جبل شمر تمكن من إخضاع الرياض له فى 1887م وكانت حجته فى ذلك مساعدة عـبد الله بن فيصل لتعرضه لهجوم من قبل أبناء أخيه سعود. فبـاستيلاءهم على الرياض أخذوا عبد الله معهم إلى حائل وعينوا سالم السبهان حـاكما عليها إلى جانب عبد الله[2]. ثم فى 1888 تخلص السبهان من أبناء سعود فألقى القبض عليهم فى الدلم ثم أمر بإعدامهم.

استدعى ابـن الرشيد عبد الرحـمن ليقيم مع عبـد الله فى حائل[3] بقى آل سعـود فى حائل حـتى عام 1889 حين سـمح لهم محمـد الرشيـد بالعودة إلى

---

(1) د. جمال زكريا قاسم - المرجع السابق - صـ198.

(2) د. جمال زكريا قاسم - نفس المرجع - صـ198 - صـ199.

(3) إبراهيم صالح بن عيسى - المرجع السابق - صـ194.

الرياض كحاكم مستقل إلا أن عبد الله ما كاد ليصل حتى توفى فى 26 نوفمبر 1889. فآل الحكم إلى عبد الرحمن الفيصل الذى كان دوما يعمل على اكتساب صداقة العشائر النجدية من أجل استرجاع بلاده. وبالفعل تمكن من أن يعقد حلفا مع زعماء القصيم ضد ابن الرشيد وكان ابن الرشيد لا ينفك يتجنب الفرص للقضاء على أفراد البيت السعودى، وكان عامله على الرياض سالم السبهان هو الإدارة المخططة لعملية التخلص فساق سالم تفكيره إلى استغلال فترة عيد الفطر لمهاجمة عبد الرحمن أثناء ذهابهم لتهنئته بالعيد ولكن يبدو أن عبد الرحمن كان متيقظ لتطلعاتهم حيث علم بالخطة فوضع هو خطة مضادة ومحكمة للقضاء عليهم فلما قدموا إليه مهنئين وجلس إلى جانبه أومأ عبد الرحمن لأعوانه بالانقضاض عليهم فدارت بينهما معركة ترية قتل فيها الكثير من أعوان سالم بينما تمكن من الهروب بعد أن أصيب بجراح وبهذه الواقعة استعاد عبد الرحمن الرياض. فبايعه أهل القطيف ضد العثمانيون لوقوع خلاف معهم(1).

ما إن علم ابن الرشيد بذلك حتى طار إليه وأعلن الاستعداد للتوجه إلى الرياض لاستعادتها فتم له حصارها عدة أسابيع ولكن أتباعه من الشمريين كانوا يريدون العودة إلى بلادهم فاضطر إلى رفع الحصار عائدا بعد أن قبل تسوية معقولة مع عبد الرحمن على أن تكون هذه التسوية فى حائل ولكن ما كاد ابن الرشيد أن يغادر الرياض حتى جمع عبد الرحمن جيوشه ولحق بابن الرشيد للقضاء عليه فدارت بينها معركة قوية كانت فى البداية لصالح عبد الرحمن إلا أن كفتها رجحت لابن الرشيد فيما بعد وسميت هذه المعركة بالمليداء وكانت فى عام 1891م. ثم عاد ابن رشيد مرة أخرى لحصار الرياض فتنافر أهلها فى شدة الحصار وطالبوه بالاستسلام وهنا جمع عبد الرحمن عائلته وتوجه بها إلى الأحساء(2).

---

(1) صلاح الدين المختار - تاريخ السعودية العربية فى ماضيها وحاضرها - جـ1 - صـ385.

(2) صلاح الدين المختار - نفس المرجع - جـ1 - صـ387.

وظل فترة من الزمن يتنقل فى بادية الأحساء إلى أن أرسلت إليه الدولة العثمانية من يعلمه بأنها سوف تعينه حاكما على الرياض شريطة بقاء قوات عثمانية إلى جانبه إلا أنه رفض لعدم ثقته فيها. ثم توجه إلى قطر - إلا أن شيخ قطر هدد بألا يقبله للعيش معهم - فغادر الأمير عبد الرحمن إلى واحة بيرسيف وبقى فيها فترة ثم عاد إلى الأحساء بناء على طلب متصرفها واقترح له أن يعيش فى الكويت مقابل أجر معين مقداره ستون ليرة شهريا[1].

بقى عبد الرحمن فى الكويت حتى تمكن ابنه عبد العزيز بمساعدة حاكم الكويت الذى حارب قوات ابن الرشيد من استعادة الرياض فى عام 1902. وبهذه الطريقة يمكننا أن نقول بأن أبناء فيصل بن تركى رفضوا الوجود العثمانى منذ بدايته وقاوموه مقاومة عنيفة، واستقرت هذه المقاومة حتى حين طردوا من بلادهم وكانت هذه المقاومة عن طريق الرفض[2].

العلاقات بين العثمانيين والمشيخات:

حدث فى 1874 ما كان متوقعا حدوثه فى مجال العلاقات بين العثمانيين والمشيخات، ذلك أن ضابطا كبيرا من رئاسة الأركان العثمانية هو القائد فريق باشا قام بزيارة الأحساء.

يبدو أنه اقتنع بوجهة نظر ضابط الأركان هناك بضرورة التحرك جنوبا على ساحل شرق الجزيرة العربية نحو ساحل عمان وعمان وإثارة المشاعر الدينية الإسلامية عند المشايخ لإبعاد النفوذ البريطانى عن المنطقة وبالفعل فقد وصلت إلى كل من الشيخ زايد بن خليفه حاكم أبوظبى والشيخ حشر بن مكتوم حاكم دبى رسائل موقعة من يوسف أفندى قائد الحامية العثمانية فى قطر يؤكد لهم فيها رغبة

---

(1) د. جمال زكريا قاسم - المرجع السابق ص183.

(2) د. صلاح العقاد - التيارات السياسية فى الخليج : ص152.

الحكومة العثمانية فى التفاهم مع كافة المشايخ وحكام المنطقة لتنظيم علاقات جديدة فى الأمور السياسية والتجارية، ويبدو أن الرسائل المرسلة إلى الشيخ زايد تضمنت فقرة أن منطقة العديد تعتبر من المحميات العثمانية وأنه لاحق للشيخ زايد فيها، ولذلك فإن الشيخ زايد لم يتعاطف كثيرا مع الدعوة العثمانية بقدر ما تأثر بموضوع العديد الذى بدا وكأنه سيقلب من يده إذا لم يتدارك الأمر بسرعة ولذا فإنه انتهز فرصة وجود (المقدم روس) فى المنطقة فذهب لزيارته وشرح له الأبعاد الجديدة لقضية العديد وأبلغه بأمر الرسالة التى استلمها من الضابط العثمانى يوسف أفندى وكرر مطالبته بألا تتدخل بريطانيا فى شؤونه الداخلية وأنه ينوى مهاجمة العديد. فطلب المقدم روس من الشيخ زايد أن يريه رسالة الضابط العثمانى ولكن الشيخ زايد ادعى بأنه فقدها وأنه سيرسلها إليه عندما يجدها. وعندما عاد المقدم روس إلى مقره فى بوشهر بعث برسالة إلى زايد يحذره فيها من اتخاذ أى خطوة عسكرية ضد العديد وهكذا جمدت بريطانيا هذا الموضوع الحساس سنة أخرى[1].

البحرين:

أما البحرين فلم تظهر السيادة العثمانية فيها واضحة بها إلا فى ظروف مؤقتة وقصيرة للغاية وفى إبان تفكك داخلى عانته الإمارة ويبدو أن شيوخ البحرين أنفسهم لم يمانعوا فى إعلان تبعيتهم للدولة العثمانية تخلصا من النفوذ البريطانى الذى كان يضغط عليها. كما أنه فى عام 1858 أتيحت للدولة العثمانية الفرصة بأن تبعث إلى البحرين وفدا عثمانيا مؤلفًا من بعض شيوخ البصرة وبغداد وقد نجح الوفد فى إعلان تبعية البحرين للدولة العثمانية ووافق شيخها على رفع الراية العثمانية وإبقاء ممثل من قبل الدولة فى مشيخته على أنه لم يلبث أن اضطرت كل من البعثة العثمانية وكذلك الممثل العثمانى للإنسحاب إثر احتجاج بريطانى صارم.

---

(1) د. صلاح العقاد ـ نفس المرجع ص152.

فقد بالغ البـريطانيون كعادتهم فى تصوير أطماع الدول الأخـرى فى شرق الجزيرة العربية حتى ولو كان الأمر متعلقا بدولة غيـر أجنبية عن المنطقة كالدولة العثمانية، إذ أن كـثيـر من عرب شـرق الجزيرة العـربية كـانوا يسلمـون لها بزعـامة العـالم الإسلامى. أما السلطات البريطانيـة فقد ذكرت أن امتداد العثمانيـين يهدد استقلال شيوخ القبائل ومن الجـدير بالذكر أن مفهوم الاستقلال الذى اسـتخدمته السلطات البريطانية يخـتلف تماما عن مفهومـنا فى الوقت الحاضر فهو يعنى وجـود سياسى لمنطقة معـينة بصرف النظر عن كون هذا الكيـان خاضعا لدولة أخرى أو مـوضوعا تحت حمـايتها وحتى لو أخـذنا بهذا المفهوم لـلاستقلال فـإن العثمانيـين لم يلغوا كيانات القـبائل العربية ولم يـعتبر وجودهم فى قطـر مثلا متنافيـا مع بقاء آل ثانى كأمراء لشبه الجزيرة، وفضلا عن ذلك فإن العثـمانيين ساعدوا آل صباح بعد حملة الأحساء على توسيع نفـوذهم وفضلوا فى نهاية الأمر الإدارة غير المباشـرة فعهدوا إلى رؤساء قبليين كابن عريعر زعيم بنى خالد بإدارة مناطق الأحساء(1).

كان البـريطانيون يرجون أن يقف الزحف العثـمانى عند الأحسـاء، غير أن تحول قـاسم آل ثانى إلى محـالفة العـثمانيـين أفسـد حسابات بريطانـيا، وبمجىء العثمـانيين إلى قطر أثيرت مسـألة حدودها الجنوبية فى خور العـديد، وهى منطقة مجـدبة تتكون من تعاريج خلجـانية تقع عند قاعـدة شبه الجـزيرة القطرية. ولولا وقوع هذا النزاع واستمروا فترة طويلة لما دخلت خور العديد فى حسابات التاريخ. وفى ذلك الحين كـانت قبيلة القـبيسات تسكـن الخور وقد هاجرت إليـه فرارا من حكم البوفلاح فى أبوظبى ويبدو أن شيخ القبيسات بطى بن خادم تطلع إلى تكوين مشيـخة مستقلة أسوة بجـيرانه بتحريض من الاستـعمار المسيحى البـريطانى نفسه ولكن مجى القوات العثمانية إلى قطر واتجاهها نحو العديد غير من سياسة بريطانيا من مؤيد إلى معارض ضد القـبيسات خوفا من التوجه العثـمانى إلى ساحل عمان

---

(1) د. جمال زكريا قاسم ـ المرجع السابق ص184.

وعمان. فكتب شيخ القبيسات إلى المقيم السياسى البريطانى فى عام 1869 شارحا موقفه على النحو التالى[1]:

جئنا فى الأصل من أبوظبى، غير أننا منذ أيام جدى صرنا تابعين لقطر ونحن نريد الآن أن نضع هذا المكان تحت الحماية البريطانية. فنرجوا أن ترسلوا لنا راية وكتابا لكى تكون دليلا على ذلك. وإذن فإن شيخ القبيسات يعتبر الحماية البريطانية أساسا لتكوين مشيخته، أو للاستقلال حسب التصور البريطانى. ولو قبل البريطانيون هذا لتكونت فعلا مشيخة عربية جديدة جنوب قطر.

لم يكن بوسع السلطات البريطانية أن تتخذ موقفا واضحا إزاء تلك المنطقة غير المعروفة، ويبدو أنها اعتبرت خور العديد تابعا لقطر عند عقد الاتفاق مع آل ثانى عام 1868 ثم أملت المصالح الخاصة على بريطانيا تغيير موقفهم بعد مجىء العثمانيين واتصالهم بشيخ القبيسات. ورأى بيلى المقيم السياسى البريطانى أن الحيطة تقتضى اعتبار خور العديد جزءا من أبوظبى، .لا تركها مشيخة صغيرة مجاورة للعثمانيين لأنها فى هذه الحالة قد تطلب حمايتهم كما فعل آل ثانى. وقد عرف، الشيخ زايد بن خليفه حاكم أبوظبى هذه المخاوف البريطانية واستغلها فادعى بأن العثمانيين راسلوه مطالبين بخور العديد، وأنهم أرسلوا علما عثمانيا إلى بطى بن خادم شيخ القبيسات الجديد. وهكذا دفع بالبريطانيين إلى استخدام القوة لإجبار شيخ القبيسات على رفع علم الهدنة البحرية ولكنهم لم يعلنوا رسميا أن الخور جزء من مشيخة أبوظبى إلا فى عام 1905 وفى هذه الأثناء لم تنقطع المنازعات بين قطر وأبوظبى، واشتعلت بين المشيختين حرب طويلة (1881 - 1890) أيد البريطانيون خلالها صديقهم شيخ أبوظبى واستخدموا القوة أكثر من مرة ضد قطر.

---

(1) جون. ب. كيلى - جـ1 - المرجع السابق ص538.

تختلف مفهوم الدولة والسيادة عند العثمانيين عن وقتنا الحاضر، فهى تبنى أحيانا على الزعامة الروحية وأحيانا على القهر العسكرى ولكنها لا ترتبط بالأرض والمواطن كما هو متعارف عليه فى عصرنا وعلى ذلك فمن الصعوبة بمكان تحديد مدى امتداد السلطة العثمانية على شاطىء جزيرة العرب. وقد بسط البريطانيون نفوذهم على الساحل الجنوبى دون أن يحدث ذلك رد فعل الدولة العثمانية.

الوضع الداخلى للأحساء أثناء الوجود العثمانى:

يمكننا أن نصف الحكم العثمانى من بدايته بأنه حكم عسكرى ورغم هذا تمكنت القبائل العربية وخاصة «العجمان» و«المرة» من القيام بثورات عديدة لسوء المعاملة التى لاقوها، ولتذمرهم من الضرائب المفروضة عليهم، لذلك اتجه العثمانيون إلى أسلوب آخر فى الحكم هو نظام الحكم المحلى(1)، ذلك لأن حكمهم المباشر أثبت فشله لعدة أسباب: النفقات الكثيرة التى ينفقونها على وجودهم العسكرى فى المنطقة. قسوة المناخ وفقر البلاد. البعد عن مركز العاصمة العثمانية. فأصدروا أمرا إلى الشيخ ناصر السعدون العمل على تعين متصرف للبلاد من أهلها فوقع اختياره على صهره الشيخ بركه بن عرير زعيم بنى خالد(2) ثم بعد ذلك تم تعين مزيد بن ناصر السعدون متصرفا على الأحساء بعد ثورة عبد الرحمن، ولكن السياسة التى اتخذها آل سعدون أظهرت قبائل تدين بالولاء لشيوخها وتجلى ذلك فى ثوراتها فى 1878 ـ 1879، أمام هذه الثورات لجأت الدولة العثمانية إلى العمل على القضاء عليهم إلا أن هذا الإجراء لم يمنع الأحوال من التردى خاصة بعد إجلاء الدولة العثمانية حامياتها عن الأحساء حيث أخذت القبائل بالتمرد وبالإغارة والسلب والنهب ولم تكتف بذلك بل اعتدت فى البحر واستولت على القوارب والسفن وبلغت تلك الأعمال قمتها عامى 1879 ـ 1880 حيث ذاعت فيها شهرة

(1) امين الريحانى ـ المرجع السابق ـ صـ106.

(2) محمد عرابى نخله ـ المرجع السابق ـ صـ200.

حسين بن زيد بن محمد من قبيلة الهواجر الذى روع الأمن فى الخليج العربى بأعماله البطولية ضد المصالح البريطانية الاستعمارية فى المنطقة مما أدى إلى تأزم العلاقة بين بريطانيا والدولة العثمانية تقدمت بريطانيا بأكثر من احتجاج على هذه الأعمال إلا أن الدولة العثمانية كانت تقابله بالامبالاة.

هاجمت قوافل العجمان العثمانيين فى مراكزهم إلا أن العثمانيين علموا بخططهم هذه مسبقا فتصدوا لهم وكبدوهم خسائر فادحة وهنا اتخذت الدولة العثمانية إجراءات عديدة من أجل إعادة السلم إلى البلاد وبالفعل تمكنت من ذلك فاتسمت الفترة ما بين 1880 ـ 1890 بهدوء نسبى حيث خفت حدة الأعمال العدوانية كما فى عام 1887. إلا أن هذه الأعمال تجددت فى عام 1891 عندما قامت قبيلة آل مرة وبنو الهواجر والمناصير بمهاجمة قافلة عثمانية وقتلوا حراسها وجرح الباقى واستولوا على كل ما فيها، فاضطرب أمن البلاد وحاول والى البصرة لتدعيم النظام فى البلاد إلا أن القبائل العربية لم تكف عن أعمالها العدوانية. وإجراءات الدولة العثمانية هذه لم تمنع قبيلة الهواجر من أعمال الاعتداء والغارات فى 1899م والعام الذى تلاه حيث استولوا على قوارب بحرينية وسرقوا أموال تجار أحسائيين، فأرسلت الدولة العثمانية قواتها لمهاجمة الهواجر وتم أسر بعض شيوخها ومصادرة أملاكهم لدفع تعويضات للتجار[1].

طالب زعماء آل مرة والهواجر فى عام 1902 بزيادة رواتبهم فرفضت الدولة ذلك لذا قاموا بمهاجمة قافلة عثمانية فى مكان يسمى قهرية ونكلوا بحراسها واستولوا على مليون روبية وكل البضاعة. فغضب الوالى لذلك فعين متصرف جديد هو السيد طالب النقيب الذى قام بمهاجمة آل مرة فى الزونوبة ونكل بهم وصادر أموالهم ومواشيهم وأصدر أمر يمنع التعامل معهم. ثم عزز القوات فى جزيرتى المسلمية والجنة. ورغم هذه الإجراءات استمر الهواجر فى السلب وظهر

---

(1) محمد عرابى نخله ـ المرجع السابق ـ صـ203.

منها زعيم جديد هو أحـمد بن سلمان من الأسرة الحاكمة فى البـحرين يقوم بهذه العمليـات فحاولوا القبـض عليه ولكنهم فشلوا. وهنا أفلت زمـام الأمر من يدها ولم تستطع الدولة أن تقر الأمن حتى فى المدن حـيث تعرضت الهفوف فى 1906 لغارة من قبل العـجمان الذين قتلوا الكثير مـن السكان والجنود وانتهت هذه الغارة بالصلح معـهم. وفى عام 1907 اعتـرض أهل مدينة مـبرز قـافلة تموين ودارت معركة انتهت بالكثير من القتلى من جـانب الطرفين. وان كان النصر لصالح قبيلة العجـمان. وفى السنوات الأربع الأخيرة من الحـكم العثمانى للبـلاد (ظهرت) أو (حدثت) نوبة من أعمال السرقة والنهب من قبل العجمان وآل مرة[1].

الأمير عبدالعزيز:

صحب عبدالعزيز والده عبد الرحـمن فى ترحاله حتى استقروا فى الكويت كان هذا وهو فى التاسعـة من عمره فنشأ فى قصر الشيخ مـبارك آل صباح. وهو المعروف بحنكته السياسية وذكائه فتلقى على يده أصول السياسة الأولية وكان لرأى الشيخ مبارك وتأييده لحـقها فى استرجاع ملكها أكبر الأثر فـيما حدث بعد ذلك. وكان لموقف مـبارك هذا أن أخذ آل رشـيد يضيـقون عليـه الخناق الأمر الذى دفع الكويت إلى عقـد معاهدة حمـاية مع بريطانيا فى 1899 ثم إن الشيخ مـبارك فى أوائل عام 1901 قام بغزو نجد بمرافقة الأميـر عبد العزيز ثم زحف عبد العزيز إلى الرياض بجيش صغير وتمكن من إخضاعها له ولكنه لم يتمكن من إخضاع حاميتها له وذلك لتحصن قوات آل رشيد فيـها. فى هذه الأثناء كان الشيخ مبارك يخوض معركة ضـد أعدائه فى مكان يسمى الصريف فى 16 فبراير 1901 انتهت بخسارته

---

(1) محمد عرابى نخله ـ نفس المرجع ـ صـ205.

وعودته إلى الكويت هنا اضطر عبـد العزيز إلى ترك الرياض والعودة إلى الكويت بعد أن بقى فى الرياض مدة أربعة أشهر(1).

توجه عـبد العزيز فى نهـاية عام 1901 إلى الأحساء مع أربـعين رجلا من أعـوانه وأخذ هناك يغـيـر على بعض المدن فى نجد ثـم جمع الرجـال الموالين له واستطاع أن يكون منهم قوة وصلت إلى 2000 رجل ولكن عندما علم آل رشيد بأمره أرسلوه إلى والى البـصرة يعلمونه فـأمر متصـرف الأحساء بمنع عبـد العزيز ورجاله من التزود بالمؤن ومقاومـتهم ونجح هذا الأمر الذى أدى إلى تخلى الرجال عنه ولم يتبق معـه إلا أصحابه الأربعين القدامى مـع عدد قليل من الرجال، هذه الإجراءات لم تخف من عزمه بل زادته قوة فتوجه معهم إلى الرياض فى غفلة من الحاميـة الرشيدية وحاصر قلعتـها ثم دخلها فى 15 يناير 1902. فكانت هذه هى بداية حياة ابن سعود من جديد(2).

غادر عـبد الرحـمن الكويت بعد هذا النـجاح وتوجه إلى الريـاض بعد أن أرسل إلى المقيم السـياسى فى بوشهـر يعلمه بأن روسيـا عرضت عليه مسـاعدات ولكنه رفضهـا لتفضيله التـعامل معهم إلا أن بريطانيـا لم ترد عليه فى هذا الوقت أخذ عبـد العزيز يحاول مد نفوذه إلى نجـد ويوسع قاعدته على حسـاب آل رشيد فحـاول ضم القصيم إليه الأمـر الذى أغضب الدولة العثـمانية فـأرسلت فى مايو 1904 قوات تعـزز بها قوات آل رشـيد فأرسل عـبد العزيز احـتجاجـا إلى المقيم السيـاسى البريطانى (السيـر برسى كوكس) لتدخل العـثمانيين فى أمـلاكه إلا أن بريطانيا لم تـرد بشىء لأنها كانت لا تريد التـدخل فى الشؤون الداخليـة للجزيرة العـربية. أمام هـذا خاض عبـد العزيز حـربا ضد آل رشـيد ومـساندتهـا الدولة

(1) أمين الريحانى ـ المرجع السابق ـ ص119.
(2) أمين الريحانى نفس المرجع ـ ص 121، محمد عرابى نخله ـ المرجع السابق ص228.

العثمانية. واستطاع أن ينتصر عليهم فى معركتين هما البكرية وشنانه فى نهاية عام 1904. بالتشاور مع بريطانيا وافق عبد العزيز على الدخول فى مفاوضات مع الدولة العثمانية ووافق على أن تكون القصيم منطقة محايدة ترابط فيها قوات عثمانية. وفى أثناء هذا قامت ثورة فى اليمن عام 1904 اضطرت فيها الدولة العثمانية أن تسحب قواتها من القصيم لتعزيز قواتها فى اليمن فاغتنم عبد العزيز هذه الفرصة وهاجم آل رشيد عام 1906 وهزمهم فى معركة روضة المها وقتل فيها زعيمهم الأمير عبد العزيز بن متعب[1].

توجهت القوات العثمانية من القصيم إلى العراق وبعضها اتجه إلي المدينة المنورة وبذلك خضعت له بعض أجزاء نجد أما الأجزاء الباقية فكانت تحت حكم الرشيد. ففى عام 1906 أرسل ابن سعود بأنه يرغب فى عقد معاهدة حماية مع بريطانيا على أن يسمح لهم بوجود وكيل سياسى بريطانى لهم فى بلاده ولكن «بريدو» لم يهتم بهذا الأمر إلا أن الميجور كوكس كان يدرك حقيقة الأمر وأن عبد العزيز هو صديقهم القديم ويمكن الاعتماد عليه فى تحقيق الأهداف البريطانية ضد العثمانيين فى المستقبل وأنه يمكن تقديم الحماية البريطانية لابن سعود وأجمل فى رسالة وجهها إلى الحكومة فى الهند فوائد إقامة علاقات معه فى[2]: أن بدعمها له سيساعدها على القضاء على المقاومة العربية ضد بريطانيا فى الشمال. أن تفاهمها معه سيطمئن وسيحسن علاقة سلطان عمان وحكام ساحل عمان معها. أن رفضها للتفاهم معه قد يوحد جهود أهل المنطقة وسيستنجدون بدولة أخرى. الا وهى الدولة العثمانية. ثم إن عبد العزيز أخذ يراسلهم عن طريق شيخ قطر فى أكتوبر عام 1906 وجاء رد الحكومة البريطانية عن طريق كوكس بأنها لا تقوى على عقد

---

(1) د. محمد عرابى نخله - المرجع السابق - صـ229.

(2) أمين الريحانى - المرجع السابق - صـ163.

معــاهدة معه وأنه يجب ألا يتــوقع رد منها[1]. هنا بدأ عبــد العزيز بالتقــدم نحو ساحل الأحساء. وكانت لديه أسباب عديدة لإخضاعها له:.

لإدراك ابن سعــود أهمية وجــود منفذ لبلاده على البــحر[2]. الأحساء هو موطن قبائل العجمان وآل مرة وهى تقوم بمهــاجمة القوافل التابعة له سواء الذاهبة أو الآتية من الكويت فيجب إخـضاعها. وهي قاعدة العثمانيــين ومنها يمد العون لابن الرشيــد ضد السعوديين ســابقا[3]. الوضع الداخلى السيء والفــوضى جعل وضع الحاميــة مشجعة على مهــاجمتها. بقى عبــد العزيز فترة طويلة يتحيــن فيها الفرصة للهجوم واتــته هذه الفرصة فى عام 1911 عندما اندلعت الحرب بين إيطاليا والدولة العثــمانية. ثم فى العــام التالى 1912 اندلعت الحرب مع البلقــان هنا أخذ عبد الــعزيز يعد العدة للزحف عليــه. رفى 13 أبريل 1913 زحف بقوات قــوامها 600 جندى توجه بهم إلى آبار الخــفس ومنها غادر إلى الأحســاء ونزل قريبا من الهفوف. وعندما سأله متصرف الأحــساء عن مقصده أجابه بأنه جاء لتأديب بعض القبــائل فقط وجاء ليــتزود بالمؤنة ثم يغادر الــبلاد. وبالفعل أرسل من يشــترى له التمر وبعض والحاجات الأُخَر وربما كــان هؤلاء جواسيس له كان يقصدهم هو أن يروا المدينة عن كثب ويطلعــوا على تحصيناتهــا. كان بالمديه 200 جندى عثمانى وحامية صغيرة فى القطيف مع غــيرها فى نواحى متفرقة. فى مساء 1913 من يوم 8 مايو اجتمع بقواده ووضع معهم خط الاقتــحام وعند منتصف الليل زحفوا إليها متسترين بســعف النخيل. واستطاعوا إخضاعها لهم قــبل أن يصح العثمانيون من نومهم. وعنــد الصباح اســتسلم متــصرف الأحــساء ومنحهم عــبد العــزيز الأمان

(1) د. جمال زكريا قاسم ـ المرجع السابق ـ صـ306.
(2) د. جمال زكريا قاسم ـ نفس المرجع ـ صـ309.
(3) د. محمد عرابى نخله ـ المرجع السابق ـ صـ331.

ورحلهم إلى العقير ثم إلى البحرين. وقد حاول العثمانيون مهاجمة الأحساء من خلالها ولكن عبد العزيز احتج على ذلك وأرسل احتجاجة إلى الشيخ عيسى حاكم البحرين وإلى المقيم السياسي البريطاني مع عرض رغبته في الحماية البريطانية[1].

بعد أن أخضع عبد العزيز الأحساء عين عليها ابن عمه عبد الله بن جلوى ليدير شؤونها وليحفظها من اعتداءات القبائل فأخذ عبد الله إدارتها. هنا أدركت الدولة العثمانية بأنه لا فائدة من محاولة استعادة الأحساء بالقوة واتبعت أسلوب المفاوضات معه. فأرسلت إليه وفد برئاسة السيد طالب النقيب فالتقى عبد العزيز بهم في منطقة الصبيحة في أبريل سنة 1914 وعرض طالب النقيب شروط الدولة العثمانية على عبد العزيز وهي: أن يقبل سيادتها على نجد. أن يكون متصرفا على الأحساء لمدة عشر سنوات قابلة للتجديد. أن يوافق على وجود حامية عثمانية في العقير. أن يدفع 6000 ليرة سنويا للبصرة. ألا يعقد معاهدة وأن يخضع لمعاهدات الدولة العثمانية. انتهت هذه المفاوضات بموافقة عبد العزيز وفي عام 1914 وبالذات في 15 مايو وافقت الدولة العثمانية على تعين عبد العزيز واليا على نجد والأحساء وأصدر فرمان بذلك. ويجدر بنا أن نذكر هنا أن بريطانيا اعتبرت حاكم نجد يخضع لجميع الاتفاقيات العثمانية التي وقعت قبل عام 1913[2].

علاقة بريطانيا بابن سعود وسيطرته على الأحساء:

بعد أن تم لعبد العزيز فتح الأحساء أصبح يتمتع بمركز دقيق في الساحة الخليجية وذلك لأنه غدا جارا لبريطانيا وبالتالي قامت هي بالتقرب إليه ضد الدولة لعثمانية وكانت الدولة العثمانية تتقرب إلى ابن الرشيد وتمده بالمال والسلاح. في

---

(1) د. محمد عرابي نخله - نفس المرجع - صـ232.

(2) د. جمال زكريا قاسم - المرجع السابق صـ312.

هذا الوقت كانت أهمية عبد العزيز قد قويت لأنه سيطر على الأحساء وخاصة ميناء العقير والقطيف. هذا الأمر جعل بريطانيا تعيره الكثير من انتباهها وكان عبد العزيز قبل اتصاله ببريطانيا كان يستشير الشيخ مبارك في الأمر فلم يشجعه الشيخ مبارك عليها والظاهر أن مبارك كان لا يريد أن يمتد نفوذ عبد العزيز إلى الخليج العربي ويتعدى الجزيرة العربية ولكن عندما علم عبد العزيز بنيته بدأ يتوسع في علاقاته الخارجية. فأنشأ علاقات مع الدولة العثمانية. إلا أن وصول عبد العزيز إلى الخليج العربي وإخضاعه للعقير، أدى إلى تخوف مشايخ الساحل العماني منه، الأمر الذي دفع بريطانيا إلى تهدئتهم أو إقناعهم بأن ابن سعود من اتباع بريطانيا. فبوصول عبد العزيز إلى ساحل الخليج العربي دب الذعر في قلب حاكم قطر قاسم بن ثاني خوفًا من يتجه إليه عبد العزيز ليسيطر على بلاده وبالفعل فقد هدد الشيخ قاسم بن ثاني كثيرا وكانت تنشب بينهما حرب إلا أن الموت كان أسبق للشيخ قاسم فتولى بعده ابنه الذي هادن عبد العزيز[1].

أما بالنسبة لشيخ أبوظبي حمدان بن زايد فسارع بالتسلح وإلى عقد معاهدة مع سلطان عمان وغيره خوفا من اتجاه عبد العزيز إليه. وكان رد الحكومة البريطانية عليه بأن اعتمدت على التعصب القبلي كأداة لمعارضته فقد أيدت كل من مسقط وأبوظبي ودبي وهي مناوئة ضد حكم ابن سعود والثابت أن عبد العزيز قد أرسل رسالة لسلطان عمان يدعوه لأن يعلن تبعيته لنجد وإلا سيزحف إليه ابن سعود[2] وأمام هذه التطورات الخطيرة لجأت بريطانيا لتهدئة ابن سعود ففي نهاية عام 1912 عقد وكيلي بريطانيا السياسيين في الكويت والبحرين اجتماعا مع عبد العزيز في العقير، وكان هدف هذا الاجتماع هو التمهيد لأن يقف عبد العزيز

---

(1) د. جمال زكريا قاسم - نفس المرجع - صـ317.

(2) أمين الريحاني - المرجع السابق - صـ212.

بجوار بريطانيا ضد أى نفوذ لألمانيا. مقابل الحماية البريطانية. وتم فى هذا الاجتماع على الاتفاق على التالى: أن تبقى البحرين تحت الحماية البريطانية. أن تكون المناطق الداخلية من عمان لعبد العزيز. أن يتعهد عبد العزيز بالمحافظة على مصالح الرعايا البريطانيين. أن تحمى بريطانيا عبد العزيز من البحر ضد أى اعتداء. ولكن الظاهر أنهم لم يتوصلوا لأى اتفاق بشأن الأسلحة الداخلية وبشأن عمان فمن المؤكد أن هذا اللقاء لم يتمخض عنه شيئا سوى تأكيد العلاقات الودية بينه وبين بريطانيا. بعد نشوب الحرب العالمية الأولى زاد اهتمام بريطانيا بالجزيرة العربية فأرسلت ضابط الاستخبارات الكابتن شكسبير فى نهاية عام 1914. إلى عبد العزيز الذى استقبله فى عاصمته. وكان غرض بريطانيا من هذه الزيارة شيئين هما: توجيه قوات بن سعود ضد الرشيد حيث إن قوات قبائل الشمر منعت القوات البريطانية من احتلال العراق وخاصة البصرة حيث إن الرشيد زعيم شمر كان يشن هجمات ضد قوات الاحتلال البريطانى ومنعها من احتلال جنوب العراق ولتخفيف الضغط عن جيش الاحتلال البريطانى. عمل ابن سعود شن هجمات ضد ابن الرشيد حتى لايتمكن الأخير من محاربة قوات الاحتلال البريطانى فى جنوب العراق. وأن تضعف العثمانيين عن طريق القضاء على آل الرشيد[1].

وكان ضابط الاستخبارات البريطانى شكسبير قد زود بوصايا خاصة من المقيم السياسى برسى كوكس بشأن جعل عبد العزيز يحارب الدولة العثمانية مقابل تعهد بمساعدته إذا ما أعلن الحرب عليهم وهاجم الشام أو العراق. وأعيدت هذه المطالب على عبد العزيز فى السنة التى تلتها وأعلن رغبته فى إقامة علاقات حماية مع بريطانيا وفى رسالة وجهها ضابط الاستخبارات شكسبير إلى المقيم السياسى البريطانى بتاريخ 15/1/1915 جاء فيها أن عبد العزيز يرغب فى عقد معاهدة الحماية مع بريطانيا وإلا فإنه سيضطر إلى أن يتجه إلى الدولة العثمانية. والشاهد

(1) د. جمال زكريا قاسم - المرجع السابق - ص318.

هنا إصرار ابن سعود على عقد الحماية مع بريطانيا، بسبب خوفه من أن تقوم قوات الوالى العثمانى فى العراق باحتلال نجد والأحساء باعتبار أنها تابعة للدولة العثمانية فى حين أن الحماية البريطانية تؤدى إلى اعترافهم بسيادته عليها. غير أن هذه الحماية البريطانية لم تعقد إلا فى 26 ديسمبر 1915 وذلك عندما اجتمع برسى كوكس مع بن سعود بدارين وجاء فيها: أن تعترف بريطانيا بأن نجد والأحساء والقطيف وملحقاتها على الخليج العربى تابعة لعبد العزيز. وأن يكون ابن سعود تحت الحماية البريطانية. أن تساعد بريطانيا ابن سعود ضد أى دولة أجنبية. أن يتعهد ابن سعود بألا يعقد أية اتفاقية أو معاهدة إلا بموافقة بريطانيا. أن يتعهد ابن سعود بألا يمنح أى امتياز لاستغلال أراضيه لأية دولة إلا لبريطانيا. أن يلتزم ابن سعود بألا يعتدى حكومات جيرانه(أ) فى الكويت والبحرين وقطر والساحل العمانى الذين لبريطانيا معهم معاهدات الحماية.

استمرت الحماية البريطانية هذه حتى عام 1927 فاستبدلت بمعاهدة جدة. أما الدولة العثمانية فعندما قامت الحرب العالمية الأولى أرسلت إلى كلا من ابن سعود وابن الرشيد بقصد تزويدها بالمجاهدين لمشاركتها فى حرب قناة السويس وفى صد هجمات بريطانيا على العراق وقام أنور باشا بإرسال مالا وهدايا مع وفد بغداد إلى ابن سعود، لإقناعه بما طلب منه إلا أن ابن سعود أعلن رفضه عن تقديم أية مساعدة للدولة العثمانية لأنها تؤيد ابن الرشيد أن ابن سعود بنى رفضه هذا على أساس الفارق العسكرى الكبير بين الدولة العثمانية وبريطانيا وبالتالى رجحان كفة بريطانيا خاصة بعد أن شاهد التقدم الكبير لبريطانيا فى العراق واحتلالهم للبصرة. وبذلك أصبح ابن سعود من جملة الأمراء الذين وقفوا إلى جانب بريطانيا فى الحرب الأولى ضد الدولة العثمانية. هذا التصرف جعل الدولة

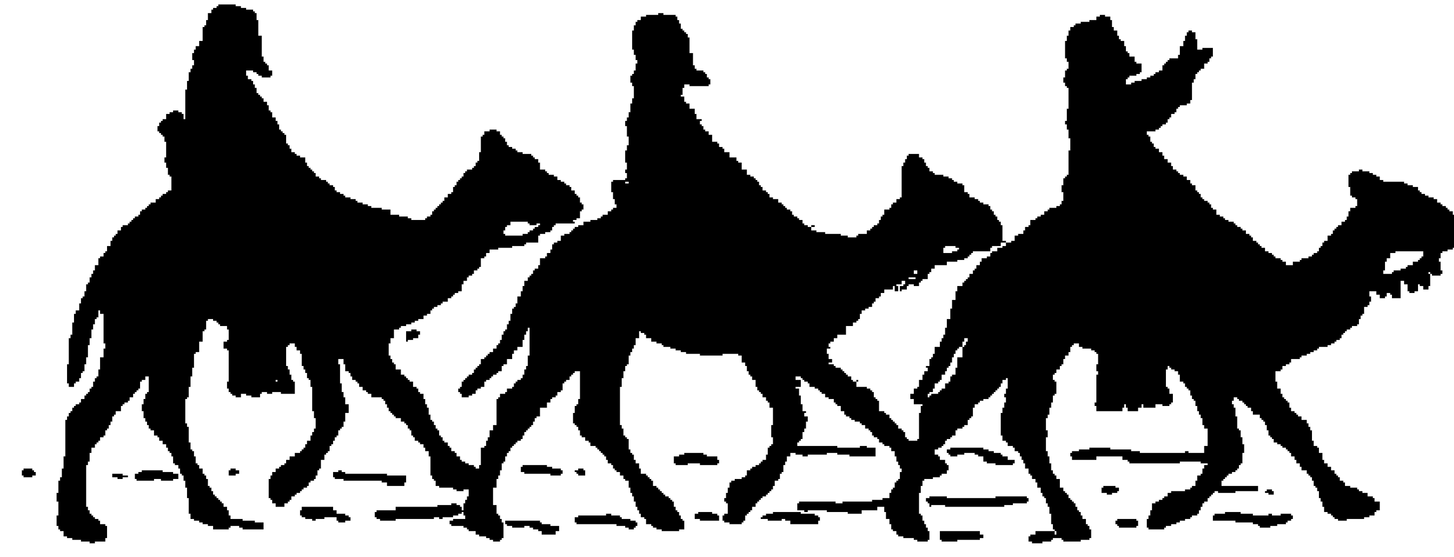
(أ) د. جمال زكريا قاسم ـ نفس المرجع ـ صـ320.

العثمانية تحقد كثيرا على ابن سعود[1]. ففي عام 1915، 24 يناير دارت معركة بين ابن سعود وابن الرشيد وكانت نتيجتها سلبية لكلا الطرفين سميت بمعركة جراب[2].

(1) د. جمال زكريا ـ نفس المرجع ـ صـ322.

(2) أمين الريحاني ـ المرجع السابق صـ222.

الفصل الرابع



وقوف ابن سعود إلى جانب طالب النقيب في محنته عام 1915

قدم هذا البحث إلى المؤتمر الذى أقيم فى الرياض 24 ـ 28 يناير 1999 عن المملكة العربية السعودية فى مائة عام

المقدمة:

تتناول هذه الدراسة، علاقة ابن السعود، مع السيد طالب النقيب، حيث كان يربط بينهما علاقة أخوية، وصداقة قوية وقديمة، واستمرت هذه العلاقة فى الرخاء والشدة وفى هذا نلاحظ دور ابن مسعود فى إثراء هذه الصداقة والعلاقة مع السيد طالب النقيب، وذلك من خلال وقوفه إلى جانب صديقه طالب النقيب فى محنته الذى كاد أن يتعرض للاضطهاد بسبب معارضته للاحتلال البريطانى فى جنوب العراق لولا وقوف ابن سعود بكل قوة إلى جانبه ومساعدته فى هذا الظرف العصيب.

نجد فى هذا البحث حنكة ابن سعود فى التعامل السياسى، وأسلوبه الدبلوماسى مع بريطانيا، عن طريق الرسائل وعن طريق الإقناع والحجة، والشخصية القوية التى نجحت بتحقيق هدفه فى تقريب من وجهة النظر البريطانية التى كانت تعتبر السيد طالب النقيب من أعدائها إلى أن أصبحت تقترب منه وتصفح عنه بعد وساطة ابن سعود.

تعتمد هذه الدراسة على المراسلات الرسمية بين الأطراف المعنية، أى بين ابن سعود، وبين السلطات البريطانية، من المقيم السياسى البريطانى فى الخليج العربى. والمعتمد البريطانى فى الكويت، والكابتن «شكسبير»، والحكومة الهندية، إضافة إلى رسائل طالب النقيب.

ترجع أهمية هذه المراسلات، لأنها تكشف عن معلومات حقيقية لم تكن متداولة ولم تكن قد عرفت بعد، كما تعتبر وثائق مهمة عن فترة الحرب العالمية الأولى، وما كانت تجرى من مراسلات، . فى الوقت الذى كانت المعارك الحربية تدور رحاها فى الجبهة الجنوبية من العراق، بين قوات الاحتلال المسيحى البريطانى

والدولة العثمانية، وكيف كانت تلك الرسائل، تكشف الجانب الإنسانى لدى ابن سعود، الذى وقف مع صديقه فى هذه الظروف العصبية.

تشمل هذه الدراسة، خلفية أو ظِهارة تاريخية عن السيد طالب النقيب وابن سعود، ثم علاقة الأخير بالسيد طالب النقيب عندما كان ممثلا للدولة العثمانية قبل قيام الحرب العالمية الأولى، لجوء السيد طالب النقيب إلى ابن سعود فى نجد، ثم كيف مارس ابن سعود ضغوطا على بريطانيا من خلال الرسائل من أجل صديقه السيد طالب النقيب، ثم نجاح جهود ابن سعود لصالح السيد طالب النقيب.

خليفة تاريخية عن السيد طالب النقيب:

يرجع نسب السيد طالب إلى أسرة عريقة ومعروفة فى البصرة، أسرة «آل النقيب»، فى منطقة «مندلى» ويرجعون فى نسبتهم إلى السيد أحمد الرفاعى المكنى «بأبى العلمين»، من سلالة الإمام الحسين بن على عليه السلام، وكان لهم نفوذ كبير فى «البصرة»، ولكنه مقصور على «النقابة» وحدها دون أن يزجوا أنفسهم فى ميدان السياسة أو المناصب الحكومية فى أغلب الأحوال، ولما جاءت الدولة العثمانية لم تقلل من احترام منصب نقابة الأشراف فقد جعلت للنقيب المقام السامى فى التشريفات الرسمية، وقدمته على سائر رجال الدولة وحتى على الصدارة ومشيخة الاسلام، وبالرغم من كل ما تقدم عن أسرة «آل النقيب» فى البصرة فلم يزج أحد منهم نفسه فى ميدان السياسة أو يطرق بابها أو يحاول منافسة الولاة بصورة مكشوفة ظاهرة واضحة سوى السيد طالب النقيب الذى لم يكد يدخل ميدان السياسى حتى سطع ضوءه وعلا فى الأفق نجمه ففاق الكثير فى هذا المضمار حيث يقول عن ذلك الشيخ حسين خزعل: [1].

كان السيد طالب النقيب ذا شخصية متعاظمة قوية تزينها رقة الشمائل

---

(1) ـ حسين خلف الشيخ خزعل ـ تاريخ الكويت السياسى ـ دار ومكتبة الهلال، بيروت 1965، جـ4، 273.

والوقار والاتزان والهيبة والأحترام لينا وقت اللين، شديدا فى وقت الشدة حسن الفطنة وافر الذكاء كريما سخيا بالرغم من عدم ثراءه، وكثيرا ما الجأته الأحوال والكرم لتمشية مصالحه إلى ابتزاز المال من بعض أثرياء البصرة الخاملين، ولم يكن يتورع عن الإقدام على المخاطر فى سبيل تحقيق غايته، وكان يلتزم اصدقاءه وحلفاءه ويخلص لهم إلى أعلى درجات الاخلاص، ويبطش بخصومة ومناوئيه بدون تساهل ولا رحمة مهما كانت منزلتهم من العلو والمنعة، وعلى هذا فقد قويت علاقاته الودية مع الشيخ مبارك الصباح والشيخ خزعل وابن سعود، فلم تنقطع بينهم الصلات وتبادل الهدايا واستمرار المراسلة فكانوا يشدون ازره فى نضاله ضد أعدائه ومناوئية ويمدونه بالمال والسلاح.

فخشيت الدولة العثمانية أخيرا خطره فعزمت بأن تقضى على نفوذه فى البصرة وتكسر حدة جماحه ورأت أن ذلك لايتم على يد الولاة السابقين وأن الضرورة تحتم عليها أن تسند ولاية البصرة لوالى قوى الشكيمة ومن ذوى الخبرة والجد فوقع اختيارها على سليمان شفيق باشا كمالىَ وأرسلته إلى «البصرة»، وارسلت معه عددا كبيرا من الجند، وزودته بصلاحيات واسعة وكان الهدف الأكبر من إرساله لولاية البصرة الإقلال من سلطة السيد طالب النقيب، وأوصت الوالى بالقضاء على نفوذ السيد طالب النقيب والقضاء عليه ولو أدى إلى قتله، ولكن لما وصل الوالى الجديد إلى البصرة، وجابه الحقائق وجها لوجه، وشاهد الواقع بعينه انصرف عما أوفد من أجله، ورأى أن السياسة والمصلحة العامة والخاصة تقضى بمسايرته ومصافاته والتمشى معه جنبا إلى جنب دون أن يحرك ساكنا، فيحدث مالا تحمد عقباه، وباتباع هذه السياسة تمكن من تحسين علاقة الدولة العثمانية مع ابن سعود بواسطة جهود السيد طالب النقيب وكذلك استمال الشيخ مبارك والشيخ خزعل إلى جانبه[1].

(1) ـ حسين خلف الشيخ خزعل، نفس المرجع، جـ2، ص: 91.

خلفية تاريخية عن بن سعود:

ولد الأمير عبدالعزيز بن عبدالـرحمن بن فيصل آل سعود حوالى عام 1880 فى مدينة الرياض، وقد صحب أباه أثناء تنقله فى بادية الأحساء إثر مغادرتهما نجد عام 1891، إلى الكويت، وفى أوائل عـام 1901، وجـد ابن سعـود أن الفرصـة مناسبة لاسترجاع الرياض بتشجيع ودعم من شيخ الكويت وزحـف عليها بجيش صغـير ولكنه اضطر أن ينسحب بعـد أربعة أشهر، ولكن ذلك لم يثن ابن سـعود عن عزمه الذى راح يزحف إلى الرياض مرة ثانيـة بعدد قليل من الرجال وبمساعدة قويـة من المال والأسلحة من قـبل حاكم الكويت واسـتطاع دخول مـدينة الرياض ومحاصـرة قلعتها وفى صـباح يوم 15يناير 1902 استطاع أن يقـضى على حاكم المدينة الذى كان عاملا لابن رشيد واعتبر سيطرته على الرياض منعطفا تاريخيا فى حيـاة السعوديـة وبداية عهد جـديد فى تاريخ الأسرة السـعودية[1] أرسلت الدولة العثـمانية وفـدا رسميـا برئاسة السيـد طالب النقيب فـاجتمع مع ابن سـعود فى «الصبيحة» 1/ إبريل 1914 فى جنوب الكويت وعقد الصلح والاتفاق بينهما[2].

علاقة السيد طالب النقيب مع ابن سعود قبيل الحرب العالمية الأولى:

رشحت الدولـة العثمـانية السـيد طالب النقـيب، برئاسة الوفـد العثـمانى للتـوصل إلى صلح واتفـاق مع ابن سـعـود، وذلك بعدمـا أصـبح يسـيطر على الأحساء، فـقد جاء فى رسالة المعتـمد السياسى البـريطانى فى الكويت إلى المقيم السيـاسى البريطانى فى بوشـهر فى 3/ 4/ 1919، أن بعث إليكم لإطلاع حكومة الهند للرسائل المشار إليها أدناه والتى وصلت من شيخ الـكويت مؤخرا فيما يتعلق بالأحـوال الراهنة فى نجد، ومـن ضمن هذه الرسـائل، رسـالة من السيـد طالب

---

(1) ـ د. محمد عرابى نخلة، تاريخ الأحـساء السياسى، ذات السلاسل، الكويت1980، ص 228.

(2) ـ د. محمد عرابى نخلة، نفس المرجع السابق، ص233.

النقيب، الذى كان قد وصل من البصرة قبل يومين وطلب من الشيخ مبارك فى التوسط بينه بصفته ممثل الدولة العثمانية، وبين ابن سعوه، وقال الشيخ مبارك: «إنه لا يرى أن يساعد أيا من الطرفين ويرفض التطرق إلى تلك القضية أو ان تعطى أية نصيحة، ومع أنه يتعاطف مع الطرفين فى رغبتهما فى تجنب سفك الدماء أو كل ما من شأنه أن يخلق العداوة بين المسلمين لكنٍّ عليه ان يبقى مخلصا لصداقته لابن سعود».

جاء فى رسالة السيد طالب النقيب إلى الشيخ مبارك فى 28مارس 1919، «بأنه قد عاد البكباشى السيد عمر فوزى ممتنا من أفضالكم، وأن تسوية شؤون نجد قد أنيطت بسعادة الوالى الذى كتب إلى سعادتكم رسالة أرفقها بطية، ولما كنتم سعادتكم أول من نستعين بآرائهم، نرجو مساعدتكم الفعالة فى هذا الأمر الخطير، لكى يستطاع المضى فيها بنجاح كبير، نرجو التفضل ببيان ما ينبغى عمله فى هذا الشأن والسلام»(1).

نجد مما ذكرناه سابقا ان الشيخ مبارك لم يكن يحبذ التوسط ورفض ان يعطى رأيه أو تقديم مساعدة فى هذا المجال.

عندما لم يجد السيد طالب النقيب أية مساعدة من الشيخ مبارك، كتب مباشرة إلى ابن سعود لإيجاد اتفاق بين الطرفين، فقد رد ابن سعود بقوله: «سررت كثيرا بتسلم خطابكم الذى تعبرون فيه عن ولائكم للحكومة العلية (الباب العالى) وهو الولاء الذى أشارككم إياه، وكما تعلمون يا أخى، فإننى أول من يرجو الخير للحكومة والبلاد، وإنى بحزن كبير أطلب منكم ان تعرضوا على الأشخاص المسؤولين عن القضية، أنه بالرغم من أننى لأحيد فى ولائى للإسلام أو

(1) ـ سجلات الخارجية البريطانية، F.O.371/2123-21167 ـ كتاب من ـ كرنك ـ و ـ ج ـ غراى، المعتمد السياسى البريطانى فى الكويت ـ إلى المقيم السياسى البريطانى فى الخليج، بوشهر، الرقم 11، س، بتاريخ 2/ 4/ 1914.

اتخلف عن طاعة الباب العالى، إلا أن هناك أمورا لاأستطيع أن أقوم بها، أرجوك أن تقدم أطيب تمنياتى إلى أنور باشا، وزير الحربية الحالى، وتؤكد له بأنى أنا أيضا أرغب فى وحدة الإسلام، وجمع شمل القلوب المتفرقة، كما أنى أود ان أعرب عن امتنانى إليه لإيفاده سعادة السيد عمر فوزى بك لإقامة علاقات ودية وعلى الهدية التى حملها معه وهى القرآن الكريم[1]. ولكن لا يخفى عليكم ان الوضع فى بلادنا يجتاز ظروفا غريبة جدا، لا يمكن وصفها، وأنى لست مسئولاً عن هذا، إذا كانت الحكومة ترغب حقا فى حماية البلاد من الأخطار المختلفة وجمع الإسلام فى طاعة الخلافة، فهذا يمكن تنفيذه فقط بالأساليب الدبلوماسية على أن يعقب ذلك إصدار بيان بهذا الخصوص، وإنه يتوجب على الباب العالى ان يقوم بهذا مع هؤلاء الناس ـ الحكومة البريطانية ـ وهم الذين بسبب خصائصهم الطيبة يساعدون على نشر الهدوء بين شعوب العالم، إننا نعرفهم ونعتمد عليهم ونثق فيهم أكثر من غيرهم ولا نرغب فى الإساءة إليهم مهما كان الأمر بانتقاص عهودنا ومواثيقنا معهم، وتنقل تأكيداتى على صداقتى إلى جميع الجهات المعنية[2].

نلاحظ من خطاب ابن سعود بأنه استخدم الدبلوماسية مع العثمانيين بعدم اعطائهم الفرصة فى التدخل فى شئونه الداخلية وعن تأكيده بولائه للإسلام والدولة العثمانية كما أنه يريد أن يتوصل إلى تفاهم مع العثمانيين وإنه مع وحدة الإسلام وجمع كلمة المسلمين ويوضح ابن سعود بأن المنطقة تجتاز مرحلة عصيبة

(1) سجلات الخارجية البريطانية F.O.371/2123-21167 ـ رسالة من السيد طالب النقيب ـ البصرة ـ إلى الشيخ مبارك الصباح ـ الكويت بتاريخ: 28/ 3/ 1914م.

(2) سجلات الخارجية البريطانية - F.O.371/2123 ـ كتاب من الأمير عبدالعزيز بن سعود إلى السيد طالب النقيب فى البصرة ـ حول موقف الأمير عبدالعزيز من الدولة العثمانية وولائه لها.

وإنه ليس المسئول عـما يجرى فيهـا من الأحداث ولهذا فإنه يرى ان يحـدث التفاهم بالطرق السلمـية والدبلومـاسيـة وان يتـوصل العثـمانيـون إلى تفاهم مـباشـرة مع البريطانيين فى القضايا التى تتعلق بالمنطقة قبل التفاهم معه.

أرسل السفـير البريطانى فى اسطنبول لـقنصله فى البصرة، بأن العثـمانيين لا يفكرون فى القيـام بعمل عسكرى ضد بن سعـود، وإنه يعلم بشكل سرى من وزير الداخلية، ان ترتيبات قد اتخذت عن طريق شيخ الكويت والسيد طالب النقيب، من أجل حل سلمى وان الشروط قـد اتفق عليها مع العرب، وأجـاب القنصل البريطانى فى البصـرة بقوله ان السـيد طالب النقـيب قد أكد إلى حـد ما، ثم قـال إنه وشيخ الكويت يحاولان الوصول إلى ترتيبات، ولكن ابن سـعود يرغب فى ان يصبح أميرا مستقلا ويرفض قبول السيادة والقوات العثمانية، وان السيد طالب النقيب يتوقع حلا سلميا[1] وكتب المعتمد السياسى البـريطانى فى الكويت إلى المقيم السياسى البريطانى فى الخليج العربى يقول، بأنه استلم رسالة من السيد طالب النقيب ويقول بأنه سوف يحضـر إلى الكويت للمشاركة فى تـقديم وسام عثـمانى للشيخ مبـارك ويعرب عن أسفه لعـدم تمكنه من القيام بدور الوسـيط فى مفاوضات مع ابن سـعود، وان هدفه ووالى البصرة أن يسـتخدم الكويت كقاعدة للتـفاوض مع ابن سعود.[2] وأن السيد

(1) ـ سجـلات الخارجية البـريطانية F.O.371/2123-19949 ـ برقيـة من المقيم السـياسى البريطانى فى الخليج العربى ـ إلى حكومة الهند ـ بوشهر فى 9 أبريل 1914 حول رغبة الأمير عبدالعزيز بن سعود فى أن يصبح أميرا مستقلا ورفضه قبول القوات العثمانية.

(2) ـ سجلات الخارجـية البريطانية F.O.371/19949 ـ كتاب عن كـرنك ـ د.ج. غرى، المعتـمد السيـاسى البريطانى فى الكويت ـ إلى المقيم السـياسى البريطانـى فى الخليج العربى، بوشهر، رقم C-12 سرى ـ الكويت بتاريخ 7أبريل 1914، يتضمن المزيد من المعلومات فى موضـوع الأمير عبـدالعزيز ابن سعـود والحكومة العثـمانية ومـحاولات الأخيـرة للدخول فى مفاوضات معه.

طالب النقيب قد أرسل رسالة إلى أنور بك يذكر فيها عجز ابن سعود، عن الدخول فى مفاوضات، وذلك بناء على الرسالة التى كان قد بعث بها ابن سعود إلى السيد طالب النقيب.(1).

تغيرت خطط العثمانيين بشأن المفاوضات مرة أخرى، فقد عهد إلى السيد طالب النقيب مهمة المفاوضات مع ابن سعود للمرة الثانية مع إعطائه سلطات أكثر، فقد بعث السيد طالب النقيب برسالة إلى المعتمد البريطانى فى الكويت يفيد بأن إدارة هذه الامور قد عهدت إليه وأنه سوف يتوجه إلى الكويت بصحبة البكباشى سيد عمر فوزى بك رئيس أركان القوات المسلحة فى البصرة، وقد وعد الشيخ مبارك ان يخبر السيد طالب النقيب بموعد وصول بن سعود إلى «الصبيحة» التى تبعد عشرين ميلا جنوب مدينة الكويت.(2) وقال السيد طالب النقيب، إنه ليست هنالك أية ترتيبات تتخذ، ولكنه على اتصال مع حقى باشا الذى يدرس الشروط المطلوبة بشأن الاحساء، وإنه لم يتصل بعبدالعزيز بعد وإنه بانتظار التعليمات من اسطنبول، وانه قيل لطالب النقيب ان يتخذ أفضل ما يستطيع اتخاذه

---

(1) ـ سجلات الخارجية البريطانية F.O.371/19949 ـ برقية من المقيم السياسى البريطانى فى الخليج العربى ـ إلى حكومة الهند ـ بوشهر فى 12 ابريل 1914م ينقل فيها معلومات وردت فى تقرير للمعتمد السياسى البريطانى فى الكويت عن رغبة السلطات العثمانية فى الدخول فى مفاوضات مع الأمير عبدالعزيز بن سعود.

(2) ـ سجلات الخارجية البريطانية F.O.371/24823 ـ كتاب من كولونيل دبليو. جى. غرى، I.A المعتمد السياسى البريطانى فى الكويت إلى ميجر إس. جى. نوكس C.I.E المقيم السياسى البريطانى فى الخليج العربى، بوشهر بتاريخ 14 ابريل 1914، الرقم C-B يتضمن معلومات إضافية عن الأمير عبدالعزيز بن سعود والحكومة العثمانية، العثمانيون غيروا موقفهم من المفاوضات مرة أخرى.

وإنه على اتصال مع ابن سعود عن طريق شيخ الكويت، وان السيد طالب النقيب ينتظر باخرة الشيخ مبارك لكى يتوجه إلى الكويت مع الوفد[1].

وصل السيد طالب النقيب إلى الكويت وكتب إلى اسطنبول، طالبا تعليمات ادق بالنسبة للشروط التى سيبحثها مع ابن سعود وانه قد سمع ان الموضوع مازال قيد البحث، ولكن التعليمات سوف ترسل إليه[2]، وتتكون اللجنة من السيد طالب النقيب رئيسا، والبكباشى بهاء الدين بك رئيس الأركان فى بغداد، والبكباشى عمر فوزى بك رئيس الأركان فى البصرة، وسامى أفندى متصرف الاحساء يرافقه عمر بك من البصرة ومحمد النعمة وعبدالوهاب المنديل وعبدالطيف المنديل وكلاهما من أعيان البصرة ومن ذوى الأملاك ويمثلان ابن سعود كوكلائه فى البصرة[3].

كتب الضابط البريطانى النقيب «شكسبير» الذى كان فى الكويت تقرير إلى السير «آرثر هيرتزل» الوزير فى حكومة الهند البريطانية فى 26/ 6/ 1914 يصف السيد طالب النقيب بقوله: «فى الأوراق التى أرسلتها إلى وكذلك فى الأوراق

---

(1) ـ سجلات الخارجية البريطانية 22424 - F.O.371/2124 برقية من المقيم السياسى البريطانى فى الخليج العربى ـ بوشهر ـ إلى سكرتير حكومة الهند فى سملا، بتاريخ 23أبريل 1914م، رقم 30 حول اتصالات السيد طالب النقيب.

(2) ـ سجلات الخارجية البريطانية 24823 - F.O.371/2124 ـ تقرير من الكولونيل د. جى. غرى، المعتمد السياسى البريطانى فى الكويت، إلى المقيم السياسى البريطانى فى الخليج العربى، بوشهر، الرقم 19 - C الكويت بتاريخ 29 أبريل 1914، حول موضوع ابن سعود والحكومة العثمانية.

(3) ـ سجلات الخارجية البريطانية 29590 - F.O.371/2124 ـ تقرير من القنصل البريطانى فى البصرة إلى السفير البريطانى فى أسطنبول ـ القنصلية البريطانية فى البصرة بتاريخ 2مايو 1914، رقم 26، حول اللجنة العثمانية الموفدة لحل مشكلة الإحساء.

التى وصلتنى بالطريق الرسمى فى الكويت، لاحظت أن السيد طالب النقيب من البصرة يعتبر نفسه حلالا لكافة مشاكل الجزيرة العربية والعراق، ولا أستطيع أن أفهم كيف اكتسب هذا اللقب، أو كيف استطاع ان يحتفظ به فى تقارير موظفينا. فالرجل قوى وعنيد وعديم الضمير، يغرق فى الديون ثم يصبح ملحاحا، وماضيه حافل بست جرائم أو أكثر، وهو يتحكم بالبصرة بواسطة عصابة من الرجال المسلحين الذين يحتلون بيته هناك بما هو اشبه بقلعة، ويخرجون من هناك لتنفيذ رغبات سيدهم فى تعبئة خزائنه بالأموال عند اللزوم. ولا يستطيع أى والى على البصرة أن يقوم بعمله الإدارى مالم يوافق أو لا ان يصبح أداة طيعة فى يد السيد طالب النقيب. ويقوم ابن سعود والشيخ مبارك الصباح والشيخ خزعل بإمداده بدفعات شهرية أو سنوية ليحموا أنفسهم من طلباته المفرطة المصحوبة بالتهديد والقتل، وعلى أى حال فلا يثق أى من هؤلاء الشيوخ بالسيد طالب النقيب ليفاوض نيابة عنهم، ويقوم السيد طالب النقيب بإقناع الحكومة المركزية لتوكيله ليكون مندوبها فى حل المشاكل فى العراق، وغالبا ما يكون الوالى المحلى من أكبر مؤيديه، لسبب بسيط وهو انه ما لم ينل السيد طالب النقيب نصيبا مما يتوافر فى مثل هذه المناسبات فإنه يعمل على ان لا تحل الأمور(1).

ليس صحيح ما ذكره الضابط البريطانى فى الاستخبارات والمهمات الخاصة «شكسبير» عن السيد طالب النقيب فى رسالته اعلاه، حيث كان الأخير يرتبط بعلاقات أخوية وقوية وصداقة متينة مع ابن سعود الذى كان يساعده فى تسيير الأمور الإدارية والخاصة للسيد طالب النقيب الذى ينتمى إلى أسرة عريقة ومعروفة ويحتاج إلى مصار[illegible] لضيوفه ورجاله حيث لديه التزامات اسرية وقبلية وشعبية،

---

(1) ـ سجلات الخارجية البريطانية F.O.371/2124 - 28966 ـ تقرير من الكابتن «شكسبير» إلى السير «آرثر هيرتزل» بتاريخ 26 يونيو 1914 حول السيد طالب النقيب.

وكان ابن سعود يفهم ويقدر ذلك وكان كريما مع السيد طالب النقيب وغيره من رجال القبائل فى المنطقة. وكان التحامل من الضابط المسيحى البريطانى راجع إلى كون السيد طالب النقيب يتمتع بشعبية كبيرة ويعمل مع الدولة العثمانية التى كانت قد اتخذت مواقف عدائية من بريطانيا، إضافة إلى كراهية السيد طالب النقيب للاستعمار المسيحى البريطانى حيث كان ينتمى إلى الطبقة الوطنية العربية، وذلك قبل الاحتلال البريطانى للبصرة حيث كان من رجال ومؤيدى السلطان عبدالحميد الثانى الذى يدعو إلى الجامعة الإسلامية، ومن هنا كانت كراهية للبريطانيين، كما كان معاديا للفكرة القومية التركية التى نادى بها رجال الاتحاد والترقى ضد القومية العربية عامة والجزيزة العربية خاصة وهو الذى أنشأ حركة القومية العربية فى جنوب العراق، مما سوف يتعرض أيضا إلى اضطهاد وبالتالى يلجأ إلى ابن سعود.

التجاء السيد طالب النقيب إلى ابن سعود:

لعب السيد طالب النقيب، دورا مميزا ومهما لدى السلطات العثمانية، كما نجح فى عقد صلح واتفاق بين الدولة العثمانية وابن سعود، ولكن أثناء الاحتلال البريطانى لجنوب العراق ودخول القوات المسيحية البريطانية إلى البصرة، استطاع السيد طالب النقيب ان يهرب ويتوجه إلى الكويت ومن ثم إلى نجد ليقابل ابن سعود ليساعده فى محنته حيث كانت القوات المسيحية البريطانية تطارده ومطلوبا لدى بريطانيا، وبعث الضابط البريطانى فى الاستخبارات العسكرية «شكسبير» برسالة فى 20 نوفمبر 1914 إلى المقيم السياسى البريطانى فى الخليج العربى عن السيد طالب النقيب يقول فيها:

أحطت علما بمناورات السيد طالب النقيب، وبأنه نظرا لهروبه إلى الكويت فمن الخير أن يبقى هناك، ولكنه قد غادر يوم 16نوفمبر 1914 مع مجموعة صغيرة من الأتباع عددهم خمسون رجلا، وكانت وجهته الظاهرة إلى «نجد» لغرض مقابلة

بن سعود، وكان العثمانيون قد أمروا السيد طالب النقيب أن يذهب إلى نجد وذلك للحصـول على تعاون مع ابن سعـود، ونظرا لشعوره بالقلق على وضـعه هو في حالة احتلال البريطانيين للبصـرة، حاول السيد طالب النقيب الحصول على بعض الشروط من الحكومـة البريطانية، ويبـدو أن أخبار مـفاوضاته قـد بلغت الموظفين العثمانيين في البصرة، لأن السيد طالب النقيب بات يخشى العواقب الوخيمة التي ستعود عليه وعلى عائلته فيمـا إذا بقي في البصرة، وبالتـالي انتقل إلى الكويت أخيرا مع كثيرا من الخـوف على حياته، ومن هناك قام بمزيد من المبادرات بواسطة المعتمد السـياسى الـبريطانى فى الكويت، ولما أبلغ إليـه جواب المقـيم السيـاسى البريطانى فى الخليج العـربى السير «برس كوكس»، الذى كـان سأله أنه يجب أن يبقى فى الكويت كعربون لولائه وبصفته رهينة، لضـمان حسن سلوك جماعته فى البصرة، يبدو انه قد خاف مرة أخرى، وقد أخـبر الشيخ مبارك الصباح، ان السيد طالب النقيب قـد غادر سرا إلى الجهـرة فى طريقه إلى «بريده» لمقابلة ابن سـعود بدون ان يودع الشـيخ مبارك، عـلى الرغم أنه كان ضـيفا فـى داره، ولا يبدو ان هنالك شكا كبيرا فى ان مخاوف السيد طالب النقيب من العثمانيين كانت حقيقية، أما أهداف زيارته إلى ابن سعود فقد تكون واحد مما يلى: [1].

1 ـ الحصول على ملجأ لدى ابن سعود.

2 ـ تنفيذ تعليماته الأصلية من الباب العالى لتجنيد العرب ضد البريطانيين.

3 ـ استخدام عطف ابن سعود، ونفوذه للحصول على شروط مرضية لنفسه من البريطانيين.

---

(1) ـ سجلات الخارجـية البريطانية F.O.371/2479 - 4904 ـ تقرير من الكابتن «شكسبير» إلى المقيم السـياسى البريطانى فى الخليج العربى، بوشـهر، الرقم V-C-5، 1914، الكويت فى 20 نوفمبر 1914، حول مقابـلة السير برسى كوكس فى شط العرب وعن أعمـال السيد طالب النقيب.

يقصد الضابط المسيحى شكسبير فى رسالة إلى المفاوضات التى جرت فى البصرة بين السيد طالب النقيب والبريطانيين بواسطة الشيخ مبارك الصباح وذلك قبل دخول المسيحيين البريطانيين البصرة، وذلك عندما أعلنت الدولة العثمانية الحرب ضد الحلفاء فى 28أكتوبر 1914 فكانت بريطانيا قد أعدت حملة على البصرة قبل إعلان العثمانيين الحرب واستعدت لها عن طريق اقامة علاقات مع قبائل عربية فى جنوب العراق وطلبت بريطانيا من الشيخ مبارك الصباح ان يفاوض السيد طالب النقيب لكى ينضم إلى جانبها فتوسط الشيخ مبارك وحاول اقناع طالب النقيب ان يقف إلى جانب بريطانيا ولكن السيد طالب النقيب اشترط شروط كثيرة مقابل وقوفه مع بريطانيا التى لم توافق على شروط السيد طالب النقيب وبذلك فشلت المفاوضات بين الجانبين ثم تلتها مفاوضات أخرى ولكنها لم تثمر أيضا ولم تؤدى إلى النتيجة التى كان يرغبها المسيحيون البريطانيون وبقى كل من البريطانيين والسيد طالب النقيب متمسك الحال على ما هو عليه حتى قررا السيد طالب النقيب على ترك البصرة إلى نجد لمفاوضة ابن سعود بانضمامه إلى جانب الدولة العثمانية فسافر من البصرة فى 5 أكتوبر 1914[1].

يتابع الضابط البريطانى «شكسبير» تقريره عن طالب النقيب فيقول:

«وعلى أى حال فإن مظهر الرجل مقنع ظاهريا، وهو عديم المبدأ بدرجة تجعل من غير المرغوب فيه أن يصل إلى ابن سعود بدون تحذير الأخير مسبقا، ولذلك فقد انتهزت فرصة بعد التشاور مع المعتمد السياسى فى الكويت، لإرسال كتاب تحذير إلى ابن سعود، لابد ان يصله بطريقة أخرى قبل ان يتمكن السيد طالب النقيب من الوصول بيوم أو أكثر، إن ابن سعود على علم تام بأخلاق السيد طالب النقيب وليس لدى شك فى أنه سيكون حذرا فى تعامله معه، وان كون الشيخ مبارك على علم بنيات السيد طالب أمر محتمل على الرغم من ادعائه

(1) ـ حسين خلف الشيخ خزعل، المرجع السابق ص276.

خلاف ذلك، اما كونه مرتاحا لمغادرته فمؤكد، لأن وجود السيد طالب فى قصره ضيفا أو لاجئا قد وضع الشيخ مبارك بدون شك فى وضع صعب إزاء البريطانيين، وكذلك لا أعتقد أن اختفاءه من الكويت فيه فائدة لنا، وبهروبه فإنه لم يرفض فقط عروضنا الودية، بل كذلك وضع نفسه فى مواقف سيئة بشكل لا يبشر بأى أمل وبحيث يجعلنا فى حل من من أية التزامات كنا مستعدين لتحملها، ان حجزه بالقوة ربما كان سيؤدى إلى تحول المشاعر العربية ضدنا، فى الوقت الذى اعتقد فيه ان قدرته على الشر فى الصحراء مع ابن سعود، هى أقل بكثير مما يمكن أن تكون وهو فى الكويت»[أ].

تخوفت بريطانيا من وصول السيد طالب النقيب إلى ابن سعود ومحاولة إقناعه للوقوف مع الدولة العثمانية ضد بريطانيا ولهذا نجد الضابط المسيحى البريطانى فى الاستخبارات العسكرية شكسبير يرسل خطاب تحذير إلى ابن سعود بصورة عاجلة قبل ان يتمكن السيد طالب النقيب من الاجتماع بابن سعود الذى معروف عنه بأنه حذر فى مثل هذه الأمور وان هروب السيد طالب النقيب من الكويت إلى نجد قد يكون فى مصلحة بريطانيا حسب قول الضابط شكسبير كما أنه أعطى فكرة غير حسنة لبريطانيا بأنه غير مستعد لقبول الشروط البريطانية وبالتالى بأنه يعمل ضد بريطانيا، كما أن فكرة وضع السيد طالب النقيب كرهينة تحت السيطرة البريطانية قد يجلب المتاعب إضافة إلى اثارة المشاعر القومية العربية المعادية لبريطانيا لدى العرب عامة وفى جنوب العراق خاصة. أثناء الاحتلال المسيحى البريطانى.

استطرد شكسبير تقريره قائلا:

«وفى الوقت نفسه، نظرا للنفوذ العظيم الذى تتمتع به أسرة النقيب فى البصرة، فإننى أرى أنه سيكون من حسن السياسة معاملتها برعاية خاصة، وإذا

(أ) ـ سجلات الخارجية البريطانية، نفس المرجع السابق 4904 - F.O.371/2479.

كان لى أن أقترح، فإننا إذ نتجاهل السيد طالب النقـيب، يجب ان نلتمس تعاون والده، السيد رجب النقـيب وهو مسن جدا ويميل إلى البزيطانيين بصـورة مرضية وله أملاك ودور فى «بومبى»، وهو غير راض بشدة عن أساليب ولده الأكبر، وقد سمـعت من مصدر موثـوق أنه قاوم فعلا مـحاولات بعض أفراد عـائلته ممن هم أصغـر سنا لاتخـاذ استعـدادات فعـالة فى داره فى «السـبيليـات» ضد الاحـتلال والزحف البريطانى، مكتفيا باستعدادات ظاهـرية تكفى لانقاذه من انتقام العثمانيين ولو وجهت مبادرات من هذا النوع إلى السيد طالب النقـيب، فأعتقد إنها لم تكن لتقابل بالتـرحيب فقط، بل للقيت استجـابة مخلصة، وفى هذه الاثناء يمكن ترك السيد طالب النقيب يدبر أموره بنفســه، إلى ان يختار المجىء كما لابد له ان يفعل فى رداء الولد المبذر النادم حيث يمكن مـعاملته حسبما تقتـضى الظروف، ان شيئا من الاعتراف بمكانة السيد رجب كنقيب للبصرة لابد أن يحدث ردة فعل طيبة لدى الرأى العام المحلى ويؤثر فى تسهيل احتلالنا وتقدمنا نحو البصرة و ما وراءها. أما فيما يتـعلق بابن سعود، إننى شخصيا لا أظن ان لســان السيد طالب النقيب اللبق سيكون له تأثير كبير عليه، إننى لا ازال بانتظار جواب من ابن سعود»[1].

نجد الضابط البـريطانى شكسبير فى هذا التقرير يضع المقـترحات التى يمكن لبريطانيا بمقتـضاها التعامل مع السيد طالب النقيب وخاصــة مع أسرته فى البصرة اثناء الاحـتلال والوجود الـبريطانى هناك نظرا لما تـتمتع به هذه الأسـرة من مكانة إضافـة إلى وجود أملاك فى الهند بمدينة بومـبى كما ان والد السيـد طالب النقيب يمكن معاملته معاملة خاصة.

بعث الكابتن «شكسبيـر» رسالة إلى ابن سعود يحذره فيهـا من السيد طالب النقيب حـيث جاء فيهـا، «فى الحقيقـة اننى سمعت فى الكويت ان الســيد طالب النقيب هرب من العثـمانيين فى البصرة إلى الكويت، وبعـد بضعة أيام هنا هرب

(1) ـ سجلات الخارجية البريطانية 4904 - F.O.371/ 2479 - نفس المرجع السابق.

إليكم، وقد أخبرنا صديقنا المحترم الشيخ مبارك الصباح عن ألاعيبه وشروره، وإننى انتهز الفرصة أيضا لأشرح لكم الأمور الغريبة التى قام بها، وإن سعادتكم اعلم منى أى رجل هو، وأرجوكم أن تكونوا حذرين فى أحاديثكم معه، وعلى أى حال فقد يهمكم أن تسمعوا أن السيد طالب النقيب قد وجه إلى الحكومة البريطانية بعض المطالب الكبيرة، وتسلم جوابا منها مع وعود قيل له معها ان ما ستقوم به عليه سيكون حسب مساعدته لها وجهوده فى سبيل ترسيخ السلم والنظام، ان السيد طالب النقيب لم يقبل هذه الشروط، أما هل كان ذلك بنتيجة الطمع، أم رغبة فى إلحاق الأذى والشر ضد الاحتلال البريطانى، فعلم ذلك عند الله، وإننا لم نطلب معونته، ولكنه لما كان من رجالات البصرة، ونظرا لصداقتنا مع والده المحترم، فقد وافقنا على الحفاظ على مكانته بين الناس بشرط ان يعمل معنا مخلصا لترسيخ السلام وحفظ النظام بين السكان المحليين، هذا ما لزم بيانه وإننى فى الحقيقة بانتظار ردكم الكريم»[1].

نلاحظ حرص ضابط الاستخبارات البريطانى شكسبير فى عدم سماع ابن سعود وجهة نظر السيد طالب النقيب والتخوف من وقوف الأول ضد بريطانيا مما جعله يبعث برسالة تحذيرية عاجلة وبأن بريطانيا قد عرضت عليه عروض كثيرة وسخية إلا أن السيد طالب النقيب هو الذى رفض الشروط والعروض والتعاون معها وأن احترام بريطانيا لطالب النقيب راجع إلى مكانة والده بشرط ألا يقوم السيد طالب النقيب بأية أعمال معادية لبريطانيا.

بعث ضابط الاستخبارات البريطانى «شكسبير» رسالة أخرى إلى المقيم السياسى البريطانى فى الخليج العربى حول رسالة إلى ابن سعود بقوله تلاحظون

1 ـ سجلات الخارجية البريطانية F.O.371/2479 - 4904 ـ رسالة من الكابتن «شكسبير» إلى الأمير عبدالعزيز بن سعود بتاريخ 20نوفمبر 1914 يحذره فيها من السيد طالب النقيب ودسائسه.

إن اللهجة ودية ولكن بحذر، وقد سمعت من مصادر أخرى أن السيد طالب النقيب قد وصل إلى مخيم ابن سعود قبل رسالتى التحذيرية بيومين، ومن الممكن ان يكون الرجلان قد بحثا بشكل واف الضمانات التى نقلت رد ابن سعود[1] على الضابط البريطانى «شكسبير»، مدافعا عن صديقه السيد طالب النقيب مصححا الفكرة الموجودة عند البريطانيين بقوله: «ذكرتم ان السيد طالب النقيب قد هرب من العثمانيين عندما كنتم فى الكويت، وانا اعتقد أن هذا غير صحيح وإذا اجتمعنا أنت وأنا، فسوف نتأكد من الحقيقة، وان مسلكه هو عكس ما تعتقدون، وبالنسبة لى فأنتم تعلمون مودتى القلبية، وأنا لا اصدق كلام متآمر أو ناصح إلا إذا وجدته (طالب النقيب) رجلا طيبا، وكل جهدى موجهة لتحسين وضعى وحماية دينى وشرفى، وأنتم تعلمون أننى شخص يود (طالب النقيب) ان يبقى هادئا وساكنا حتى لا يتضرر (وضعى)، ولكن فى هذه الأوقات المضطربة فإن اصدقائى من شيوخ العرب قد يستاءون منى (إذا لم اتصرف حسب رغباتهم) فلا يصبح أمامى سوى ان أضحى بحياتى وثروتى من أجلهم فى جميع الظروف، وأملى قوى بالله ثم بالحكومة البريطانية بأن الأمر سوف يدبر كما ينبغى لحماية الدين والشرف، وإن شاء الله عندما يحصل 'الاجتماع فسيكشف الجانبان عن الأهداف الحقيقية وآمل من الله عز وجل ان نتفق على ما فيه صالح الدين والناس[2].

كتب المقيم السياسى البريطانى فى الخليج العربى رسالة إلى حكومة الهند يبين فيها عن تعاطف ابن سعود مع السيد طالب النقيب، «وهو كذلك يتوسط كى

(1) ـ سجلات الخارجية البريطانية 12383 - F.O.371/2479 ـ كتاب من الكابتن «شكسبير» إلى المقيم السياسى البريطانى فى الخليج العربى بتاريخ 7ديسمبر 1914، الرقم C-7.
(2) ـ سجلات الخارجية البريطانية F.O.371/2383 ـ رسالة من الأمير عبد العزيز بن سعود إلى الكابتن «شكسبير» فى 28 نوفمبر 1914.

نعامل معـاملة طيبة للسيد طالب الـنقيب الذى يقول إنه التجأ إليـه، كصديق له.
وأخيرا يوصـينا خيرا بأتباعـه فى البصرة كمـا بعث السفير البـريطانى بدرجة وزير مفوض فى طهـران برسالة إلى المقيم السياسى البريـطانى فى الخليج العربى قوله: أرسل الوكيل القنصل العثمانى فى «النجة»، البرقـية التالية إلى سفيره فى طهران، وحيث إن البـرقية قد سلمت فى بندر عـباس عندما كان ذلك المكتب يتـعامل مع «بوشهر» بلغة عامية، فربما تكون البرقية قد افلتت من الرقابة، وأرسل ترجمة لها، تبدأ: «تسلـمت معلومات من مـصدر مـوثوق ان السيد طالب النـقيب، ووهيب زاده، وشيخ الكويت، قد تحولوا إلى خونة للدولة والعقـيدة، فقد قاموا، مع عدد من العرب الجـبناء الذين لا عقيـدة لهم ولا يتمـسكون بدينهم، بمساعدة الجـيوش البريطانية مع مهاجمة البـصرة واحتلالها، فلتحل لعنة الله والناس على مثل هؤلاء العرب الخونة الذين مرغوا اسم العرب فى الوحل»[أ].

نلاحظ من ذلك معاناة السيد طالب النقيب الذى هرب من البريطانيين خوفا من اعتقاله، حيـث كان مطلوبا لها نظرا لمواقفه السابقة ضد بريطانـيا، كما أصبح مطلوبا من العثمـانيين الذين يعتبرونه خـائنا، ولهذا كان موقف بن سعـود إنسانيا أكثر منه سياسيا أو اجتماعـيا لوقوفه إلى جانب صديقه القديم الذى يعانى الأمرين سواء من العثمانيين أو البريطانيين وليس له مكان يحتمى به أو يلجأ إليه، وهذا ما كان يحس به ابن سعود ولهذا وقف إلى جانبه فى محنته بكل قوة وصلابة.

(أ) ـ سجلات الخارجية البريطانية F. O. 371/2479 ـ برقية كولونيل «برسى كوكس» المقيم السيـاسى البريطانى فى الخليج العربى ـ إلى دائرة الشـؤون الخارجيـة والسياسيـة، فى حكومة الهند، بتاريخ 16 ديسمبر 1914، الرقم 106، حول اجتماع الكابتن شكسبـير مع الأمير عبد العزيز بن سعود. 244 ـ سجلات الخارجـية البريطانية F. O. 371/2479 ـ برقية من الوزير المنفوض البـريطانى فى طهران، إلى المقيم السـياس البريطانى فى الخليج العربى «بـوشهر» 16 ديسمبر 1914، الرقم 248، ينقل فيها فحوى برقيـة أرسلها القنصل العثمانى فى «النجة» إلى سفيرة فى «طهران» حول تحول السيد طالب النقيب وشيخ الكويت ضد الدولة العثمانية.

أصبح السيد طالب النقيب في هذه الفترة يلازم ابن سعود ويقف إلى جانبه،[أ] في حين كان رد نائب الملك في الهند إلى وزارة الهند في لندن على طلب ابن سعود بالتوسط لصالح السيد طالب النقيب بقوله: «أبلغت ابن سعود قبل ثلاثة أيام ردا على رسالته الأولى، بأنه ليست لدينا خطط عدوانية ضد السيد طالب النقيب، وإنني كما ابلغت والده هنا، لا اعتبره وجوده في البصرة مرغوبا فيه حاليا، ولكنني سأكون مستعدا بعد فترة قصيرة عندما تكون الأمور قد استقرت، لمقابلته في الكويت أو أي مكان مناسب آخر، وإنني إذا اقتنعت عندئذ بأنه يرغب في ان يكون مواليا ومساعدا لنا فقد أوصي بالسماح له بأن يعود تحت شروط مناسبة»[2] وقد وافقت حكومة الهند على تلك المقترحات التي أوصى بها «كوكس» المقيم السياسي البريطاني في الخليج العربي[3].

أرسل «كوكس» المقيم السياسي البريطاني خطاب إلى حكومة الهند جاء فيها، أرجو الرجوع إلى برقية دائرة الشؤون الخارجية والسياسية فيما يتعلق بالسيد طالب النقيب، أرسلت جوابا بالمعنى الموضح، أعتقد أن علينا ان ننظر في السماح للسيد طالب بالعودة إلى البصرة بالنظر إلى التوصية القوية بحقه من الشيخ مبارك

(أ) ـ سجلات مكتب الهند I. O. R. - R/15/5/25 ـ برقية من «كايز» المعتمد السياسي البريطاني في البحرين، إلى «نوكس» المقيم السياسي البريطاني في الخليج العربي، بوشهر، بتاريخ 20/ 12/ 1914م، سري، الرقم 45 -C.

(2) ـ سجلات الخارجية البريطانية F. O. 371/2140- 8672 ـ برقية من نائب الملك في الهند إلى وزارة الهند، لندن، 23 ديسمبر 1914، حول إبلاغ الأمير عبد العزيز بن سعود بموقف بريطانيا من السيد طالب النقيب.

(3) ـ سجلات الخارجية البريطانية F. O. 371/ 2479 ـ برقية من سكرتير حكومة الهند، دائرة الشؤون الخارجية والسياسية إلى المقيم السياسي البريطاني في الخليج العربي بتاريخ 23 ديسمبر 1914، الرقم 191، حول الأمير عبد العزيز بن سعود والسيد طالب النقيب.

والشيخ خزعل، بشرط أن أكون قد اقتنعت بعد المقابلة بأنه مستعد حقا لخدمتنا فى احتلال العراق وألا يعارضنا فى ذلك وأنه تخلى عن طموحاته المسرفة، إذا جاء إلى هنا واثبت أنه مثير للمتاعب، أمكننا دائما ان نرحله، ولكنه قد يصبح من ناحية أخرى مصدر إزعاج كبير لنا كساخط متجول ومطالب لتحرير العراق إذا ما خيبنا أمله كليا الآن.

أميل للوهلة الأولى إلى الاعتقاد بأنه إذا أثبت أنه طيِّع بما فيه الكفاية كغير من زعماء وحكام العرب، فإن أفضل نهج يمكن تبنيه سيكون توظيف خدمات السيد طالب النقيب كملحق سياسى لى فى بادئ الأمر، خاصة للمفاوضات مع تلك العناصر القبلية التى من المعروف ان له نفوذا لديها، وبموجب هذا الترتيب يجب ان نفصله عن شؤون الأحساء، وسنكون قادرين على امتحان إخلاصه بينما نراقب تحركاته عن كثب، وقد يصبح فى نهاية الأمر، إذا ثبت أنه مرضى، ملحقا عربيا للحكومة المدنية فى البصرة أو بغداد أو الباب العالى حسبما يكون الحال، للتعامل مع الشؤون القبلية، والقائد العام للقوات المسلحة يوافق ويتفق مع وجهات النظر أعلاه وكى أعرف بأى توجه ذهنى ينبغى أن أقابل السيد طالب النقيب أرجو إبلاغى بما إذا كانت حكومة الهند تتفق من حيث المبدأ مع ما تقدم(1).

نلاحظ خطاب «برسى كوكس» المقيم السياسى البريطانى فى الخليج العربى إلى حكومته بأنه يرى عدم الممانعة من عودة السيد طالب النقيب إلى البصرة وذلك بعد توسط ابن سعود ولكنه اشترط ان يقابل السيد طالب النقيب ويرى إن كان ممكنا تغير مواقف السيد طالب النقيب تجاه معارضته لاحتلال العراق من قبل

(1) - سجلات الخارجية البريطانية، F. O. 371/2479 - برقية من كولونيل «كوكس» المقيم السياسى البريطانى فى الخليج العربى، إلى دائرة الشؤون الخارجية والسياسية، حكومة الهند، بتاريخ 26 ديسمبر 1914، الرقم B- 116 حول السماح للسيد طالب النقيب بالدعوة إلى البصرة نظرا للتوصية القوية بحقه من الأمير عبد العزيز بن سعود.

بريطانيا؟ وهل هو سهل الانقياد؟ وان يثبت بأنه لن يثير متاعب لبريطانيا فى احتلالها البصرة ويطالب بتحرير العراق من القوات المسيحية البريطانية وفى ضوء ذلك فإنه يقترح بأن يعين السيد طالب النقيب كملحق سياسى للمقيم السياسى البريطانى ويستفيد من خدمات السيد طالب النقيب لصالح بريطانيا بعدما كان الأخير اتخذ مواقف عدائية منها وخاصة أن السيد طالب النقيب يتمتع بسمعة وشعبية لدى قبائل جنوب العراق ويطالب من الحكومة البريطانية الموافقة على اقتراحاته بشأن السيد طالب النقيب وذلك بعد توسط ابن سعود.

وكان «برسى كوكس» قد بعث ببعض الرسائل إلى ابن سعود[1] وكذلك كان الأخير قد بعث برسالة إلى «كوكس» قائلا:

«أرجو ان لا يخفى عليكم أن السيد طالب النقيب، قد حضر لرؤيتى هنا فى «بريدة»، وأن مجيئه يعود إلى الأوضاع العثمانية والى المعاملة الاستبدادية التى لقيها على يد العثمانيين خلال السنتين الماضيتين ثم إلى وصول «جاويد باشا» والى بغداد وقائد القوات العثمانية فى العراق إلى البصرة، وإلى أنه بحجة الإجراءات التى تقتضيها ظروف الحرب فإن العثمانيين بدأوا بالانصياع لأغراضهم الشخصية تجاهه، وهى أغراض يصعب شرحها إلا شفهيا عند المقابلة، واعتمادا منه على العلاقات القديمة القائمة بيننا وبين أسرته بصورة عامة، وبينه وبينى شخصيا بصورة خاصة، تمكن السيد طالب النقيب من ان يحصل لنفسه على بعثه يوفد بها من قبل مفتشى الشؤون الحربية العثمانية قبل مغادرته بعشرين يوما تقريبا، وقد مكنته هذه البعثة من مغادرة البصرة وانقذته من التعرض لمضايقة أى شخص، وهو

---

(1) ـ سجلات مكتب الهند، I. O. R. R/15/5/25 كتاب من كرنل ـ السير «كوكس» المقيم السياسى البريطانى فى الخليج العربى إلى دائرة الشؤون الخارجية والسياسة ـ حكومة الهند، دلهى، بتاريخ يناير 1915، «القرنة»

الآن معى ونحن متجـهان إلى طرفكم. أما بخصوص معاملـة السيد طالب النقيب معنا ومعكم فإنهـا ليست كما صورها أناس أشرار بدافع من مصالحـهم الشخصية وسيتجلى أنه من الأشخاص الذين يستحقون الاحترام والرعاية»[1].

نجد فى رسالة ابن سعود إلى «برسى كوكس» المـقيم السياسى البريطانى تجاه السيد طالب النقيب الذى عانـى كثيرا من العثمانيين خلال الستـين الماضيتين قبل قيـام الحرب العالمية الأولى إضـافة إلى الإجراءات العـسكرية وحالة الطوارئ التى فرضتها الدولة العثمانية على بغداد والبصرة كل ذلك أدى إلى هروب السيد طالب النقيب بطريقة رسمية بعد حصـوله على اذن من السلطان العثمانية بحجة اقناع ابن سعود بالوقوف معها وان توسط الأخيـر جاء نظرا لعلاقات الخاصة التى تربطها مع أسرة النقيب بصفة عامة والسيد طالب النقيب بصفة خاصة ومعرفته له شخصيا كل ذلك يبرر وقوفـه وتوسطه لطالب النقيب، ويطلب من بريطانيا السـماح له بالعودة إلى البصرة وان تعفو عنها من جراء تصـرفات السيد طالب النقيب وشرح المبررات التى جعلته ان يتخذ تلك الإجراءات من بريطانيا وسوء الفهم الذى حدث بينهما.

رد «كوكس» المقـيم السيـاسى البريطانى على رسالـة ابن سعود بخـصوص السيد طالب النقيب بقـوله: «أما فيما يتعلق بصديقكم السيـد طالب النقيب، فقد قابلت والده المحترم فى البصرة وأخـبرته بما فى ذهنى بشأن نجله، وكان بهذا المعنى حتى إعـلان الحرب إنه لم يـتوقف عن التـقدم بمطالبـات إلينا لم يكن من الممكن قبـولها ولم يقـبل بالشروط الحـسنة التى عرضت عـليه، ومع ذلك فإن الحـكومة البـريطانية تتـصف بالصفح، وعلى الـرغم من أن السيـد طالب النقيب قـد تلقى مشورة سيـئة ومضللة، فلا الحكومة ولا أنا ـ بصفتى ممثلهـا، نحمل للسيد طالب

---

1 ـ سجلات مكتب الهند، I. O. R. R/15/5/25 ـ رسالة من الأمـير عبد العزيـز بن سعود إلى الكولونيل «كـوكس»، المقيم السـياسى البـريطانى فى الخليج العربى، بـتاريخ 5 ديسمـبر 1914م.

النقيب أية ضغينة، ولكن ما وجدته ضروريا فى حالته، أنه لأسباب تقدرونها سيكون من الأفضل أن لا يعود إلى البصرة لفترة ما إلى ان تستقر شؤون البلدة وسكانها، وبعد مدة قصيرة سأكون مستعدا تماما لمقابلته والتحدث إليه فى شؤونه، وإذا كان موقفه فى ذلك الوقت مرضيا، وإذا انصاع لرغبات الحكومة فقد أكون مستعدا لأوصى بالسماح له بالعودة إلى البصرة بشروط مرضية[1].

نجد من خلال رد «برسى كوكس» المقيم السياسى البريطانى على خطاب ابن سعود بأنه يكرر ما قالته الحكومة البريطانية بأن السيد طالب النقيب رفض الشروط التى عرضتها بريطانيا والتى تعتبر من جانبها شروطًا حسنةً كما ان الحكومة البريطانية لا تحمل أية ضغينة وأنها سوف تتغاضى عما بدر من السيد طالب النقيب وإنه يشير بعدم امكانية عودة الأخير إلى البصرة وقد يكون راجع ذلك لأسباب أمنية حيث القوات البريطانية موجودة فى البصرة ولم تسيطر على الأوضاع الكاملة فى جنوب العراق مما يعنى تخوفها من القبائل العراقية والتى قد تقف مع السيد طالب النقيب مما قد يؤدى إلى زعزعة الأمن فى البصرة ضد قوات الاحتلال المسيحيى البريطانى وأن عودة السيد طالب النقيب مرهونة بمدى استجابته لمطالب الحكومة البريطانية.

ضغوط ابن سعود على بريطانيا من أجل السيد طالب النقيب:

استمر ابن سعود يمارس ضغوطه على بريطانيا لصالح السيد طالب النقيب وكتب إلى «كوكس» قائلا: وقد اخبرتكم أيضا عن قدوم السيد طالب النقيب عندى، وعن نواياه الطيبة التى هى لمصالحكم ولم تكن حتى الآن معارضة لها، وقد قلت لكم إننى سأخبركم بما يلزم عند اجتماعنا، ان سبب مجيئى كان لتوثيق

(1) - سجلات مكتب الهند، I. O. R. R/15/5/25 - رسالة من المقيم السياسى «كوكس» إلى الأمير عبد العزيز بن سعود بتاريخ 17 ديسمبر 1914م.

أسس الصداقة والمودة وشرح الحقائق بشأن السيد طالب النقيب الذى أضمر له احتراما كبيرا وأثق فى اخلاصه ورجاحة عقله التى هى نتيجة معرفته بكم وصداقته نحوكم، ونظرا لعدم وصول الكابتن المذكور حتى الآن فإننى مضطر إلى انتظاره هنا لأننى لا أعلم متى سيأتى، ولذلك وجدت من الضرورى أن أرسل إليكم الحاج سليمان فيضى مع هذه الرسالة وطلبت إليه أن يشرح لكم آرائى وآراء السيد طالب النقيب، وإننى أقول لكم بكل صراحة ان السيد طالب النقيب كان صديقا لكم منذ مدة طويلة وقد اطلع أيضا على آرائى وحذرنى على الدوام من العثمانيين وحثنى على حسن العلاقات والصداقة معكم، والآن فيما يتعلق باتصالاته مع العثمانيين خلال الحرب، فإنها جرت خوفا على عائلته وأتباعه من غدرهم وخيانتهم، فإنها لا شك ستغفر له الآن، كما لم يكن ليغفر له فيما لو ارتكب أية أعمال معادية لكم بعد احتلالكم للبصرة، وأرجو أن تصدقونى أنه لو تعهد لكم بشىء فإنه لن يخل به قط، وسيكون من وراءه فائدة فى المستقبل، إنه يتمتع بنفوذ بين وجوه المسلمين والعرب، وهو واحد من الأشخاص المخلصين، وأنا أضمن أى تعهد يقدمه لكم، فإذا كان ذلك موافقا لكم ووجدتم من المناسب استدعاءه إلى البصرة وتلطيف خاطره بما يتناسب مع نبل الحكومة البريطانية، فسأكون عظيم الامتنان وشاكرا لطفكم وسيزداد تعلقى بكم، كما أنه سيكون مدعاة ارتياح كبير للشعب العربى، فإنهم سيؤمنون أن هذا العمل سيكون نموذجا لأعمال أخرى. وأنا أناشدكم البُعد عن أقوال كذابين حسودين ممن كان لهم دور كبير معى ومعه قبل، وأرجو أن يصلنى جواب عاجل ومرض منكم بيد حامل رسالتى[1].

نلاحظ من خلال رسالة ابن سعود إلى المقيم السياسى البريطانى «برسى كوكس» بأنه لم ييأس من محاولاته التوسط والوقوف مع السيد طالب النقيب

---

(1) - سجلات مكتب الهند، I. O. R. R/15/5/25 - رسالة من الأمير عبد العزيز بن سعود إلى السير «برسى كوكس» بتاريخ 10 ديسمبر 1914م.

فيبعث رسالة تلو الرسالة يشرح فيها كل ما يمكن ان يعطى فكرة وانطباع حسن عن صديقه السيد طالب النقيب وإن مجيئه إلى نجد كان من ضمن عوامل توثيق عرى الصداقة بينهما وليس كما يقول البعض بأنه اراد ان يقنع ابن سعود بالوقوف مع الدولة العثمانية ضد بريطانيا إضافة إلى ثقة ابن سعود الكبيرة فى صديقه السيد طالب النقيب واخلاصه له، كما بعث ابن سعود أقرب أصدقائه والقائم بأعماله فى البصرة وهو الحاج سلمان فيضى يشرح للمقيم السياسى البريطانى كل ما يتعلق بانطباع وأفكار ووساطة ابن سعود بشأن السيد طالب النقيب الذى خرج من البصرة خوفا على نفسه وعلى عائلته ومطاردة العثمانيين له وبأنه لو تعهد بشىء فإنه يلتزم به وأن ابن سعود يضمن لطالب النقيب حسن سلوكه وتصرفه تجاه الحكومة البريطانية ولهذا يطلب من الأخيرة تغيير موقفها والسماح له وبالعودة إلى البصرة.

بعث السيد طالب النقيب بعد توسط ابن سعود، رسالة إلى «كوكس» المقيم السياسى البريطانى فى الخليج العربى بقوله: لا يخفى عليكم أننى حينما طالبت بالإصلاحات فى بلادنا، مثل الولايات العربية الأخرى، اتهمتنى الحكومة العثمانية بممالأة حكومتكم الموقرة، ومنذ ذلك الوقت أخذت الحكومة العثمانية تشك فى أمرى وأصبحت أفكارها سيئة عنى، وبسبب هذا فقد ضاعت ثقتى بالحكومة إلى حد أننى أخشى على حياتى، وكانت على اتصال مع حكومتكم العلية قبل إعلان الحرب بواسطة الشيخ خزعل، والقنصل البريطانى فى البصرة، وإن نتائج الاتصالات التى جرت فى ذلك الوقت ليست خافية عليكم، إن اتصالاتى مع الحكومة البريطانية لم تجر فى ذلك الوقت فقط بل قبله أيضا أى مع اللورد «كتشنر» حينما كان فى مصر، لما أعلنت الحرب وزاد عدد القوات العثمانية فى البصرة واشتد القتال فإنهم ـ أى العثمانيين ـ صاروا يضغطون على لأجمع العشائر لمقابلتكم، وأجبرونى على القيام بأعمال لا أستطيع القيام بها ضد حكومتكم، بل إنهم أجبرونى على توقيع برقيات كتبها قائد القوات فى «القشلة»، وقد ألح على

أن أقوم بتوقيعها «مـعنونة» إلى سكان «البحرية» و«الزيادية» مما لم أتمكن من رفضه مطلقـا، وإزاء هذه الظروف وجدت ان خـير مـا اسـتطيع ان أفعله هو أن اغـادر «البصرة»، لأنقـذ نفسي من طلباتهم التي لم توافق أساليـبي ووجهات نظري التي كانت مؤيدة لكم منذ القدم، وقد بحـثت هذا الأمر مع الشيخ خزعل، الذي وجد ذلك أيضا ـ أي مـغادرتي البـصرة ـ مسـتحسنا، لأنني إذا تـصرفت ضد رغـبات العثـمانيين وتعاملـت معكم علنا، فإن حيـاتي وأطفالي وأسرتي وأمـوالي ستكون جميعا مهددة، سيقـتلونني لأنهم في موقف قوي، ولذلك فقد حصلت من مفتش الشؤون العسكرية على أمر يصرح بضرورة توجـيه دعوة إلى ابن سعود لمقاتلتكم، وكان تاريخ هذا الأمـر سابقا لصـدور بعشرين يـوما، وكان وسيـلتي للخروج من البـصرة بحـيث لا يستـطيع أحد أن يمنعني عـن ذلك، وكان هذا قـبل أن أتسلم رسالتكم بواسطة الشيخ خزعل، وقد غادرت البـصرة بعد ان حذرت بصورة سرية كلا من رئيس اللجنة البلدية، وبعض سكان المدينة وشيخ المدينة حمود المير جابر، من مقاتلتكم، وبعـد ذلك أتيت إلى الكويت قاصدا بصورة خاصـة مقابلة القنصل واستكمـال اتصالاتي ـ مـفاوضاتي ـ ولـم يكن لي عمل آخر في الـكويت، وقد أخبـرني القنصل المذكور أنكم بعثـتم إلي بكتاب، بواسطة الشـيخ خزعل لم أطلع عليه حـتى الآن، وقد الح على أن ابقى في الكويت أو اذهب لمقابلتكم في سـاحة الحرب، فشرحت له عدم استطاعـتي القيام بأي من الأثنين، ولايخفى عليكم أنني لو بقيت في الكويت أو ذهبت إليكم فـي ذلك الوقت، فإن الحكومة العثـمانية بما تحمله من كراهية نحوي، لبادرت، فور سماعها بالخبر بقتل أطفالي وعائلتي ونهب أموالي وذلك من اعظم المصائب والمظالم المعروفة لديكم ولدى الآخرين»[1].

---

(1)ـ سجلات مكتب الهند، I. O. R. R15/5/25 ـ رسالة من السيد طالب النقيب إلى السير «برسي كوكس» الضابط السياسي لدى القوة الاستطلاعية الهندية بتاريخ 10 ديسمبر 1914م.

نجد هنا يبعث السيد طالب النقيب بـرسالة إلى برسى كوكس المقيم السياسى البريطانى فى الخليج العربى بعد الرسالة الأخيرة التى بعثها ابن سعود والذى توسط فيـها عن صديقـه السيد طالب النقـيب والذى يبرر فى رسـالته عن تضرفـاته تجاه بريطانيا وكـيف كان العثمـانيون يمارسون الضغـوط عليه منذ فترة، وكـيف تحمل كثيرا من جراء أسالـيبهم السيئة إضافة إلى اتهام الحكومة العـثمانية لطالب النقيب بأنه يميل الى بريطانيـا وهذه تهمة كـبيرة فى نظر العثـمانيين قد يصل إلى الخـيانة وعقوبته الاعدام ولهذا فإنه كان يخشى على نفسه وعلى عائلته مما قرر معه الهروب من البصرة، بعد ان قـدم اقتراحا لحاكم البصرة العـسكرى بأنه سوف يحاول اقناع ابن سعود للوقـوف مع العثمانيين وكل ذلك لأجل الحصـول على إذن بالسماح له بالخروج من البصرة بدون أية مشاكل، وأن خروجـه هذا سوف يكون بمهمة رسمية ولذا نجد الـسيد طالـب النقيب يريد تصـحيح مـا علق فى أذهان البريطانيـين من تصرفاته تجاههـا ويضيف أيضا كيف كانت علاقاته مع اللورد «كـتشنر» عندما كان الاخير فى مصر، كـما أنه استشار الشيخ خزعل حاكم عـربستان الذى اشار عليه بالخروج مـن البصرة والتـوجه إلى الكويت، ثـم يبرر السيـد طالب النقيـب بعدم موافقته على المطالب البريطانية والتى قدمها المعتمد السياسى البريطانى فى الكويت لطالب النقيب خوفا مـن الحكومة العثمانية ولهذا فـإنه قرر الذهاب إلى ابن سعود فى نجد لمقابلته ولشـرح وجهة نظره حول تلك القضايا حيث يرتبط مـعه بعلاقات صداقة واخوة قوية.

يتابع طالب النقـيب قوله فى رسالته إلى «برسى كـوكس»: «بعد هذا الشرح لمعذرتى ولهـذا المخاطر، أعطيـته وعدا بشـرفى بأنى لن أقوم بأى عـمل ضدكم، وأننى سأنقذ أطفالى وعائلتى وممتلكاتى - التى كانت بيد العثمانيين فى ذلك الوقت من شرورهم. لقد أكـدت زيارتى لابن سعود أنها لم تكن كـما كان مفـترضا بين

العثمانيين لغرض تحريضه على مقاتلتكم أو معارضتكم، بل لأجل الهرب من مكائد العثمانيين وان أجعل ابن سعود يتوسط لديكم من أجلي، لأنني أعرف كل شيء وعن علاقاته الطيبة مع حكومتكم وحقيقة تفكيره ونياته، ولهذا السبب غادرت الكويت وقصدت ابن سعود، ان الرسالة التي كتبها ابن سعود الى الكابتن «شكسبير»، والتي شرح فيها له ان آرائي ونياتي هي بجانبكم وليست ضدكم بل تدل على أنني لم أطلب إليه - أي الى ابن سعود - ان يقوم بأي شيء ضدكم، إن جميع تصريحاتهم لكم وأعمالي منذ البداية حتى النهاية، تؤديها الإشارات، المرسلات الصادرة عني وعن حكومتكم وتعاملي الحسن مع رعايا حكومتهم في البصرة، وهذا كله غير الإرساليات المسيحية في «البصرة »، كما ان القنصل البريطاني السابق فيها، «كرو»، كان على علم بذلك، إن الحقيقة الواقعة أنه لم يبدر مني أي نشاط ضدكم لا قبل الحرب ولا بعدها، والمعاملة التي لقيتها من العثمانيين، ان كل هذه الأمور في حد ذاتها دلائل عظيمة، تثبت أنني مع وجهات نظركم أن أكون روحا وجسما. إنني مرسل اليكم الآن حامل هذه الرسالة الحاج سليمان فيضي، نائب البصرة السابق لتمثيلي، ولأجل اعلامكم بما يلزم، وإنه مخول مني للقيام بكل ما يلزم وأي تعهد يعطيه نيابة عني سيكون مقبولا مني وسألتزم به، ولذلك أطلب إليكم ان تجعلوا موضع ثقتكم وتسمحوا له بمحادثتكم وكذلك أن تزودوه بجوابكم الذي سيطمئنني على مستقبلي ويكون لائقا بمقام حكومتكم العلية وموقفكم الودي الذي لا شك فيه، وإنني أتعهد لكم بخدمة حكومتكم الخيرة وأعمل على ضمان مصالحها بكل طريقة ممكنة في الحاضر والمستقبل، إذ لن يكون هناك طاغية يخشى بأسه [أ].

عزز ابن سعود بخطاب الى «كوكس »، المقيم السياسي البريطاني في الخليج العربي جاء فيه: «تسلمت رسالتكم المحترمة، وقد وصلتني في «المحمرة» من يد

(أ) - سجلات مكتب الهند، Ibid - I. O. R. R/15/5/25.

صديقنا الشيخ خزعل، وقد كتبتم سعادتكم حول السيد النقيب، وان له حقا مخلصا فى شخص سعادتكم، وقد فهمت وقدرت مثل ما ذكرتموه، كما أننى تلقيت دعوة من سليمان فيضى الذى وافانى بمزيد من الايضاحات، ولَيس هنالك ما استطيع ذكره بشأن السيد طالب النقيب اكثر مما سبق ان كتبته فى رسالتى الأخيرة، خاصة وأن الكابتن شكسبير لابد أن يكون معكم الآن، وانه بلا شك سيكتب لى بالتفصيل، وفضلا عن ذلك أيضا، واذ أصبح ذلك مختلفا، فأننى أتطلع إلى لقاء مع سيادتكم شخصيا وعندئذ سيتمكن السيد الطالب النقيب من التحدث معى عن شؤونه ومستقبله وآمل أن نتمكن فى النهاية من التوصل إلى تفاهم مرض يجعلنى قادرا على مفاتحة الحكومة المحترمة بصورة ودية. هذا مالزم بيانه والسلام»[أ].

نجاح جهود ابن سعود لصالح السيد طالب النقيب:

نظرا للجهود الكبيرة التى بذلها ابن سعود من أجل إنقاذ صديقه طالب النقيب وقيامه بدور الوساطة، فإن هذه الجهود نجحت وأثمرت، فقبل«كوكس» المقيم السياسى البريطانى فى الخليج العربى توسط ابن سعود وكتب إلى السيد طالب يقول : أكتب لإعلامكم بتسلمى رسالتكم، كما أن صديقكم سليمان فيضى زارنى وأبدى لى مزيدا من الإيضاحات التى تلقيتها باهتمام، أعتقد أن صديقنا ابن سعود والكابتن شكسبير وأنتم ستكونون مجتمعين حينما تصلكم هذه الرسالة، ولاشك أن الكابتن«شكسبير» سيكتب لى بالتفصيل، وعلى أى حال فإننى آمل أن أتمكن من مقابلة ابن سعود حينما يكون قريبا من هذه المناطق، وعندئذ ستتاح لكم

(أ) ـ سجلات مكتب الهند، I. O. R. R/15/5/25 ـ رسالة من السير «برسب كوكس» إلى الأمير عبد العزيز بن سعود بتاريخ 23 ديسمبر 1914م.

الفرصة للبحث شخصيا فى شؤونكم ومستقبلكم معى، وفى هذه الأثناء فإننى سررت لتلقى إيضاحاتكم وتأكيداتكم التى كتبتموها لى(1).

بعث ابن سعود رسالة إلى «كوكس» يقول فيها: أما فيما يتعلق بصديقى السيد طالب النقيب، الذى هو بمثابة أخ لى، فإنه لا يحمل أى تفكير معارض لرغباتكم، وهو مؤمن بعدالتكم ومعتمد على عطف الحكومة البريطانية الفخيمة، ويعتمد أكثر من أى شخص آخر بعدالة الحكومة وسطوتها وقوتها، وقد حاول منذ مدة طويلة أن يكسب صداقتكم ويعتمد على حكومتكم، وهو يكن لكم مشاعر الصداقة والإخلاص منذ مدة طويلة، وحينما شاءت إرادة الله أن تعلن الحرب بينكم وبين الحكومة العثمانية أمرته الحكومة الأخيرة أن يأتى إلى للتوصل لتسوية بينى وبين ابن الرشيد، وأن يحملنى على الجهاد، وكما توقعت فإنه أبلغنى لأجل التظاهر، رسالة الحكومة العثمانية، ولكنه فى الوقت نفسه نصحنى سرا بإنه سيكون من الأفضل تجاهل كلا الطلبين أى طلبى الحكومة المذكورين أعلاه، وكان السبب الذى حمله على تقديم هذه النصيحة هو العداوة التى كانت الحكومة العثمانية تحملها نحوى ونحوه، وكذلك حرصه على مصالح الحكومة البريطانية الفخيمة، ولذالك فإننى أرسلت إليه رسولى المعتمد صالح العذل، وبواسطة الأخير ضغطت عليه أى السيد طالب النقيب أن يجعل الأمر المذكور أى البعثة المقترحة ذريعة للقدوم إلى، وكان هذا الأمر عاجلا لأنه كان معرضا لغدر العثمانيين، كما سبق أن أصبح معروفا لديكم(2).

---

(1) سجلات مكتب الهند، I. O. R. R/15/5/25 ـ رسالة من السير «برسى كوكس» إلى السيد طالب النقيب بتاريخ 23 ديسمبر 1914م.

(2) سجلات مكتب الهند، I. O. R. R/15/5/25 ـ رسالة من الأمير عبد العزيز بن سعود، إلى «برسى كوكس» المقيم السياسى البريطانى فى الخليج العربى، بتاريخ 1 يناير 1915م، يؤكد فيه صداقته لبريطانيا ويبدى أن السيد طالب النقيب مخلص لها يرجو أن ترعاه بريطانيا.

على أثر الرسائل المتبادلة بين ابن سعود و «برسى كوكس» المقيم السياسى البريطانى فى الخليج العربى وحدوث بعض التغير فى موقف الحكومة البريطانية مما أدى إلى انفراج الموقف لصالح السيد طالب النقيب حيث ذكر ابن سعود فى رسالته أعلاه يصف بأن السيد طالب النقيب أكثر من صديق، وأنه يعتبره أخوه، وأنه لا يحمل أية معارضة للحكومة، وأنه يعتمد على تسامح الحكومة البريطانية له ونظرتها العادلة تجاهه، وأنه حاول أن يكسب ثقتها وصداقتها منذ فترة طويلة، ولديه مشاعر طيبة تجاهها، ولكن عند قيام الحرب العالمية الأولى فإن العثمانيين طلبوا منه أن يتوسط لديه لكى يقف معهم، كما طلبوا من السيد طالب النقيب أن يقوم بتسوية الخلافات بينه وبين ابن الرشيد وأن يقنع ابن سعود بالجهاد ضد بريطانيا ولأجل أن يعرف ابن سعود كل ما يتعلق بالموضوع فإن السيد طالب النقيب اطلع على الرسائل والوثائق التى كانت فى حوزته من قبل الحكومة العثمانية، وأنه نصحه بعدم الوقوف مع العثمانيين ضد بريطانيا وأن يتجاهل مطالب العثمانيين الذين كانوا يعتبرون أعداء لطالب النقيب وابن سعود الذى طلب من الأول أن يتخذ من تلك المطالب العثمانية ذريعة للخروج من البصرة ويقول ابن سعود «وكان هذا الأمر عاجلا لأنه كان معرضا لغدر العثمانيين».

يتابع ابن سعود قوله: «وكذلك بسبب احتمال مقابلة الكابتن «شكسبير» الذى كان قد أبدى فى رسالته السابقة أنه قادم إلى بطريق البحرين لغرض تعزيز مصالح جميع الأطراف المعنية، ولاشك أن الأخ المذكور سيشرح لكم الأمور كاملة بعد الاجتماع، وقد تسلمنا بكل احترام أمركم بأن يأتى إلى الكويت وإننا مقتنعون بأن مصلحتنا تتوقف على ذلك، وقد توصل إلى تفاهم مع الكابتن «شكسبير» بأنه - أى السيد طالب النقيب سيبقى فى «الجهرة» إلى حين وصولكم إليها، وإننى أطلب إليكم أن تقابلوه بأسرع ما يمكن وأن تجعلوه محل رعايتكم مما يستوجب مزيدا من امتنانى لكم وبعون الله تعالى آمل أن يقدم لكم خدمات طيبة ويظهر

صداقته، ولذلك فإننى آمل أنكم ستنظرون فى جوابه وفى رسالته بعين المودة وأن أية صداقة ولطف تظهرونهما له سيكونان وكأنهما قد أظهرا تجاهى شخصيا مما سأظل شاكرا له طيلة حياتى[1].

يطلب ابن سعود من «برسى كوكس» المقيم السياسى البريطانى فى الخليج العربى بأن يبت فى هذا الموضوع بسرعة، وكذلك أن يرسل الضابط «شكسبير» يشرح له كل ما يتعلق بالسيد طالب النقيب الذى سوف يبقى فى الجهره إلى صدور تعليمات من الحكومة البريطانية بشأنه، وأنه طلب من «برسى كوكس» أن يقابله بسرعة وينهى مسألته وأن يجعله محل رعايته وعنايته وأنه سوف يشعر بمزيد من الامتنان والشكر وأنه يتوقع من السيد طالب النقيب أن يقدم خدمات كثيرة لبريطانيا التى يمكنها الاعتماد عليه فى المستقبل وأن أية بادرة طيبة من قبل الحكومة البريطانية تجاه السيد طالب النقيب يعتبر ابن سعود بأنها تجاهه شخصيا مما سيظل شاكرا لبريطانيا.

بعث وزير الهند برقية إلى نائب الملك فى الهند جاء فيها أنه بالنسبة للسيد طالب النقيب، لاشك أن كوكس سيستمزج آراء شيخى «المحمرة» والكويت بشأن أفضل طريقة للتعامل معه، وعليه أن يتذكر أيضا أن لطالب النقيب أصدقاء ذوى نفوذ فى مصر وغيرها وأنهم يتأثرون بالمعاملة التى يلقاها[2]. وفى هذه الفترة بعث «كوكس» ببرقية إلى حكومة الهند قال فيها سأرسل برقية منفصلة حول السيد النقيب الذى هو فى طريقه إلى الكويت[3]. ومن ثم بعث نائب الملك فى الهند

---

(1) ـ سجلات مكتب الهند، Ibid. ـ I. O. R. R/15/5/25

(2)ـ سجلات الخارجية البريطانية F. O. 371/2479-4526 ـ برقية من وزير الهند إلى نائب الملك فى الهند بتاريخ 9 يناير 1915، حول كيفية التعامل مع السيد طالب النقيب، يبدى أن له أصدقاء ذوى النفوذ فى مصر.

(3) ـ سجلات الخارجية البريطانية F. O. 371/2482 ـ برقية من نائب الملك فى الهند إلى وزارة الهند بتاريخ 19 يناير 1915م.

برقية إلى وزارة الهند فى لندن جاء فيها، أما فيما يتعلق بالسيد طالب النقيب، فقد أبدى كوكس فى تقرير له بأن السيد طالب النقيب مذعن كليا، وقد أدرك أن البصرة لم تكن مكانا آمنا له، وكان حريصا على إيجاد ملجأ فى مكان آخر تحت حماية بريطانيا، كوكس يعتبر وجوده فى شط العرب فى الوقت الحاضر غير مرغوب فيه، ولذلك فقد اتخذ التدابير لإرساله إلى «بومبى» مؤقتا ضيفا على الدولة مع مخصصات قدرها 1200روبية[1].

أثمرت المفاوضات التى كانت قد بدأت بين ابن سعود وبريطانيا حول السيد طالب النقيب، حتى انتهت إلى اتفاق مع بريطانيا بعد ذلك، وعلم السيد طالب النقيب بما لا يدع مجالا للشك أن وجوده فى البصرة والعراق غير المرغوب فيه من الاستعمار المسيحى البريطانى بل إن وجوده فى أى أرض عربية أخرى لا يرضونه، وكان قد كتب السيد طالب النقيب الخطاب التى ذكرناها سابقا للسير «بيرسى كوكس» من نجد وهو فى طريقه إلى الكويت، ورد عليه كوكس بخطاب فى 12يناير 1915 جاء فيه[2]:

«تسلمت خطابك بتاريخ أول يناير 1915 الذى بعثت به بواسطة سليمان فيضى، وقد أخبرنى أنك اليوم وصلت الجهراء، وليست هناك سفينة فى الوقت الحاضر تحت تصرفى أستطيع السفر بها للكويت للتحدث إليك، فمن المستحيل والحالة هذه مقابلتى لك شخصيا، ولكنك تعرف الكولونيل وفى استطاعتك التحدث إليه بصراحة مثلما أردت أن تتحدث إلى، وإننى على اقتناع بأنه ليس من مصلحتك أو من مصلحة الحكومة البريطانية حضورك لشط العرب فى الوقت

(1) ـ سجلات الخارجية البريطانية F. O. 3712479- 11837 ـ برقية من نائب الملك فى الهند إلى وزارة الهند فى 25 يناير 1915م.

(2) ـ سجلات الخارجية البريطانية F. O. 371/2778 ـ خطاب من السير برسي كوكس المقيم السياسى البريطانى فى الخليج العربى إلى حكومة الهند البريطانية فى 12 يناير 1915م.

الحاضر، وعليه فإننى أريد منك أن تسافر لبومباى مباشرة بسفينة البريد القادمة للإقامة هناك إلى أن تصلك أخبار أخرى منى أو من حكومة الهند، ومرفق مع هذا جواز السفر الذى سيريحك من المتاعب عند وصولك، وفى الوقت نفسه سأتصل بالحكومة وأقدم لها مقترحات ضرورية للحفاظ على مصالح الحكومة وعلى خيرك وإسعادك، وقبل أن أختم خطابى هذا أنتهز الفرصة لأطلب منك أن لا تظن أن صديقنا الشيخ مبارك تحدث عنك بما يسيء إليك، بل أؤكد لك أن هذا الظن لا يرتكز على أساس، بل كان دائما يتحدث عنك كصديق مخلص لك، وإننى مدرك تماما فى الظروف الراهنة أنك ترغب فى التعامل مع ضباط الحكومة مباشرة لا عن طريق الوسطاء، وختاما أرجو لك رحلة طيبة «البومباى».

نجد فى خطاب «برسى كوكس» إلى السيد طالب النقيب بأنه يعتذر عن مقابلته شخصيا ويضع تحت تصرفه بعض الأموال وجواز السفر ويطلب منه الذهاب إلى الهند حتى تهدأ الأوضاع فى البصرة، وكذلك يشرح له بأن ما صدر من الشيخ مبارك تجاهه هو كل خير وأن لايظن بالشيخ مبارك ظن السوء، وان الأخير يقف معك وهو صديق لك ويطلب من السيد طالب النقيب أن يكون اتصاله مع الضابط البريطانيين دون أية وساطة، ولكننا نلاحظ من تصرفات «برسى كوكس» المقيم السياسى البريطانى تجاه السيد طالب النقيب هو أقرب إلى إرساله إلى المنفى الاختيارى وكونه عقابا أو محاولة تكفير الذنوب تجاه بريطانيا، وتصفية الحسابات، ولكن بطريقة مهذبة حسب الأسلوب البريطانى،وذلك بعد تدخل ووساطة ابن سعود، ونظرا لعلاقة الأخير مع بريطانيا من جهة وصداقته القوية مع السيد طالب النقيب، فإن البريطانيين الذين كانوا يريدون اعتقال السيد طالب النقيب قد خففوا من عقابهم للأخير إلى المنفى الاختيارى حيث بعد قضاء الفترة المطلوبة، سوف يتم تعيينه فى الإدارة الحكومية فى العراق فيما بعد تحت السيطرة البريطانية أو فى عهد الانتداب البريطانى للعراق بعدما يكون قد تم ترويضه بشكل مناسب فى المكان المناسب فى إحدى المستعمرات البريطانية الكبرى فى الهند.

الفصل الخامس



إيران وعلاقاتها بالغرب

مقدمة:

لعبت القوى الاستعمارية الأوروبية دورا مهما فى إيران سواء فى تدعيم حكم الشاه فى إيران أو فى استنزاف خيرات هذا البلد المسلم، وفى كلا الحالتين فإنها استغلت الشعب الإيرانى وثرواته وخططه التنموية المستقبلية.

نجد من أهم هذه القوى الاستعمارية المسيحية هى بريطانيا التى تغلغلت إلى إيران من سواحل الخليج العربى، فى حين نفذت إلى إيران من شمالها دولة استعمارية مسيحية لا تقل عن بريطانيا خطورة ألا وهى روسيا التى تعتبر أخطر من بريطانيا بسبب أطماعها التوسعية للأقاليم والشعوب الإسلامية فى آسيا الوسطى، وحتى لا يكون هناك صراع بينهما فكانا يتفاهمان فى تقسيم النفوذ بينهما بحيث كان الروس فى الشمال والبريطانيين فى الجنوب واستمر التنافس والتفاهم حتى قيام الحرب العالمية الثانية.

بقيام هذا الحرب وبضعف روسيا وبريطانيا أمام ألمانيا دخلت دولة استعمارية مسيحية ثالثة وجديدة ألا وهى الولايات المتحدة الأمريكية ولم يكد ينتهى الحرب العالمية الثانية حتى بدأت تتغلغل فى جسم إيران كبديل جديد للاستعمار والسرطان المسيحى القديم الروسى والبريطانى، وكلما تزايدت المواد الأولية وخاصة البترول يتزايد معها اهتمام الاستعمار المسيحى الأمريكى بإيران وبالخليج العربى، وهنا نجد لشاه إيران محمد رضا خان المازندرانى الذى صنعه الاستعمار البريطانى ثم احتضنه الاستعمار المسيحى الأمريكى أراد أن ينسى أو يتناسى ذلك كما أنه يتقرب من شعبه وبذلك فقد الأرضية والقاعدة من جهتين ولهذا كانت نهايته والبديل من القاعدة الشعبية كان جاهزا ألا وهى الثورة الإسلامية فى إيران.

الصراع الروسي البريطاني حول إيران والخليج العربي:

اشتد الصراع بين الدول المسيحية الاستعمارية في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين من أجل إعادة النفط في تقسيم المستعمرات وكانت مناطق الصراع في آسيا وأفريقيا والعالم الجديد فاشتد الصراع المسيحي الروسي - البريطاني حول إيران والخليج العربي لما تتمتع به هذه المناطق من أهمية استراتيجية واقتصادية فبريطانيا تطمح إلى استغلال إيران كرأس جسد للتوغل في وسط آسيا الإسلامية والوقوف في وجه الاستعمار الروسي والاستفادة من أسواق إيران، وروسيا المسيحية من جانبها تهدف إلى تحقيق تلك الأهداف الاقتصادية وإيقاف التوغل البريطاني نحو آسيا وتطلعها نحو الخليج العربي. ومنذ بداية القرن التاسع عشر كانت كل من بريطانيا وروسيا تراقب الأخرى وتعرقل نشاطها في طهران مستغلة الضعف المالي والاضطراب السياسي في إيران لكي تحقق أهدافها.

خسرت إيران الحرب مع روسيا مرتين بسبب ضعف الجيش وتأخر البلاد كانت الحرب الأولى عام 1804 - 1812 وفي اعقابها تخلت بموجب اتفاقية «كلستان» عن مقاطعتي «ايروان» و«نخجوان» وتنازلت عن حق الاحتفاظ بأسطولها في بحر قزوين، والحقيقة فإن خططها التوسعية تستهدف بلوغ نهر «أرسى» على أقل تقدير ومن هنا اندلعت نيران حرب جديدة عام 1826 - 1828 وقد ذاقت إيران مرارة الهزيمة مرة أخرى ولاسيما بعد أن دخلت القوات الروسية تبريز العاصمة الثانية وبدأت تهدد طهران، فاختفت معاهدة «كلستان» لتحل محلها معاهدة جديدة أقسى وأمر دخلت التاريخ باسم «تركمان جاى» - القرية التي تحمل مراسيم توقيعها واضطرت عن التخلي عن أهم أجزاء الشمالية من «طالش» و«لنكران» ومناطق اذربيجانية أخرى كما فرضت على إيران تنازلات سياسية واقتصادية أخرى كثيرة بما في ذلك غرامة حربية بلغ مقدارها مليون روبل فضة[أ].

(أ) - فوزي خلف شويل - إيران في سنوات الحرب العالمية الأولى ص33.

تعتبر معاهدة سانبتى وغراد عام 1724 بداية للاستعمار الروسى فى بلاد إيران وقد سهلت العلاقات بين روسيا وإيران لتلك المهمة ثم جاءت معاهدة تركمان جاى عام 1828 التى سمحت بتدخل قوى للنفوذ الروسى فى إيران بعد أن أصبح لروسيا الحق فى حرية الملاحة فى بحر قزوين وحق إنزال سفنها الحربية ومزاولة النشاط التجارى لكافة المدن إيران، أما النفوذ البريطانى فى إيران فيرجع إلى عهد الشاه عباس الأول الذى فتح أبواب إيران للبضاعة الأوربية عام 1587 وفى عام 1606 وصلت طلائع شركة الهند الشرقية البريطانية إلى إيران. وفى عام 1841 وقعت بريطانيا مع إيران معاهدة تجارية على غرار المعاهدة الروسية - الإيرانية لعام 1828 إذ حصلت بريطانيا على امتيازات تجارية فى تبريز وطهران وبندر بوشهر والمدن الإيرانية الأخرى وحققت بريطانيا لهذه المعاهدة هدفين(1): فرض سيادتها التجارية على إيران. إضعاف العلاقات التجارية التى كانت قائمة بين شمال إيران وروسيا وقد أحدثت المكاسب البريطانية فى إيران رد فعل فى الصحافة الروسية فادعت أن روسيا خسرت المعركة وأكدت على مبدأ الموازنة فى إيران.

حطم تأثير الغرب المسيحى وخاصة روسيا وبريطانيا العلاقات الهشة بين دولة القاجار والمجتمع الإيرانى وانتهت سلسلة من الهزائم العسكرية والاتفاقيات الاقتصادية، فبالإضافة إلى تنازلات إقليمية واستسلام اقتصادى قاس أدى إلى تخفيض عائدات التصدير، أتاحت هذه الاتفاقيات لبريطانيا وروسيا فتح وكالات تجارية حيثما كان داخل إيران وأعفت تجارها من القوانين المحلية والتعريفات الجمركية ورسوم عبور الطرقات، هذا الاستسلام الذى توافق والثورة الصناعية فى أوروبا فتح الطريق أمام إغراق إيران ببضائع الانتاج الكبير وازداد حجم التجارة

---

(1) د. نورى عبيد البخيت - الصراع بين روسيا وبريطانيا حول فارس والخليج العربى فى القرن التاسع عشر - مجلة الخليج العربى - العدد السادس عام 1976 - ص32.

الخارجية بحدود عشرة أضعاف وسبب نموها بدوره هلاك كثير من الصناعات اليدوية[1].

أصبحت روسيا فى نهاية القرن التاسع عشر تتمتع بموقع السيادة على أسواق إيران الشمالية وعلى طهران أيضا واخذت تزيح بريطانيا من أسواق وسط وغرب إيران وكان نجاح روسيا الاقتصادى والسياسى فى إيران سببا فى تطلعها نحو الخليج العربى ولذا فقد ساهمت روسيا منذ بداية القرن العشرين فى الصراع بين الدول المسيحية الأوربية فى الخليج العربى فى الوقت الذى اشتد فيه الصراع بين بريطانيا وفرنسا وألمانيا حول مشروع سكة حديد بغداد. وتبدأ علاقة بريطانيا فى الخليج العربى فى مطلع القرن السابع عشر حين تأسست شركة الهند الشرقية وكان لهذه الشركة علاقة تجارية مع موانىء الخليج العربى وبعد استقرار النفوذ البريطانى فى شبه القارة الهندية ازدادت أهمية الخليج العربى بالنسبة للاستعمار المسيحى البريطانى كطريق مائى يربط بينها وبين الهند وبقية مستعمراتها فى آسيا وازدادت أهمية المنطقة بعد محاولات اكتشاف النفط. وفى نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين استقر النفوذ البريطانى بعد عقد سلسلة من معاهدات الحماية مع حكام المنطقة من العرب ففى عام 1895 تمت لهم السيطرة على البحرين وفى عام 1892 على مسقط وفى عام 1899 تمتعت بريطانيا بمكانة مرموقة فى الكويت عندما وافق الشيخ مبارك الصباح على استلام خمسة عشر ألف روبية فى العام لقاء تعهده بعدم ارتباطه بأى علاقة مع أى دولة دون موافقة بريطانيا وتحت حمايتها كانت هذه الاتفاقية موجهة بالدرجة الأولى ضد محاولات روسيا المسيحية فى الاتصال مع شيخ الكويت مبارك الصباح. وكانت الأهداف السياسية الأساسية للاستعمار المسيحى البريطانى للخليج العربى هو:- تقوية مركز الاحتكارات

---

(1) ـ برفند ابرهميان ـ إيران ص33.

البريطانية فى حوض الخليج العربى وتأمين مواصلاتها مع شبه القارة الهندية والوقوف فى وجه محاولات التدخل لبقية الدول المسيحية الأوربية كفرنسا وألمانيا[1].

أصبحت إيران محوراً سياسيا فى السياسة الروسية نظراً لأهمية موقعها الاستراتيجى مع ضعفها العسكرى وكونها سوقًا كبيرة استهلاكية للبضائع الأوروبية، حيث بدأت المصالح الاقتصادية تلعب دوراً كبيراً كعامل محرك للصراع المسيحى الدولى حول إيران فقد أخذت الدول المسيحية الأوروبية وفى مقدمتها روسيا وبريطانيا تتسابق من أجل الحصول على امتيازات كثيرة فى إيران وحصلت روسيا على امتياز سكة حديد من الحدود إلى «تبريز» واحتكار صيد السمك فى بحر قزوين وشق طريق من الحدود إلى «تبريز»[2].

أرادت روسيا القيصرية استغلال مصائب بريطانيا فى حرب جنوب أفريقيا ففى عام 1900م قدمت البنوك الروسية قرضا إلى إيران وإلى الشاه بمبلغ 22،5 مليون روبل بفائدة قدرها 5٪ ولمدة 75 عام وكان الضمان المقدم للبنوك الروسية هو الإشراف على واردات الجمارك الإيرانية ماعدا مصادر الجمارك فى الخليج العربى كما تعهدت الحكومة الإيرانية بتسديد ما بذمتها من القروض البريطانية ومن هذا القرض الروسى الجديد، وبعدم القيام بعقد أى قرض مالى جديد مع أى جهة أخرى إلى بعد تسديد القرض الروسى وتعد هذه الاتفاقية ضربة قوية للمصالح البريطانية فى إيران وعندما قررت الحكومة الروسية إدخال فرق من القوات لحماية مصالحها فى موانىء الخليج العربى جوبهت بمقاومة بريطانيا التى طلبت من الشاه بأن لا يسمح للحكومة الروسية بتنفيذ تلك المشاريع.

---

(1) ـ د. نورى عبيد البخيت ـ المرجع السابق ص32.

(2) فوزى خلف شويل ـ المرجع السابق ص37.

بدأ العجز يدب فى ميزانية إيران تحت ضغط هجوم السلع كما كانت القروض المسيحية تتكفل بالتغطية شكلا وبمفاقمة العجز فعلا كما حدث فى مصر الملكية، وبذلك كانت تحب الأسرة الحاكمة محافظة على عرشها مقابل جلب كوارث اقتصادية على البلاد فى الوقت الذى كانت الديون تتزايد وتتراكم، فكانوا كالمستجير من الرمضاء بالنار، فيما يصبح كل مافى البلاد نهبا للسوق الخارجية وعلى سبيل المثال كان حاكم كرمنشاه يصادر جميع الأغنام فى مقاطعته ويصدرها غير آبه بمجاعة كانت تعصف مقاطعته، وفرض نظام الامتيازات الأجنبية على إيران كما فرض على الدولة العثمانية وخديوى مصر من البنك الدولى والصندوق الدولى ومن الدول المسيحية الغربية، وتبعا لذلك لم يكن ممكنا رفع الرسوم الجمركية أو فرض ضريبة شراء على الإنتاج الأجنبى فى داخل البلاد دون موافقة الدول المسيحية الغربية مما حد من القدرة التنافسية للإنتاج المحلى، فقد كانت عقود الإمتياز لمعظم فروع الاقتصاد الرئيسية تمنح للمسيحيين الأوروبيين فأفرزت صراعًا اقتصاديًا وسياسيًا مستمراً بين إيران وبين أصحاب عقود الامتياز وأرصدة الديون[1].

تمت السيادة البريطانية على الخليج العربى بتأثير سياسة القوة والتهديد فالمناورات البريطانية والإرهاب والضغط الشديد على شعب الجزيرة العربية يعدان العامل الأساسى المؤثر على نفوس السكان والبسطاء مما جعلهم يؤمنون بسيادة بريطانيا المطلقة على مياه الخليج العربى ولهذا السبب فإن تواجد البضاعة الروسية والبواخر الحربية الروسية فى مياه الخليج العربى وفتح القنصليات فى كل مكان مثل بوشهر وبندر عباس ولنجة والبصرة كل هذا أثار ذعر الحكومة البريطانية التى جابهت مشاريع روسيا وتطلعاتها نحو الخليج العربى بمقاومة عنيفة من قبل

(1) ـ حازم صاغية ـ المرجع السابق ص10.

بريطانيا ويمكن أن يقال إن تحركات روسيا صوب الخليج العربى وتزايد النفوذ الألمانى فى الدولة العثمانية هى التى حركت المشاريع البريطانية حول تقسيم إيران إلى مناطق نفوذ بريطانية فى الجنوب وروسيا فى الشمال وقد قامت الصحف البريطانية بحملة إعلامية واسعة للإتفاق مع روسيا ضد ألمانيا وقد كان رد الفعل من جانب الصحافة الروسية ضد فكرة التحالف مع بريطانيا بعض المعارضة، فقد أعلنت صحيفة (الأزمنة الحديثة) المقربة من الأوساط الحاكمة فى بتروغراد معارضتها لمشروع التحالف الروسى البريطانى وعلى الرغم من جفاء الحكومة الروسية فقد استمرت فى دعوتها الصحف البريطانية إلى التقرب من روسيا القيصرية[1].

رفض روسيا المسيحية للمشاريع البريطانية بشأن الاتفاق حول إيران والخليج العربى زاد من شدة الخلافات بين روسيا وبريطانيا فى الشرق الأوسط ولاسيما بعد رفض الحكومة الإيرانية القروض البريطانية عام 1901 كل هذه الأحداث ساعدت على قوة وجهة النظر الداعية إلى استعمال سياسة الحزم والشدة فى إيران والخليج العربى فى الأطماع الروسية والألمانية وكان للتهديد البريطانى أثره على الحكومة الإيرانية فأعلنت تعهدها بأن لا تسمح بضرب المصالح البريطانية فى إيران، أنها لن توافق على أن تبنى على أراضيها مواقع للقوة ضد المصالح البريطانية فتحسنت العلاقات الإيرانية البريطانية على ضوء هذه التهديدات لكن العلاقات البريطانية الإيرانية أصيبت بنكسة جديدة بعد قبول الحكومة الإيرانية قرضا روسيا جديدا مقداره 10 مليون روبل.

ومع أن الصراع الروسى البريطانى كان يمثل الوجه الأبرز لمحاولات التغلغل فى إيران وسببا ونتيجة لنظام الامتيازات فى آن واحد إلا أن الدول الكبرى الأخرى بدأت توجه أنظارها إلى إيران وثروتها مثل: التغلغل الألمانى فقد ظهرت فى طهران

---

(1) د. نورى عبيد البخيت ـ المرجع السابق ص32.

مدرسة ألمانية وفرع للمصـرف الألماني، وزودت احتكارات كروب الألمانية مع عدد من الشركات الصغيرة الجيش الإيراني ببـعض الأسلحة، كما ظهر عدد متزايد من المؤسسات الألمانية كما ارتفع عدد الخبراء الألمان العاملين في مختلف المجالات(1).

أدى الاتفاق البريطاني اليـاباني إلى تقوية نفوذ بريطانيا في آسيـا فأصبح لها أساس من أجل سلوك سياسي فعّال في الشـرقين الأقصى والأوسط ضد روسيا إذ أصبحت سـياستها أكـثر حزمًا وصلابة وقـد حدث تحول في سياسـة روسيا على أساس إدراكها لقوة بريطانيا بعد إنهاء الحـرب في جنوب أفريقيا واتفاقها مع اليابان ووضوح الخطـر الألماني في الشرق الأوسط المهـدد للأطماع الروسـية إضـافة إلى الأزمة الاقـتصـادية التي تعـاني منها روسـيا في تلك الفـترة فـأرجعت الحكـومة البريطانية إلى التـحولات الروسية الجديدة وكان رئيس وزراء روسيـا يجمد دخول رؤوس الأموال البريطانية إلى روسيا، وبعد فشل محاولات بريطانيا التقرب لألمانيا عادت الدبلوماسية البريطانية إلى سياسـتها السابقة، وهي التقارب مع روسيا حتى أصبـحت إيران والخليج العربي تشغل حـيزا كبيـرا في السياسة البـريطانية وهكذا حققت الدبلوماسية البريطانيـة هدفها الأساسي وهو إيقاف الزحف الروسي صوب جنوب إيران والخليج العربي وإحكام قبضتها على تلك المناطق وتمكنها في الوقوف في وجه الأطماع الاستعمارية لبقية الدول الأوربية وخاصة ألمانيا وفرنسا في الشرق الأوسط(2).

حاربت الحـركة الوطنية الإيرانية الملـكية وحلفاءها والمؤسسـات والحكومات المسيحية الاستعمارية الأوروبية في مناسبات عديدة وإن أول ائتلاف وطني في إيران ظهر في عام 1878 لمعارضـة «امتيـاز رويتر» وكانت الملكيـة الحاكمـة قد منحت

---

(1) ـ فوزي خلف شويل ـ المرجع السابق ص41.

(2) ـ د. نوري عبيد البخيت ـ المرجع السابق ص33.

البارون «رويتر» حق احتكار لمدة خمسين عـاما لكافة مصادر التعدين والاتصالات فى إيران مثلما يحـدث اليوم فى الدول العربية للاحـتكارات الرأسمالية المسيـحية الغربيـة، فبزغ ائتلاف مـن رجال الدين ومثقـفى الطبقة الوسطى وتجـار الأسواق للاحتجاج على هذه الامتيازات ونجح فى إلغائها، وهكذا كسبوا معركة واحدة ضد مؤسـسة مسيحيـة أوروبية ولكن الحرب كانت أبعـد ماتكون عن نهايتهـا ففى عام 1895 عادت الحركة الوطنيـة للاحتجاج على منح امتيازات التبغ للمـدعو الميجور تالبوت واستمرت الانتفاضة ثمانية عـشرة شهراً وألغيت الامتيازات ولكن جاء فى أعـقـاب هذا توسع المصـالح البـريطانيـة ودورها فى التـدخل فى إيران. وعـاود الوطنيون نشاطهم عام 1905، وان الحشود السـياسية لعبت دوراً مـهما فى صنع التاريخ الإيرانى الحديث فكانت وسـيلة إلى تنفيذ الثورة الدستـورية وكسب الحرب الأهلية الـتى نتجت عنها فـى الصراع ضد الدول المسـيحـية الاستـعمـارية حيث شـاركت الحـركة الوطـنية فى الاضـرابات والتظاهـرات، وان ادخال الدسـتـورية والقوميـة والعلمانية كمـا يحدث حاليا فى الدول الـعربيّة قد ساعـد على تقويض النظام السـياسى فى إيران فى عهـد نظام القاجـار ويبين أن التأثـير الاقتـصادى ـ الاجتماعى للغرب المسيحى هو السبب الرئيسى الحاسم فى الثورة فقد كانت الطبقة الوسطى من الملاكيين وشيوخ الطوائف الحرفية التى لعبت دوراً مسيطراً فى تشكيل نتيجة الثورة(1).

إيران والولايات المتحدة الأمريكية:

تأخرت الولايات المتـحدة الأمريكيـة فى إقامة علاقـات مع الشرق الأوسط وإيران ويرجع تأخـرها إلى أنها ظلت مـستعـمرة بريطانيـة حتى الاسـتقـلال عام 1776. ثم انشغلت بعد استقلالهـا فى السيطرة على العالم الجديد ومناطق الشرق

---

(1) ـ نوبار هوفسبيان ـ إيران 1900 ـ1980 ص12.

الأقصى. وكانت الجمعيات المسيحية التبشيرية تمثل بداية الوجود الأمريكى فى إيران. وكان الهدف من وراء هذه الجمعيات المسيحية التبشيرية السيطرة على أقطار الشرق الإسلامية وبدأت هذه الجمعيات بإصدار مجلة شهرية. ثم جاءت الخطوة الثانية عام 1850 بمحاولة عقد معاهدة بين إيران والولايات المتحدة ولكن لم يتم التوقيع عليها، وفى عام 1856 تم التوقيع على أول معاهدة بين البلدين وكانت نسخة طبق الأصل من معاهدة 1850 ووقع المعاهدة السفير الأمريكى فى الأستانة «شارل سينس» وسفير إيران وفرح خان أمين الملك، وقد حصلت الولايات المتحدة بموجبها على نفس الامتيازات التى حصلت عليها كل من بريطانيا وروسيا المسيحية في إيران. وفى أغسطس 1882 وافق الكونغرس الأمريكى على قيام علاقة دبلوماسية مع إيران. فوصلت إلى طهران فى فبراير 1883 أول بعثة دبلوماسية مسيحية أميركية يرأسها الدبلوماسى يهودى «صموئيل بنيامين». وقام بنيامين بتوجيه الدعوة إلى رجال المال والصناعة والتجارة من الأمريكيين للعمل فى إيران وعلم أن الإيرانيين سيرحبون بإقامة علاقات مع الولايات المتحدة. وتمكن السفير الأمريكى «فردويك أومينتس» من الحصول على امتياز من الشاه بمد خط حديدى يربط طهران بأحد موانىء الخليج العربى. كما وافقت طهران على منح عدد من المؤسسات الأمريكية امتيازات لاستخراج الثروات الطبيعية وبناء ورش لحلج الأقطان وحفر الأبار، وازداد حجم التبادل التجارى بسرعة بلغت ثمانية أضعاف[1].

جاء «السير يوبت» وتمكن من إقناع الشاه ناصر الدين بقبول المساعدات الاقتصادية الأمريكية ودخلت العلاقات الإيرانية الأمريكية مرحلة جديدة فى مطلع القرن العشرين. ولقد جاءت النشاطات الأمريكية فى إيران دليلا على التصريحات التى أعلنها تيودور روزفيلت وكانت أهم أهداف أمريكا إضعاف النفوذ الروسى

---

(1) ـ فوزى خلف شويل ـ المرجع السابق ص43.

والبريطاني في إيران. ولقد وافق البرلمان الإيراني فـي نوفمبر عام 1910 على دعوة لجنة من الخبراء الماليين الأمريكيين لإنقاذ الوضع المالي المتدهور في البلاد. فوصل «شوستر» في مايو عام 1911 على رأس لجنة عدة الخبراء الماليين الأمريكنيين وأصبح المشرف على خـزانة الحكومة الإيرانيـة. وأصبح المسؤول الأول عن الشـؤون المالية ونشاط شوستر الموجه ضد المصالح الروسيـة البريطانية أثار حفيظة الدولتين. وقاما بالضغط على الشاه لإبعاد شوستر وبالفعل تم إقصاءه عن منصبه في 11 نوفمبر عام 1911 وهذا دليل على فشل أمريكا الأول للتدخل في إيران. وبعـد الثورة الشيوعية في روسـيا، نشطت الدبلومـاسيـة الأمريكيـة لسد الفـراغ الناجم عن الانسـحاب الروسي من شمال إيران. وفي عام 1918 وصلت بعثة إلى طـهران وحصلت على امتيازات التنقيب عن النفط ولقد سـاندت أمريكا إيران للمساهمة في مؤتمر الصلح في باريس، وكذلك حاولت أمريكا استغلال الخلافات البريطانية ـ الإيرانية فقررت لجنة الكونغرس تقديم المساعدات الاقتـصادية إلى إيران ولم تستجيب حكومة إيران وأحبطت المحاولة أو فشلت المحاولة الرامية إلى إحـباط المعاهدة البريطانية الإيرانية نتيجة لقوة بريطانيا(1).

عرض السفير الأميركي في طهران عام 1921 على استغلال الوضع الناشيء عن انسحـاب جيوش الروسـية البريطانـية من إيران. وطلب إرسال بعض الخـبراء الأمريكيين لهذه إلا أن الدبلـوماسية الأميركية لم توفـق في تلك المهمة إذا فشلت في إقناع الحكومة الإيرانية في قبول اقتـراحاتها. لذا حاولت استغلال الاضطرابات في إيران والإفلاس المـالي الذى عمَّه بعـد الحرب العـالمية الأولى. فعـرضت على إيران أن يتولى أمريكيون دراسة الأوضاع الاقتـصادية والمالية فرحبت حكومة الشاه وتم الاتفاق بواسطة السـفير الإيراني في واشنطن حـسين علاء. فـوصلت طهران

(1) د. ياسين العيـوطي ـ الظل الإيراني على استراتيجية أمـريكا الجديدة في الشرق الأوسط ـ ص 120.

بعثة أمريكية برئاسة الاقتصادى المشهور «آرثر ميلسبف» فى أغسطس 1922. وعملت على تنظيم الاقتصاد واستثمار رؤوس الأموال ولقد استمرت البعثة فى أعمالها لمدة خمس سنوات. وحظيت البعثة بتأييد «رضا خان». وذلك بعد أن قدمت له عدة مساعدات مالية لبناء دكتاتوريته وعندما أصبح رئيسا للوزراء أقصى عن الحكم جميع الوزراء المعارضين لأعمال البعثة ولقد حاولت الشركات النفطية الأمريكية استغلال الظروف السياسية للحصول على امتيازات التنقيب عن النفط. ولكنها جوبهت بمقاومة شركة النفط الإنكليزية الفارسية. وفى صيف 1922 حاولت الشركات الأميركية مرة أخرى الحصول على امتياز التنقيب وفشلت. وبعد استقرار رضا خان المازندرانى فى السلطة رفض العمل بموجب مقترحات البعثة الأمريكية. فاضطرت البعثة إنهاء أعمالها فى أغسطس عام 1927. وبالتالى فشلت المحاولة الأميركية الثانية للسيطرة على إيران. وقامت بمحاولة ثالثة فى فترة الحرب العالمية الثانية 1941 وعندما دخلت القوات السوفيتية إيران لمنع الألمان من استعمال الأراضى الإيرانية كقاعدة للهجوم على أراضيها. واستغلت أمريكا الظروف التى أحاطت ببريطانيا. وانتهاء النفوذ الألمانى فى إيران وسقوط رضا خان المازندرانى. فدفعت الماليين والمستشارين للعمل فى جهاز الحكومة الإيرانية[1].

وجد محمد خان نفسه فى وضع لايحسد عليه داخليا إذا ازدادت حدة المعارضة وصار مكروها من شعبه، كما أرعبته سياسة الاتحاد السوفياتى فى شمال إيران اذ وجد فى تلك الممارسات دعم حزب توده خطراً على تاجه يضاف إلى الأخطار الداخلية الأخرى فالتفت إلى أمريكا طالبا العون فأرسلت هذه الأخيرة إلى إيران بعثة عسكرية أمريكية لتقديم المشورة للجيش[2]. وفى خريف 1942

---

(1) ـ د. ياسين العبوطى ـ نفس المرجع ص120.

(2) ـ محمد وصفى أبو مغلى ـ العلاقات الإيرانية الأمريكية وأثرها فى الخليج العربى ص17.

وصلت بعثتـان أمريكيتان إلى إيران إحداهمـا للشرطة والأخرى للجيش. فالبـعثة الخاصـة بالشرطة جـعلت الجهـاز الأمنى يعتـمد على السلاح الأمـريكى. ووافق البرلمان الإيـرانى فى مارس 1943 على لائحة قـانون بقبـول قرض أميـركى قدره 4.5 مليون دولار لشراء أسلحة أميـركية لجهاز البوليس. وفى 8 ابريل عام 1943 تم التوقيع على المعاهدة الإيرانية ـ الأمريكية حـول تقديم المساعدات المالية والخبراء الماليين. فـوصلت بعثة مـالية فى ديسمبـر عام 1943 للمرة الثالـثة. برئاسة «آرثر ميلسبوغ» وكـان أهم أهدافها تهيئة المناخ الملائم للتغـلغل الرأسمالى الأمريكى فى إيران وتحقيق الهـيمنة الاقتصادية الأمريكـية عليها. ولقد تجاوز مـيسلبوغ الأهداف التى وضعت مما سبب ازعاجا للبرجوازية الإيرانيـة. وبالتالى فشلت بعثته وغادرت إيران فى عام 1945.

استـهدفت أمريكا مـن إرسال البعـثات العسكرية إلى إيـران فى الأربعينات لتقوية الجيش الإيرانى بحيث يتـاح للشاه أن يتغلب على المعارضة فى الداخل وأن يوحد القومـيات المختلفة فى إيران على أنه قـبل نهاية الحرب العالميـة الثانية بدأت أمريكا تـشك فى نوايا السيـاسة السوفـياتيـة فى إيران تماما كـما شكت فى تركـيا واليونان. والواقع أن السوفيـات لم يسحبوا قواتهم من إيران بعد الحـرب كما كان متفقًا وعوضا عن ذلك فقد أقيمت فى أزربيجان وكردستان أنظمة موالية للسوفيات ويجب أن نلاحظ أنه كـانت لإيران دائما مـشاكل بالنسـبة إلى الأقليـات العرقـية ومطالبها الاسـتقلالية ولهـذا فإن القضيـة لم تكن قضية من صنع السـوفيت فقط ولكن الاتحاد السوفيتى وجد الفرصة سانحة لاستغلال الضعف فى المجتمع الإيرانى لمصلحته[1].

ساعـدت معاهدة ابـريل على زيادة حجم الواردات والصـادرات مع أمريكا

---

(1) ـ سلمى حداد ـ المساعدات الأمريكية العسكرية لإيران ص19.

وكان من أهداف السياسة الأمريكية أن تثبت نفوذها فى إيران ولترسيخ النفوذ الأمريكى فى الخليج العربى والسيطرة على موارد النفط وأتيحت كل الظروف من أجل ذلك. وأدت الوسائل التى اتبعتها الولايات المتحدة للتقرب من إيران بعد الحرب العالمية الثانية هو التعاون الأميركى الإيرانى إلى التقارب فنجد الأمم المتحدة تساند الولايات المتحدة مطالبة الحكومة الإيرانية بخروج القوات السوفيتية من أذربيجان. وساند الخبراء الأمريكيون الجيش الإيرانى فى القضاء على الحركات المناهضة للحكومة الإيرانية.

وركزت الاستراتيجية الأمريكية الجديدة فى إيران سياستها بضوء المعطيات الجديدة وهى:

التطور السياسى فى إيران بعد الحرب العالمية الأولى ووصول محمد رضا خان المازندرانى للحكم فى إيران وبناء الدولة الحديثة وتغيير اسم فارس إلى إيران. وذلك بعد التطور المفاجىء أثناء الحرب العالمية الثانية 1941م بإكراه الشاه رضا خان بالتنازل لابنه شاه محمد رضا خان. الاتفاقيات الدولية بين القوى العظمى بريطانيا وروسيا بشأن إيران والنفوذ السياسى والاقتصادى والفكرى. ظهور الدولة الامبريالية الحديثة «الولايات المتحدة الأمريكية» ودورها الجديد فى ورثة الاستعمار القديم. تطور سياسى ما بعد الحرب العالمية الثانية وظهور القوى العظمى الجديدة «الولايات المتحدة ـ الاتحاد السوفياتى». اتفاق العملاقين الجديدين للسيطرة والنفوذ على مراكز الاستعمار القديم (أوربا) بريطانيا ـ فرنسا ـ البرتغال ـ أسبانيا ـ هولندا ـ بلجيكا. التطور الاقتصادى الكبير فى إيران بعد الحرب العالمية الثانية وظهور البترول وضخامة الإنتاج الإيرانى. صراع الشركات المسيحية على الامتياز النفطى فى منطقة الخليج العربى ضمنها إيران. تمسك الشركات البريطانية شل ـ ب ب (وحلفائها الأوربيين) ببترول إيران. منافسة الشركات الأوربية فى الخليج العربى بعد سيطرة الشركات المسيحية الأمريكية على بترول السعودية. كل هذه النقاط

تضافرت لتؤدى مسارا جديدا فى سياسة الولايات المتحدة الأمريكية المسيحية تجاه إيران بعد الحرب العالمية الثانية. ففى داخل إيران كان هناك تناقضا اجتماعيا واضحا ضمن ثلاث تيارات. تيار الشاه ومعه مجموعة من الاقتصاديين التكنوقراط الذين حاولوا التغيير الاجتماعى والاقتصادى بمجموعة قوانين علمانية لنقل إيران للعصر الحديث أسوة بتركيا العلمانية ضد ارادة الشعب المسلم. فقد ركز الشاه على الإصلاح الزراعى والجيش وركز التكنوقراط على البترول والصناعة. مجموعة الشباب المثقفين والطبقات الفقيرة (وحزب تودة) وذلك بتأييد واضح من الاتحاد السوفياتى. مجموعة القيم الدينية المتمثلة برجال الدين الشيعة فى مركزهم المقدس «قم» والذين يعارضون القرارات العلمانية وإبعاد العقيدة الإسلامية عن حياة الشعب الإيرانى. ولا نعتقد بأن الولايات المتحدة الأمريكية بما لديها من خبراء ومستشارين قد أغفلوا دور أى من المجموعات الثلاث التى كانت إيران تزخر بهم بعد الحرب العالمية الثانية كما ادعت بعض الصحف الأمريكية، وأن دور إيران العسكرى كقوة ضاربة فى الخليج العربى قد رعت بريطانيا ثم أمريكا بعد زيادة حدة التناقضات الاقتصادية بين بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية بعد الحرب العالمية الثانية. وفى طهران فى أكتوبر عام 1947 تم توقيع معاهدة أميركية جديدة مع حكومة إبراهيم حكيم. تقدمت إلى مجلس النواب يطلب الموافقة على قبول مساعدات أميركية تقدر بعشرة ملايين دولار لشراء الأسلحة الأمريكية. فأصبح الجيش الإيرانى يعتمد على السلاح الأمريكى[1].

عرفت إيران مفارقة مهمة هى أنها من جهة دولة لم تنقطع سيادتها ومن جهة أخرى دولة لم تنقطع تبعيتها وهذه حالة معظم الدول العربية حاليا، فقد بدت إيران فى ظاهر الأمر مهملة من الاستعمار وخارج ذاكرته بدلالة أنها لم تخضع

(1) د. ياسين العيوطى - المرجع السابق ص119.

مرة من المرات الاستعمار يطالها من شمالها إلى جنوبها بل عرفت بين فترة وأخرى اقتطاعا يطال جزءاً من أراضيها أو احتلالا مؤقتا لجزء آخر مثلما كان يحدث فى اليابان وتركيا والسعودية والحبشة، وبذلك كانت سيادة إيران دائما تحت المراقبة وتحت مناخ هذا التأثير اندرجت «أنظمة» إيران الضعيفة والمفتعلة فى المشروع الاستعمارى لتفكيك السلطنة العثمانية ومنذ القرن التاسع عشر نشأت صلات وروابط بين إيران ومشاريع الانتفاضات بقيادة الإقطاع الكردى(1)، ومروراً بالتعاون الإيرانى - الكردى - الإسرائيلى لإضعاف العراق الجمهورية حتى توقيع اتفاقية الجزائريين شاه إيران وصدام حسين حيث توقفت هذا التوجه المفتعل فى المشروع الاستعمارى.

أصدرت حكومة محمد رضا خان المازندرانى فى فبراير 1949 قانون تحريم الأحزاب الوطنية فى إيران فأصبحت حكومة الشاه أكثر ارتباطا بالولايات المتحدة. ولقد أراد محمد رضا خان المازندرانى استغلال الأطماع الاستعمارية المسيحية الأمريكية فى تحقيق مشاريعه التوسعية بالنسبة للخليج العربى. ولقد وقعت فى واشنطن اتفاقية بين الدولتين فى 23 مايو 1950 تعهدت الولايات المتحدة فيها بالحفاظ على استقلال إيران وأراضيها، وتعهدت بتقديم المساعدات إلى إيران لتطوير وسائل دفاعها وبالتالى أصبحت إيران أول بلد يحصل على مساعدات عسكرية أمريكية. وتعهدت الولايات المتحدة بتقديم الخبراء فى الزراعة والصحة والتربية البدنية وتم تشكيل لجنة تنفيذية وبدأت أعمالها بافتتاح ثلاثة مراكز قرب أصفهان وطهران. وميناء بوشهر وبدأ الخبراء نشاطهم. وكان القصد من ذلك نشر الدعاية الأمريكية بين صفوف الفلاحين الذين يقدر عددهم أربعة أخماس الشعب الإيرانى. وفى يناير عام 1952 وقع فى طهران اتفاق جديد مع الولايات المتحدة

(1) حازم صاغية - صراع الإسلام والبترول فى إيران - ص9.

حول التعاون الفنى تعهدت الولايات المتحدة بموجبه تقـديم مساعدات مالية قيمتها 23 مليون دولار. وتعهـدت الحكومة الإيرانية بقبـول بعثة من الخبـراء الأمريكيين واعتبـارهم جزءاً من الهيئة الـدبلوماسية الأمريكيـة العاملة فى إيران. وفى الوقت الذى توافد فـيه الخـبراء كان هيـاج الشعـوب الإيرانية ضـد الاستعـمار المسـيحى الأمريكى قد اشتد. ومع ذلك استمرت أمـريكا فى سياستها. وتصورت الولايات المتـحدة أن ضـرب المصـالح البـريطانيـة فى إيران يساعـدها على تقـوية نفـوذها الاقتصادى والسـياسى فى البلاد. وفى فترة حكم الدكتور مـصدق فى البداية قبل بالمساعدات الأميركية ضمن مـشروع النقطة الرابعة للخروج من الأزمة الاقتصادية. ولكن الدكتور مصدق حاول فى الفتـرة الأخيرة من وجوده فى السلطة التقرب إلى الاتحـاد السوفـياتى. مما أدى إلـى ازدياد القلق الأميـركى من سـياسـته الداخليـة والخارجيـة، وفى صيف عام 1952 دبر الأمريكيـون مع الرجعية الإيرانيـة انقلاب مضاد ضد الدكتور مصدق.

ولكن مصدق بعد فـترة قصيرة عاد إلى تصحـيح الوضع. وتمكن فى كفاحه من أجل السـيطرة فى تحقـيق النصر وأصـبحت قيـادة الجيش لوزير الدفـاع وليس للشاه. ولم يعطى مصدق الضـمانات اللازمة حول موقعه المناهض للشـيوعية وقد بالغت وسائل الإعلام البريطانية والأمريكية فى إظهار تزايد خطر التهديد الشيوعى وضرورة تقوية سلطة الشاه[1]، وأصدر الشاه مـرسومين أحدهمـا ينص على إقالة حكومة مـصدق. والثانى على تـعين زاهدى رئيسـا للوزراء. وقام مصـدق بإلقاء القـبض على زهدى وهرب الشـاه إلى بغـداد ومن ثم إلى رومـا، وبعـد معـارك استمـرت بضع ساعات نتيـجة استغلال زهدى التناقـضات بين مصدق والجـماهير سـقطت حكومة مـصدق وأعـلن زهدى تشكيل حكومـة جديدة وكـان للسفـارة الأمريكيـة فى طهران دور فعـال فى إعداد الجيـش للانقلاب، وبعد رجـوع الشاه

(1) د. ياسين العيوطى ـ المرجع السابق ص120.

صرح أن إيران بحاجة إلى المساعدات المالية الأمريكية. وبالفعل بدأت المفاوضات بين السفير الأمريكى «هندرسون» وزاهدى لإعادة النظر فى حجم المساعدات. وبالتالى فإن انقلاب زهدى ثبت التحالف بين القوى السياسية العسكرية الرجعية الإيرانية والإمبريالية المسيحية الأمريكية. وفى 17 أكتوبر وصل إلى إيران مستشار الحكومة الأميركية المختص بشؤون النفط «هربرت جوبرت» والذى بدأ محادثاته مع الجنرال زهدى حول إعادة النظر فى تقسيم أسهم الشركات النفطية العاملة فى إيران. وهذا جعل الرأسمالية المسيحية البريطانية تفقد احتكاره وهيمنته على النفط الإيرانى وانتقلت الهيمنة إلى الاحتكارات الرأسمالية المسيحية الأمريكية. وهكذا أصبحت الثروة القومية للشعب الإيرانى المسلم من نصيب الاستعمار المسيحى الأميركى. وبدأ العمل من أجل ضم إيران إلى منظومة الأحلاف العسكرية الهامة عن طريق تثبيت النفوذ الأميركى فى الشرق الأوسط. وفى عام 1955 تم توقيع حكومة حسين علاء على ميثاق الحلف العسكرى التركى ـ الإيرانى والذى سمى بحلف بغداد. وقد احتج الاتحاد السوفياتى على انضمام إيران إلى الحلف[1].

زادت الولايات المتحدة مساعداتها إلى إيران بعد التوقيع على الحلف. وقد إعتبر العسكريون الأميركيون الجيش الإيرانى عام 1957 بأنه لم يصل بعد إلى درجة القدرة على استيعاب كميات كبيرة من الأسلحة الحديثة. ولقد أراد الخبراء الأميركيون أن يقوم الجيش الإيرانى بدور القوة البوليسية لحماية الطبقات الحاكمة فى إيران من خطر الثورات لكى تبقى إيران فى أعداد الدول الحليفة للولايات المتحدة. وتم افتتاح معهد وهدفه زيادة النفوذ الامبريالى المسيحى الأمريكى وبلغ عدد الطلبة 36 وتغلغل العنصر الإمبريالى المسيحى الأمريكى فى المدارس والمعاهد

---

(1) ـ د. ياسين العيوطى ـ المرجع السابق ص120.

والجامعات وساهمت الولايات المتحدة فى وضع الكتب المدرسية وتأسيس 72 مدرسة وارتفع عدد الطلبة الإيرانيين فى المعاهدة الأمريكية، وكانت هناك مؤسسات أمريكية غير رسمية ساهمت فى توجيه حركة التعليم فى إيران. وحاولت تقديم المساعدات للنقابات العمالية وتثقيف العمال وإبعادهم عن الأفكار الإسلامية. ولعبت السينما دورا فى نشر الدعاية الأمريكية وقامت طهران بالتأييد التام لمشروع إيزنهاور وذلك عن طريق اعتراف إيران بحق الولايات المتحدة فى ارسال جيوشها إلى إيران. وسقطت حكومة حسين علاء ورحبت الولايات المتحدة برئيس الوزراء الجديد ولقد أصبحت الولايات المتحدة بعد الحرب العالمية الثانية مسؤولة عن عدة مشاريع بناء الطرق فى إيران، وازدادت المساعدات الأمريكية لإيران وبلغ عدد الخبراء حتى نهاية عام 1958 حوالى 600 خبير أمريكى وبعد ثورة يوليو عام 1958 فى العراق أصبحت أمريكا قلقلة على مستقبل إيران وفى 5 مارس تم توقيع اتفاق عسكرى بين إيران وأمريكا وتعهدت الولايات المتحدة بموجبه بالدفاع العسكرى عن إيران ضد أى هجوم وأصبح للولايات المتحدة حق التدخل العسكرى فى إيران. وأصبحت إيران ملزومة باتفاق المساعدات التى تقدمها لها الولايات المتحدة ضمن برنامج التعاون المشترك ضد الخطر. وبتوقيع المعاهدات مع الشاه تحولت الأراضى الإيرانية إلى قاعدة عسكرية تستغلها الولايات المتحدة ضد الاتحاد السوفيتى ولاشك أن توقيع المعاهدة جعل إيران أكثر ارتباطًا بالعسكرية المسيحية الأمريكية وبذلك تحولت الأراضى الإيرانية إلى قاعدة عسكرية مما جعل الولايات المتحدة تضاعف من مساعداتها العسكرية والاقتصادية لإيران ولقد أعلن الشاه أن بلاده وصلت إلى درجة من القوة بفضل المساعدات الأمريكية وارتفعت قيمة الصادرات الأمريكية إلى إيران. وظلت إيران مصدراً للمنتجات الزراعية ولم تقم

صناعات ثقيلة فى البلاد. إضافة إلى المخاطر العسكرية التى تعرضت لها بعد أن تحولت إلى شبه قاعدة عسكرية[1].

اختارت الأمبريالية المسيحية برئاسة الولايات المتحدة إيران الشاه لتكون «الشرطى الثانى» فى المنطقة العربية لخدمة المصالح الأمبريالية المسيحية الغربية وليكون مساعداً للشرطى اليهودى المحتل لفلسطين فى ضرب آمال الأمة العربية ومتعاونا معها ولذلك قدمت المساعدات الضخمة العسكرية والصناعية لتمكينه من القيام بالدور الذى أسند إليه، ولم يكن محمد رضا خان يخفى تحالفه المتين مع محور الغرب المسيحى ـ اليهودى بل كان يتباهى بذلك وكان نظامه يوفر مانسبته 20٪ من احتياجات أمريكا من النفط فى مقابل أسعار متدنية قياسًا لأسعار السوق العالمية وفى الغالب تتم مساواتها بصفقات من الأسلحة التى تفوق احتياجات إيران العسكرية، وشكل عامل استقرار سياسى للمصالح النفطية وأعطى نفسه حق الاشراف على حركة ناقلات النفط وقام الشاه بالتوسع على حساب الوطن العربى وخنق حركة التحرر العربية ومنع أى تقارب وحدودى بين أقطار الخليج العربى كما أرسل قواته إلى عمان لقمع حركة ثورة ظفار المسلحة والاحتلال للجزر العربية الثلاث أبو موسى والطنب الكبرى والصغرى[2].

يحاول الغرب وعلى رأسهم الولايات المتحدة الأمريكية عدم الاكتفاء بالسيطرة الاستراتيجية على منطقة الخليج العربى فحسب بل ربطها اقتصاديا وسياسيا بالدول المسيحية الغربية وهذا نابع من تخوف هذه الدول من توغل الأنظمة التابعة للاتحاد السوفيتى فى المنطقة الذى يعزلها عن العالم المسيحى الغربى وخاصة بقطع الإمدادات النفطية عنه. وإن الاستراتيجية المسيحى الغربية تحاول

(1) ـ د. ياسين العيوطى ـ نفس المرجع ص120.

(2) ـ د. محمد وصفى أبو مغلى ـ المرجع السابق ص38.

إيجاد ثغرات فى أكثر من مكان فى المنطقـة العربية وبالأخص منطقة الخليج العربى لحاجـتها الماسـة إلى بتروله. كمـا يوضح تاريخ التنافس حول النفـوذ الاستعـمار المسيحى فى منطقة الخليج العربى، فبـعد أفول نجم بريطانيا فى الخليج العربى، بدا النفوذ الأمريكى يزداد فى إيران أولا ثم باقى أقطار الجزيرة العربية.

فركـزت الولايات المتحـدة جهودها لإحـتفـاظ بعلاقات حـميـمة مع إيران والسعودية لكـونهما الدولتين المواليتين لهـا فى المنطقة وقد ساعد الـوضع السياسى الذى كان سائدا فى حكومات الشـاه القوية على ضمان إمكانية توجيـه سياسة هذا البلد لأمد طويل ونظـرا لإفساح دور باكسـتان بعد انسـحابها أصـبحت إيران هى المرشحـة الأقوى للقيام بـهذا الدور والتأثير على دول الجـزيرة العربية وقـد قامت الولايات المتحدة وتحقيقا لأهدافهـا الإمبريالية بزيادة شحنات الأسلحة وخاصة إلى إيران والسعودية والكويت، تحت شـعار المساعدة العسكرية إلى جانـب مساهمات بريطانيا وفرنسا وإيطاليا فى هذا المجال. شارك الشاه مشاركة نشطة فى توفير الأمن للاسـتعمـار اليهـودى فى فلسطين المحـتلفة، فـتح أبواب إيران لوكالة المخـابرات المركزية الأمريكية وعمـلائها فعاثوا فى البلاد فساداً واستقطبوا عـدد كبيرا من كبار ضبـاط الجيش والسياسـيين وغيـرهم وصارت الفئة المخـتارة من الإيرانيين أتبـاعًا مـخلصين لأمـريكا حتى صـارت مركـزاً مـهمـا لنشاطات المخـابرات الأمريكيـة والاحتلال اليهـودى الموساد، وربطت أجهزة المخابرات الإيرانية «السـافاك» بأجهزة المخابرات الأمريكية والاحـتلال اليهودى «الموساد» فتعاونت الجـهات الثلاث تعاونا واسعًا ومريبا. وقـد اعترف عدد من ضباط سلاح الجو الإيرانيـين أثناء محاكمات الثورة الإسلاميـة عن إرسال أمريكا مساعدات عسكرية إلى الإحـتلال اليهودى فى فلسطين خلال حرب 1973 عن طريق عملائها فى إيران، كما تم اغتيال ثلاثة من الزعـماء الفلسطينيـين فى بيـروت عام 1973 بتـخطيط البوليس السـرى الإيرانى «السافـاك» المتواجد فى لبنان بالتـعاون مع عمـلاء الاحتلال اليـهودى فى فلسطين

المحتلة فى إيران، وذكرانه كان يوجد أكثر من عشرة آلاف خبير اسرائيلى وأربعين ألف خبير أمريكى فى نظام شاه إيران[1].

نجد إن سياسة الولايات المتحدة الأمريكية والدول المسيحية الغربية فى الخليج العربى لا ترتكز على قواعد اقتصادية فحسب من حيث استيراد النفط بل تتجاوز ذلك إلى اعتبارات سياسية وعسكرية لسيطرة النظام الرأسمالى المسيحى فى المنطقة والقضاء على أية أنظمة إسلامية. لذا لجأت بتكريس ذلك عن طريق شحنات الأسلحة المقدمة لإيران وقد استطاعت إيران أن تلعب دورها بدقة وتقوم بوظيفة الضامن للاستقرار والشخص الذى يحافظ على ميزان العلاقات السياسية السائدة، إلا أنها لم تحظ أبدا بثقة كيانات الخليج العربى بسبب أطماعها التوسعية.

خلع رضاخان وتولية ابنه محمد الحكم فى إيران:

واجه البريطانيون طوال السنوات الأربعين اللاحقة حركة وطنية استعادت حيويتها ترفض محاولات البريطانيين فرض وصايتهم، لهذا الوطنيون فى العام 1919 ضد محاولات الورد «كيرزون» لفرض المعاهدة الإيرانية ـ البريطانية التى كان من شأنها أن تحول إيران إلى مستعمرة بريطانية فعلية. لهذا شنت المعركة وألغيت المعاهدة، وفى العام 1921 قاد البريطانيون من خلال رضا خان المازندرانى بالتعاون مع روسيا البلشفية انقلابا ضد القاجار، فى أثناء الحرب العالمية الثانية دخل البريطانيون إيران وتعاونوا مع الوطنيين فى إرسال رضاخان إلى المنفى فى جنوب أفريقيا ومع ذلك فإن البريطانيين المسيحيين لم يسلموا السلطة للوطنيين واحتفظوا بدلا من ذلك بنظام وصاية حيث كان ابن رضا خان يتربى فى حضن الوصاية الاستعمارية[2]. وتولى هذه التركة الثقيلة عن رضا خان المازندرانى وهو فى جهل

---

(1) د. محمد وصفى أبو مغلى ـ المرجع السابق ص40.

(2) ـ نوبار هوفسبيان ـ المرجع السابق ص13.

تام بحقيقة المصير الذى ينتظره فكان قـد بلغ الثانية والعشرين من عمره. وكان هذا الملك الشاب فـى ذلك الوقت نتاج نظامين مـختلفـين من التعلم والتنشـئة، أولا التنشئـة الصارمة والتعليم العـسكرى والذى تلقاه فى المدرسة الإعـدادية العسكرية الإيرانية المعروفة بقسوتها وانضباطها، ثانيا التعليم المسيحى الغربى الذى تلقاه على يد مربيته الفـرنسية فى البداية ثم فى المدرسة الثانوية الخاصة بالصـفوة فى سويسرا التحق بها وهو فى الثانـية عشرة. وقد ألمح مرارا بعد توليـه حكم إيران إلى رغبته فى أن نكون ملكا دستوريا لبلد ناضج سياسيا. وأبدى أسفه لاضطراره لأن يحكم كملك أسيوى مستبد. لقد كـان محمد رضا خان المازندرانى بعد توليه حكم البلاد سيداً فى القصر وسيدا على عامة الشعب من الفقراء الذين كانوا يرتجفون خوفاً منه ويخشونه، ويـقبِّلون حذاءه. علاوة على الارستـوقراطية القديمـة التى تحالفت مع القـوى الدينيـة فى ذلك الوقت رغم تفكيـرها المسـتنيـر فقـد أعلن الشـاه فى 16 أغسطس عام 1945 نهاية الحرب وأصـبح لزاما على القوات الأجنبيـة أن تنسحب من البلاد وطبـعًا لزامًا على القـوات الأجنبية طبقـا لماورد فى الاتفاقيـات القوات الأجنبية التى تحتل البـلاد ان تنسحب فى غضون ستة أشهر من إعـلان انتهاء حالة الحرب وقـد سحبـت بريطانيا والولايات المتحـدة قواتهـا من إيران ولكنهمـا ظلتا تسيطران على معمل تكرير عبدان وآبار البترول فى جنوب البلاد[1].

زال الخطر عام 1945 ومع ذلك استـمر الجيش الأحـمر فى احتـلال البلاد بتشـجيع من حزب التودة الذى تغلـغل فى الحكومة، وقف الجيش الأحمـر حائلا لمدة طويلة بين طهران والإقليم الشمالى أزربيجان الذى انشق وأعلن قيام جمهورية أزربيجان الديمقراطية كما أعلن الأكـراد جمهورية الكردية المستقلة. قد اصطدمت محـاولة الشاه الأولى للدخـول بقواته إلى أزربيـجان اضافـة أن فتـرة المجلس قد شارفت على نهايتها وأنه يجب البدء فى إجراء انتخابات جديدة. فلابد أن ينسحب

(1) ـ جورج بوسى ـ شاه إيران حكم تحطم ص125.

الجيش الروسى ولا يتم التصديق على المعاهدة البترولية فبعد انسحاب الجيش الأحمر من شمال إيران جرت انتخابات مجلس تحت رقابة مُشددة بعد أن حل الشاه مجلس الوزراء ليطرد منه الشيوعيين. استطاع الشاه أن يتقدم بقواته فى هذه الأقاليم المنشقة التى انهارت لحرمانها من مساندة الجيش السوفيتى ولكن هذه الضربة العسكرية الناجحة لم تغير من الموقف كثيرا فمازال أعداء الشاه كثيرين فقد قام د. مصدق بانتزاع البترول من السيطرة البريطانية وأعلن تأميمه، وأنشأ الشركة الوطنية للبترول الإيرانى، لتحل محل الشركة البريطانية الإيرانية للبترول كما أخذ من السوفييت صيد الأسماك الإيرانية من بحر القزويين.

قال الشاه لبعض أصدقائه المقربين «إن محمد مصدق خان محقا فى سياسته التحررية لاسترداد الاقتصادى الإيرانى وقد ساعدته بكل ثقلى ولكن طموحه أدى به إلى الجنون بعد ذلك» واستطاع الغرب المسيحى دون صعوبة انتهاج سياسة الحصار اقتصاديا ولكنه استمر معتمداً على شعبه واتخذ لنفسه اقتصاديات واسعة. وقد اضطر محمد رضاخان أن يحنى رأسه للعاصفة فلم يكن يستطيع أن يفعل غير ذلك. ومضى عامان من الاضطرابات الخطيرة فى إيران إثر فشل الجهود الرامية لتقريب وجهات النظر البريطانية الإيرانية فيما يتعلق بتأميم البترول. لعب الشاه لعبة الرحيل للمرة الأولى فى ربيع ولكنه وجد فى بعض أفراد الشعب تجمهرت أمام قصره والتى كان قد نمى إلى علمها الخبر صدفة مبرراً كافيًا لعدوله عن الرحيل، مرت ثلاثة أيام من الاضطرابات التى هزت طهران وبعض المدن الأخرى. خلال مظاهرة حرة شعبية كبيرة يتزعمها حزب التودة تتعالى الهتافات مطالبة بالتقارب مع السوفيت وإدانة أمريكا التى رفضت مساندة إيران. بإعطائها الدولارات التى طلبتها، فتعلق تأييدها للشاه، ويقوم بتجريد مصدق من جميع سلطاته وتعيين بدلا منه الجنرال زهيدى الذى ألقت المخابرات الأمريكية بكل ثقلها وراءه ويبثون الرعب فى المدينة ويتصدى لهم مصدق بقواته وتقوم مظاهرة من

300 شخص من أتباع الشاه بتشجيع من المخابرات الأمريكية. ويتم اختطاف رئيس الأركان من مكتبه ومصدق من منزله ويبدأ في مباشرة مهامه كرئيس وزراء وينحنى الجميع أمامه. استطاع محمد رضا خان المازندرانى أن يقول كما فعل لويس الرابع عشر «أنا الدولة» يقتل الوزراء في يناير 1965. وتم تطهيره تماما وسيطر عليه الأمريكيون ويتمتع بوضع متميز في الدولة، أما الطلبة ورجال الدين فقد تم قمعهم ظاهريا بعد أن سيطر على مقاليد الأمور بتوقيع اتفاق 1954 مع شركات مسيحية بترولية أمريكية بريطانية. فرنسية، لاستغلال البترول وإدارته. واشترط الاتفاق أساسًا أن تدفع 50٪ من أرباحها البترولية[1].

هزمت الحركة العمالية في الانقلاب الذى حدث عام 1953 بسهولة لعدة أسباب منها: القوات المسلحة التى ظلت مخلصة للملكية، أما حزب تودة فلم يتحالف مع الجبهة الوطنية التى كانت تمثل الطبقة الوسطى الحديثة وحافظ معظم الريف وخصوصًا الفلاحون والقبائل الرحل على سلبيتهم أو أنهم تصرفوا لصالح الملكية وحال صغر حجم الطبقة العاملة وعزلتها دون اشعالها الثورة وهكذا ضمن الشاه الفوز في صراع عام 1953 وبعدها تحمل تودة والحركة العمالية وطأة القمع البوليس ووضعت المصانع التى تملكها الدولة تحت إدارة ضباط متقاعدين من الجيش وحصلت الشرطة السرية جهاز آمن الدولة «السافاك» على حضور فعال في المصانع وبدأت تشرف مباشرة على النفايات التى تديرها الحكومة وكان سياستها الثابتة تقوم على إطلاق النار على العمال المحتجين وسجن زعماء المجموعات[2].

زاد الانتاج تحت ظل هذه الإدارة حتى بلغ عام 1951 (200) مليون طن، وأراد الشاه أن يواصل مرة أخرى محاولاته من أجل إخراج الفلاح الإيرانى من عصر قرون الوسطى. وأصدر قانون لتقنين هذه الخطوة على أن يدفع الملاك 10٪

(1) د. جورج بوسى ـ نفس المرجع ص164.

(2) برفند ابرهميان ـ إيران ـ ص95.

من حصتهم إلى الفلاحين وللتعاونيات الزراعية التى كان يزمع إنشاءها. أراد الشاه أن يربط العالم كله والشعب الإيرانى بين عظمة إيران وبين الملكية سيصبح دخل إيران من البترول فاحشا. يتعهد الشاه بإعطاء البترول لمدة 20 عام بسعر مرتفع يستطيع إقامة الصناعات وتزويد بلاده بالطاقة النووية أراد الشاه من أجل استخدام قواده استخداما رشيدا وصندوق المعونات التابع لصندوق النقد. أنشأ جيشًا هائلاً وقوة بحرية مجهزة بكل حديث فى عالم التسليح بفضل قوات ضمن السيطرة التامة على الخليج العربى وكانت للشاه أهداف كبيرة.

خلال ربع القرن الذى تلا انقلاب عام 1953 حققت إيران قدراً كبيراً من التنمية الاقتصادية - الاجتماعية وقد أمكن ذلك إلى حد كبير بفضل الإيرادات النفطية المتزايدة وبطبيعة الحال فإن بعض هذه الأموال قد بدد على بناء القصور للأمراء والرحلات الملكية والمهرجانات الضخمة والأسلحة البالغة التطور التى تعد باهظة التكاليف حتى بالنسبة لدول كثيرة من أعضاء الحلف الأطلسى. وبينما ساعد الشاه على تحديث البنية الاجتماعية فانه لم يفعل شيئا بذكر لتطوير البنية الفوقية السياسية أى لاتاحة تكوين جماعات ضاغطة ولفتح المضمار السياسى للقوى الاجتماعية لإقامة روابط بين النظام والطبقات الجديدة، وعلى النقبض من ذلك تحرك الشاه فى الاتجاه العكسى، فضيق قاعدة النظام السياسية[أ]. وضعت الشركات المسيحية متعددة الجنسية يدها على الزراعة من أجل الزراعات الصناعية من الضرورى دعم المواد الغذائية الأساسية بالنسبة للفقير. قد أصبح لديها الوعى لإدراك حقائق الأمور وتثور فى وجه زيادة الثروات التى حققها المضاربة فى العقارات تلمح فى الشوارع واجهات المحال. والشاه حليف ذو شأن بل ومفضل أيضا لاستراتيجية أمريكا فى آسيا ينقل بطبيعة الأمور إلى العربية السعودية هذا

(أ) - يرفند إبرهيمان - المرجع السابق ص108.

بالإضافة إلى أن أمريكا اكتشفت أن الوجه السياسى الحقيقية لإيران هو القبضة الحديدية لرضا خان مؤسس الأسرة ثم بسبب انحيازها التام للابن بلا حدود عندما قرر محمد رضاخان تتويج نفسه إمبراطوراً على إيران. وفى النصف الأول من القرن، عثروا الإيرانيون أخيرا على هويتهم، وبذلك استكملت حركة المعارضة المفتوحة لنظام الشاه والتى تكون من رجال القضاء والأدباء والأساتذة والطلبة والتجار والجماهير العريضة التى أعطت الحركة مفهومها. وأنبل الدماء التى أريقت. إن التذمر الاجتماعى والاقتصادى ضد الرأسمالية المسيحية التى تفشت خلال العشرين عامًا قد جعل من إيران أن تصبح كمبوديا أو أثيوبيا أخرى. سيطرة الإسلام على الحركة الشعبية فالشاه قد حطم التماسك الاجتماعى بنظريته الدكتاتورية الفردية ورغبته خلق إيران جديدة فى فترة محدودة بما لديه من مخزون النفطى(أ).

فقد راهن شاه إيران على الغرب المسيحى والتغريب ويصل بينهما جسر من النفط وأعدم الحقائق الوطنية وألغى أن تكون هناك فعالية تذكر لتراث لازال ارتباطه بالواقع كبيراً. لقد أدت صدمة أوروبا المسيحية إلى استنهاض التعارض الكبير بين الحفاظ على الذات تحت علم الدين الإسلامى فى وجه الإبادة السياسية والثقافية الغربية وبين الالتحاق بالغرب المسيحى تحت علم البترول دون أى طموح ذاتى أو بالقليل منه، وبقدر ما كان الإسلام تعبيراً عن الذات بكل ما فيها من حسنات كانت العلاقات البترولية تعبيراً عن الحالة الاستعمارية المسيحية التى اتخذت قبل ذاك صياغات عدة للتبعية تشارك فيها نخب محلية تواقة لإحلال قوميات متغربة أو علمانيات طامحة لإكمال الغزو الاستعمارى المسيحى من الداخل، وبصيرورة البترول عموداً للاقتصاد يقابله تثبيت علاقات النهب بقوة العنف قويت الرغبة فى

(أ) ـ د. جورج بوسى ـ المرجع السابق ص165.

الخطيئة عند تلك النخب والأسر الحاكمة[1]. كان الشاه مقتنعًا بدوره لهذا الفشل الأخير، بل أرجعه إلى افتقاد قطعة فى تركيب البناء الضخم الذى يقوم به. لابد أن الشاه قد دهش كثيرا من استمرار نفوذ رجال الدين. رغم سلاسة الأنظمة المتعاقبة فى تعاطيها مع الغرب المسيحى بقيت الاستجابة قاصرة عن موجبات عصر الامبريالية المسيحية ففى تلك الأنظمة قدر من استبدادية الشرق التى يجب تلبيتها وفرض مطواعية العصر عليها. وتضررت المؤسسة الدينية المسيحية بأشكال أكثر تفصيلية من هذا الدخول الغربى المسيحى المغلف بقشرة من الحداثة حيث تكرر ما عرفته تركيا من خلافات بدت فى ظاهرها خلافات بين السلطات الحكومية والعلماء فأقام التشريع على أسس مدنية واستصدر قانونا يمكن بمقضاه تأميم الأراضى ومشروعات الرى المملوكة لمؤسسات دينية، كما نشر القانون المدنى والقانون التجارى وبدأ المندوبون الحكوميون يراقبون المدارس الدينية لضبط عملية الفصل بين التدريس الدينى والخدمة العسكرية، وعينت الحكومة أجهزة خاصة لادارة الجوامع والأماكن الدينية وحصر انفاق الأوقاف الدينية وقرر شكل صرفها، ويقف شرطيان مع باب كل مسجد تحت حراسة الاستخبارات الإيرانية السافاك[2].

نمت بذور الأزمة الأخيرة فى عهد وزارة عباس هويدا التى استمرت حتى 1976م عندما بدا للعالم أن هناك حاجة إلى إعادة النظر فى الخطة الخمسية التى أدت إلى آثار الفساد والتضخم وأعلن الشاه أخيرا عن برنامجه للحريات من أجل توسيع قاعدة السلطة فى إيران مبتعدًا عن حقيقة القوى الاجتماعية فى البلاد مبالغًا فى تقدير قدرته مستهينًا بخصومه وكان أعظم أخطائه، ففى نفس الزعيم الدينى أية الله الخمينى، قد أتاح له فرصته الذهبية للهجوم عليه. كانت للظروف التى تولى فيها رضا خان المازندرانى الحكم عام 1941 أبلغ الأثر فى سياسته.

(1) حازم صاغية ـ المرجع السابق ص8.

(2) حازم صاغية ـ المرجع السابق ص16.

واعتماده على القوة العسكرية التى أدت بالتالى إلى انفجار الشعب هذا الانفجار الذى زود رجال الدين بالأسلحة اللازمة لمواجهة السلطة،. فقد أحاط الشاه نفسه بتكنوقراطيين متظاهرين بقدرتهم على إنجاز أى عمل، قد كره الشعب الإيرانى خضوع الشاه أو ما بدا وكأنه خضوع للغرب المسيحى، وليس ذلك سبب نفورهم من نمط الحياة الغربية المسيحى، وإنما لسياستهم والعزلة من تدخل الغرب المسيحى فى شئونهم ولأنهم لا يريدون أن يعاملوا معاملة الند للند. وساعد على إعطاء هذا الانطباع وتعميقه، تأييد المسيحيين الأمريكيين والبريطانيين المستمر للشاه، حاول الشاه تقليد الغرب المسيحى، إلا أن المعارضة لم تستطع التوفيق بين دورها كمعارضة وولائها للشاه. وفى مارس 1975م أراد الشاه أن يقيم نوعًا من الحوار فى البرلمان وعلى أسس سليمة فقام بخلق حزب، وهى محاولة أخرى لإبعاد هيكل السياسى أعلى[أ].

كان المفروض أن ينمو من القاعدة ولذلك لم يقتنع به أحد. كانت تصورات الشاه، واقتناعه بعظمة الدور التى يقوم به، يعكس على معيته من المحيطين به غرورا وصلفا وخاصة بعد الفراغ السياسى الذى أعقب تجميع السلطات بين يدى الشاه، بعد الثورة البيضاء عام 1963م. وعندما وعد الشاه بإطلاق الحريات، مع ما يتضمنه الأمن من الحرية أكثر فصاحة، لم يكن يعلم إلى أى مدى تدهور الموقف وكذلك شعبيته الشخصية، وبالخيانة وعدم الانتماء إلى الوطن، وإغماض بصره من تهافت معاونيه على الثروات فلا غرو إذن أن يسقط. وقد عقد الكثيرون مقارنة بين سقوط لويس السادس عشر ملك فرنسا عام 1789م وبين سقوط الشاه فقد صرح غلام رضا خان أخو الشاه فى الاجتماع العام بمدينة أصفهان التى يمتلك جزءا كبيرا منها. إن المشكلة هى أن إيران تقف على جزيرة الشاه المعزولة. هناك احتمال قوى بعدم استطاعتها الحصول على ما يلزمها من أموال النفط مرة أخرى

(أ) ـ انتونى ماك درمون ـ إيران بدون شاه ص80.

وأن الدروس التى يمكن استخلاصها من تجربة إيران تتـعلق بالأحداث الاجتماعية الخطيرة التى تترتب على التقدم إذا فـرض فرضا على المجتمع؛ دون أن يكون هذا المجـتمع مـهيـأ له. فـقد أدى الإصـلاح الزراعى الذى قـام به الشاه إلى ظهـور أرستقراطية صناعية جديدة، فأصبحت بالتالى هدفها كبت مشاعر السخط كما أدت المضاربة فى الأراضى، إلى ارتفاع أسعارها. مشاكل الهجرة من الريف وسوء حاله الزراعـة وأنه رغم كل هذه التـحذيرات كـان تدهور الاقـتصـاد الإيرانى مـفاجـأة للجميع، وعندما بدأ العمال إضرابهم، وممارسـة ضغوطهم فى الحمالات الحيوية، مثل الجمارك والبنوك وحقول البترول، خلع الشاه، لتجاهله المفاهيم الأساسية التى تقوم عليـها الملكية فى إيران أى أن الاحتـفاظ بالعرش إنما يتوقف على مـدى قوته هو، وقدرته على الاحتـفاظ بهذا العرش وإحراز الانتـصار المستمر القـوة لمواجهة المخاطرة التى يتصورها فى المناطق الاستراتيجية المحيطة بهم[1]

سقوط الشاه:

اتخذت حـركة المعـارضة لنظام الشـاه مع بداية عام 1978، شكل الحـركة الشعبـية واجتاحت الاضطرابات والمظاهرات طهران. وامـتدت إلى المدن والقرى. وأعلنت الأحكام العرفية، وتساقط آلاف من القـتلى بنيران قوات الشاه، وكيف لم تنبـه الولايات المتحـدة، إلى هذا الوضع الخطيـر فى إيران وقـد يرجع ذلك، إلى انشغـالها بمناطق أخرى استـغرقت كل اهتمـامها. مثل تركـيا وحلف الأطلنطى، والسعودية وثرواتها البترولية الخيالـية، أو اقتناعها بضرورة التحرك إلى ما وراء هذه القشـرة البراقة التى تـمثل فى شمـال طهران وسكانهـا المتألقين الذين يتـحدثون الإنجليزية بطلاقـة ويعيشـون حياتهم على أحـدث الأنماط الغربية. وحـتى الصورة الصـحفـية لإيران فى الـولايات المتحـدة، أصبـحت مع مـرور الوقت، سطحيـة

---

(1) ـ د. انتونى ماك درمون ـ نفس المرجع ص81.

ومشوهة. كانت التقارير حول الأوضاع الإيرانية دائما ما تعطى صورة خاطئة عن الطبيعة وعمق المعارضة فكانت تصورها كما لو كانت مجموعة من مثيرى الشغب الماركسيين. ولكن بؤرة المعارضة الأساسية التى لم تتنبه لها هذه التقارير هى الطبقة المتوسطة التى تزداد عدداً وتأثيراً على مر الأيام. إن الهيكل الحكومى الرسمى لإيران قد تشكل منذ زمن طويل من مؤسساتها هشة فهذه تدور جميعا حول شخص الشاه. حقا لقد اشتملت الحكومة الإيرانية على البرلمان ومجلس شيوخ ونظام حزبى. كانت الشخصيات الهامة التى تشغل المناصب فى الدولة تعين من قبل الشاه[1].

نص الدستور الإيرانى على أن تكون السيادة للشعب، وعلى صيانة حقوق الأفراد ولكن الشاه حكم حكمًا مطلقا لا حكما دستوريًا، لقد استطاع التغلب على الصعاب والتحديات التى واجهته طوال سنوات حكمه. فقام بفرض شخصية فرضا على أذهان الشعب وأحاط نفسه بهاله من القوة الغامضة وأمر بوضع صورة تماثيله فى كل مكان حتى الحشائش والشجيرات فى المتنزهات العامة كانت تركم وتقلم على شكل الأحرف الأولى من اسمه بالفارسية اضافة إلى صوره فى الشوارع والصفحات الأولى فى الجرائد وعلى شاشة التليفزيون وغيرها من وسائل الاعلام. كانت سياسة الشاه تعكس دائما نوعا من الشك وعدم الاستقرار فكان يعين الأشخاص بسرعة البرق. ولكن جاء الوقت الذى أصبحت فيه سياسة الاستيعاب هذه لا جدوى منها فهناك ببساطة أناس لم يمكن استقطابهم والسيطرة عليهم، وقد أظهر الشاه ومن حوله براعة فائقة فى التعرف على المشاكل السياسة والاجتماعية التى تعانى منها إيران. إن التحدث عن المشاكل شىء، وإيجاد الحلول الجذرية لها شىء آخر ولكن هذه الحيلة ساعدت كثيراً على الصدام مع المعارضة. إن سياسة الشاه ترتكز فقط على استيعاب الأشخاص والأفكار فقد شن حربًا بلا هوادة على

(1) ـ د. جمس بيل ـ إيران وأزمة 1978 ـ ص34.

الأمية ووضع برنامجا للإصلاح الزراعى. ويكفى أن الالتزام قد أوجد هذا ما يرفض خصوم الشاه الاعتراف به، كما أن الشاه لم يتردد مطلقا فى إرسال الشباب الإيرانى بالآلاف ليتلقوا أحدث ما وصل إليه العلم فى الخارج. إذا درسنا برامج الشاه الإصلاحية. نجد أنه اهتم أولا بالتوجه الصناعى، لتقديم التكنولوجى والتطور العسكرى أما التنمية السياسية فقد تم تجاهلها تمامًا والحقيقة إن ما فعله الشاه هو تغير اقتصادى ضخم وبعض التغير الاجتماعى البسيط ذلك لكى يمنع أى تغيير سياسى هام(1).

زاد النهب المنظم للثروة القومية عن طريق نخبة الأسرة الحاكمة فى إيران بموازاة تدفق الثروة النفطية، وزادت بالمقابل صفاقة التعاطى الرأسمالى المسيحى الغربى مع إيران، فإيران يحق لها أن تفخر بثروة زراعية هائلة وثروة معدنية عظيمة انها الثانية فى انتاج الغاز الطبيعى بعد روسيا، وفتح على مصراعيه باب انشاء المصارف المختلطة لضخ أموال النفط وكان مدراء تلك المصارف من المسيحيين الغربيين أما الشركاء فإما مودعون صغار لايؤثرون فى قرار المصرف وأما شخصيات سياسية تقدم الغطاء لأعمال مصرفية لاتكون طبيعتها قانونية وجميع هذه المصارف أنشئت ضمن مخالفات واضحة للقانون. أما القروض فتقدم لرجال الأعمال بفائدة تترواح بين 12 و18٪ وهى قروض قصيرة الأجل تمول استيراد الكماليات وتعود على شكل رساميل تستقر فى الخارج(2).

كان الشاه يدير بنفسه نظامًا هائلا للأمن مكونًا قوات المخابرات والبواليس والحرس الملكى والجيش، عرفت إيران منذ ذلك الوقت عهد القمع والإرهاب الوحشى للمعارضة ولم يفعل الشاه شيئًا لوضع حد لهذا الإرهاب وامتلئت

---

(1) د. جمس بيل ـ نفس المرجع ص34.

(2) حازم صاغية ـ المرجع السابق ص19.

السجـون ونفذت أحكام الإعدام فى كـثيرين وهذا مـا جعل المؤسسـة الدينية تشن هجومًا مـباشرًا هو بتشكيل الحركات الجـهادية وبداية العمليات الفدائيـة حتى لقد أصبح العنف شيئًـا عاديًا فى شوارع العاصمة، واغتـيل رئيس البوليس، وحدثت محـاولات اعتـداء على أفراد الشـاه وأصبح الأمـريكيون هدفًـا الأعمـال العنف وحوادث القتل حتى تحولت السفـارة الأمريكية إلى قلعة حصينة التى أدت بدورها إلى زيادة إصرار المعارضة وعزمها على النضـال حتى النهاية وقد تنبه الشاه لخطورة الأوضاع. إلغاء الرقابة ولكن الشـعب وقف يرقب بعين الشك هذه الركود وكانت بداية الأحداث الدامية الأخيرة يوم 9 يناير 1978م. عندما قامت مظاهرة كبيرة فى مدينة قم المقدسـة. مطالبة بحكم دستورى وانتهت المظـاهرة بفيض من الدماء التى تدفقت فى شوارع المدينة تحت نيران قوات الشاه، وبدأ الموقف فى التدهور السريع منذ تلك الوقـعة. فى سبـيل النمو الاقـتصادى وتطور الجـيش وتسليحـه بأحدث المعدات العصـرية الغربية والأمريكية على درجـة الدقة محتجـة على تخلف حياة الأمة السياسية وقال أحد الصحفيين الإيرانيين عن إيران أنها عملاق اقتصادى وقزم سياسى وقـد اعترف الشاه نفســه لهذه المشكلة يقع تحت سيطرة الشـاه تمامًا ويهتم اختيـار القضاة وتعيـينهم، وعلى أساس ولائه له، وليس على أساس كـفاءتهم أو نزاهتهم. حتى وزراء العدل أنفسهم، وعدم احترام المجتمع لهم وقد أقر الشاه أكثر من مرة بهذه الثغـرات فى نظامه القضائى وعبر فى التغيـير هناك فساد الذى ينعش داخل النظام ويتفـاقم باستمرار بلا توقف وأمـر الشاه أثرا اشتداد حـملات النقد، بإجراء تحقيق مع مـؤسسة بهلوى المعروفة بإنهاء مستـودع الثروات للأسرة البهلوية والتى ظلت على يقينها بأن عملـية استئصال الفساد لابد أن تبـدأ بالأسرة الحاكمة ذاتها[1].

---

(1) د. جمس بيل ـ المرجع السابق ص34.

نجد عيوب البنية وفى مقدمتها بقاء الجيش «اقطاعيا» على الرغم من تحديث معداته وتدريبه ذلك أن الفجوة كبيرة بين القادة والمرؤوسين فى جميع المستويات، وأن العلاقة الانسانية مفقودة بين الضباط والجندى وليس هنالك من يسعى إليها أو من يرغب فيها ففى كلية الحرب لايسمع للتلاميذ مطلقا وهم جميعا من الضباط الآمرين بزيارة معلميهم أو حتى قادتهم من الضباط الأقدمين كما أنهم لايتناولون الطعام معهم أبدا على مائدة واحدة. وإن الخصومات والمشاجرات متفشية بين الضباط فى هيئة الأركان العامة بصورة علنية، وأن مايحصل عليه بعضهم من امتيازات عن طريق الكيد والخداع أو عن طريق العلاقات الشخصية تثير حفيظة الضباط الآخرين، الذين هم من أصل متواضع مثل صغار الموظفين أو صغار الملاك. كما أن الدافع الأساسى لمراعاة الضبط هو الخوف المتفشى فى كل المستويات حتى يمكن التعرض للعقوبات القاسية بدون العدالة(أ).

أما مجالات الصحة والتعليم فقد قاست طويلا من الأشخاص الذين فرضوا عليها دون كفاءة، سوى ولائهم الشاه، مع تزايد إحساس الشعب بأن الفساد وعدم الكفاءة وقد أصبحا السمة المميزة لمن بيدهم الأمر، لقد كانت إيران دائمًا، مسرحا للتوترات والصراعات بين الدينيين والعلمانيين منذ وقت طويل، كان من الممكن أن تتوصل حكومة الشاه بذكاء وحكمة مع المؤسسة الدينية إلى حل حتى لا تصل الأمور إلى هذا الحد من التدهور، ولكنها للأسف عمدت إلى استفزازها حتى النهاية. عين الشاه رجلا من أصل عسكرى فى من منصب هامه فى المدينة المقدسة. وآية الله شريعتى إلى تزعم حركة معارضة ضد الشاه. وقد أصبح الدين رمزًا للمعارضة، هكذا تقوى واشتد التيار الدينى فى إيران وعادت الطبقات المتوسطة إلى خطب الدين وارتدت النساء الإيرانيات مرة أخرى الحجاب كدلالة

(أ) ـ ادور سابلييه ـ إيران مستودع الباردر ـ ص76.

على استيائهم من الأوضاع السائدة بينما المثقفون من الطبقة الوسطى يغشون بيوت الصلاة بالجوامع بصفة منتظمة وحيث تدور المناقشات الاجتماعية فى محتواها والسياسية فى طبيعتها. وبدأ بالكف عن حملاته العدوانية ضد الشيعة كما حاول الاتصال بالزعماء الدينيين وأعلن عن استعداده منحهم بعض الاستقلال ولكن رحال الدين لم يقبلوا بهذه التعديلات وطالبوا بدلا منها بإعادة دستور 1906، وبنظام جديد تسود فيه العدالة الاجتماعية والحرية السياسية ويعيد الاعتبار لمئات من خصوم الشاه الذين سجنوا وعذبوا ولقوا حتفهم على يد البوليس فيما بين 1972 ـ 1976م. إن أكثر من 90٪ ينتمون إلى هذه الطبقة المهنية المتوسطة المهضومة الحق. وذلك على الرغم من أن الزام هذه الطبقة ومشاركتها هو حيوى بالنسبة لمحاولات الشاه من أجل تحديث الدولة. فقد يستطيع الحكم العسكرى السيطرة المؤقتة على المدن الرئيسية ولكنه لن يستطيع إدارة الاقتصاد أو النظام الإدارى فى البلاد دون مساندة حقيقية من الشعب[1].

يصف مناضل إيرانى هذا الوضع:

«إن الفلاحين المعدمين سيصبحون قوة كبرى تعمل لتقويض النظام فى السنوات المقبلة لكن الطبقة الوسطى التقليدية فى البازار كانت احدى القوى الكبرى المهددة للسلالة الحالية، وقد ظلت معارضتها منتقد دائما لأن الشاه ساعد منافسيها الاقصاديين، الرأسماليين الكبار ولأن سياسته العلمانية اصطدمت بالحساسية الدينية التقليدية للطبقة الوسطى ولأنه فقد كل أسس الشرعية حين أسقط بطلهم الوطنى «مصدق» ولأنه بعث امتيازات القرن التاسع عشر الأجنبية المسيحية بمنحة الحصانة القانونية للضباط الأمريكيين فى مقابل إعانة بالسلاح، ولأنه اختار التحالف مع الاستعمار اليهودى ضد كل الدول المسلمة فى العالم

---

(1) د. جمس بيل ـ المرجع السابق ص35.

العربى. وفى الوقت الراهن فإن البازارات تعانى لأن احزابها السياسية ممنوعة ولأن نقاباتها الحرفية خاضعة لرقابة صارمة ولأن منابر مساجدها مراقبة بشدة لكن آراءها تستمر فى التعبير بفعالية عبر عدد من القادة الدينيين المنفيين الذين يعيشون الآن فى العـراق». ومع خراب صـغار التـجار تقلـصت عائلات رجـال الدين ومع تراجع البورجوازية الوسطى والصغرى على العمـوم نشأت أزمة وعى وأسئلة حائرة حول المرتكزات الاجتماعية للجامع خصوصا وان الشاه حاول وضع المؤسسة الدينية تحت سلطتـه وتيمنا بأبيـه دفع باتجاه ضـرب استـقلاليـة رجال الدين وجـعله سلكا من الموظفين المعتـمدين ماليا على الدولة والمرتهنين سـياسيا بقرارها مـثلما يحدث فى الدول العـربية حـيث رجـال الدين يعيـنون بإحدى الوزارات الحكومـيـة المسمـاة بالأوقاف والشـؤون الاسلامية مـثلها مثل وزارة الاعـلام، كما فقـد الانخراط فى السلك الدينى أية حرمة ولا عاد ينجى من الخدمة العسكرية غير المقنعة لدى عموم الايرانيـين لقـد نمت دولة نخـبة الأسـرة الحـاكـمة الملكـية على حـسـاب الدين الإسلامى[1].

كيف استمـر النظام السياسى للشاه محمـد خان، برغم المعارضة فى إيران؟ يرجع ذلك إلى تمتع البلـد بثروات هائلة أتاحت للـشاه الموارد الضـرورية من أجل بقائه ولأن الدخول البترولية التى تدفقت على الحكومة الإيرانية فى صنع الانفجار، وقد حظى الشاه بمساندة الحكومات المسيحية الغربية دائمًا فى اللحظات الحرجة التى مر بهـا فى تاريخ حكمه كما حـدث فى عام 1953. أما الاتحـاد السوفيتى، فـقد مارس سـياسة خـارجيـة مستـقلة مع إيران. فالبـرغم من إدانة الحزب الشـيوعى السوفيتى للطاغـية محمد رضاخان نجد أن الحكومة الروسـية قد دخلت فى تعاون اقتصادى متـزايد مع شاه إيران. ولكن الإيرانيين يكنون شعوراً عميـقًا. بعدم الثقة

---

(1) ـ حازم صاغية ـ المرجع السابق ص20.

تجاه الروس بسبب المخططات الاستعمارية للجارة الشمالية القوية فى الأراضى الإيرانية. أن إيران تشترك مع الاتحاد السوفيتى فى 1600 ميل فى الحدود وقد وقفت إيران دائمًا كدرع واق ضد انتشار النفوذ السوفيتى فى منطقة الخليج العربى. إلى التدخل المباشر من أجل الحفاظ على السياسة الأمريكية فى المنطقة كلها. هناك أيضًا مصالح الغرب الاقتصادية، وهذا أمر على جانب عظيم من الأهمية، حاولت أوروبا واليابان، تعتمدان بالدرجة الأولى على البترول الإيرانى والاحتلال اليهودى تحصل على 70٪ من احتياجاتها البترولية من إيران هذا الإضافة إلى وجود حوالى 410,000 من الفنيين والخبراء والدبلوماسيين ورجال الأعمال الأمريكيين فى إيران ونفس الوقت الذى عانى فيه الزعماء الوطنيون وأئمة الدين والمدافعون عن حقوق الانسان فى إيران من جميع صنوف التعذيب. والتنكيل والاعتقال والقمع كانت الولايات المتحدة لا تكف عن التكريم الأسرة المالكة الإيرانية وفعلا انجازاتها الرائعة فى مجال الخدمات الإنسانية. عندما أشاد كارتر فى زيارته الأخيرة إلى طهران بزعامه الشاه وسياسته الحكيمة التى جعلت من إيران دولة حديثة. نجد أن سجل الدبلوماسية الأمريكية ومخابراتها فى إيران تعمل فى قمع الحركة الوطنية، فإحدى مهام هذه الدبلوماسية هى العلم بحقائق الأمور لا قشورها. وهى صورة خيالية لا تنتمى إلى الواقع، ولم يهتموا على الإطلاق بمحاولة فهم المجتمع الإيرانى ورغم جهل السفارة الأمريكية بالحقائق الإيرانية، أن يلقوا الأنظار إلى هذا الوضع الخطير الى ضرورية التعمق إلى أبعد من هذه النشرة السطحية للمجتمع الإيرانى الذى يقف عند سلم المسؤلين الأمريكيين. ويكفى إلقاء نظرة على قوائم المدعويين إلى السفارة الأمريكية فى طهران هذه هى الشخصيات التى كانت لسفارة تستقى منها المعلومات عن الأوضاع السياسية فى إيران، كان يصطدم دائمًا بالنظام المتبع. ليس بسر فى الخارجية الأمريكية أن طهران كانت دائمًا مقبرة للعديد من الأشخاص الأكفاء، بالتالى لا يستطيعون الاتصال بالجماعات والطبقات التى لا

تتكلم سوى الفارسية، فإنها كلها أعذار لا تفى السياسية الخارجية الأمريكية مسئولية هذا الضعف الخطير الذى انتابها. وعن حكومة التى ستخلف حكومة الشاه[1].

هناك ثلاثة احتمالات لنظام الحكم الجديد فى إيران إذا انهار حكم زمرة من العسكريين اليمنيين ثانيًا إقامة نظام ديمقراطى على النمط المسيحى الغربى ثالثًا حكومة شيوعية ولكن يستبعد هذه الاحتمالات الثلاثة فالاحتمال الأول يبدو مستحيلا لاشتداد المعارضة وانتشارها والاحتمال الثانى غير واقعى نظرًا لما قاسته إيران عبر تاريخها من حكم استبدادى مطلق وإطلاق العنان أخيرًا للقوى الفوضوية أما الاحتمال الثالث فلا يمكن تصوره لأن الشيوعية لن يقبل بها الشعب الإيرانى، والأئمة الشيعيون هم مستقبل إيران السياسى، ويحبذ نزول الشاه عن العرش لابنه على أن تكون فرح ديب هى الوصية أن يساند الجيش وجميع الضباط المحافظين هذا الشكل الجديد للحكم. لا خوف على المصالح الأمريكية فى إيران. وفى هذه الحالة ما زالت هنا فرصة لا ترغب مثل هذه المجموعة فى الاحتفاظ بعلاقات ودية مع الولايات المتحدة قد وضعت على النمط الأمريكى، سيجتاح النظام الذى سيخلف النظام الشاهنشاهى لذلك ينبغى على الولايات المتحدة أن تكشف فورًا تأيدها للشاه واستفزازها للشعب الإيرانى لأن التأييد الأعمى ينطوى على كارثة محققة. وما زالت هناك فرص ضعيفة لأن يستمر الشاه فى الحكم. أن يقوم بإجراء جراحة سياسية واجتماعية سريعة لاستئصاله لا يجب أن يأخذ الشاه زمام المبادرة بكلتا يديه أن يمل بالانتخابات وأن يقوم الشعب فى تقرير مستقبل النظام السياسى الإيرانى وأن يعاقب كل من اتهم بالفساد حتى لو كانوا من الأسرة المالكة وأن الولايات المتحدة عليها أن تدع الشعب الإيرانى يقرر مصيره. ما يثير ذلك من حساسية لدى الزعماء الوطنيين الإيرانيين والاتصال بالمعارضة وأئمة الدين والطبقة

(أ) ـ د. جمس بيل ـ المرجع السابق ص35.

الوسطى والضباط الجيش من صفوف الطبقة الوسطى. مما هو جدير بالتعليق أن جميع الاحتمالات هو من سيخلف حكم الشاه لم يتضمن الإشارة عن بعيد أو القريب إلى احتمال عودة خمينى إلى أرض الوطن واستعداداته من أجل إعلان الجمهورية الإسلامية الإيرانية. مما يوضح أن ما حدث فى إيران كان بعيداً كل البعد عن أذهان المحللين السياسيين الأمريكيين[أ].

ظل الشاه وحكومته يرددون حتى عين شهبور بختيار رئيسًا للوزراء وروعى تطبيق القوانين الدستورية بحذافيرها وتمت موافقة مجلس البرلمان على حكومته. بالرغم من أهمية هذه الإجراءات إلا أن ملايين الشعب الإيرانى لم ترى فيها سوى مسرحية خارجة المضمون، وقام أية الله الخمينى بشن هجوم بلا هوادة على الشاه وصب عليه اللعنات وانتقد خططه انتقاداً عنيفًا مستمراً بحيث لم يدع للشاه ونظامه مهربًا يهربان إليه. كانت نداءاته وصرخاته تنتقل ليأخذها الشعب ويرددها فى المساجد والأماكن العامة. أخيراً انطلقت الصرخة التى جبست فى الأعوام مدوية بعد أن أسبغ عليها العنصر الدينى مزيداً من القوة التى استقر عزمها على عدم الاستسلام، ولم يستطيع نيران قوات الشاه من يناير إلى ديسمبر أن تفعل شيئًا إزاء هذا الإصرار الغريب واضطر الشاه أن يغادر البلاد.

وجد الإيرانيون الذين يحكم بينهم تفاوت قومى فى الإسلام المنقى من أية قومية ضالة لهم وتعبيرا عن رفضهم لدولة قسرية مستوردة، وزاد من ابتعادهم عن الدولة وارتمائهم فى الدين أن الدولة التى نشأت بطبيعتها الاستبدادية وجوهرها الآسيوى رغم الطلاء الأوروبى الحديث لم تعطهم شيئا سوى القمع تحت حكم النخبة الملكية، بينما أعطاهم الإسلام كل الوعود. لقد هرب مسلمو إيران من وحدة قسرية فيها المتفوق والمهزوم لكنهم تقدموا فى اتجاه الإسلام وجعله الحد

(أ) د. جمس بيل المرجع السابق ص35.

الفاصل عن القـومية ذا طابع كونى، فـفى مقابل الوطنية الإيرانيـة المتصلة بالدولة والمحصنة بالبترول والعلاقات مع الغـرب والمنطوية على حالة من التفوق نحو باقى المسلمين، تطرح الاسلامية، وهنا يظهـر خلاف آخر بين العرب والايرانيين، ففى تاريخ العـرب تمثلت المعـارضـة بالشـيـعة والموالاة لـلحكام بالسنة إلى أن عـمل الاستعمار المسـيحى على حرمان الجميع من السلطة والثروة، فأصـبح السنة شيعة فى فكرهم الرافض وأصبـح الشيعة سنـة فى تناحرهم مع الغرباء وحـبهم الأرض والوطن. أما فى إيران فالشـيعة يمثلون الدورين معا دون أى انتـقالات أو تبدلات وظيفيـة كبيرة. فهم فى مواجـهة السلطة وفى مواجهة الغرباء وتصـالح مع جيران يمرون فى تحرر وطنى، أكسب شيعة إيران جـاذبية تقدمّية فى الماضى والحاضر(أ).

وكان الغرب المسـيحى يؤيد إيران أن تبقى حـجر الزاوية فى سياستـهم فى الشرق الأوسط. فكان لابد أن يحـدث زلزالا فى طهـران لمصلحـة أحدهـمـا. فكانت الجماعـات الدينية بزعامـة الإمام الخمينى هى الأجـدر لقيادة الزلزال وتغيـير نظام الحكم، جمهـورية إسلامية وخلع الشـاه هاربًا من طهران. واعتقـد بأن أمريكا لم تفاجـأ بل كانت هى الناصح للشـاه لكى يتـرك إيران وهذا ما قـاله شاه إيران فى الدار البيضاء وبعد هروبه حيث قال:

لقد خدعنى أصدقائى الأمريكيون.

ماذا فعل الخمينى فى إيران عشية تسلمه السلطة.

أعلن تأميم شـركات البتـرول. ونحن نعلم بأن معظمـها لبريطانيـا وأمريكا فكانت ضربة اقتـصادية هائلة للاقتصاد الأمريكى والبـريطانى والذى تعمل أمريكا جاهدة بعد الحـرب العالمية الثانية على احـتواء الاقتصاد الأوربى المسـيحى الغربى جميـعه. ضرب الأحزاب الاشـتراكية فى إيران وعلى رأسـهم حزب توده وتكون

(أ) ـ حازم صاغية ـ المرجع السابق ص17.

أمريكا قد حصلت على ثمن بدون جهد منها. إلى ضرب عصفورين بحجر واحد كما يقول المثل الشعبى. أولا: حجمت النفوذ البريطانى فى الخليج العربى؟ ثانيا: أبعدت القوات اليسارية عن إيران ومن ثم عن الخليج العربى. ولكن كما يبدو وكما يقول المثل الشعبى «حساب البيدر لم يطابق حساب الأرض» وهذا بالنسبة للأمريكيين. حيث أن النظام الجديد فى إيران لم يكن حجراً فى الاستراتيجية الأمريكية كما تمنى الأمريكيون. لأن القيادة السياسية الجديدة فى إيران لها استراتيجيتها الخاصة البعيدة كما نراه الآن فى الخليج العربى وهذه السياسة ومصالح الأمريكيين أو الغرب المسيحى بصفة عامة.

تقوم سياسة الولايات المتحدة واستراتيجيتها على خدمة مصلحتها فى الدرجة الأولى فالمصلحة الأميركية العليا هى التى تحرك السياسة الأمريكية نحو أهدافها وعلاقاتها بالدول ضمن إطار المصلحة فهى تقيم علاقاتها بالدول واضعة فى اعتبارها الفوائد التى سوف تجنيها من علاقاتها معها سواء كانت هذه العلاقة سياسة اقتصادية أو عسكرية أو أى علاقة نفعية. وعلاقة الولايات المتحدة فى الشرق الأوسط كانت وما تزال علاقة نفعية بالدرجة الأولى فنجدها تساند بعض الدول فى الشرق، مثل ما حدث فى إيران. فالولايات المتحدة فى عهد الشاه جعلت من إيران قوة عسكرية وتصنيفها كشرطى للخليج وذلك لأهمية إيران بالنسبة لها من حيث ثروتها النفطية وموقعها الاستراتيجى فى الخليج العربى، بالإضافة إلى مجاورتها للاتحاد السوفيتى العدو اللدود للولايات المتحدة. فأمدها بالأسلحة المختلفة وفتحت لها الترسانة الأمريكية فأمدتها بأقوى الأسلحة وذلك لكى تستمر فى حماية مصالح الولايات المتحدة فى الخليج العربى خصوصاً بعد انسحاب بريطانيا من الخليج العربى عام 1971، ولتكن حجر عثرة فى طريق الانتشار السوفيتى والحيلولة دون وصوله إلى الخليج العربى عن طريق إيران.

ولكى لعدم قيام الثورة الإيرانية الإسلامية ضد الهيمنة الأمريكية فى إيران وبعد الإهانة التى وجهتها الثورة الإسلامية للولايات المتحدة حين احتجز الرهائن نجد بأن علاقاتها العسكرية قد تزعزعت وأصبحت تضع شروط على استيراد إيران للأسلحة الأمريكية عن أن الولايات المتحدة لم تساند إيران مساندة فعالة فى حربها ضد العراق بل التزمت جانب هو أقرب إلى الحياد. وذلك حتى تساهم فى القضاء على الحكومة الإيرانية الإسلامية الجديدة التى ترفض تدخل الولايات المتحدة فى شئونها الداخلية حيث أن هزيمتها أمام العراق سوف تضعف من شعبية الثورة الإسلامية مما يعجل بالقضاء عليها، واستقدام حكومة جديدة موالية للولايات المتحدة لتعيد أمجادها التى خسرتها منذ سقوط الشاه.

الفصل السادس



مجلس التعاون الخليجي ومسيرة التكامل والتنمية الاقتصادية

المقدمة:

تتطلع الشعوب النامية قاطبة فى عالم اليوم إلى تحسين معيشتها وأحوالها كحق طبيعى من حقوقها الإنسانية وكرامتها البشرية، وكامتداد فى نفس الوقت لما كافحت وناضلت من أجله وحصلت عليه من حرية سياسية وتقرير مصير انتقلت بوجه تلك الشعوب المقهورة من ذل العبودية ورق الاستعمار المسيحى الغربى إلى استعادة كرامتها وسيادتها. إلا أن التحرر السياسى فى حد ذاته غير كاف لتحقيق مطالب الشعوب وتطلعاتها وإشباع رغباتها المشروعة فى العيش بأمان واطمئنان وسلام دون جشع أو استغلال من قبل الدول الصناعية المتقدمة التى سبقت غيرها فى مضمار الرقى والتقدم العلمى والتطور الاجتماعى والاقتصادى دون معوقات من متطلبات التنمية العصرية الشاملة وما يلزمها من استقرار ورؤوس أموال لتصريف المنتجات والسلع وخبرات فنية وإدارية وقوى عاملة ماهرة والواقع أن التفاوت فى مستويات المعيشة وحالات عدم التوازن الاجتماعى والاقتصادى والفكر بين مختلف الشعوب أمر ليس بالجديد على البشرية، إلا أن الإحساس لهذا التفاوت قد اشتد وتضاعف الشعور به على أثر صيحات التحرر التى عمت أرجاء المعمورة.

تتميز الجزيرة العربية بأهمية الاستراتيجية. فهى فى جنوب غرب القارة الآسيوية وهو بهذا الموقع تمثل أقصى امتداد الوطن العربى من جهة الشرق وفى الوقت نفسه يعتبر قلب العالم الإسلامى وامتدادا بحريا للمحيط الهندى. وتشكل دول الجزيرة العربية فيما بينها وحدة جغرافية طبيعية متكاملة، فهى تحتل كل أراضى شبه الجزيرة العربية، فيما عدا اليمن فى الجنوب الغربى.

الجزيرة العربية والأمن الاقتصادى:

نتيجة لموقع الجزيرة العربية الاستراتيجى فقد كانت مسرحا لأحداث تاريخية فى جميع مراحل تطور الحضارة. ففى الماضى البعيد كان الخليج العربى من الشرق والبحر الأحمر من الغرب وبحر العـرب من الجنوب ممرا حضاريا رئيسيا فى تاريخ الشرق القـديم، واليوم هو قلب السيـاسة الدولية. فـقد كانت موطن حـضارات قديمة ثم احتاجت المـنطقة أكبر قوتين وهما الفرس والروم ثم الاسـتـعمار المسيحى البرتغـالى من عام 1493 ـ 1605م وانسحـبت الأساطيل البرتغـالية بعد المقـاومة الإسلامية القومية من الأمامة اليعربية لتـقع المنطقة فريسة لاستعمار أوربى مسيحى آخر وهو الهـولندى 1630 ـ 1760 وينتهـى هذا الاستعـمار لتـمثل المنطقـة قوة استعمارية أخرى أعنف وأقوى وهو الاستعمار المسيحى البريطانى بعد عام 1714 ـ 1971 مرت علاقاته مع كيانات الجزيرة العربية على مراحل. فقد استقلت الإمارات العربية المتحدة عام 1971م وكونت اتحاد الإمارات الست ثم انضـمت رأس الخيمة فى 18 فبراير 1972م أما البحرين فقد استقلت عام 1971م أما الكويت فقد أعلنت دولة مسـتقلة ذات دسـتور دائم فى يونيـو من عام 1961م. أما قطر فـقد أعلنت دستورها الجديد فى 27 أبريل عام 1970م أما فيـما يتعلق بسلطنة عـمان كانت تعتبر دولة مـستقلة تربطها ببريطانيا معاهدة صـداقة وقعت فى عام 1951م وظلت كذلك بعد انسحاب بريطانيـا من الخليج العربى. والمهم فى تاريخ عمان هو تولى السلطان قابوس بن سعيد فى 23 يوليو 1970 السلطة، وانضمت عمان إلى الأمم المتحدة والجامعة العربية فى العام نفسـه. أما السعودية كانت تحت الحماية البريطانية بموجب اتفاقية دارين لعام 1915 ثم استقلت بموجب اتفاقية جدة عام 1927.

إشكالية الاسـتعمار على أرض الجـزيرة العربية جعل دولهـا هى من ضمن الدول الناميـة والتى تعانى من التـخلف الإقتـصادى لفتـرة طويلة من الزمن وعند اكتشاف البترول فى أراضيها أخذت الشركات المسيحية الرأسمالية ظلت فترة طويلة

تتحكم تحكـما كامـلا فى الثروة البتـرولية، وذلك فى ظل نظام عـقود الامتـياز، ويكفى أن نلقى نظرة واحدة وسـريعة إلى نصوص هذه العقود لتـبين مدى الظلم والإجحاف الذى وقع على كيانات الجزيرة العربية المنتـجة للبترول وبعد مجهودات مضنية من المفاوضـات والالحاح توصلت كيانات العربية المنتجـة للبترول إلى اتفاق مع الشركات المسيحية للبترول عرف باسم مبدأ مناصفة الأرباح وإذا كان تطبيق هذا المبدأ قد أدى إلى زيادة إيرادات كيـانات العربية المنتجة للبتـرول زيادة طفيفة إلا أن شركات البترول المسيحية ظلت تسيطر تماما على الثروة البترولية للبلاد العربية وقد لجأت الكـيانات فى الجزيرة الـعربية بعـد ذلك إلى أسلوب التأمـين حتى تسـتطيع السيطرة الكاملة على ثرواتـها البترولـيـة. ولكن ظهرت فى الدول العربية شـركات البترول الوطـنية ونجد أن السيطرة الكاملة للدول العـربية على ثروتها البتـرولية لن يتـحقق إلا بالدمج الوطنى لصناعـة البتـرول ومشـاركة الشـعب فى اتخاذ الـقرار السياسى. وبتكامل اقتصاد مشترك بين الدول العربية المنتجة للنفط.

يعتـبر الأمن الاقـتصـادى من أهم وأكثـر الموضوعات التى تـتعلق بعمـلية الاستقـرار والاحتفاظ على كيان الذاتى وخـاصة بجانب مؤسسـات المجتمع المدنى الديمقراطى الإسلامى وإذا كانت هناك موارد اقتصـادية حيوية كالبترول فإنه يلعب الدور الكبيـر فى قضية الأمن إذا ما عـرفنا أن دول المنطقة لديها كمـيات هائلة من النفط الخام واحتياطى يبلغ أكثر من نصف احتـياطى العالم فى المستقبل إضافة إلى قلة استخدمه وأن منطقة الخليج العربى تتمتع بأهمية استراتيجية فى السياسة الدولية ولم ينته الصراع على الخليج العـربى بنهاية الحرب العالمية الثانية وإنما اسـتمر حتى يومنا هذا ويعـود هذا إلى بروز قـوى عالميـة جديدة، الولايات المتـحدة والاتحـاد السوفيتى ذات مـصالح حيوية فى المنطقة وزادت أهمية المنطقة بعـد اكتشاف النفط وبعد اسـتغـلال النفط فى الثـلاثينات من القرن العـشرين دخلت مـرحلة التنافس الدولى متـمثـلا فى شركات الامـتيار المسـيحيـة للتنقيب عن النفـط وبدا التدخل

الأمريكي المسيحي في المنطقة بطريقة غير مباشرة في العشرين من هذا القرن. وتكمن أهمية نفط الخليج العربي للاتحاد السوفيتي قبل سقوطه، كما تكمن في أهميته بالنسبة للغرب واليابان.

اقتصاد دول الجزيرة العربية قديما

فرض الموقع الاستراتيجي والجغرافي على أهل هذه المنطقة العمل في الأنشطة البحرية، وهو أساس النشاط الاقتصادي في سواحل الجزيرة العربية، وكانت هذه الأنشطة متشابهة في سواحلها الشرقية حيث كانوا يعتمدون اعتمادا كبيرا على استخراج اللؤلؤ خاصة في البحرين وقطر والكويت، وهو في أعرق وأقدم المهن التي مارسها سكان شرق الجزيرة العربية. وتعتبر مهنة استخراج اللؤلؤ من المهن الرئيسية التي يعتمد عليها سكان المنطقة في حياتهم الاقتصادية وفي تبادلاتهم التجارية مع الأسواق العالمية الأخرى، من أجل الحصول على المواد التي تفتقر إليها المنطقة. كما تعتبر اللآلىء المستخرجة من مياه شرق الجزيرة العربية من أجمل اللآلىء في العالم. وكانت تنتشر على طول ساحل شرق الجزيرة العربية موانىء صغيرة عبارة عن مراكز لصيد اللؤلؤ تمتد من شط العرب شمالا حتى عمان جنوبا. والجدول التالي يظهر لنا النشاط الاقتصادي لأهل شرق الجزيرة العربية في مجال صيد اللؤلؤ في بداية هذا القرن(أ). وإلى جانب الغوص على اللؤلؤ.

	البحرين	ساحل عمان	الكويت
عدد السفن	719	1215	461
عدد الصيادين	17000	22000	9200
الأرباح بالروبيات	12603000	8000000	134700

(أ) جاسم بن محمد القاسمي. التكامل الاقتصادي بين دول مجلس التعاون الخليجي، صـ22

مارس سكان شرق وجنوب الجزيرة العربية التجارة البحرية والأسفار وذلك بحكم موقع منطقتهم وندرة الموارد الطبيعية وميلهم إلى كل ما له صلة بالبحر، فجابوا مياه الخليج العربي وبحر العرب والبحر الأحمر وصارعوا أمواج المحيط الهندى بواسطة سفنهم الشراعية رغم منافسة السفن ذات الطاقة التجارية. وبالنسبة للزراعة كمصدر رزق، فالمساحة المزروعة فى الجزيرة العربية ضيقة ولم تكن ذات تأثير كبير فى النشاط الاقتصادى وتكاد لا تكفى احتياجات سكانها. أما بخصوص المساحة المزروعة ففى الكويت توجد مساحة صغيرة تتركز فى منطقة الجهراء، وفى البحرين توجد أراضٍ صالحة للزراعة لكنها محدودة، أما قطر فتكاد تخلوا من الأراضى الزراعية، وفى الإمارات هناك مساحات كبيرة من الأراضى الزراعية مثل رأس الخيمة والعين والفجيرة(1). أما فى عمان فالزراعة لها تأثير كبير فى المناطق الداخلية، حيث يعتمد عليها السكان فى حياتهم وعماد اقتصادهم. أما المناطق البحرية فى عمان، فتمتاز بالتجارة والصيد وهناك أيضا مساحة كبيرة من الأراضى الزراعية فى منطقة الأحساء والعسير وجيزان ونجران بالمملكة العربية السعودية هناك أيضا حرف تقليدية كصناعة السفن التى يستوردون أخشابها من زنجبار والمسامير وأدوات النجارة من الهند، أما النشاط الغالب على أهالى الجزيرة العربية فهو بالطابع البحرى.

الوضع الاقتصادى فى الجزيرة العربية ما بين الحربين:

نجد أن الأوضاع فى المنطقة من ناحية الاقتصادية صعبة جدا وذلك لعدم وجود الموارد الطبيعية وعدم وجود المواد المائية خاصة فى المنطقة، فهى صحراوية ما عدا بعض الواحات القليلة التى لا تكفى لسد الاحتياجات الزراعية، لذلك معظم احتياجات الغذائية كانت تستورد من الخارج وكان الاقتصاد السائد هو اقتصاد ما يسمى بالكفاف والاقتصاد البدائى الذى يعتمد على الجهد البدنى

(1) جاسم بن محمد القاسمى - نفس المرجع ص24

والحيوانى. بالنسبة للزراعة التى كانت بسيطة تعتمد على بعض المنتجات الرئيسية كالقمح والحنطة إضافة إلى بعض الفواكه وخاصة التمور حيث القمح الغذاء الرئيسى لمعظم سكان المنطقة والمناطق الزراعية موجودة بكثرة فى عمان وبعض الواحات فى الأحساء وسهول نجران وجيزان وعسير وفى منطقة العين والبريمى وبعض الواحات فى الإمارات الشمالية وفى البحرين ولكن معظم الاحتياجات كانت تستورد من الهند وبعض الأجزاء من شرق أفريقيا والعراق ومن أهم الاحتياجات الذرة والسكر وبعض المنسوجات القطنية. أما بالنسبة للرعى فكان يعتمد فى فصل الشتاء حيث المراعى فى بعض المناطق ومن أهمها منطقة الظفرة والكدن والمناطق الشرقية فى السعودية وكان الاعتماد الكبير على الإبل وبعض الأنواع من الغنم والبقر وكانت نادرة الوجود. أما بالنسبة للحمير فكانت تعتبر المورد الرئيسى فى المواصلات ولقد اشتهرت منطقة الأحساء بأجود أنواع الحمير حيث كانت تصدر إلى الخارج ولقد كانت أحيانا قيمتها قد يعادل قيمة البغال، وبعض الحمير ذات أنواع جيدة فى عمان، حيث كان الدخل القومى يعتمد عليها بدرجة الأولى ثم الإبل وبعدها الخيول لأنها كانت قليلة ولكن ذات جودة عالية وغالبا كانت تصدر الخيول من عمان والأحساء إلى الخارج. بالنسبة للنشاط البحرى لقد كان يعتبر المصدر الرئيسى للسكان فى شرق وجنوب الجزيرة العربية لأن اعتمادها فى الغذاء الرئيسى كان على الأسماك على عكس المناطق الداخلية التى تعتمد على اللحوم ومشتقاته، فلذلك كان إنتاج مشتقات اللحوم والحيوانات تدر دخل متواضع للسكان الداخل عندما كانوا يبيعوا تلك المنتجات فى المدن الساحلية ويشترون فى مقابلها ما يحتاجون من الاحتجات الضرورية فى حين كان الدخل الرئيسى للسكان الداخل، وإضافة للثروة السمكية هى الغوص على اللؤلؤ الذى هو بمثابة الدخل القومى لأنها تصدر إلى الخارج، وخاصة الهند من ثم كان هناك فئة التجار وهؤلاء يعتمدون على ما يجلبون من الهند.

اقتصاديات دول الجزيرة العربية وأثر البترول:

1. الإمارات: بدأت التنمية الاقتصادية فى الإمارات العربية باكتشاف النفط فيها وبعد اكتشاف البترول وتدفق عائداته على الإمارات العربية، بدأت الحكومة تفكر فى كيفية استغلال عائداتها من البترول فى مجالات التنمية الاقتصادية والاجتماعية. سواء فى مجال الصناعة، أو الزراعة، أو الخدمات العامة التعليمية، والصحية[1].

2. البحرين: شهدت كافة الفروع الاقتصادية مزيدا من الحركة والتقدم، فقد سجل القطاع الصناعى معدلات نمو مرتفعة. كما استمرت جهود الحكومة الهادفة إلى خلق اقتصاد متوازن وتقليل اعتماد البحرين على النفط أما القطاع المالى فمن الملاحظ أنه خطا خطوات واسعة مما جعل البحرين مركزا ماليا متقدما حسب المقاييس الدولية.

3. المملكة العربية السعودية: يشكل النفط الركيزة الأساسية للاقتصاد السعودى حيث كان يشكل فى سنوات خطة التنمية الأخيرة أكثر من 45٪ من الناتج المحلى الإجمالى وبلغت هذه النسبة 60٪ فى عام 1983. أما باقى القطاعات فقد سجلت هى الأخرى معدلات نمو أكثر مما كان مرسوما لها. وقد أولت المملكة العربية القطاعات الإنتاجية اهتماما متزايدا فى خطة التنمية الثالثة رغبة منها فى تنويع الإقتصاد المحلى والتقليل من اعتماده على قطاع النفط ولقد عمدت الحكومة السعودية إلى تقديم الدعم والتشجيع للقطاعين الصناعى والزراعى. فأنشأت عدة شركات حكومية مستقلة للقيام بمشاريع فى هذين المجالين. كما أنشأت مؤسسات أخرى متخصصة فى المجالات المختلفة إلى جانب القروض التى تقدمها البنوك التجارية[2].

---

(1) خالد بن محمد القاسمى، البترول والغاز وأثرهما فى التنمية الاقتصادية فى دولة الإمارات. صـ65، صـ78.

(2) التعاون الخليجى الانجازات والتطلعات، معلومات وافية عن دول مجلس التعاون الخليجى والسكرتارية العامة. التطورات والوثائق الخاصة بمجلس التعاون الخليجى حتى نوفمبر 1985 ـ مجموعة الخليج للعلاقات العامة ـ البحرين ـ صـ44 ـ صـ53.

4. الكويت: تعتبر الكويت أول دولة فى الأوبك تخطت حدودها الجغرافية فى مجال التنقيب من النفط. إذ أصبحت عن طريق إنشاء الشركة الكويتية للاكتشافات البترولية وعــن طريق شرائها لشركة «سانتــافى» الأمريكية ومشاركتــها فى شركات أخرى. أصبحت بذلك أول دولة نفطية تنتج النفط فى أمريكا وكندا وبحر الشمال كمــا دخلت الكويت فى مشــاريع اكتشــاف النفط فى المغرب والســودان والكونغو ومصر وتنزانيا وسلطنة عمان وتركيا وأندونيسيا واستراليا، كما حصلت على امتياز التنقيب عن النفط فى الصين.

5. قطر: أجرت قطر تغييرات أساسية فى هيكل الاقتصاد الوطنى وتحويله من اقتــصاد يعــتمد على البــترول إلى اقــتصاد مــتعــدد الروافد التى تضمــن له القوة والاستمرارية. ومن أجل ذلك تركزت برامج وخطط الدولة الصناعية على استثمار وبناء المشروعــات الصناعية ذات الانتــاجية المتــميرة وبالأخص الصناعــات النفطية وكذلك الصناعات الثقيلة التى يمكنها الاستــفادة من خامات النفط والغاز الطبيعى كمصادر رخيصة للطاقة. وتطلب البرمجة الصناعية للدولة أن يسهم الدخل المتأتى من الإنتاج المتأتى الصناعى فى مــرحلته الأولى بحوالى 30٪ من الدخل القومى. وتتوزع الصناعات القطرية إلى صناعات نفطية وأخرى ثقيلة مرتبطة بإنجازات النفط والغاز وصناعات استهلاكية خفيفة ومتوسطة[1].

6. سلطنة عمان: تهدف سياسة عمــان إلى تنويع مصادر الدخل والتقليل من الاعتماد على النفط، وتنمية الثروة السمكيــة والزراعية بهدف رفع المستوى المعيشى للإنسان العمانى. وإتاحة كل الفرص أمامه للمشاركة فى مسيرة بلاده. كما تهدف إلى زيادة نسبة الاستــثمارات الموجهة إلى المشروعات المســتغلة فى الداخل، خاصة

---

(1) ملحق الخليج ـ العدد رقم 2390. نوفمبر 1985، الاجتماع السادس لقمة مجلس التعاون الخليجى. صـ31.

فى مجالات الصناعة والتعدين وتوزيع الاستثمارات جغرافيا على جميع مناطق السلطنة والاهتمام بموارد المياه(أ).

الأمن الاقتصادى: يعتبر الأمن الاقتصادى من أهم وأكثر الموضوعات التى تتعلق بعملية الاستقرار والاحتفاظ على الكيان الذاتى وخاصة إذا كانت هناك موارد اقتصادية حيوية كبترول فإنه يلعب الدور الكبير فى قضية الأمن وإذا عرفنا أن دول المنطقة لديها كميات هائلة من النفط الخام واحتياطى أكبر فيبلغ أكثر من نصف احتياطى العالم فى المستقبل إضافة إلى قلة استخدامه محليا أى أن معظم الإنتاج النفطى يصدر إلى الخارج وخاصة الدول الصناعية الغربية وانطلاقا من تلك المعطيات أى كثرة الإنتاج وقلة الاستخدام وسهولة استخراج ورخص التكلفة وتداخلها مع اقتصاديات العالم، الرأسمالى المسيحى الغربى مما يجعل تلك الدول تفكر تفكيرا استراتيجى نحو الأمن الاقتصادى القومى وارتباط ذلك باقتصاد النفط الغربى المسيحى فى دول المنطقة أى بمعنى آخر أن منطقة الجزيرة العربية تعتبر منطقة اقتصادية حيوية للدول المسيحية الغربية وبالتالى يعرضها للتداخلات لتلك الدول بصورة خاصة إذا ما نظرنا من المصلحة الوطنية المحلية نجد أن استخراج النفط بكميات أكبر من القدرة الاستيعابية يخلق وضع خطيراً من عدة جوانب.

ويعتبر إهدار الثروة النفطية وهى قابلة للنفاد وغير قابلة للتعويض. أن عوائد النفط هى عملية البترو دولار لا تستطيع المنطقة استيعابها فبالتالى تبيعه إلى الأسواق الرأسمالية المسيحية القريبة التى جاءت منها مما يربط المصالح المحلية بالمصالح المسيحية الغربية وهذا ما يجعل تداخلات الغربية المسيحية الاستعمارية فى السياسة الاقتصادية المحلية أكثر خطورة من استغلاله القرار السياسى لدول المنطقة

(أ) ملحق خاص. دول مجلس التعاون الخليجى والمال بمناسبة انعقاد الدورة السادسة لقادة دول المجلس ـ سلطنة عمان ـ نوفمبر 1985 صـ71 تصدره جريدة الاتحاد.

أى أن ما حدث عند قطـع البترول فى السبعـينات وان كان ذلك صحيـحا، حيث المعلومات اثبتت عدم صحة المقاطعة للبـترول من الناحية الفعلية ومع ذلك فإنه لا يمكن تكررها ماليا خوفا من تجميد الودائع العربية حيث أن العالم المسيحى الغربى أدرك خطورة قطع إمدادات البترول منذ عام 1973م ونجح فى تشجيع اسـتثمارات الدول العربية فى أسواقها الرأسماليـة التى كانت بعض الدول العربية نفسها تحافظ على ودائعهـا، وخاصة عـلى سلع الدول المسيحـية الغربـية من الهبـوط حتى لا تخسره من جانب المال العربى التى هى تحت السيطرة الغربية المسيحية وهناك جانب آخر أن الدول العربيـة النفطية ليس لديها الخبـرة النفطية لاستغلال الـثروة النفطية برغم انتـاجها منذ أكـثر من نصف قـرن ولكنها فـشلت فى اعداد الكوادر الفـنية اللازمة لها فى هذا المجال مما يجعلها تعتمـد به على تقنية الغربية وإضافة إلى عدم خبرتها على إدارة الرأسمال الكبير مما يجعل الدول المسيحية الغربية التى لديها خبرة الأعوام طويلة لاستغلال تلك العوائد[1]. بطريقة احتكارية.

بالإضافة إلى ذلك هناك أوضاع اقتصادية تساعد على استنزاف الطاقة وعدم إيجاد سياسة اقتصادية موحـدة فى دول المنطقة تنظر فى مصالحها العليا وليست فى مصلحة الغرب المسيحى الرأسمالـى، كما أن الغرب يحاولون استغلال تلك الموارد الرخيصـة الثمن إذا ما ارتفعت دخولهـا لتنهضها كمـا حدث فى نصف الثانى من الثمانينيات من ثم تخزن كـميات كبيرة سواء فى مخازن طبيـعية أو صناعية أعدت لهذا الغـرض كما أن أسواق الدول العـربية النفطية غيـر قادر على استـثمار تلك الودائع الضخمة نظرا لضعف بنيتها الاقتـصادية وعدم وجود الديمقراطية والمشاركة السياسية واعتمادها على العمالة الأجنبية واستيرادها كافة المتطلبات الحياة الضرورية والكماليات، ولهذا يجب استثمار معظم الأموال والعـوائد بعد احتياجها الحقيقى، أى يجب استخـراج البترول بكميات يمكـن أن تستوعبها دول الـنفطية فى الجزيرة

(أ) ملحق الخليج ـ عدد 2390 نوفمبر 1985 صـ46.

العربية فى أسواقها المحلية واحتياجتهـا الضرورية والاحتفاظ ببقية كمية الإنتاج فى باطن الأرض مما يعنى إطالة العمر المخزون البترول، هو الحل الوحيد الأمثل للأمن الاقتـصادى واستـثمار كـميات مـعقولة فى أسـواق الوطن العربى لزيادة كمـيات الإنتـاجية وتـقليل العجـز فى الدول العربيـة ومنع الدول المسيـحيـة الغربيـة من الاستنزاف الموارد العربية فى الأسـواق المسيحية الغربية مما يعـزز التعاون والتلاحم دول العربيـة النفطية والغيـر نفطية مما يساهم فى تقـوية الأمن الاقتصـادى القومى العربى وخاصة الغذائى ومن ثم الاحتفاظ على الأمن القومى السياسى والعسكرى وبذلك يحقق أكبر قدر ممكن من الرخاء الاقـتصادى لصالح الشعب العربى ويعزز طريق الوحدة العربية القومية.

ملابسات قيام مجلس التعاون:

بعد انسحاب بريطانيا من الخليج العربى فى مطلـع السبعينات وبعد حصول دول الجزيرة العـربية على استـقلالها السـياسى، انتعـش الوعى القومى لدى دول المنطقة فى توثيق الصلات والتنسيق فيما بينهـا فبدأ العمل المشترك والتعاون الثنائى من خـلال الاتفاقـيات الثنائيـة بين دول المنطقـة، فوقـعت الإمارات الاتفـاقيـات الاقـتصـادية مع كل من قطر والكويت فى عـام 1973، تتـضمن انتـقال رؤوس الأموال والعمـالة وبدأت بعد ذلك الاتفاقيـات الجماعية المشـتركة[1] وأثمرت هذه العلاقات عن ظهور هيئـات ومؤسسات ولجان مشتركة مـثل الأمانة العامة للزراعة والمالية والإعلام والصحة وأخذ شكل العـمل التنسيقى بين دول الجزيرة العربية فى النمو والتـسارع ثم تزايد الأخطار التى تواجـه دول الجزيرة العربيـة أدى إلى إيجاد نوع من التنسيق التكامل، فكانت عدة مبادرات مثل مشروع سعودى يقضى بتوحيد مـصادر شـراء الأسلحة وإقـامة تعـاون أوثق فى مجـال الدفاع والأمن والمشـروع العمانـى الذى يقضى بإنشاء قوة بحـرية تحفظ أمن الخليج العربى ومضـيق هرمز،

(1) جاسم بن محمد ـ التكامل الاقتصادى صـ31.

ونقطة الارتكاز كان المشروع الكويتي الذى ينادى بإقامة أوسع دائرة للتعاون الاقتصادى والنفطى والصناعى والثقافى مما يؤدى فى النهاية إلى إقامة اتحاد إقليمى بين دول المجلس. وقد نادى سلطان عمان على ضرورة قيام هذا التعاون بين دول المنطقة، وقال فى هذا الخطاب الذى وجهه إلى الشعب العمانى: «إنى أتطلع إلى التأييد العاجل والتعاون الودى مع جميع الشعوب، وخصوصا مع جيراننا، وأن يكون مفعوله لزمن طويل والتشاور فيما بيننا لمستقبل منطقتنا»[1].

ومن الأسباب الأخرى التى دعت إلى قيام المجلس ما يلى:

الأطماع الأجنبية فى المنطقة وقد ازدادت هذه الأطماع منذ اكتشاف البترول واتخذت أحيانا أشكالا علنية. تزايد الأيدى العاملة الوافدة بعد اكتشاف البترول وازدياد النشاط التجارى وقلة الأيدى الوطنية العاملة. وجود فوائض مالية كبيرة فى دول المنطقة، وإيرادات البترول أخذت تتجه إلى الخارج. ضيق السوق المحلية ومحدودية عدد المستهلكين من السكان مما يؤثر على مستقبل الصناعات والأنشطة التجارية فى المنطقة. ضيق المسافة الجغرافية لدول المجلس باستثناء المملكة العربية السعودية، وهو ما يمثل صعوبات من أهمها التأثير السلبى على عملية الدفاع أما الأسباب المباشرة التى دعت لقيام المجلس فى تلك الفترة فهى: تصعيد الحرب الباردة بين الاتحاد السوفياتى والولايات المتحدة الأمريكية ونظرتها إلى الخليج العربى، حيث تهتم الولايات المتحدة الأمريكية بالخليج العربى وتعتبره يمثل «مصالحها الحيوية» فقامت بإنشاء قوة التدخل السريع من أجل التدخل وحماية مصالحها فى عام 1980، بينما يسعى الاتحاد السوفياتى للوصول إلى مياه الخليج الدافئة وفى هذا السياق يأتى مشروعه الذى بدأ فى عام 1979 بغزو أفغانستان. كل ذلك فرض على الدول العربية فى الجزيرة أن تقف صفا واحدا فى مواجهة

---

(1) التعاون الخليجى الإنجازات والتطلعات صـ13.

هذه التحديات. نشوب الحرب بين العراق وإيران. أدى إلى انعكاسات أمنية خطيرة فى منطقة الخليج العربى والتخوف من تصدير الثورة الاسلامية. لذلك نشطت الدول فى الجزيرة العربية لتنسيق مواقفها وإبرازها من خلال تنظيم اقليمى موحد(1). وفى يوم 29/ 3/ 1401هـ الموافق 4 فبراير 1983م اجتمع فى الرياض وزراء خارجية الدول فى الجزيرة العربية الست المكونة للمجلس وهى الكويت والبحرين، وقطر، والإمارات، وسلطنة عمان والمملكة العربية السعودية. وفى نهاية الاجتماع أعلنوا قيام مجلس التعاون وذلك من أجل تنسيق الجهود وبلوغ الغايات المنشودة لسكان الجزيرة العربية(2). ولهذا تجسدت آمال أبناء الجزيرة العربية فى قيام مجلس التعاون وهو منظمة سياسية اقتصادية إقليمية بطبيعة المبادىء والأهداف التى أخذت بها نظامه الأساسى والغرض الذى أنشىء من أجله والذى جعلها أداة للتعاون بين الدول بعضها بالآخر. وقد قام على ركيزة صلبة تمتد جذورها فى عمق التاريخ مستمدة من روابط أوجدت بحكم ظروفها الطبيعية وأنه لمن المناسب اعطاء لمحة قصيرة عن تاريخ المنطقة التى تجتمع فى جذورها، فالبيئة الجغرافية بوجه عام متشابهة ومتجانس فهى بيئة صحراوية ساحلية(3).

اعتمد أبناء الجزيرة العربية اعتمادا كليا على البحر كمورد اقتصادى إلى أن جاء إليهم الغربيون المسيحيون بما يملكون من تكنولوجيا ورؤوس أموال ويقلبون المفهوم العربى من اعتماده على البحر إلى اعتماده على الأرض وجعلها المادة الأساسية فى تقويم حياته وتغير نمط سلوكه فى العمل. لم يكن ذلك إلا رغبة من الاستعمار المسيحى فى المصالح الخاصة والاستيلاء على ثروات الشعوب وتحقيق

---

(1) جاسم بن محمد القاسمى ـ التكامل الاقتصادى. صـ31 ـ صـ33

التعاون الخليجى الانجازات والتطلعات ـ صـ13.

(2) جاسم محمد القاسمى ـ التكامل الاقتصادى صـ32

(3) جريدة الخليج العدد 2390 نوفبر 1985

المكاسب السياسية والاقتصادية. وكانت بداية لوطأة المستعمر فى بعض دول المنطقة إلى أن كان الانسحاب البريطانى من الجزيرة العربيـة والذى دام قرابة قرن ونصف 1820 ـ 1971 مفاجأة لحكام المنطقة فى وقت كانت تزداد أهمية المنطقة اقتصاديا[1].

خلال العشر سنوات 71 ـ 81 كانت سمة الجزيرة العربية هى الاستقرار والتأقلم مع الظروف المتقلبة كما أثبتت القدرة العربية على العطاء المستمر. لاشك أن التنسيق بين دول الجزيرة العربية ليس وليد اللحظة وإنما حصيلة من الخبرة والتجارب السياسية والاقتصادية والاجتماعية وخبرة فى القضايا العربية والمشاركة الدولية. وقيام مجلس التعاون ما هو إلا امتداد للتعاون القديم ومتبلور لهذا التعاون فى إطار جديد يمكن أن يكون أساسا لتعاون متين للمستقبل محققا أكبر قدر من التنسيق والتكامل والترابط فى جميع الميادين وتعميق وتوثيق الروابط والصلات بين أعضائه[2] فى مختلف المجالات وكذلك وضع نظم متماثلة فى المجالات الاقتصادية والمالية والتعلمية والثقافية والاجتماعية والصحية والمواصلات بأنواعها المختلفة والإعلامية والجوازات والجنسية وحركة السفن والنقل والشؤون التجارية والجمارك ونقل البضائع والشؤون القانونية والتشريعية.

خرج المؤتمر للقمة الأولى بوثيقتين هامتين أثرتا تأثيرا سلبيا على التطورات السياسية فى المنطقة. 1 ـ حتمية التكامل الاقتصادى وتشابك المصالح الاقتصادية واليومية سيجعل الجزيرة العربية إطارا موحدا يمارس فيه المواطن كامل الحرية فى

---

(1) من محاضرة عبد الله بشارة الأمين العام لمجلس التعاون بجامعة الإمارات 2/ 3/ 1987م.

(2) من محاضرة الأمين العام لمجلس التعاون الخليجى بجامعة الإمارات 2/ 3/ 1987م.

النشاطات التجارية بصرف النظر عن الجنسية. 2 ـ مبادىء سياسة المجلس الخارجية وتشمل المبادىء التى يتمسك بها المجلس فى ممارسة سياسة-الخارجية حيث جاء فى البيـان، أن أمن المنطقة واستقـرارها إنما هو مسـؤولية شـعوبها ودولهـا وإنما هذا المجلس يعبر عن إرادة هذه الدول وحقها فى الدفاع عن أمنهـا وصيانة استقلالها. ويعرف التكامل الاقتـصادى: بإنه عبارة عن العمليـة الاجتماعية والاقـتصادية التى بموجبـها تزال جميع الحـواجز ما بين الوحـدات المختلفة وتؤدى إلى تحقـيق تكافؤ الفرص أمـام جميع عناصـر الإنتاج ليس فقط عـلى مستـوى دولى بل أيضا على مستوى قومى.

سمات الاقتصاد الخليجي:

أولا: النفط تتميز الدول فى الجـزيرة العربية بأنها تتمتع كلها ببنيـة اقتصادية متشابهة فكلها تقريبا تعتمد على مادة أولية واحدة فى صادراتها وهى النفط فالنفط يشكل 97٪ من إجمالى صادراتها والمصدر الوحيد تقريباً للقطاع الأجنبى المتحصل إليها. كما أن هذه الدول تـستورد كل احتياجاتها تقريبـا من العالم الخارجى وإنها تعتمد علـيه اعتمادا كبيـرا سواء فى تصريف مادتها الأولية الوحـيدة أو فى تأمين وارداتها مما يجعلها عـرضة لتقلبات والضغوط الاقتصادية الخـارجية بشكل يصعب على أية دولة التحكم بها أو الحـد منها منفردة(1). وعلى الرغم من أن إنتاج أقطار الجزيرة العربية فى النفط يشكل نسبة كـبيرة من الإنتاج العالمى إلا أنها لا تملك إلا نسبـة قليلة من الطاقة العالميـة للتكرير حيث تبلغ 2٪ من الطاقة التكريرية العـالمية لسنة 1978 فى الوقت الذى يشكل احتياطى هذه الأقطار 35,71٪ إلى الاحتياطى العالمى. إذن فإن الهياكل الصناعية فى الجـزيرة العربية تعانى من اختلال فى سيادة

(1) د. محمد هاشم خواجكية ـ التكامل الاقتصادى فى الخليج العربى ـ 13.

القطاع الاستراتيجى النفطى الذى يساهم بأكثر من 90٪ من إجمالى قيمة الناتج الصناعى[1].

ثانيا: القوى العاملة: تمثل القوة العاملة العامل الإنتاجى المهم للعملية الإنتاجية وأن عجز الاقتصاد الوطنى لهذا العامل إنما يمثل واقع إرباك للاقتصاد وفى شتى قطاعاته الاقتصادية. وإن عجز أقطار مجلس التعاون للقوى العاملة وبخاصة الفنية، سمة لازمة لهذه الاقتصاديات منذ اكتشاف النفط والحاجة إلى اليد العاملة حتى الوقت الحاضر. ولاشك أن ضعف القاعدة البشرية فى مجلس التعاون ومحدودية حجم القوى العاملة المواطنة هناك يشكلان نقطة الاختلاف الأولى فى مسيرة التنمية وحجم المواطنين وقد بلغ 11،82 مليونا فى منتصف عام 1985 فى دول مجلس التعاون لم يتعد ثلثى مجموع السكان فى ذلك العام 61.8٪ كما أن المواطنين شكلوا أقلية فى ثلاثة أقطار تراوحت من 30٪ فى الكويت إلى 25٪ فى الإمارات مرارا 27٪ فى قطر ويتضح ضعف القاعدة البشرية أكثر وأكثر عند التطرق إلى حجم القوى العاملة المواطنة الذى كما دون ثلث مجموع العاملين فى مجلس التعاون فى منتصف الثمانينات 31.4٪ علما أن قوى العاملة غير المواطنة قد شكلت أكثر فى كل دول المجلس فى تلك الفترة تراوحت من 95.2٪ فى الإمارات إلى 56.4٪ فى البحرين مرورا 7،62٪ فى السعودية. ويمثل انخفاض معدلات نشاط القوى العاملة المواطنة نقطة الاختناق الثانية فمعدل النشاط الخام تراوحت فى بداية الثمانينات من 18.6٪ فى الكويت فى عام 1985 إلى 27.1٪ فى البحرين فى عام 1981[2].

نجد من خلال معدلات النشاط الإجمالية أن معدلات النشاط الخاص

---

(1) عبد الله محمد عبد المقصود. التكامل الصناعى بين الدول الخليجية العربية ص82.

(2) المستقبل العربى. الرقم 114. صدر فى تاريخ 8 ـ 1988.

لمواطنى دول مجلس التعاون منخفضة جدا فهناك فى بداية الثمانينات أقل من خمس السكان المواطنين من يقومون بنشاط اقتصادى فيما عدا البحرين وتعتبر هذه المعدلات أكثر انخفاضا فى تلك المشاهدة فى بقية دول الوطن العربى أو بقية دول العالم الثالث(1). وأن العجز فى القوى العاملة قد فتح الباب أمام الهجرات الأجنبية - الآسيوية بشكل خاص - إلى أقطار مجلس التعاون والتى تؤدى إلى آثار سلبية على الصناعات بشكل خاص والإقتصادى بشكل عام. كما تميز به هذه القوى المهاجرة فى نمط استهلاكى معين. وتؤثر هذه العمالة على التنمية وسلوكيات العمل. كذلك عدم استقرار قوة العمل الوافدة وضعف شعورها بالانتماء وهذا يؤدى إلى انخفاض الانتاجية للعمل وإلى نشوء آليات قلقة تفسد سلوكيات العمل لدى المواطنين أنفسهم(2).

نلاحظ مما تؤديه هذه العمالة فى عدم استقرار فى العمل للهجرة المتكررة والمستوى المتدنى لهذه الأيدى العاملة بين أقطار مجلس التعاون والتى تبحث عن الأجر المرتفع مما يخلق حالة من التنافس بين الصناعات الوطنية لجذب العمالة الوافدة إليها. وأن هذه العمالة غير مستقرة فى مجلس التعاون إذ سرعان ما تهاجر إلى موطنها الأم. بالطبع فإن هذا الوضع الغير مستقر يؤدى إلى عدم استقرار الصناعات بمعنى أنه يؤثر فى الصناعات المحلية، هذا بالإضافة إلى ما تمارسه العمالة الوافدة من آثار سلبية فى الحياة الاجتماعية لما تحمله من عادات وتقاليد غريبة فى التقاليد العربية. وتشير الدراسات إلى ازدياد الطلب على القوى العاملة من أجل قوى العمل بشكل كبير، ويقدر الاحتياج لقوى العمل فى كل من السعودية والبحرين وعمان وقطر والكويت 1,750000 عامل(3).

---

(1) نفس المرجع السابق الرقم 114. صدر فى تاريخ 8 - 1988.

(2) نادر فرجانى عز الدين وآخرون. العمالة الأجنبية فى أقطار الخليج العربى صـ35 - صـ357.

(3) محمد ناجى. القوى العاملة فى الخليج العربى مجلة النفط والتنمية ص221.

ثالثا: السوق فى مجلس التعاون: بالنسبة للسوق المحلية لأقطار مجلس التعاون تتسم إلى حد بعيد بسيادة آلية السوق وتلقائيتها. أى أنها لا تخضع فى كثير من المجالات إلى التخطيط الشامل الذى يأخذ بعين الاعتبار الاحتياجات الحقيقية الاستهلاكية للمجتمع. مما يؤدى إلى تأثر المستهلك بالإغراءات الاستهلاكية وتحت تأثير الإعلان والدعاية من جانب، وتحت تأثير سياسة إغراق السوق فى مجلس التعاون بالسلع الاستهلاكية الأجنبية ذات الإشباع الواحد التى تتخذ أشكالا مختلة تدفع المستهلك إلى شراء الكثير منها. ومن جانب تؤدى إلى زيادة تبذيرية. ونجد أن السوق فى الجزيرة العربية تخضع لقوانين العرض والطلب وسياسة الإغراق وغياب التخطيط القوى الشامل.

تتميز دول مجلس التعاون بصعف الأسواق الداخلية سواء من حيث عدد السكان أو الدخل القومى وهذا من شأنه أن يضع حدا للتوسع الصناعى الحديث لديها لاسيما وأن هذا التوسع يعتمد بالدرجة الأولى على الوحدات الاقتصادية الحديثة التى تتطلب بالضرورة الأسواق الواسعة القادرة على امتصاص الإنتاج الكبير وأن الوضع الحالى واستمراره لابد وأن يدفع كل دولة إلى إقامة الصناعات التى تحل محل بعض الواردات أو الصناعات المعدة للتصدير وهذا من شأنه أن يؤدى فى حالة غياب التنسيق فيما بينها إلى إقامة الوحدات الاقتصادية المتماثلة والمتنافسة مما يؤدى إلى تبذير الموارد القليلة فى صناعات غير اقتصادية ويؤدى بالتالى إلى زيادة الأعباء المالية اللازمة لدعم مثل هذه الصناعات. أما الوحدة الاقتصادية والسياسية فسوف تعمل على توسيع رقعة السوق المحلى، وتمكن من الاستفادة من المشاريع الحديثة ذات الإنتاج الكبير وهذا بدوره سوف يرفع من مستوى ونوعية الإنتاج المحلى ويعمل على تخفيض تكاليفه. إن توسيع السوق نتيجة التكامل الاقتصادى سوف يعمل أيضا على منع الازدواجية وهدر الطاقات من جراء إنشاء المشروعات المتماثلة مما يؤمن قيام المشروعات على أساس التخصص

ووقف تكاليفها النسبية وجداوها الاقتصادية بشكل يعمل على توظيف الموارد الاقتصادية فى أكفاء الفرص المتاحة لها(1).

رابعا: الزراعة: منطقة الجزيرة العربية منطقة صحراوية بحيث نجد أن أرضها أرض صحراوية جافة لذلك نجدها تفتقر إلى مقومات الزراعة. وكذلك تنقصها المياه العذبة والأنهار. وبذلك نجد الاعتماد على الآبار الجوفية لكثير من المناطق المزروعة وتكرير مياه البحر فى مناطق أخرى. ومن أخطر ما يواجه الإنتاج الزراعى فى الجزيرة العربية وجود الطبقة الصماء الصلبة العازلة للمياه المتسربة فى أعلى التربة إلى أسفلها. وتساهم الزراعة بنسبة ضئيلة فى الناتج القومى(2).

خامسا: الصناعة: إن قضية التصنيع ترتبط فى مجال صناعة البتروكيماويات وغيرها من المجالات التصنيعية المحدودة ولا سيما فى مجال السلع الوسيطة التى تخدم نشاطات استهلاكية محدودة فى المرحلة الحالية. وفى نفس الوقت يشير البعض إلى حجة هامة تثار فى أوساط دولية عديدة حول قضية أن التكاليف الاستثمارية فى المشروعات الصناعية الجديدة فى مجلس التعاون قد تصل إلى عدة أضعاف التكاليف الدولية المقبولة فى هذا المجال. بمعنى أن المصنع قد يكلف ثلاثة أمثال التكاليف الاستثمارية التى يمكن إنفاقها على نفس المشروع فى مكان آخر متقدم. وكذلك نجد أن استراتيجية البرامج للاستثمارات يمكن أن تدخل فى معالجة المشاكل المشتركة التى تصادف عملية الإنتاج لدى دول مجلس التعاون وذلك عن طريق تركيز الاستثمارات الإقليمية فى صناعات أساسية ورئيسية كصناعة السماد والبتروكيماويات والحديد والصلب والتجهيزات الخاصة بالنقل، إن

(1) د. محمد هاشم خواجيكة ـ المرجع السابق ص13.

(2) د. محمد على: مشكلة إنتاج الغذاء فى الوطن العربى ـ صـ89.

هذا فى شأنه أن يؤمن استخداما أكثر إنتاجية للمواد الخاصة بالمنطقة عن طريق تقسيم العمل والقضاء على التبذير فى الاستثمارات المتكررة[1].

التكامل الاقتصادى لدول مجلس التعاون:

مفهوم التكامل: كلمة تكامل تعنى فى اللغة ربط أجزاء بعضها ببعض لتكون وحدة واحدة، أما فى الاقتصاد فليس هناك اتفاق على مفهوم كلمة التكامل فقد يكون تعاون اقتصادى دولى، أو إلغاء جميع أشكال التمييز بين وحدات اقتصادية تنتمى إلى دول مختلفة. **دوافع التكامل الاقتصادى لدول المجلس هى: 1 ـ اقتصاديات المجلس أحادية الإنتاج:** دول المجلس تعتمد على ايرادات البترول فى تنفيذ مشاريعها التنموية. لذلك كان لابد من إيجاد سلعة بديلة أخرى. **2 ـ القطاع الصناعى الناشىء:** بدأت هناك بعض الصناعات فى الظهور ولكنها لا تستطيع سد النقص فى دول المجلس ومساهمتها فى الناتج المحلى محدودة، فبدأ المجلس فى إقامة العديد من الصناعات المهمة فى مجالات اقتصادية مختلفة وقامت الحكومة بتمويلها ولكنها تحتاج إلى أسواق خارجية. لذلك كان لابد من تعاون بين دول مجلس التعاون فى هذا المجال. **3 ـ انخفاض مساهمة قطاع الزراعة والثروة السمكية فى الإنتاج القومى:** تتميز دول المجلس بندرة مواردها المائية العذبة وذلك لأن معظم أراضيها قاحلة أو شبه قارية أو صحراوية وبذلك تواجه مشكلة الغذاء. وفى بعض دول المجلس يتم إنتاج كميات من الحبوب والبعض الآخر الثروة السمكية لذلك كان لابد من التعاون لسد الحاجة ولخلق نوع من الاكتفاء الذاتى للمنطقة[2].

لابد من قيام اتفاقية اقتصادية موحدة بين دول المجلس لإيجاد حلول

---

(1) د. محمد هاشم خواجيكة ـ المرجع السابق صـ15.

(2) جاسم محمد القاسمى: التكامل الاقتصادى. ـ صـ50.

للمشكلة الاقتصادية في دولها. فصادق المجلس الأعلى على الاتفاقية الموحدة في دورته الثاني في الرياض في شهر نوفمبر 1980 فكانت الاتفاقية كالآتي:[1]. إضفاء صفة وسائل النقل الوطنية على وسائل النقل العائدة لمواطني دول المجلس دون اللجوء إلى إجراءات خاصة. منح التسهيلات اللازمة لمرور البضائع بطريقة العبور (الترنزيت) البرى وكذلك المنقولة على بواخر وسفن وقوارب مملوكة من الدول الأعضاء ومعاملتها كمثيلاتها الوطنية. إعفاء المنتجات الزراعية والحيوانية والصناعية ومنتجات الثروة الطبيعية عن الرسوم الجمركية ذات الأثر المماثل. واستخدام نماذج شهادات المنشأ الموحدة التي جرى الاتفاق عليها من قبل مسؤلي الجمارك والمقررة من قبل لجنة التعاون المالي والاقتصادي. السماح لمواطني دول المجلس الطبيعيين والاعتباريين بممارسة النشاط الاقتصادي في المجالات الصناعية والزراعية والثروة الحيوانية والسمكية والمقاولات مع ملاحظة أن الاتفاقية سمحت لأي دولة عضو أن تشترط مشاركة مواطنيها بنسبة لا تزيد عن 25٪. وذلك خلال خمس سنوات من توقيع الاتفاقية يتم بعدها أخلاء النشاط في هذه المجالات. فتح باب التسجيل لأصحاب مهن والمحاماة والمحاسبة والهندسة والاستشارات الإدارية والاقتصادية والفنية والزراعية والسمكية والصناعية ومعاملتهم على قدم المساواة مع المواطنين. ويشمل ذلك الحصول على تأشيرات دخول لما يحتاجون إليه من أيد عاملة وافدة. فتح التسهيلات للبواخر والسفن والقوارب المملوكة لأي من دول الأعضاء ومعاملتها كمثيلاتها الوطنية سواء عن رسوها في الموانيء أو مرورها[2] كما تم إنشاء مؤسسة الخليج للاستثمارات التي يبلغ رأسمالها مليارين و 100 مليون دولار[3].

---

(1) التعاون الخليجي الانجازات والتطلعات ت صـ109.

(2) التعاون الخليجي ـ الانجازات والتطلعات. ـ صـ109.

(3) ملحق الاتحاد ـ 1985. صـ20.

أهمية التكامل الإقتصادي:

يجب أن يكون التكامل الاقتصادى لمجلس التعاون ضـرورة تاريخية يفرضها الواقع الاقتصادى والسياسى لهذه الأقطار فهى ضـرورية حتمية لشدة ما تعانيه كل من اقتـصاديات دول مجلس التـعاون من مشكلات وأيضـا ما تعانيـه من الأطماع الرأسمالية المسيـحية والتحديات السياسية. وإذا كـانت أقطار مجلس التعاون تعانى من انخفاض درجـة النمو الاقتصادى ومـا تعانيه من تفكك وانعزال اقـتصادى عن بعضها البعض مما يجعل عملية التنمية متعثرة وضيقة لذا فإن التكامل سيخلق سوقا واسعة للمنتـجات المحلية لدول التكامل. وبالتالى إمكان القيام بالمشـاريع الصناعية الكبيرة الحجم وتطـوير الصـناعات القـائمة . **ومن أهم فـوائد ومبررات التكامـل الاقـتصـادى : أ**ـ خلق سوق فى الجـزيرة العربية ذات طاقة اسـتيعابيـة تمكنها من تصريف منتجات الصناعات ذات الحجم الكبير، كذلك توجد فرصة لإقامة صناعة مميزة تعـتمد الأساليب التكنولوجـية الحديثة. جـميع أقطار مجلس التـعاون تتطلع لأحداث تطورات تنموية فى اقتصادها ولإقامة صناعات ركائزية للهيكل الاقتصادى الوطنى. الحـد من الآثار الضارة للتكتـلات الاقتـصادية فى العالـم وأن المبادلات التجارية أصبحت تجرى فى الوقت الحاضر بين تكتلات اقتصادية عملاقة تسعى كل منها إلى المحافظة على مناطق نفوذها والحصول على امتيازات تجارية فى العديد من مناطق العالم. وهذا ما يجعل التكامل الاقتصادى ضرورة اقتصادية.

إمكانية وضع استراتيـجية موحدة للتنمية الاقتـصادية ولجميع أقطار التكامل تتفق مع اسـتغلال الموارد المادية والمالية والبـشرية استغـلالا اقتصاديا يحـقق النمو لأقطار التكامل وضمن استراتيجية اقتصادية موحدة بدل الاعتماد على استراتيجيات صناعية منـفردة. عدم التطابق من درجة تركيـز الإنتاج المعاصر وحـاجات السوق الوطنية فى المنتجات ومن جانب نجد أن منتجـات التركيز فى نوع معين من الإنتاج مادة ما تتجـاوز احتياجات الاستـهلاك المحلى وتصبح الحاجة ماسـة لإيجاد منافذ

أخرى لتصريف الفائض فى هذه المنتجـات. وفى جانب آخر فإن التركيز على نوع معين من المنتجات كافية لسد حاجات الاستهلاك المحلى أولا، وبهذا تظهر الحاجة الماسة للتكامل الاقتصادى لدول المجلس للتقليل من عدم التطابق هنا.

مقومات التكامل الاقتصادي:

ومن المقومات الهـامة التى تدعو إلى ضرورة الاتجاه نحو التـعاون والتنسيق الاقتصادى لدول مجلس التعاون وصولا إلى التكامل الاقتصادى العربى.

أولا: السوق: السوق المحليـة هى إحدى الأسس الهـامة فى تحقـيق التطور الصناعى والاقتصـادى وأن السوق العربية لدول مجلس التعاون تـشكل سوقا مميزة تستطيع أن تسـتوعب منتجات الـصناعات ذات الحجم الكبيـر. إلا أن هذا السوق وعلى نطاق القطرى الضيق تسبب مشكلة الإنتاج لكثير من الصناعات التى لا تجد سوقا كـافيا لتصريف منتـجاتها مما يؤدى إلى انخفاض نسب الانتـفاع من الطاقات الإنتاجة التصمـيمية لكثير من الصناعات كذلك نجـد أنّ صفة التلازم بين التكامل الاقتـصادى والسـوق المشتـركة. تتضح من الأهـداف التى أقرها مجـلس الوحدة الاقتـصادية العربية وقـد ذكر أن الدول المتعـاهدة المستفيـدة من السوق هى الدول الأعضـاء فى مجلس الوحـدة الاقتـصادية العربـية. وأن مشكلة الأقطـار مجلس التعاون هى غياب القاعد الصناعية. بالإضافة إلى المشكلة الرئيسية فى ضروة تنويع مصادر الدخل القومى وأن أفضل الأسـاليب الاقتصادية الذى ينبغى أن تشكله هذه الأقطار لتحقيق معدلات مرتفعة من التـقدم والتطور الاقتصادى واستغلال مواردها المالية هو أسلوب التنسيق والتعاون وكل التكامل الاقـتصادى. مع التبادل التجارى مع هذه الأقطار جنبا إلى جنب مع التكامل الاقتصادى لمجلس التعاون(1).

ثانيا: الثروة النفطية: إن هذه الثروة النفطية اقتصر دورها على تحقيق العوائد

---

(1) د. محمد هاشم خواجكية. المرجع السابق صـ84.

المالية التى توجـه نحو الاستهلاك التـبذيرى لهذا الأمر فـإنه يؤدى إلى تسرب هذه العوائد إلى قنوات استهلاكـية غير إنتاجية تزيد من عقبات التنمـية الاقتصادية التى تواجهـها هذه المنطقة. وقـد أصبح النفط مشكلة تضـاف إلى المشاكل الاقتـصادية متـمثلة فى العائدات الضـخمة التى اتجهت صـوب الأسواق المالية الأجنبـية. وأن التحليل الواقعى لأرقام هذه العائدات يؤكد أن قيمتـها الحقيقية تختلف جذريا عن قيمتها الاسمية. وأن القيـمة الحقيقية لهذه العائدات عام 1980 لن تبلغ نحو 43٪ من قيمتـها الاسمية فى العام ذاته. فـيما لو فرضنا أن معدلات التـضخم بين عام 1975 وعام 1980 تبلغ 15 سنويا وتنخفض القـيمة الحقـيقية للعـائدات إلى نحو 27٪ من قيمتهـا الاسمية عام 1980 فيما إذا ارتفعت تـعدلات التضخم السنوى إلى 20٪ سنويا.

ثالثا: الزراعة : تعتبـر جميع دول مجلس التـعاون مستوردة للمـواد الغذائية وهذه ظاهرة خطيرة تجعل دول مجلس التـعاون دائما فى موقف حرج. لذا وجب اتباع استراتيـجية معينة فى هذا المجال. وهو تطوير الأراضى الـصالحة للزراعة فى المنطقة خـاصة فى السعودية وعـمان وفى هذا المجال يمكن القـول بأن العراق ولو انها تشكل عـاملا لا تنطبق عليه جـميع مقـومات مجلس التـعاون إلا أنه يشكل عامـلا مهم من حيث الأمن الغـذائى فهى الدولة الوحيـدة فى المنطقة التى تـمتع بإمكانيات زراعية ضخـمة غير مستغلة بالإضافة إلى المسـتغل حاليا. ولا نبالغ إذا قلنا بأن اسـتـغلال الطـاقات الزراعـيـة الكامنة فى العـراق يمكن ألا يفى مـعظم احتياجات المنطقة فى الإنتاج الزراعى الضرورى(1).

الصناعات : الطاقة فى مجلس التعاون نجد أنـها لم تستطع أن تحقق تغيرات هيكلية فى بنية الاقـتصاد الوطنى كما تعتـبر صفة التكرار سمة عـامة للصناعة فى مجلس التعاون مما تجعلها صناعة متنـافسة بدلا من صفة التكامل. كذلك نجد أنها

---

(1) الاقتصاد العربى عدد 16، 18 صـ106.

تمثل أحد المقومات والأسس أو الباعث القومي لقيام التكامل الاقتصادي كما بين أقطار المنطقة. إذ لا يمكن لهذا القطاع النهوض والاستمرار بالإنتاج وفقا للطاقات التصميمية القائمة مثلا إذ أن كثيرا من هذه الصناعات ونجاحه في صناعة الأسمدة الكيماوية قد بلغت درجة الانتفاع من الطاقات التصميمية أقل من 62٪ وهو يتعارض مع حسابات مؤشر التكلفة المتقنة.

التنمية في المفهوم الشامل كوسيلة لبناء المجتمع ورقيه:

نتيجة لازدياد وتنامي حركة التحرر وتأكيد كرامة الإنسان في إزالة عوامل السيطرة والجشع والاستغلال في كافة أنحاء الأرض بالإضافة إلى ما تهيأ من سبل التقدم العلمي والتوسع في تطبيقاته التكنولوجية في مختلف مناحي الحياة فإن نزوع الشعوب إلى تحسين أحوال معيشتها وتكديس جهودها لتنمية مواردها وطاقاتها أصبحت بالفعل من الأمور الملحة في حياة الناس وفي أذهان قادة المجتمعات ومفكريها والصفوة الطليعية بين صنوفها. وعلى هذا فإن التنمية - حين النظر إلى إشباع الاحتياجات ومقابلتها بالإمكانات المتوفرة يكون ذلك عملية شاملة ذات أبعاد متعددة بحيث لا تكون مقصورة على ميدان واحد من ميادين النشاط الإنساني ذلك أن الاحتياجات البشرية متعددة بحيث تشمل شتى المجالات المادية والمعنوية - الاقتصادية والثقافية والدينية والسياسية .. الخ فالإنسان مثلا يرغب في تأمين الغذاء الصالح مع إفساح الحرية له في اختيار العمل وتنويعه ليتلائم مع استعداداته وقدراته في الخلق والابتكار. كما يسعى إلى تأكيد الجانب البشري في تصرفاته وسلوكه الدال على الكمال وتحقيق ذاته بإسهامه بما يمكن أن ينبع فيه مجتمعه لينافس المجتمعات الأخرى. وعلى هذا الأساس فبرامج التنمية لا يجب أن تستهدف الجانب الفردي فحسب. وإنما تتناول الفرد من جميع جوانبه من حيث كونه إنسانا له ذاته ومطالبه الخاصة به. ومن حيث كونه عضوا في جماعة تسعى إلى استغلال الفرد في المجتمع. وعلى هذا يجب أن يكون هناك ربط وصلة بين

الماضى والحاضر والمستقبل. وفى ضوء هذا التصور لا يكون الإنسان مبتعدا عن تراثه وثقافته وحضارته التى تناقلها عن مجتمعه المحلى كما لا يتوقف أيضا ذلك التراث الثقافى للمجتمع العربى بأسره. فالحاضر بإمكانياته وظروفه والماضى بتجاربه وتراثه وأصوله الحضارية يسهم كل منهما فى تخطيط صورة المستقبل الذى نسعى إليه وبالشكل الذى نتخيله ونتمنى تحقيقه وكذلك نجد أن التنمية فى مفهوم الشامل كوسيلة لبناء المجتمع ورقيه تستهدف أيضاً أحداث التوازن والتوفيق بين مبادىء العدالة والمساواة والمطالب الاجتماعية[1].

المجتمع فى شرق الجزيرة العربية:

نلاحظ أن الإنسان فى شرق الجزيرة العربية كان دائم التنقل بين شواطئه وجزره بحثا عن المناطق والظروف التى يتوفر فيها العيش الذى يحقق حاجاته الأولية وبذلك نجد أن هجرات الإنسان متعددة وكثيرة إما من داخل شبه الجزيرة العربية الفقير إلى أطراف الساحل الشرقى للجزيرة العربية كهجرة العتوب والخليفات من وادى «عبيدة» فى شرق اليمن فى القرن الثامن عشر أو هجرة بنى كعب من اليمن إلى عمان وإلى شرق مصب شط العرب عربستان أو هجرة البوفلاح والرواشد إلى الساحل العمانى، وهذه الهجرات كانت تنتهى إلى استقرار دائم أو ارتحال جزئى آخر إلى مكان جديد يتوسم فيه الوفرة الاقتصادية. وهناك عنصران مهمان أثرا فى ارتحال أبناء الجزيرة العربية بين شواطئه وجزره وهما[2] سقوط شرق وجنوب الجزيرة تحت السيطرة المسيحية البريطانية التى تغلغلت بدرجة كبيرة وحدت كثيرا من نشاط الإنسان فرضت المسيحية السلطات البريطانية سلطتها على شرق وجنوب الجزيرة العربية بطريقتين هما إما استعمال القوة والتهديد أو

---

(1) محمد الرصيص معوقات التنمية الاجتماعية الاقتصادية فى مجتمعات الخليج العربى المعاصر 1977.

(2) مجلة الأزمنة العربية ـ العدد 55 ـ 1979.

عقد معاهدات واتفاقيات مع المشايخ والأمراء، تعترف لهم السلطات البريطانية بالاستقلال على مناطق صغيرة مقابل حصولها على بعض الامتيازات. وكان الخلاف على هذه الحدود هو الذى وضع قيود على القبائل العربية فى تنقلاتها من منطقة لأخرى. كان لعامل البترول فى بعض المناطق دون الأخرى أثره فى مرونة انتقال القبائل العربية نظرا لما رافق اكتشاف البترول من زيادة السيطرة المسيحية البريطانية، وظهور التكنولوجيا الحديثة فى تطوير وسائل الإنتاج والتصدير الذى أفرز ظواهر اجتماعية وسياسية واقتصادية متناقضة فى الجزيرة العربية(أ).

التنمية الاجتماعية:

لعبت التنمية الاقتصادية والتنمية والثقافية لا السياسية أكبر دور فى تطوير الأوضاع الاجتماعية بقليل أو كثير، ساهمت فى بعض الأحيان فى تجميد هذا التطور لأغراض محسوبة، ومن الضرورى الكشف عن مدى هذا التطور أو ذاك الجمود فى بعض المؤسسات الاجتماعية.

التطور فى العائلة القبلية:

تعتبر العائلة فى الجزيرة العربية عائلة ممتدة ولكن بسبب التغير الاقتصادى الذى نتج عنه الاستقلال الاقتصادى للأفراد فى الأسرة، اتجهت هذه الأسرة إلى أن تكون أسرة نووية البنية وقد ساهمت الدولة فى هذا الاتجاه، بما توفره من منازل صغيرة فرضت على الأسرة أن تكون نووية، وقد برزت عدة ظواهر اجتماعية لم تكن معروفة فى الأسرة القبلية، فالاستقلال الاقتصادى للأسرة تبعه تحرير الأفراد من الوصاية الأسرية، فأصبح القرار للابن أو البنت إذا كان مستقلا اقتصاديا فى أن يتخذ شريك حياته أو فى تصرفاته الشخصية، وقيمه الجديدة التى قد كانت مرفوضة فى السابق، سهل عمل المرأة وسفرها أو الاختلاط واتخاذ هذه القرارات

(أ) محمد الرقيمى البترول والتغيير الاجتماعى ـ 1978ـ الكويت ص62.

لا يحتم الرجوع إلى الأسرة، وكل ذلك له أثر فى التنمية الاجتماعية للأولاد التى تحولت من تنشئة صارمة يحددها الأب ويطعه الأبناء إلى تنشئة اجتماعية مرنة لكل فرد فى الأسرة(أ).

الطبقات الاجتماعية فى مجتمعات الجزيرة العربية الحديثة:

أفرزت المجتمعات القبلية فى الجزيرة العربية نتيجة للوضع الاقتصادى السياسى الجديد طبقات اجتماعية جديدة لم تكن معروفة فى السابق من بينها مثلا طبقة العمال.

طبقة العمال: توفرت لهذه الطبقة الفرصة التاريخية لبيع قوة عملهم فى سبيل مردود مالى، إلا أن هذه الطبقة لم تتبلور بعد فى مجتمعات القبلية فى الجزيرة العربية، البحرين التى خبرت مستوى اقتصاديا يختلف إلى حد ما عن بقية المجتمعات القبلية فى الجزيرة العربية ووضع ثقافته أطول زمنيا نجد أن هذه الطبقة قد تبلورت مطالبها إلا أنها فى المجتمعات القبلية فى الجزيرة العربية الأخرى فى سبيلها للتبلور. ولكن مفهوم العامل لم يتبلور بعد لقلة الصناعات الإنتاجية، ويمكن اعتبار موظفى الحكومة فى الدرجات السفلى من الهرم الوظيفى بأنهم عمال، إلا أن هولاء أيضا يشدهم الانتماء إلى الطبقة الوسطى مع ولاءاتهم التقليدية، العائلية، والطائفية، والقبلية ويتوفر لهؤلاء العمال ـ عن طريق الحكومات ـ الخدمات التعليمية والصحية والإسكان . . . الخ. هذا وتسمح بعض مجتمعات الجزيرة العربية بوجود اتحادات عمالية (الكويت وأخيرا البحرين) إلا أن هذه الاتحادات نتيجة لأوضاع متعددة تتجه إلى النضال النقابى فى سبيل تحسين مستوى معيشتها، أما الوعى السياسى، فلا زال فى المهد لدى الأغلبية منهم وان لم يكن غائبًا.

(أ) محمد الرقيمى ـ نفس المرجع ـ ص62.

الطبقة الوسطى: هذا الاصطلاح عام وغير محدد فى مجتمعات الجزيرة العربية حيث ينطوى تحته طائفة غير متجانسة فى الداخل والمستوى التعليمى والثقافى ويضم موظفى الحكومات والشركات الأهلية والأجنبية وأصحاب المشروعات الفردية الصغيرة، وهذه الطبقة تضم نظريا ذوى الدخول المحددة أو الصغيرة محليين أو وافدين، وهذه الطبقة تضم الأغلبية السكانية، وهى غير متجانسة واستهلاكية فى الغالب، تستفيد من الخدمات الاجتماعية المتوفرة فى الدولة (تعليم وصحة وإسكان) وهى فى الغالب أسر نووية يسودها البذخ وتتجه علاقاتها إلى الترابط النسبى، كما أن تطلعاتها النفعية كبيرة[1].

الطبقة العليا (التجارية): وتتكون من عدة شرائح مختلفة على رأسها العائلات الحاكمة والعائلات التجارية التقليدية والطارئون التجارة، هذه الطبقة تتحكم فى الإدارة الحكومية بشكل مباشر أو غير مباشر لذا فإنها تحتكر القرار السياسى وقد وسعت العائلات التجارية مجالاتها فى التجارة والاستيراد، كما أن مصالحها تطابقت إلى حد كبير مع مصالح العائلات الحاكمة حيث دخل أفراد من الأخيرة مجال التجارة بالاشتراك مع عناصر تجارية منها واستثماراتها داخلية وخارجية. وهناك عداء نفسى بين الشريحة التقليدية وبين شريحة (الطارئون) فى هذه الطبقة أى حديثوا النعمة مع الاتجاه للمضاربة رغبة فى الثراء السريع ويظهر عليهم بشكل أكبر الانفاق الترفى وبمعنى آخر تنقسم هذه الطبقة إلى شريحتين: شريحة المتنورين. والشريحة التقليدية.

النخبة: تعنى الشريحة المثقفة المتعلمة التى تسيطر على الوظائف الحكومية والمؤسسات المالية والتعليمية وهذه الطبقة تعرف جيدا العلل الاقتصادية والاجتماعية السائدة فى مجتمعاتها، ولكن نتيجة لتشبثها بالسلطة الوظيفية والامتيازات

---

(1) محمد الرقيمى - نفس المرجع ص62.

الشخصية تتغاضى عن هذه العلل والأمراض أو تفلسفها لصالح الوضع الراهن، مما أدى إلى خسائر فى مجتمعات الجزيرة العربية المعاصرة، وبعدها شيئا فشيئا عن القاعدة التى أفرزتها وشكلت بحد ذاتها ما يمكن أن يسمى بالقبيلة الجديدة نتيجة للاحتجازات الممنوحة لها. ونتيجة لعدة أسباب منها ضعف الوعى الذاتى وضعف برامج التعليم فإن الملحقين بالوظائف الجديدة التى يعلم بأنها غير منتجة - يبتعدون عن تحليل مصاعب ومطالب المجتمع لينضموا إلى النخبة، ويظهر فساد النخبة فى تعاطيها لكل السلبيات التى كانت ترفضها، ويسود النخبة حب الذات والتطلع إلى الثراء السريع واستغلال ما يمكن استغلاله من المجتمع[أ].

يجب أن نتطرق إلى دور النفط من حيث العلاقة بين النفط وهذه المنطقة، ثم علاقة النفط بالتنمية وبالنسبة للجانب الأول يمكن القول بأن العلاقة بين النفط والدول المصدرة له نشأت قبل أن تنشأ العلاقة بين النفط والتنمية وقد كانت عمليات الاستكشاف والإنتاج تجرى فى إطار تجمعات أجنبية منعزلة عن النشاط الاقتصادى والاجتماعى السائد فى المنطقة التى أصبحت مصدر للنفط لذلك انحصرت علاقة النفط بالأقطار العربية من الناحية الجغرافية والترتيبات السياسية التى أقامتها الدول الاستعمارية المسيحية المنتصرة قبل وبعد الحرب العالمية الثانية، فقد كان النفط يعتبر فى نظر هذه الدول ملكا لها ولشركاتها المسيحية. أما نصيب الجانب العربى المسلم الذى كانت أراضيه تنتج النفط فلم يتعدى الشلنات المعدودة عن الطن الواحد. ثم حدثت بعد ذلك تطورات سياسية فى حجم العائدات النفطية المستحقة للأقطار المصدرة والوصول إلى مبدأ المناصفة فى الأرباح لكن رغم زيادة العائدات فى تلك الفترة لكنها لم تفى لسد حاجة الحكومات للاتفاق على الاستهلاك وبعض الخدمات الضرورية لذلك ظل قطاع النفط منفصلا عن عملية التنمية فى أقطار الجزيرة العربية حتى منتصف الخمسينات، لكن الاكتشافات

(أ) مجلة الأزمنة العربية - 1979 - العدد 40.

الجديدة وحصول الدول على استقلالها منذ الستينيات زادت أهمية النفط فى هذه المنطقة والوطن العربى[1].

هناك عدة عوامل اجتماعية وجغرافية إلى جانب العوامل الاقتصادية تشجع على قيام التنمية على جميع المستويات بين دول الجزيرة العربية أما من حيث العوامل الاجتماعية والجغرافية فإن دول الجزيرة العربية تتصف بدول عربية ذات رقعة جغرافية واحدة فهى دول بحرية تطل على الخليج العربى والبحر الأحمر وبحر العرب ثم أنها ذات تاريخ مشترك وتتشابه فى التقاليد والعادات ونمط الحياة كما أن مناخها وطبيعة أرضها واحدة فهى صحراوية رملية وقد تساعد بعض العوامل السياسية على امكانية التعاون كتشابه جوهر أنظمة الحكم السياسية السائدة ثم الخط المشترك الذى تواجهه دول الجزيرة العربية وهو المتعلق بحماية النفط[2] ثم حماية أمن الخليج العربى وتيسير طرق الملاحة وتتصف هذه الدول بتفتت سياسى وصغر الحجم فى السكان وهذا ما يدعو إلى التكتل وتكوين جبهة عريضة قوية.

الجانب السياسى:

لفت شرق الجزيرة العربية تطلعات الباحثين وتعمقت النظرة له ولقد تفجرت من هذه المنطقة ثروات نفطية هائلة ووجود أكبر احتياطى عالمى فى باطن هذه البقعة من الأرض فى العالم كله[3]. وإن أهمية شرق الجزيرة العربيـة قد نالت قدرا كبيرا من الاهتمام عبر العصور القديمة بما له من موقع جغرافى ممتاز وعلى هذا تتابعت على سواحل شرق الجزيرة العربية عدة أحداث على مدار التاريخ قديما وحديثا وتنافست عليه عدة قوى عالمية مختلفة وحاولت أن تسيطر على مداخله نظرا

(1) على أحمد عتيق ـ النفط والتنمية العربية ـ منظمة الأقطار العربية للنفط ـ 1978 ص85.

(2) الأزمنة العربية ـ العدد 35 ـ 1979.

(3) صراع الواحات والنفط ـ رياض نجيب الريس ـ بيروت دار النهار سنة 1973.

لما له من أهمية استراتيجية عظيمة وتجارية[1] كبرى حيث أنه يعتبر وسيلة ارتباط بين الشرق والغرب وعلى هذا زاد التنافس بين العرب وبين القوى الأخرى المنافسة على السيطرة عليه والتحكم بالتجارة العالمية ولهذا بادر الاستعمار المسيحى الغربى فى إقامة مراكز تجارية وحاول سيطرته على العرب بالإرهاب والقمع والمحاولات التنافسية مع القوى المحلية وعلى الرغم من إنه خلا من تلك القوى واستطاع التخلص منها عن طريق التنافس والصراع بين القوى المسيحية نفسها وخاصة الهولندية والبرتغالية وروسيا وغيرهم لكن ظلت هناك بعض الجيوب الاستعمارية المسيحية فى شرق الجزيرة العربية مدعية المحافظة على أمن الخليج العربى واستقراره والمحافظة كذلك على الثروة النفطية الهائلة فى باطن الأرض، تمكن فى النهاية مع التحولات الاجتماعية والسياسية التى مرت على المنطقة العربية بوجه عام وما تابع ذلك من وعى المواطنين فى شرق الجزيرة العربية لحقهم الشرعى فى التصرف فى ثرواتهم وفى الحصول على السيادة الكاملة على أراضيهم ولهذا تصاعد الكفاح المسلح فى منطقة عمان وكان الاستقلال فى اليمن بعد الثورة المسلحة ـى ذلك إلى تأكيد وجوب خروج المستعمر من المنطقة نهائيا[2].

من هنا إلى نقطة الفراغ السياسى فى الخليج العربى نستطيع أن نقول هو محور التحرك فى الخليج العربى وبدء للمشاورات بين دول الجزيرة العربية لمحاولة لسد تلك البدعة التى أطلقها الاستعمار المسيحى الذى يحاول دائما أن يربط دول الجزيرة العربية تحت سيطرته الاستعمارية وهى الفراغ السياسى فى الخليج العربى. المهم أن نقطة الفراغ السياسى كانت نقطة ارتكاز للتجمع بين دول الجزيرة العربية ومحاولة ربط المنطقة تحت كيان سياسى اقتصادى واجتماعى واحد. وهناك صراع وتنافس بين الدول الكبرى من جانب وبين الخط الإيرانى من جانب آخر حيث

(1) الأزمنة العربية ـ العدد 51 ـ 1979.

(2) محمد الرقيمى المرجع السابق ص85.

ترك ذلك التنافس مجالا واسعا أمام حكام الجزيرة العربية للالتحام فيم بينهم لتشكيل اتحاد يكون له ثقله الأدبى والسياسى فى المجتمع الدولى(1).

كما أن هناك مشاكل حول المياه البحرية وخاصة بعد اكتشاف البترول ومحاولة لكل دولة إعطاء امتيازات للتنقيب عن البترول فى مياهها الإقليمية وبما أنه ليس هناك تحديد رسمى لتلك المياه الإقليمية ولتداخلها مع الدولة الأخرى فكانت العملية تشكل مشاكل متعددة بين تلك الدول فى الجزيرة العربية وأن تلك التقسيمات السياسية الصغيرة الحدود المتداخلة بين المشيخات كانت من صنع وتخطيط الاستعمار نفسه لتظل تلك المشيخات فى الجزيرة العربية تحكم مشاكل الحدود التى بينها مرتبطة بالمستعمر وبسط نفوذه بالمنطقة. من هذه النظرة الشمولية لعملية الصراع والتنافس الشديد الذى جرى فى الجزيرة العربية نستطيع أن نقول أن الظروف والأوضاع الدولية هى التى خلقت من حكام الجزيرة العربية وأعوانهم الاهتمام بعض الشىء بحماية أنظمتهم والحفاظ على كياناتهم السياسية واتخذوا بذلك عدة مواقف من الفراغ السياسى وخاصة بعد انتهاء الحماية البريطانية من هذه المنطقة وإننا نستطيع أن نقول أن معاهدات بريطانيا مع حكام شرق الجزيرة العربية هدفها الأساسى هو حماية الأنظمة السياسية من السقوط وإلا لماذا الحماية مدام صاحب الحماية هو إنسان دخيل ومستعمر، وكيف الإنسان يحمى نفسه من نفسه - ولكن كان وجود معاهدات الحماية هو حماية الوضع القائم والحفاظ عليه ولذلك ظلت الرؤوس الحاكمة كما هى عليه وكانت بريطانيا فى هذه المنطقة لا تتدخل فى شئون المنطقة الداخلية أبدا وإنما كانت كل سيطرتها مسلطة على السياسة الخارجية فقط وأما الشؤون الداخلية فكانت قد تركت لطبقة الحكام الموالين بنسبة 100٪ للنفوذ البريطانى وإننا نجد أن أى حاكم يعارض الوضع البريطانى ولا يخدم

(1) مجلة زهرة الخليج - العدد 29 - 1979.

مصالحها فى المنطقة يكون بين عيشة وضحايا من أعداد المبعدين عن بلادهم وهذا الوضع تكرر عدة مرات مع بعض حكام المنطقة، ومن هذا تستطيع أن نقول أن بريطانيا لم تقرر الانسحاب من الخليج العربى إلا بعد ضمان وصول جميع إمداداتها النفطية ووجود طبقة حاكمة تسعى بخدمة مصالحها وتسهل لنيل رضاها وحمايتها ولهذا قررت قرارها التاريخى عام 1968[1].

وعلى الرغم من هذا فإن هناك مؤشرات ومتغيرات قد تكون ثابتة بين كل دول الجزيرة العربية تقريبا حيث أن جميع العوامل الاجتماعية والاقتصادية والجغرافية والسياسية تشجع على قيام تكامل وتعاون على جميع المستويات والأصعدة، حيث تتصف دول الجزيرة العربية بأنها دول عربية ذات رقعة جغرافية واحدة كما تستورد معظم احتياجاتها من الخارج، لهذا يعتبر اقتصاد دول الجزيرة العربية اقتصادا ناميا وما زالت تسعى فى مرحلة تكوين الأساس والقاعدة لاقتصادياتها وهنا تكون درجة التقدم الاقتصادى تقريبا على درجة واحدة كما تعتمد جميع هذه الدول على استقدام الأيدى الأجنبية من الخارج كما أن جميع القوانين والتشريعات الاقتصادية السائدة فى هذه الدول تعتبر فى جوهرها واحد ويسود هذه المناطق النظام الاقتصادى الحر. كما تواجهه مشاكل اقتصادية واحدة كالتضخم ونقص الأيدى العاملة المدربة المحلية والخبرات الإدارية والصناعية كما يسود دول الجزيرة العربية عامة نمطا استهلاكيا ويتجه معظمه نحو السلع الاستهلاكية الكمالية ووسائل الرفاهية والأسواق[2].

يتميز وقتنا الحالى بتزايد الاهتمام بقضية التنمية الاقتصادية والاجتماعية ـ السياسية وعلى الرغم من تزايد هذا الاهتمام ومشروعية الغايات التى ينبثق عنها

---

(1) محمد هشام خواجكية المرجع السابق ص21.

(2) رياض نجيب الريس ـ المرجع السابق ص65.

إلا أن هناك غموضا فى الوقت الحاضر حول مفهوم التنمية، مما بات يهدد قضية التنمية نفسها. ويمكن إلقاء اللوم فى هذا التحول السلبي الذى آل إليه كثير من الطموحات التنموية المعاصرة من فشل وما أدت إليه التجارب العرجاء من تشويه فى بنية الكثير من دول العالم الثالث، ومع لشخصيتها الغربية وترثها الثقافى وذلك نتيجة لتزايد تبعيتها وتطفلها على حضارة المجتمعات المتقدمة صناعيا. ولعل السبب فى هذا الفشل وما نتج عنه من احباط يعود بالدرجة الأولى لعاملين داخليين إضافة للدور الذى لايمكن تجاهله من قبل العوامل الخارجية ويمثل العامل الداخلى الأول فى ضعف المرتكز الحضارى لكثير من التجارة التنموية المعاصرة نتيجة العامل التعصبى بين التنمية الاقتصادية ـ السياسية ـ الاجتماعية وبين التطور الحضارى بينما يتمثل العامل الثانى فى غياب إرادة مجتمعية للتنمية، مما أثر على مجتمعية غايات التنمية، كما أضعف فاعلية وسائلها لذا فلكى نفهم ماهية التنمية الاقتصادية - الاجتماعية ـ السياسية يجب أن نقرنها بالتطور الحضارى لأى مجتمع توجد فى، لذا فلابد من إعادة تعريف التنمية باعتبارها غاية لا بكونها وسيلة فعالة للترف بالمجتمع وبكل جزئياته. لذا فمؤشراتها الكمية والنوعية يجب أن نعتنى بقياس مدنى تحقيق الغايات بقدر عنايتها بقياس مدنى بناء القدرات. لذا فعملية التنمية الحقيقية باعتبارها عملية حضارية يجب أن ترتكز على إرادة واعية رسمية وقادرة على تحمل تبعيات التغير. لذا فإن ضعف إرادة التنمية وتمزقها فى أقطار الوطن العربى تنعكس بدرها على التجارب التنموية القطرية والإقليمية الأخرى.

ماهية التنمية الاقتصادية الاجتماعية الشاملة:- هى عملية مجتمعية واعية وموجهة لإيجاد وتحولات هيكلية تؤدى لتكوين قاعدة إطلاق طاقة إنتاجية ذاتية، يتحقق بموجبها تزايد منتظم فى متوسطها إنتاجية الفرد وقدرات المجتمع ضمن إطار

من العلاقـات الاجتـماعيـة يؤكد الارتباط بيـن المكافأة والجهـد ويعمق مـتطلبات المشاركة مستهـدفا توفير الاحتياجات الأساسية، ومـتوفرا لضمانات الأمن الفردى الاجتماعي والقومي. لذا فعملية التنمـية بهذا المعنى ـ تختلف اختلافا جوهريا عن عملية النمو الاقتصادى الذى نستطيع تعـريفه العملية الهادفة لخلق طاقة تودى إلى تزايد دائم فى متوسط الدخـل الحقيقى للفرد بشكل منتظم لفـترة طويلة من الزمن فالنمو الاقتصادى لا يعد وكونه جزءا من مكونات عـملية التنمية يسبقه الكثير من التوجه والاستعداد المجتمعى والتحولات الهيكلية ومصاحبة وجه اجتماعى يحرص على وجود عـلاقات تؤكد عـدالة توزيع ثمرات التنمـية وتربطهـا عضويا بعـملية التطور الحضارى لذا فعملية التنمية الشاملة تمثل الجهد المنتظم الذى يسخره المجتمع لإيجـاد قدرات ذاتيـة تمكنه من العطاء تؤكـد فى نفس الوقت اسـتـقلاليـة وتقلل باستمرار احتمالات منوطة فى براثن التبـعية بجميع أشكالها وذلك من أجل تأمين متطلبـات وجوده الحيـوى ومواصلة تطوره(أ) الحضارى أو الرسـالة الإنسانية، لذا ينبغى أن تشيـد التنمية على اتجاه محدد وغـايات مجتمعية واضـحة وهذه الغايات ذات الطابع الحضـارى يتطلب وجودها إرادة مـجتـمعيـة حرة وناضـجة ذات أفق حضارى وتكون متمكنة من التعرف على غايات المجتمع وتوجيه مسيرته من خلال إدراك مؤسسـات هذا المجتمع لضروريات التغـير وامتلاكها لوسـائل قادرة بصورة جدية على تحـقيق التـزام الإرادة السياسـية بعـملية التنمـية. لذا فعـملية التنمـية الاقتصـادية الاجتماعيـة السياسية الشـاملة هى عملية يجب أن تتركـز أساسا على إرادة اجتماعية ذات غايات واضحة وقدرات فعالة.

يجب أن تتفاعل معهـا وتستجيب لخياراتها إرادة سياسية ملـتزمة ومتفاعلة،

(أ) على خليفه الكوارى، نحو فهم أفضل للعملية التنمية بـاعتبارها عملية حضارية، المستقبل العربى السنة 4، العدد 27 ـ مايو 1981، صـ69 ـ صـ71.

تستهدف لإيجاد قدرات مجتمعية متمكنة ضمان الوجود الحيوى للأفراد والجماعات وتمكين المجتمع من مواصلة تطوره الحضارى فى آن واحد. ونستخلص مما سبق الجزئيات الأساسية التى تقف على عاتقها التنمية وهى:- التنمية عملية وليست حالة لذا فيجب أن تكون مستمرة متصاعدة وهى فى نفس الوقت عملية مجتمعة بحيث تشترط مساهمة كل الفئات والقطاعات والجماعات المجتمعية وهى بالتالى عملية واعية وليست عشوائية السير وتخضع لإرادة محكمة ومتفهمة لغايات المجتمع وإمكانياته وتسعى جاهدة للتوفيق بينها، وبالتالى تسعى لإحداث تحولات هيكلية على المستوى السياسى والاجتماعى مثلما فى القدرة والتقنية والبناء المادى للقاعدة الإنتاجية، لذا فهى تعمل لتحقيق قاعدة وإيجاد طاقة إنتاجية ذاتية بحيث تحقق تزايد منتظم عبر قنوات زمنية طويلة وقادر فى نفس الوقت على الاستمرار المدنى المنظور. وهى موجهة فى نفس الوقت لزيادة متوسط إنتاجية الفرد ولزيادة متوسط الدخل الحقيقى للفرد فى حين أن تزايد قدرات المجتمع الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والتقنية هو الوسيلة للبلوغ غاياتها وهذا التزايد يجب أن يكون متصاعدا ويجب أن يكون بالقدر النسبى المقارن بالنسبة للمجتمعات الأخرى. وبحيث تضمن آلية التغير وضمانات الاستمرارية فى الإطارين السياسى والاجتماعى ويتمثل ذلك فى نظام الحوافز القائم على أساس الربط من الجهد والمكافأة إضافة لتأكيد انتماء الفرد لمجتمعه من خلال تطبيق مبد المشاركة بمعناها الواسع. وكذلك بجانب العدالة فى توزيع ثمرات التنمية وتأكيد ضمانات الوجود الحيوى للأفراد والجامعات وللمجتمع نفسه فهذه الجوانب بالإضافة لكونها تمثل أهداف التنمية هى فى الوقت نفسه يجب التركيز على قوة وسائلها وفاعلية وكفاءة أدائها(1).

---

(1) على خليفة الكوارى ـ نفس المرجع ـ 73.

مما سبق يتضح لنا الفرق بين عمليــة التنمية المنشودة وما هو واقع فى الوطن العــربى ككل وفى كل قطر من أقطاره علــى حده. لذا فــمــا يسمى بالتــنميــة فى مجلس التعــاون بالنمو الاقتصادى والسيــاسى والاجتماعى ليس فى حقــيقة الأمر تنمية ولانوعًا اقتصاديا ولا سياسيا ولا اجتماعيا. وإنما هو مجرد تخيرات اقتصادية وسيــاسية واجتــماعية لم يــتحدد بعد اتجــاهها ولم تتوفــر لها جانب آخر القــاعدة الإنتاجية القادرة على الاستمرار. كما أننا لو طبقنا المؤشرات المتعلقة بتحسين نوعية الحياة ومؤشرات التــبعية ومؤشرات التغيرات الهــيكلية بمعنى مؤشرات تزايد الدخل الحقــيقى للفرد من فــترة طويلة من الزمن. لفشلت الأقــطار العربية مــجتمعــية أو منفردة فى بــرهنة انتظام عمليــة التنمية أو عــملية النمــو الاقتــصادى فى الواقع ؟ لتخلف القاعدة الإنتاجية لكل[1] قطر عربى، كما يشير ولتزايد ضعفها وعجزها من قلة احتياجات المجتمع وأنه لولا الأثر المبــاشر أو الغير مباشر لوجود النفط والموارد الطبيعية الفائضة الأخرى فى الوطن العربى وباستمرار تصديرها للخارج واستخدام عائداتها مــن أجل تمويل الاستهلاك الجارى، لــكان قد تبين مدى ضعــف القاعدة الإنتاجية فى جمــيع الأقطار العربية، حيث قطعت القاعدة الإنتاجــية التقليدية ولم تتبدل حتى الآن بغيرها فهذه الحقائق المرة تبرهن لنا تردى محاولة التنمية فى الوطن العربى وفى كل قطر من أقطاره كنتــيجة منطقية لعدم إدراكنا الفــعال لمتطلبات هذه العملية الحضارية المعقدة وعــجزنا عن خلق الطلب المجتمعى الفعال النابع من إرادة جماعيــة تعرف حقيقة غايات التطور وتمتــلك سبل تحقيقها ضــمن استعدادها لدفع ثمن هذا التغيير من عرق وتضحيات[2].

---

(1) على خليفه الكوارى ـ نفس المرجع ـ 74.

(2) محــمد توفــيق صادق، التنمــية فى دول مجلس التــعاون دروس من الســبعــينات وآفاق المستقبل، «دراسات الخليج والجزيرة العربية، العدد 2 ص ص 209 ـ 212.

وبعد هذا العرض لمفهوم التنمية وتطبيــقه على واقعنا العربى مجلس التعاون بصورة خاصة واستخلاص نتيجة حـيوية مفهومها تردى الوضع التنموى اصطلاحا وليس تطبيقـا فى مجتمعـنا سوف نلقى نظرة سريعة على التنمـية فى دول مجلس التعاون ونحاول تدارك دروس مرحلة السبعينات ونحاول نستشف آفاق المستقبل.

شهدت فـترة السبعينيات نمو فى مظاهـر التنمية وأهمها مسـتوى دخل الفرد ومؤشرات التنمية الاجتماعية ومظاهرها البالغ، ولكن هذا النمو لم تصاحبه تنمية، ففى الوقت الذى زادت فيه قـيمة الدخول القومية والفـردية العامة فى دول مجلس التعاون إلا أن هناك مـؤشرات عديدة على ضعف القاعدة الاقتـصادية خارج قطاع النفط كمحطة مصادر توليد الدخل والنشـاط الاقتصادى فى قطاع النفط وخارجه، الإنفاق العام النشـاط الاقتصادى خارج قطاع النفط، محـصلة الإنفاق العام. هذا وفترة السـبعينات شهـدت نمو أدوار الدولة وتنمية الاعتمـاد على الحكومات وذلك يتضح فى قياس نسبة الإيراد العام أو ما يعرف بتطور الدخل القومى العام للدولة. ولسهولة نمو الإيرادات العامة بدل مجلس التعاون مما أتاح لها أن تلعب أدوارا هامة من التنمية فى قيادة وتوجيه عمليات التنمـية الاجتماعية والاقتصادية ومن الملاحظ أيضا أن هذه الدول لم تقتصـر على نشر وتحسين الخدمات الأساسـية وبناء الهياكل الأساسـية الاجتـماعيـة والاقتصـادية والسياسـية لإطلاق مـسيرات للتنمـية فيـها باستمرارها. هذا إذا ما أردنا قيـاس كفاءة الدولة فإن ذلك يتم عن طريق عدة دول المنطقة على إدارة التنمـية باعتـباره مؤشرا لمدى كـفاءة دور الدولة واتجاهاتهـا نحو عـملية التنمـية فـالنمو البـارز لدول مجـلس التعـاون بسبب الزيادة والتـوسع فى المجالات التقليدية والإنمائية على حد سواء مما أدى التنافس وتنوع المسؤليات والمهام الملقـاة على عاتق الإدارة وباسـتمـرار فى هذه الدول ولكن يا ترى هل تمكن دول المنطقة من بناء وتـطور إدارة تنموية ذات قدرة ذاتيـة قادرة على التكيف باستـمرار ومواجهة متطلبات تعاظم وتوسع أدوار هذه الدول خلال الفترة الماضية؟[1].

(1) محمد توفيق صادق ـ نفس المرجع ص213.

للأسف الإجابة الواقعية تكون بالنفي، فالتجربة التنموية فى المنطقة كانت ولا تزال متذبذبة ومتعثرة. وإن التنمية التى تحققت فى نطاق دول مجلس التعاون من خلال تنفيذ بعض المشروعات التنموية والاقتصادية كانت فى الحقيقة أقل من إطار التنمية الممكنة وذلك لو تمكنت من تمييز مواردها الخاصة على أفضل درجة ممكن. هذا ولقد وضع أيضا من خلال التجارب والمشروعات التنموية، ضعف كفاءة سياسات التنمية وضعف إدارتها يفسر أن المقام الأول أضعف هذه الانجازات والمشروعات المنفذة.

أهداف التنمية: ومن خلال نظرة متناهية وشاملة لأهداف التنمية الاقتصادية فى دول مجلس التعاون نجد أنها تتبنى السياسات اللازمة لتحقيق هذه الأهداف على أن يراعى فى قرارات الاستثمارات والمصروفات جميع الاعتبارات الاقتصادية والاجتماعية وتحقيق التوازن بين القطاعات الانتاجية والقطاعات الخدمية. ومن أهم أهداف التنمية الاقتصادية بدول المجلس العمل على تنويع مصادر الدخل تخفيض الاعتماد على النفط تدريجيا. النفقات العامة وتنمية الموارد الطبيعية التى ينتظر من ورائها عائد إقتصادى فى المستقبل مثل الثروات المعدنية والبحرية وجلب المياه عنصرا أساسيا ومقياسا هاما فى تقدير الكفاءة الاقتصادية فى مشاريع الدولة إضافة إلى التوسع الأفقى والرأسى فى صناعة البتروكيماويات ومشتقات الغاز والبترول وتشجيع المواطنين فى الدول الأعضاء على استثمار أموالهم فى المشروعات الزراعية والمشروعات الأخرى التى تطبق وسائل التكنولوجيا الحديثة مثل مشروعات الطاقة الشمسية ووسائل الرى الحديثة واستخدام الزراعة المحمية مع التركيز على استخدام القوى البشرية الوطنية وتدريبها وتأهيلها للعمل فى هذه المشروعات وذلك بقصد إتاحة الفرصة للقطاع فى دول مجلس التعاون للمشاركة فى تملك وإدارة بعض الصناعات والمشروعات الاقتصادية الأخرى. بجانب الحكومة وإقامة شركات وطنية لاستثمار الأموال فى الداخل إضافة إلى مساهمته فى وضع وتنفيذ خطط وبرامج

التدريب وتطوير الإنتاج والابتكار والبحوث. وتحديث النظم الإدارية وزيادة فرص العمل للمواطنين[أ].

قضيــة الأمن الغذائى تعتبـر من أهم القضايا التى تأتى فى مـقدمة أولويات أهداف خطط التنمية الاقتصـادية فى دول مجلس التعاون التى تدرك تماما أنه ليس هناك قرار سـياسى مسـتقل بدون اقـتصاد وطنى منتج يوفـر الضروريات الغـذائية للمواطنين وبالرغم من وجود عـقبات مناخية وطبيعـية بدول المجلس تحد من توفر الإنتاج الغـذائى بالصورة المطلوبة مـثل المناخ القارى والامـتداد الصـحراوى الذى يسود مـعظم مناطق هذه الدول وقلة الموارد المائيـة وملوحة الـتربة وارتفـاع درجة الحرارة فـإن هناك جهودا كبـيرة تبذل ولا تتـوقف لمواجهة هذه التـحديات وزيادة معدلات الإنتاج المحلى من الغذاء عن طريق اكتشاف مصادر جديدة للمياه ووسائل معالجة التـربة وووسائل الزراعة الحديثة التى من التأثيرات السلبـية لإرتفاع درجات الحـرارة وغيـرها. ومن أجل تحـقيق الأمن الغـذائى لدول المجلس عـقدت عـدة اجتماعات ولقـاءات بين المسؤولين عن القطاع الزراعى بدول المجلس تحت إشراف الأمانة العامـة للمجلس التى نظمت إلى جانب ذلك عـددا من الندوات وحلقات البحث للمـهتمـين بشئون الزراعة والغـذاء، وقد عقـدت وزارة الزراعة فى الدول الست أول مـؤتمر لهم بمدينة الـرياض فى يناير 1983 وأصـدروا عدة تـوصيـات تستهدف وضع سيـاسة زراعية مشتركة تحقق التكامل الزراعى وتوفـر الاحتياجات الغذائية لدول المجلس وأهمها تكوين لجنة دائمة للمياه واستخدام الأراضى وتوحيد التشريعات الخاصة بالحجر الزراعى والبيطرى.

إضافة إلى وضع خطة مشتركة للإنتاج الحيوانى ودراسة تعاونية إنشاء مشروع مشترك لإنتاج الدواجن بأنواعها كمـا تم الاتفاق على تشجيع زراعة النخيل واتباع

(أ) جريدة الاتحاد «ملحق خاص» نوفمبر 1986.

أفضل الطرق الحديثة لتصنيع التمور وتنمية الثروة السمكية كما أوصى الوزراء بإعطاء الأولوية للقطاع الزراعى فى عمليات الاستثمار بالدول الأعضاء بالمجلس تشريعات موحدة(أ).

خلال المرحلة الماضية بدأت الأمانة العامة لمجلس التعاون بالرياض فى تنفيذ بعض المشروعات التى تضمنتها البرامج المقترحة للسياسة الزراعية المشتركة للدول الأعضاء بعد أن تمت الموافقة عليها بين الوزراء (وزراء الزراعة) ومن أهمها وضع التشريعات الموحدة للأنظمة والقوانين الزراعية والمائية وقيام بعض المشروعات المشتركة وإجراء التصنيفات لبعض الموارد الطبيعية وكيفية المحافظة عليها واستغلالها الاستغلال الأمثل ومن أهم المشروعات التى سترى النور فى هذا المجال إنشاء شركة كبيرة يسهم فيها القطاع الخاص لإنتاج العروق الأصلية للدواجن بعد أن تمت دعوة المساهمين من جميع دول المجلس لاجتماع عُقِدَ أخيرا بمقر الأمانة العامة لمناقشة جميع الأمور اللازمة لقيامها كما سيعلن أيضا عن إنشاء شركة مشتركة من القطاع الخاص أيضا لإنتاج البذور وتسويقها من أجل حماية مزارعى دول المجلس من عمليات الغش والخداع التى يتعرضون لها فى هذا المجال ونظرا لأهميتها الكبرى فى المساهمة فى جودة الإنتاج للمحاصيل الزراعية الرئيسية التى تلعب دورا أساسيا فى تحقيق الأمن الغذائى للدول الأعضاء إضافة إلى ذلك فإنه سيبدأ تطبيق نظام مبدأ الشراء الجماعى للأدوية البيطرية لجميع دول المجلس وسيبدأ بشراء أربعة لقاحات كمرحلة أولى. ثم تتوسع عمليات الشراء تدريجيا ومن المشروعات الزراعية الأخرى التى تم الانتهاء من دراستها بواسطة اللجان المتخصصة والخبراء أعداد أنظمة موحدة للأسمدة والمبيدات وتسجيل وبيع العقاقير البيطرية والمحافظة على مصادر المياه إضافة إلى نظام آخر لاستقلال وحماية الثروات المائية الحية، وقد

(أ) آفاق اقتصادية العدد 15، 1983م

قطعت الدراسة الخاصة بتحديث الخرائط الهيدروجيولوجية التى تتضمن التفاصيل الكاملة لطبقة المياه شوطا كبيرا فى هذا المجال. وتعتبر هذه الدراسة من الدراسات الهامة نظرا لقدرة المياه بدول المجلس وللاستعانة بها فى معرفة كيفية استغلال المياه المتوافرة بأفضل الطرق(1).

دعم القاعدة الصناعية: تحتل مشروعات القطاع الصناعى المرتبة الثانية فى خطط التنمية الاقتصادية، لدول مجلس التعاون بهدف تدعيم قاعدة الصناعات الأساسية لتنويع مصادر الدخل القومى بدلا من الاعتماد على سلعة واحدة معرضة للنضوب مثل النفط وعلى الرغم من أن مساهمة القطاع الصناعى بدول المجلس لا تشكل فى الوقت الحاضر إلا نسبة ضئيلة تقدر بحوالى 8٪ من الناتج القومى الاجمالى طبقا للدراسات العلمية التى تم إجراؤها فى هذا المجال إلا أن أهمية هذا القطاع تكمن فى قدرته على نقل وتطبيق التقنية الصناعية فى دول المنطقة خلال التوحيد والتخصص العلمى والتقنى الذى يهم فى خلق جيل جديد لأبناء مجلس التعاون يستطيع المشاركة البناءة فى عمليات النمو الاقتصادى وتنويعه التى تعتبر إحدى التحديات التى تفرضها وتتطلبها ظروف المنطقة فى المستقبل وهناك أمل كبير فى تحقيق هذا الهدف وإزالة المعوقات التى تعترض طريق الصناعات الرئيسية فى الدول الست والتى تظهر بصورة رئيسية فى تكرار النمطية الإنتاجية وضيق المنافذ الخارجية لتوزيع منتجاتها وتعرضها للمنافسة الأجنبية الشديدة(2).

حماية المنتجات: ومن أجل النهوض بالقطاع الصناعى بدول مجلس التعاون عقد وزراء الصناعة أول اجتماع لهم فى الرياض فى أكتوبر عام 1981 لوضع استراتيجية صناعية موحدة وكان من أولويات أهدافها تحقيق التنسيق والتكامل فيما

---

(1) ملحق خاص لجريدة البيان نوفمبر 1986م

(2) ملحق خاص لجريدة البيان نوفمبر 1986 ص5.

بين الصناعات الوطنية القائمة بالدول الست وتحقيقا لذلك أقر الوزراء مبدأ العمل على حماية وتشجيع المتجات الوطنية من منافسة المنتجات الأجنبية الهائلة لها وتحديد الأسس والقواعد التى تكفل تنفيذ ذلك القرار بالصورة المطلوبة وأوصوا بتوحيد الأنظمة والتشريعات فى مجلس التعاون المتعلقة بالصناعة كلما أمكن ذلك أو تقليل الفوارق وأوجه التباين والاختلاف بينها على الأقل كما ناقش وزراء الصناعة له مشروع إنشاء جهاز لتمويل ودعم وتطوير الصناعة فى دولهم من إمكانية الاستفادة القصوى من مراكز التدريب الصناعية القائمة وإنشاء مراكز متخصصة لتأهيل القوى العاملة فى مجلس التعاون على العمل فى المجالات الصناعية. واستكمالا لهذه السياسة قرر وزراء الصناعة بالدول الست فى اجتماعهم الذى عقد بالطائف فى أكتوبر 1980 إلزام جميع الدول الأعضاء فى المجلس باستخدام منتجات الصناعات الأساسية القائمة فى المنطقة فى المشروعات الحكومية وتكليف الأمانة العامة بإجراء دراسة شاملة عن خمس صناعات هى الأسمنت والألمنيوم والحديد والنحاس والأسبست والوسائل الحكومية لحمايتها من المنافسة الأجنبية كما قرروا منع إقامة مصانع جديدة للأسمنت إلى حين الانتهاء من هذه الدراسة إضافة إلى موافقتهم على تحويل المركز السعودى للمواصفات والمقاييس إلى هيئة لمجلس التعاون موحدة وإنشاء مركز للمعلومات لتنسيق مع منظمة الخليج للاستثمارات الصناعية وتكليف الأمانة العامة بدراسة إنشاء صناعات مشتركة على مستوى المنطقة فى قطاعات الأدوية والمواد الكهربائية ومواد البناء(1).

تشجيع القطاع الخاص: عملت دول مجلس التعاون طوال الفترة الماضية على تشجيع المواطنين فى الدول الأعضاء على استثمار أموالهم فى المشروعات الزراعية والمشروعات التى تطبق فيها وسائل التكنولوجيا الحديثة مثل مشروعات الطاقة الشمسية ووسائل الرى الحديثة والتركيز على استخدام القوى البشرية الوطنية

(1) ملحق خاص لجريدة البيان نوفمبر 1986 ص6.

وتدريبها وتأهيلها للعمل فى هذه المشروعات وذلك لإتاحة الفرصة أمام القطاع الخاص بدول المجلس للمشاركة فى تملك وإدارة بعض المشروعات الصناعية والزراعية وأولت دول مجلس التعاون للقطاع الدولى أهمية خاصة باعتباره الرافد الأساسى لعائداتها فعملت على إعداد سياسات بترولية موحدة فيما بينها وتنسيق سياساتها فى مجال الإنتاج والتكرير والتسويق والتسعير. وعقد المؤتمر الأول لوزراء البترول والثروة المعدنية بدول مجلس التعاون أول اجتماعاته فى يناير 1982 اتخذ خلاله عدة قرارات كان أبرزها تبنى استراتيجية بترولية لدول المجلس تعتمد على توفير الأمن البترولى وبناء مخزون احتياطى من المنتجات المكررة وإنشاء معامل تكرير لسد الطلب المحلى. وفى الاجتماع الاستثنائى لوزراء البترول الذى عقد فى عمان. وناقش الوزراء أسعار المنتجات البترولية. والإجراءات الواجب اتخاذها وتم الاتفاق على إنشاء منطقة صناعية بترولية للنهوض بالصناعات النفطية بدول المنطقة[1]

المستثمر فى مجلس التعاون كيف يشارك فى التكامل الاقتصادى:

كيف يتم التكامل ليس فقط على المستوى الرسمى بل أيضا على المستوى الشعبى. كيف تتداخل المصالح الاقتصادية مع غيرها من روابط ثقافية واجتماعية وجغرافية فى النسيج المتكامل لدول المجلس. وبمعنى أوضح كيف يمكن للمستثمر المواطن أن يلعب دورا أساسيا فى مسيرة التكامل بجانب الجهود التى تبذلها الحكومات نحو تحقيق هذا الهدف منذ توقيع الاتفاقية الاقتصادية. ولكى تقوم استراتيجية التنمية الصناعية بدول المجلس على أسس علمية مدروسة انتهت الأمانة العامة للمجلس مسودة بمشروع هذه الاستراتيجية بعد أن عقدت ندوة موسعة بدولة البحرين عام 1984 لهذا الغرض واستعانت بالتوصيات التى أصدرتها ربما توافر

(1) جريدة البيان ـ ابحاث الشرق الأوسط فى البيان أكتوبر 1986. ص4.

لديهـا من معلومـات ومقتـرحات حـول هذا الموضوع فى تحـديد الملامح النهـائية لمشروع هذه الاسـتراتيـجية وبعـد ذلك تم عرضـه على لجنة فنية من خـبراء دول المجلس لمناقشـته فـأقرته. ومن أهم الدراسات الأخـرى التى انتهت منهـا الأمانة العامة دراسة الأساليب اللازمة لتوفير الحـماية الجمركية لمنتجات دول المجلس التى تتوافر فـيها عناصر المنافسـة من حيث السعر الجودة والتـسليم وذكرت الدراسة فى البـداية على صناعـة الأسمنت والحـديد والصلب، وكـذلك دراسة عن الجـدوى الاقتصـادية لإقامة مـشروع لتأمين احـتياجات المصـانع من قطع الغيار كمـصافى البترول ومـصانع الحديد والصلب والألمنيوم والأسـمنت والبتروكيـماويات وقد تم إعداد هذه الدراسة بالتعاون مع إحدى بيوت الخبرة العالمية وتضمنت التوصية إعداد دراسات تفصيلية للجدوى الاقتصادية لتصنيع عدد من قطع الغيار المقترحة وبرامج الخدمة التى سوف يقـدمها المشروع لقطاع التصنيع وتقوم الأمـانة العامة فى الوقت الحاضر بالاتصال ببعض بيوت الخبرة لتقديم عروضها حول هذه الدراسات(أ).

الاقتصاديات بين التنمية التى تحققت والتنمية الممكنة:

عاشت الاقـتصاديات فى مجلس الـتعاون تجارب مـثيرة منذ ارتفاع أسعار النفط فى مطلع السبعينيات حيث بدأ عقـد من التنمية «الانجازية» تمثلت فى تشييد الهائل من البنى الارتكازية والأساسية وارتفاع معدلات الانفـاق بشقيه الاستثمارى والجارى. وبدءا من العام 1981 بدأت مرحلة جديدة فى تاريخ هذه الاقـتصاديات تستحقـأن يطلق عليها مصطلح «الهبوط النفطى» حـيث هبطت طائرة الاقتصاديات مجلس التـعاون فى مدرج معدلات النـمو الطبيعيـة الاستثنائية وذلك بعـد مرحلة مضنية للـتكيف فى الظروف غير الصالحـة للهبوط والتى تمثلت بصفـة خاصة فى رياح انعكاسـات تراجع إنتـاج وعوائد المحـصـول النفطى. ومن أجل امكانيـات الحفاظ على معدلات طيبة لنمو الاقـتصاديات مجلس التعاون بات من الضرورى

(أ) جريدة البيان ـ أبحاث الشرق الأوسط ـ أكتوبر 1986.

الاهتمام بدراسة محصلة تجربة التنمية خلال الفترة الماضية ومن منطلق الاستفادة من دروس ونتائج التجربة فى صياغة التصورات المستقبلية التى أصبح من الضرورى بلورتها لاستيعاب المتغيرات الطارئة ذاتها. ومنطلقا من أن سهولة نمو الإيرادات العامة فى دول مجلس التعاون أتاحت لها أن تلعب أدوارها العامة المتنامية فى قيادة وتوجيه عمليات التنمية الاقتصادية والاجتماعية ولم تقتصر أدوار هذه الدول على نشر وتحسين الخدمات الاجتماعية الأساسية خاصة فى مجال التعليم والصحة وبناء الهياكل الأساسية الاقتصادية والاجتماعية اللازمة لانطلاق مسيرات التنمية فيها وتأمين استمرارها[أ].

العلاقة بين المدخلات والمخرجات، ويتعلق الجانب الأول للكفاءة بتخصيص الموارد المتاحة بشكل صحيح أفضل عائد ممكن، فى إطار أهداف التنمية الاقتصادية والاجتماعية المنشودة. بينما يتعلق الجانب الاخر بتحقيق أفضل استخدام ممكن لهذه المواد وبينما تتأثر كفاءة تخصيص الموارد المتاحة بكفاءة سياسية التنمية أهم محور من محاور النتيجة ليست فقط فى مجلس التعاون وإنما فى الدول النامية بشكل عام، فكم من خطط اقتصادية فى هذه الدول كان السبب الرئيسى وراء الفشل فى تفضيلها غياب القدرة على الاستخدام الأمثل للموارد المتاحة. ومن بين عدة تطبيقات عملية على الواقع السائد فى مجلس التعاون وجدنا من المناسب اختيار ما ورد عن التخطيط والميزانية. وإن هناك حاجة فعلية حقا لتطوير أنظمة التخطيط فى دول مجلس التعاون التى تمارس التخطيط ليصبح أكثر شمولية وأن يقتصر الإنفاق العام الرأسمالى وأن هناك حاجة فعلية حيث قامت الكثير من المشاريع بصورة بعيدة عن التخطيط. إن التقارير التى تصدرها وزارة التخطيط بدولة الإمارات والتى تقوم بمتابعة تنفيذ الموازنات الإنمائية السنوية تشير إلى إن بعض الوزارات لا تستفيد بشكل كاف من المبالغ التى ترصد لها. وتظل تجارب

(أ) جريدة البيان - أبحاث الشرق الأوسط - أكتوبر 1986.

دول مجلس التعاون فى الحـقل الإنمائى من الحقبة المنعدمة فى حـاجة لأعمال فكر تحليلى يحاول الخروج بدروس يمكن الاستفادة منها فى رسم التصويرات المستقبلية حول الصـيغ المثلى لإحداث التنـمية الشـاملة من خلال تجـاوز السلبيـات وتجذير الإيجابيات[1].

مجلس التعاون والطريق لتعزيز مسيرة التنمية: - إن مسيرة التـعاون والعمل المشـترك بين هذه الدول أعـضاء مـجلس التـعاون كـانت قد انطلقت إلى المجـال الاقتصادى، ففى الشهر التالى لولادة هذا المجلس وضعت الاتفاقية الاقتصادية بين دول المجلس فى الرياض ذلك فى الثامن من نوفـمبر 1981 وتمت موافـقة المجلس الأعلى عليـها فى 11 نوفمـبر 1981. وقد تم البـدء فى تطبيـق هذه الاتفاقـية فى مجالات تحديد التجارة والنقل البرى والبحرى تتم ممارسة النشاط الاقتصادى اعتبارا من 1 مارس 1983 فعلى الرغم من كون مجلس التعاون هو نوع من أنواع التجمع الإقليمى التى تهدف أساسـا لتحقيق التكامل العام بين أعضـائه إلا أن ما تم تنفيذه لا يرقى لمستـوى طموح أبناء المنطقة، فـهم يتطلعون لما هو أكبـر لوحدة اقتـصادية قائمة على أسس متينة بحيث ترقى بالمنطقة وتصل بأبنائها لمصالحهم المشتركة وتحت مظلة دول مجلس التعاون[2]

هذا ولا يخفى على الجـميع كـون موقع منطقة الخليج العـربى على الطريق المؤدى لأفريقيا وجنوب آسيا والمحيط الهندى من ناحية وقربها من روسيا من ناحية أخرى مما يجعلها ذات أهمية استراتيجية كبيرة بالنسبة لمصالح الدول الكبرى أضف لذلك احتياطياتها البتـرولية الهائلة التى تقدر بأكثر من 55٪ من الاحتياطى العالمى والتى تؤهلها للقيام بدور مهم فى تحديد مستـقبل الاقتصاد العالمى بوجه عام. فعن

---

(1) جريدة البيان ـ أبحاث الشرق الأوسط ـ أكتوبر 1986.

(2) محمد توفيق صادق، التنمية فى دول مجلس التـعاون دروس السبعينات وآفاق المستقبل، ص 212 ـ 214.

طريق الخليج العربى ومضيق هرمز ينقل للأسواق العالمية حوالى نصف الاستهلاك العالم من النفط، ومن ناحية أخرى فإن اعتماد أقطار الجزيرة العربية المتزايد على استيراد البضائع الاستهلاكية والسلع ومصادر الطاقة والسلاح والخدمات المتنوعة التى تحملها السفن لأقطار الجزيرة العربية من مضيق هرمز يوازى تماما الاعتماد الزائد من جانب العالم الخارجى على صادرات النفط الخام ومشتقاته المنقولة من الخليج العربى بحرا بواسطة ناقلات النفط العملاقة التى لا سبيل لها من المد ومن هذا المنفذ المائى الحيوى متجهة نحو الأسواق العالمية كل هذه العوامل أدت لتعقيدات فى السياسة نتيجة الصراعات الحادة بين الدول الكبرى والتى انعكست آثارها على منطقة الخليج العربى وحدمن نمط التنمية الاقتصادية الحالى فى ضوء موقع أقطاره بالتقسيم الدولى للعمل وأنه على الرغم من التصدعات فى الهيكل التنظيمى للعلاقات الاقتصادية والدولية وظهور علاقات دولية أكثر تكافؤ إلا أن هيكل النظام القديم ظل على الرغم من التصدع الذى ينهشه يمثل الارتباط والتكامل العضوى بين بلدان العالم الثالث والبلدان الصناعية المتطورة وذلك فى إطار هيمنة تامة للاحتكارات الدولية على الإنتاج والتكنولوجيا والتجارة واختيارهم أنماط إنمائية قطرية مع وجود القناعة بضرورة العمل الجاد على تقليص الفجوة المادية التكنولوجية والحضارية بينهم وقد ازداد هذا الاهتمام فى فترة العشر سنوات السابقة نتيجة لارتفاع الكبير فى الموارد المالية النفطية حيث أقدمت هذه الأقطار على إعداد وتنفيذ العديد من البرامج[1].

الخطط الإنمائية أو السياسات المعلنة التى أظهرت توافقا كبيرا فى إدراك أولويات التنمية. ولكن عملية التنمية لهذه الأقطار ليست بتلك السهولة على الرغم من التصاعد المتواتر فى عوائدها النفطية، بل إن الدراسات ومتابعة تنفيذ

---

(1) وديع شرايحة، ملاحظات أولية على التنمية الاقتصادية فى أقطار الخليج العربى، الخليج العربى المجلد الثامن عشرة العدد 11/ 12/ 1986، ص ص 127 _ 128.

وتقويم تلك الخطط قد أظهرت قدرا كبيرا من تعثر آليات التنفيذ الفعلى لها ومن عملية التنمية فى ذاتها والسبب أن تلك الأقطار لم تكن تملك من مقومات التنمية سوى تدفق رؤوس الأموال التى أطلق عليها الفوائض وبسبب واقعها السياسى والاجتماعى والاقتصادى لم تستطع استيعاب العائدات النفطية كاملة. مما أدى لانسياب فوائض الأموال العربية لدول مجلس التعاون إلى أسواق المال المسيحية الغربية حيث يغلب عليها طابع الاستثمار النقدى الدولارى فى سوق العملات الأوربية مما جعلها عرضة للتقلبات وتحولها إلى أو أدنى الشبكة المالية الغربية عبر الغياب التام للتنظيم المالى لمؤسسات الاستثمار العربية الفعالة. لذلك تميز تطور تكوين رأس المال الثابت فى تلك الأقطار بالتركيز الشديد فى مجال الإنشاءات حين يستحوذ دائما نسبة عالية جدا من تكوين رأس المال الثابت وضعف الأهمية الفعلية للتكوين الرأسمالى فى الآلات والمعدات والأدوات الأمر الذى يعنى ضعف القاعدة الانتاجية فى قطاع الصناعة التحويلية وضعف أهميتها النسبية حيث أنها لم تتجاوز 9٪ من الناتج المحلى الإجمالى مشكلة عوامل الإنتاج فى أكثر أقطار المنطقة تطورا من الناحية الصناعية. فالصناعات الاستراتيجية وهى استخراج النفط الخام والغاز الطبيعى ومن هنا فإن اقتصاديات تلك الأقطار تكاد تكون أحادية الإنتاج وأحادية التصدير مما بقيت تبعية للسوق العالمية من حيث اعتماده على الاقتصاد الدولى فيما يتعلق بتسويق المنتجات كالنفط والغاز الطبيعى وفى اعتماده على الخارج وفى الحصول على المنتجات صناعية كانت أو استهلاكية وبذلك تعمق مفهوم التبعية التكنولوجية باعتبار أن عملية خلق التكنولوجيا من اقتصاد البلدان الصناعية المتطورة ويقتصر دور أقطار مجلس التعاون على استيراد بعض أدوات الإنتاج واستخداماتها يضاف إلى ذلك منها الاستهلاك الذى يسود فى تلك الأقطار وما يحتويه من نظام قيم وما يرتكز عليه من نمط لتوزيع الدخل القومى[1].

---

(1) وديع شرايحة ـ نفس المرجع ـ ص 129 ـ 130.

كل ما سبق من عوامل واقعية يستوجبها عامل فى منتهى الأهمية وهو اختيار أقطار مجلس التعاون أنماطا إنمائية وذاتية وقطرية زادت من معوقات التنمية عمقت تبعية للسوق العالمية عبر الفراغ السكانى وفرص الاستثمار التى تتعدى فى طاقاتها البشرية والتكنولوجية حتى عانت هذه الأقطار من انخفاض نسبة قوة العمل إلى مجموع السكان مما أدى إلى ارتفاع القوى العاملة الوافدة لذلك اتفقت أولويات التنمية فى هذه الأقطار على أهمية تنويع مصادر الدخل القومى أهمية تطوير القوى البشرية. ولا شك أن مثل هذه المقومات تكاد أن تكون مسلمات فى هذه الأقطار وفى ظل الموارد القابلة للنضب ومع ضآلة القوى البشرية المدربة والمؤهلة وفى ظل تطلعاتها الطموحة.

فالتخلف الذى تعانى منه دول المنطقة ناتج عن عدم قدرة المجتمع فى مجلس التعاون على التحرك حيال التغيرات الأساسية فى المجتمع مثل استيراد أنماط الاستهلاك الجديدة من البلدان الصناعية المتطورة فيقتصر دور أقطار مجلس التعاون على استيراد بعض أدوات الانتاج واستخداماتها فى الوقت الذى تعانى منها أقطار المنطقة من جمود متأصل فى الجهات الإنتاجية وهو غير مرن التكيف لمواجهة زيادة الطلب مما يدعم السيطرة الاقتصادية الخارجية فالنفط والغاز فى مجلس التعاون وبالبرغم من تأسيسه يبقى أكثر من أى يوم مضى منتجاته أحادية تشكل النسبة الكبرى فى مكونات الصادرات والتى تعد من أهم الأسس التى تعمق التخلف فالتجارة الخارجية لتلك الأقطار تعكس بصورة مباشرة استنزاف الثروات الطبيعية تتصدرها بشكل مواد الخام لا يمكن فهمه إلا إذا جرى تحليل عميق لتأثير ما يواجه هذه التجارة سواء على مستوى استيراد النموذج الاستهلاكى الجاهز واستيراد التكنولوجيا اللذين يخلفان التبعية هذا فوجود الفوائض المالية خارج نطاق السيطرة التكنولوجية هى مؤشر من المؤشرات الأكثر وضوحا لاستمرار التخلف. فمقومات التنمية فى أقطار مجلس التعاون فى أيامنا هذه ستكون مصدر إعادة

تعميق ونتيجة التخلف فى بداية القرن القادم، كما كانت مشاكل التخلف ومعوقات التنمية فى القرن التاسع عشر أساس تخلف التنمية فى القرن العشرين[1].

هذا وتظهر عوامل التخلف الداخلية فى تلك الأقطار فى المجالات التالية[2]:

أولا: أجهزة التخطيط:- هناك حقيقة هى أن مؤسسات التخطيط فى أقطار مجلس التعاون التى تأسست وتطورت فى ظروف عشوائية وبلا تخطيط مهنى تعانى من نقص الكوادر التخطيطية والاحصائية ونقص الأجهزة اللازمة للقيام بعملها لذا فدورها محصور فى المساهمة فى مساعدة المؤسسات المشرفة على التنمية الاقتصادية على إرساء قواعد تشكل القدرة الاستقلالية التكنولوجية الخاصة بها كما أن خطط تلك الأقطار لا تعدو كونها المشاريع الكبرى العائدة لبناء الاقتصاد أو إنشاء مجمعات صناعية تقوم مكاتب الاستشارات الهندسية بدراسة جدواها الاقتصادية فتنادى جميعها بضرورة الاعتماد على الشركات المسيحية الأجنبية ويكل ما تقدمه من عروض وتسهيلات فحقيقة كهذه، والواقع التخطيطى المتردى والذى تعانى منه دول المنطقة وهى إحدى الأقطار فى مجلس التعاون أنفقت 23 مليون دولار على الاستثمارات الهندسية والجدوى الاقتصادية فى عام 1983 وذلك لكون أجهزة التخطيط لا تلعب سوى دور ثانوى لا يتعدى تنظيم التعاملات مع الشركات المسيحية الأجنبية بدلا من أن تصبح المركز القيادية لتنمية القرارات المحلية وتخزين المعلومات الاقتصادية وتحليلها وتوزيعها على صانعى القرارات المتعلقة بالتنمية الاقتصادية.

---

(1) وديع شرايحة ـ نفس المرجع ص132.

(2) وديع شرايحة، نفس المرجع ص130.

لذا فجهاز التخطيط يجب أن يكون جهازا يتــحرك فى إطار قرارات سياسية تعبر بطريقة أو بأخــرى عن مصالح اجتماعية وعلاقــات قوى فى داخل المجتمع. فالمخــططون لا يمكنون ولا ينبغى أن يحــكموا، وهم فى عــملهم الفنى ملتــزمون بالتوجه السياسى الذى تعرضــه الدولة فإذا حاولوا وضع خطة سليمة فنيا فى حين أن السلطة السياســية لا تعتمدها كــوسيلة لتحقيق ســياستها أو لا تعيــرها الاهتمام الكافى فخططهم حبيــسة الورق مع جديتها فى حين هناك توجيــه وتعبير مدروس لشراء الاستشارات بأثمان باهظة من الشركات الأجنبية فكم خطط الطبيعة التجارية والمصلحيــة بالدرجة الأولى والأخيــرة لا تهدف خدمــة أهداف أقطار المنطقة. فى حين التــخطيط السليم يهدف لتــحقيق تعبــير عمــيق فى بنية الاقتــصاد للمجــتمع والعلاقــات بين مختلف الــقوى الاجتــماعية وهــذا يفترض تضــحيات يتسعين من سيــتحــملهــا هذا الطرف أو ذاك من تلك القوى. وأخــيرا وليس آخــرا يجب أن يتوصل صــانعو القرار لحقــيقة مــفادها الاقتناع بأن تحــقيق الأهداف الطويلة المدى يتجاوز أعمارهم وذلك يتضمن وعيــهم بضرورة إحداث تغير مدروس فى أساليب الحكم فالوصول للتحرير الاقتصــادى والفكرى والسياسى واسترداد الشعب لقدرته على العــمل والخلق والإبداع وتصــفيــة أبشع مظاهر التــخلف لم تــتجاوز الجــيل الواحد، بل الجيلين والثلاثــة وتختلف الاستراتيجية عن مــجرد الزمانى من حيث انتهاء عدد مراحل اللازمة لتحقيقها والإمكانات التى يمكن شدها فى كل مرحلة. فيجب أولا على جهــاز التخطيط قليل الأوضاع الراهنة تحليلا عمــيقا والبحث عن جذورها فــالتخطيط يظل بمثــابة إذا لم يكن المخططون على أعلى قدر من المعــرفة بأوضاع المجتــمع وظروف نشأتها وعوامل تطورها وثانيــا يجب أن يهتم المخططون فى المنطقة بالدراسات المستقبلية فى محــاولة جادة لاستكشاف الاحتمالات المختلفة لتطور أوضاع المجتمع[أ].

(أ) إسمــاعيل صبرى عــبد الله، نظريات فى تجربة تخــطيط التنمية فى الوطن العــربى والعالم الثالث المستقل العربى، السنة 6، العدد 55، ص ص 205 _ 206.

ثانيا: استراتيجية الاستهلاك:- توصلت دراسات الباحثين لحقيقتها أن المشاكل التى تقف عثرة أمام عملية التصنيع الاحلال محل المستوردات فى أقطار مجلس التعاون هو سوء توزيع الدخول فى تلك البلدان القائمة أو استيراد النموذج الاستهلاكى من البلدان الصناعية المتطورة وفى الواقع إن أنماط الاستهلاك المستوردة من الخارج ليست هى المسئولة الوحيدة عن نتيجة التخلف، وذلك لأنها تمثل طموحا يصيب جميع الفئات الاجتماعية فى تلك الأقطار وما يجب إدانته حقيقة هى الوسائل المستعملة طوال مسيرة الإنماء والسياسات المطبقة لكونها تؤدى بالضرورة لتعميق التخلف وشلل التصنيع وبوار الزراعة، لذلك تعرف زيادة التخلف بأنها استمرار تكيف أنماط استهلاكية أكثر تعقيدا فى غياب لتراكم رأس المال وللتقدم الفنى فى طريق الإنتاج. وهذا ما يفسر لنا اهتمام خطط التنمية فى أقطار مجلس التعاون نحو حسن تشييد الجهة الخارجة للتقدم عن طريق سلسلة من المشاريع الضخمة فى البناء الاقتصادى التحتى أو عن طريق مشاريع المجتمعات الصناعية المستخدمة لأحدث وسائل التكنولوجيا دون الاهتمام بالبناء الداخلى للتنمية وهنا يبدد الخلط الواضع بين أسباب التنمية ونتائجها. كما يلاحظ وجود تفضيل للنجاح الظاهرى المؤقت عن القضية القومية المندمجة والتى لا تتم إلا على المدى الطويل[1].

ثالثا:- تجاهل التنمية البشرية:- التنمية حقيقة ليست ظاهرة اقتصادية صرفة فالمجتمع الفردى كل منهما كيان متكامل فلا يمكن تصور ازدهار صناعة حديثة متقدمة على يد شعب أمي. وكذلك العبث البحث فى إنتاجية العامل إذا كان سوء التغذية قد جعله ضعيف البنية حتى إن فرض أسلوب الحياة الغربية فى شكلياته ومحاربة معالم حضارته الأصلية فى جعله يقفز الصفوف الشعوب الأوربية لقد

---

(1) وديع شرايحة، المرجع السابق ص 131.

استند أتاتورك إلى سلطانه الغير محدود ليجعل من تركيا دولة أوربية علمانية فماذا حدث بعد ستين عاما من هذه السياسة؟. ما زالت تركيا بكل المقاييس من الدول المتخلفة لا تعرف الاستقرار السياسي واشتد فيها دعاة العودة للإسلام. فالتنمية تكون شاملة أولا تكون أصلا والتنمية حقا مشروع مجتمعي ينبع من أعماق الشعب بقصد تجديد حضارته وليس نبذها بدعوة التحديث ونفهم مما سبق أن التنمية بهذا المعنى الشامل لابد من أن تؤيد الاعتماد على النفس وعلى الموارد الذاتية وعلى البشر قبل كل شيء. فبدون إيمان المواطنين بأن التنمية لمصلحتهم ولمصلحة أبنائهم وبدون مشاركتهم الإيجابية في تحديد أهدافها المرحلية ومشروعاتها واقتسام عوائدها بقدر اقتحام ما تلزمه من تضحيات وبدون الارتقاء المستمر بالمستوى العلمي والفني والصحي لكل المواطنين يصعب حقا الاعتماد على النفس وذلك مع عدم الاعتماد على النفس وغلق الباب أمام التبادلات الخارجية ولكن يجب أن يتم ذلك بضوابط بحيث يكون التبادل انتقائيا ومتكافئا. لذا يجب أن يكون امتداده الطبيعي في الاعتماد الجماعي على النفس لمجموعات الدول المتجاورة. ومن باب أدنى لتلك التي تنفرد لقومية واحدة وهو من ناحية أخرى يقاوم عدم التكافؤ في المعاملات مع الدول الصناعية وأن لا يكون الأخذ عنها بصورة اعتباطية إنما على أساس انتقاء سليم لما يلائم الاقتصاد الوطني(1).

رابعا: دور الجهاز المصرفي:- إن أقطار مجلس التعاون لا تسيطر بصورة عامة على قطاعه المالي الداخلي إلا سيطرة وسطية إذ يكون هذا القطاع في عمله تابعا للعوامل الخارجية على كل المستويات ابتداء بالعوامل المؤثرة على تطور الكتلة النقدية، فالأرصدة تعتمد على النفط الأجنبي، هذا وتقوم العوامل المؤثرة على التوزيع الداخلي للتسليفات المصرفية فالقطاع المصرفي والمحلي بعيد كل البعد عن

(1) إسماعيل صبري عبد الله، المرجع السابق، ص 203.

القيام بالدور الموكل إليه بتعبئة القرارات المحلية على الإدخار بصورة كاملة. لذا تتوفر التمويل الحكومى من عوائد ونفط هو فى الواقع عنصر مهم فى اتخاذ القرارات المتعلقة بالاستثمار وتوجيهاتها وخاصة فى المتعلقة بالمشاريع التى يتحتم معها اللجوء إلى التجهيزات الأجنبية الثقيلة.

خامسا: الأنظمة التعليمية:- يعرض د. الكوارى حقيقة بديهية ولكنها جوهرية فى آن واحد خاصة فيما يتعلق بواقعنا فى مجلس التعاون المادى تنمويا حيث يقول «إن المجتمع الذى لا يستطاع تنسيقه بالإنسان فيه غير قادر فى نهاية الأمر على تنسيق أى شىء آخر» لذا فالتعليم لابد أن يحتل دورا كبيرا فى أى استراتيجية فهو أكثر الوسائل نظامية وتأثيرا على النشىء خاصة وأن ثلثى السكان فى المنطقة من دون العشرين لذا فمعظمهم طلبة لازالو يحصلون العلم فى مراحله المختلفة[1].

فى ناحية أخرى نجد أن الدراسات جميعها تؤكد فشل الأنظمة التعليمية فى أقطار مجلس التعاون وتجزم هذه الدراسات على الأنظمة التعليمية السائدة مستمرة ابتلاع الموارد النادرة ولها آثار سلبية اقتصاديا واجتماعيا وسياسيا وإداريا إضافة إلى تثبيطها الميل للابتكار ورزوحها تحت وطأة التعليم النظرى النصى على حساب التعليم الفنى التقنى الذى يعد الأساس فى تعبئة القدرات المحلية لاكتساب الخبرات التكنولوجية. فمفهوم التربية هنا قائم على جمع المعلومات وتذكرها فالنظام التربوى فى مجلس التعاون قائم على فلسفة عقيمة تعتمد على الذاكرة لذا فأنظمة التعليم فى المنطقة لا ترقى إلا لتبذير اجتماعى هائل وهى إلى جانب وسائل الإعلام الحديثة، استثمارات ذات فعالية كبيرة فى توسيع أنماط الاستهلاك المستوردة من البلدان الصناعية المتطورة بين الفئات السكانية الأكثر فتوة والطامعة بعده

(ا) على خليفه الكوارى، المرجع السابق . ص 219.

للوصول للتمدين[1]. لذا ويمكن إصلاح النظام التربوى التعليم فى المنطقة خلال طريقين هما:-

أولا: تحديد المهمات العاجلة للنظام التعليمي فى المنطقة والمتمثلة فى توفير الحد الأدنى من التعليم ومحو الأمية وتنصيبه القدرة على الإبداع والتفكير المستقل تعكس ما هو سائد والقائم على تقبل الأمور كما هى وبدون مناقشة وأخيرا تعزيز القيم والاتجاهات التنموية وذلك خلال المناهج الدراسية وجامعية.

ثانيا: ربط برامج التعليم الثانوى والعالى بمتطلبات التنمية وذلك من خلال:- القضاء على ازدواجية التعليم العالى والفنى ومحاربة النظرة الدونية للتعليم الفنى. الاعتماد على نتائج التعليم والخبرة والابتعاد عن الشكليات وإيثار المضمون عليها. رفع مستوى التعليم الجامعى والعمل على الوقوف بحزم أمام ظاهرة البطالة المقنعة[2].

سادسا: الازدواجية النوعية داخل الأجهزة الإدارية:- المتابع للواقع فى المنطقة يلاحظ أن هناك ازدواجية فى الوطن وتظهر باعتبارها إحدى الخصائص التاريخية للتخلف الاقتصادى وهى تظهر بشكل واضح على صعيد المؤسسات الإدارية فالأجهزة الإدارية المرتبطة بالخارن تخص عادة بشروط عمل أفضل وبأجور أعلى من العاملين فى الأجهزة الإدارية المرتبطة بالخارج، تخص عادة بشروط عمل أفضل وبأجور أعلى من العاملين فى الأجهزة الإدارية المنفصلة عن العالم الخارجى فالنوع الأول من الأجهزة المذكورة تجتذب النخب الإدارية التى تصبح بدورها فى مركز للحصول على معاملة مميزة من السلطات الحكومية وعادة ما تدعم المنظمات الدولية فتصبح بالتالى قوة ضاغطة فعالة فى خدمة الشركات الدولية فالمؤسسات

---

(1) وديع شرايحة، المرجع السابق، صـ132

(2) على خلفه الكوارى، المرحع السابق صـ219.

الحكومية الأكثر ارتباطا بالخارج هى التى تقود عملية التنمية وتتكون فى العادة من أجهزة التخطيط والمصارف المركزية ومصارف الإنماء ومعزارات الصناعة والتجارة والشركات الصناعية الحكومية ونادرا ما تكون لها قدرة تدخيله فعملية استيراد التكنولوجيا إنما تأتى باقتراح المستشارين المسيحيين الأجانب ومع تبدل الظروف الدولية من وقت لآخر مما ينتج عنه آثار سلبية على التكنولوجيا المستوردة خاصة فيما يتعلق بقطع الغيار التى يجب استيرادها من المصدر الأصلى للمعدات. لذا فإن جلب التكنولوجيا من الدول المتقدمة صناعيا لأقطار مجلس التعاون بالصورة التى تمارس بها هى التى تساعد البلدان الصناعية المتطورة على تطوير طاقاتها التكنولوجية بينما تتراكم التبعية والتخلف فى أقطار مجلس التعاون لذا فالتكنولوجيا لا يجدى تمويلها بل يتم امتلاكها بتنمية المعارف النظرية والتطبيقية وتكون بعد ذلك القدرة الإنتاجية. لذا فالاستيراد المكثف والحشو لرأس المال والتكنولوجيا المنتجين فى مجتمع آخرها، هو السبب الرئيسى فى تعمق ازدواجية الاقتصاد الوطنى.

سابعا: التمدين العشوائى وتقهقر الزراعة:- إن العوامل التى سبق ذكرها مجتمعة تؤدى بصورة أو بأخرى إلى تعجيل انحطاط الزراعة وتسبب العشوائية فى التمدين وتوسع التجمعات الحضرية المضطردة فالسياسات الزراعية المحلية اتجهت بصورة متزايدة نحو استيراد التكنولوجيا الزراعية الخارجية بصورة تجهيزات وأساليب إنتاجية وذلك تعويضا مما يصيب الزراعة الغذائية المحلية من انحطاط. هذا وتطور الحياة الحضرية الذى تشيع فيه الأنماط الاستهلاكية يؤثر على صانعى السياسات الزراعية المحلية لكونهم يندفعون نحو الزراعة التجارية مما يعنى تكييف اللجوء للشركات المتعددة الجنسية المتخصصة فى هذا المجال هذا من جانب ومن جانب آخر فإنه مع الزيادة العشوائية فى السكان نتيجة للعمالة الوافدة مما يجعل من

الاستحالة الاكتفاء بالوسائل المحلية لمتابعة البنى الأساسية الحضرية الضرورية وذلك لتأمين ظروف حمايته معقولة فى المدن وتكون الشركات المتعددة الجنسية مؤهلة دون سواها لما لديها من قدرات تكنولوجية على القيام بالتحديث السريع للبنى الأساسية الحضرية.

ثامنا: نمط التكنولوجيا الصناعية القائم:- على ما يبدو أن دول مجلس التعاون تميزت كسائر بلدان العالم الثالث بالانعدام شبه الكامل فى القدرات التكنولوجية الذاتية أو الوطنية لكوننا نخضع لتبعية حضارية تكنولوجية تترجم فى نقل التكنولوجيا والتى لم تقف عند الآلات والمعدات فحسب بل شملت المهارات الفنية والإدارية والتنظيمية وبراءات الاختراع وغيرها. ومما سبق نستنتج أنه على الرغم من كون النفط يشكل السمة الأساسية لاقتصاديات أقطار مجلس التعاون إلا أنه لم يلعب الدور الإيجابى الكامل الذى كان مأمولا منه فيما يتعلق بالتنمية الاقتصادية باعتبارها عملية تراكمية صعودية مستمرة إذ ما زال بنيانها الاقتصادى يعانى من سمات ضعف مشتركة تتعلق بالهياكل الإنتاجية بسيطرة الاقتصاديات الاستهلاكية وتبعية تدريب القوى البشرية[1]. وحتمية العمل لمجلس التعاون المشترك لتحقيق التنمية والتكامل على سائر الأصعدة:

بعد الطرح السابق لا يبقى للمرء سوى خيار واحد للوصول نحو التنمية الشاملة التى يتطلع لها كل فرد من المنطقة فى مجلس التعاون سوى التكامل والوحدة كخطوة أولى نحو ما هى أرسخ بإذن الله فى المستقبل ألا وهو الوحدة العربية وإن كان ذلك على المستوى الاقتصادى كخطوة أولى نحو انهيار التشرد والذى ينخر كل فرصة قطرية مهما كانت مدروسة نحو تجاوز الواقع المتذبذب والسائد فى جميع أقطار عالمنا العربى والجزيرة العربية بوجه التحديد. لذا فمن

---

(1) وديع شرايحة، المرجع السابق، ص ص 132 ـ 135.

القصور ذكـر التكامل إلا قد صارت على مـستوى مجلس التعـاون وتجاهل الوطن العربى الذى لا يعـد الجزيرة العربيـة كونه جزء لا يتجـزأ من كيانه فـمجتمـعات الجزيرة العربية تاريخيا وقعت تحت طائلة التجـزئة السياسية وتحت طائلة الاستعمار المباشر لوقت طويل ثم ألحقت معظم أقطارها بالدورة الاقتصادية الرأسمالية وحاول البعض منها انتـهاج خطوط اقتصادية بديلة عـزلت نفسها فيـها عن الآخرين ومن جهة أخرى فإن أقطار المنطقة تعتمد على سلعة وحيدة هى البترول بحيث لا يمكن لها أن تفرض نفسها على السوق العالمية، فهى متصلة بالسوق العالمى بصورة تفوق اتصالها مع بعـضها نتيجة لطبـيعة تلك السلعة من جهـة وللسياسات الاستهـلاكية والبذخـية من جهـة أخرى فى الوقت الذى تعانى فـيه من نقص كبـير إن لم يكن انعدام تواجد أية بنية اقتصادية تحتية صالحة للإنتاج بالإضافة لانعدام الرغبة الحقيقية فى إقامة صناعات إنتاجية وضيق السوق المحلى والتركيب الاجتماعى لكل قطر من أقطار المنطقة، نجد أن معظم أقطار المنطقة رغم مدخولها الكبير من قطاع النفط إلا أنها تنفق معظمه بشكل إنفاقات دورية القليل منها على المصروفات ذات العائد ومما سبق نـتوصل أن بداية التكامل الاقـتصادى الحـقيـقى يجب أن تستند علـى اتخاذ قـرارات سيـاسيـة بشأن التنسـيق بين هذه الأقطار فى خطط واضـحة اقـتصـادية واجتمـاعية للوصول المتكـامل ـ أما نوعه فيـتحدد على أساس الواقع الاقـتصادى والبشرى الموضوعى لأقطار المنطقة.

يبقى القول إن هناك أسسًا اجتماعية وتاريخية لهذا التكامل المتوخى اقتصاديا وذلك كنتيجة طبيعية للتواصل الاجتماعى الإنسانى. فهناك ثقافة مشتركة ومتأصلة الجذور ولكن كل مـا سبق يظل حبيس النفـوس والأوراق ما لم نبدأ بالاقـتصاد، بحيث يشعر أبناء المنطقة أن مصالحهم الاقتصادية مشتركة كما أن علاقاتهم الأخرى

مترادفة متشابكة[1] لذا فالتكامل الاقتصادى العربى ضرورة حتمية لشدة ما تعانيه كل من اقتصاديات الوطن العربى من مشكلات واقتصارها على طريق التنمية. فالوطن العربى الذى يشكل مجموعة اقتصادية متميزة زاخر بالإمكانيات المادية والمالية والبشرية مما يندر أن يتاح لدى أية مجموعة اقتصادية أو أية رابطة تكاملية فى مجموعة دول العالم الثالث ومما يجعل التنمية القومية أوسع مدنى وأسرع إنجازا وأكثر فعالية منها على مستوى جميع الأقطار لذا فالتكامل الاقتصادى العربى بصفة تخطيطًا وتنفيذًا لعملية التنمية القومية يعتبر ضرورة حتمية لمستقبل الأمة العربية ورفاة أبناءها[2].

أسباب تعثر أحلام التكامل مجلس التعاون: يمكن إيجازها فى التالى:

طبيعة الأنظمة العربية القائمة على التجزئة وتكرس السلطة أو تكريس القطرية بمعناها الضحل، لذا جاء العمل العربى بصورة غير جدية والتى تتضح فى التلكؤ باتخاذ القرارات إضافة للانفصال بينها وبين عملية التنفيذ. غياب استراتيجية عربية راسخة لإقامة هذه المشروعات التى ترقى لمصالح وطموحات أبنائها لذا غلبت عملية التنسيق أو البرمجة المشتركة اللازمة لاتخاذ الخطوات اللازمة. لذا شاعت المشروعات الفردية والبعيدة عن الأولويات فى نفس الوقت. ضعف البنى المؤسسة للمنظمات العربية حيث لا ترقى لأكثر من منظمات استشارية دون أن تكون لها صلاحيات اتخاذ القرارات الملزمة، ولو فى إطار محدود مما

---

(1) محمد الرميحى، «الأسس التاريخية والاجتماعية والعمانية للتكامل الاقتصادى فى الخليج العربى» التنمية والتعاون الاقتصادى فى الخليج العربى جامعة الكويت، مايو 1971، ص ص 19 _ 20.

(2) غفار عباس كاظم «حول التكامل الاقتصادى بين الأغالى بين أقطار الخليج» جامعة الكويت 1979 ص ص 30 _ 31.

يضفى عليها صبغة العملية والمرونة فى المشروعات ومراقبتها. الافتقار للمؤسسات المتخصصة فى ادارة هذه المشروعات. إضافة لغياب دراسات الجدوى فى تسليم إعداده منها ينحصر فى الجانب المادى. إضافة لانفصام الواضح بين هذه الدراسات وبين تأسيس المشاريع.

العلاقة الكامنة بين التنمية الشاملة وأمن المنطقة:- الأمن الذى نقصده هنا هو أمن مجلس التعاون فى منظور أبناء المنطقة. فهم مؤمنون بشكل قاطع بتنمية العلاقة بين أمن المنطقة من جهة والأمن العربى من جهة أخرى. وبأن لا أمن المنطقة ولا أمان إلا فى ظل استقرار الأوضاع الاقتصادية والسياسية الاجتماعية فيها. لكونه ينعكس بدوره على فعالية وحماس أبناء المنطقة لحماية وضمان أمن منطقتهم. وبالتالى فإن التنمية الشاملة التى طرحتها متطلباتها ومعوقاتها وطموحاتها فيما سبق هى الخطوة الأولى التى يجب اجتيازها بنجاح حتى نصل بأبناء المنطقة لرفع راية حماية أمن منطقتهم وبالتعاون مع إخوانهم العرب. لذا فالتنمية الشاملة وأمن المنطقة وجهين لنفس العملة وهى مصلحة المنطقة وأبنائها معا[1]. نتوصل مما سبق أن تنفيذ استراتيجية التنمية عملية معقدة ولكنها استراتيجية تحتاج لمقومات أساسية يمكن حصرها فى تكاتف أوجه التعاون على مستوى العمل الرسمى وذلك بخلق كيان سياسى موحد قابل للتنمية ورفض التشرذم على الأساس القطرى الضحل فى معطياته ونتائجه. كما تتطلب الاستراتيجية التنموية تكاتف أوجه العمل الغير رسمى أيضا وذلك بتحمل أبناء المنطقة ولا سيما مثقفيها ومهنييها للمسئوليات الملقاة على عاتقهم التاريخية والاقتصادية والسياسية منها. وهذا التكاتف يعبر عن نفسه من خلال التالى: أولا: تجسيد الكيان السياسى

---

(1) عبد الوهاب حميد رشيد «العوامل الموثرة فى نجاح المشروعات الصناعية العربية المشتركة» المستقبل العربى، 1982 صـ329.

الموحد وترسيخ أسسه وذلك من خلال إحداث نقلة موضوعية تساهم في تطوير التعامل الإقليمي إلى مرحلة الاندماج في كيان سياسي موحد تتوافر فيه كل إمكانيات التحول والتنمية. ويمكن كخطوة أولى تطوير شكل وصلاحيات مجلس التعاون. ثانياً: إيجاد قيادة إقليمية لإدارة التنمية يمكن تسميتها اصطلاحاً «نواة التنظيم الاتحادي»، بحيث تقع على عاتقها أعباء تنقية استراتيجية التنمية. ثالثاً: تهيئة الإدارة المحلية وتوثيق ترابطها مع إدارة التنمية الإقليمية[1].

والآن في هذه الفترة الحرجة من عمر المنطقة التي قد تكون نقطة تحول في مسار المنطقة إن لم يكن العالم ككل، فهي تهدد اقتصاديات المنطقة ومن ثم اقتصاديات الوطن العربي والعالم ككل ومن المتوقع بأن تترك معظم بصماتها الغير صحية على الاقتصاديات العربية لعدة سنوات قادمة. ولكن ومع كل ذلك يوجد أمل وحيدة في توقع أن تكون آثار الأزمة من السوء والتخطيط بحيث تفرض ضرورة إعادة التقدير ومراجعة الحسابات عن وعي القيادات السياسية وغير السياسية، وبمعنى آخر سيوضح ويتبلور دور رجال ونساء المنطقة الذين يشكلون محرك عملية التنمية والمنتفعون منها في نفس الوقت. وبالتالي سيفرضون مصالحهم وآرائهم على القيادات في اتجاه إحداث تغييرات جذرية وعلى كافة الأصعدة. كما ستدفع عوامل الوطن الناجمة عن التشتت والانفصام السياسي والاقتصادي للبلدان العربية إلى المقدمة بالحاجة الملحة على السواء لمقاربة قومية باتجاه مجابهة المشكلات القابعة في الملفات والتي تتعدد لتشمل كافة مناطق الحياة ولتعبئة قومية للموارد والقدرات العربية لاجتاز مرحلة التخلف التي لا زالت منطقتنا قابعة في براثنة وللوصول التنمية الحقيقية، التنمية الشاملة التي تكفل أمن

(1) علي خلفه الكواري، المرجع السابق، ص ص 220 ـ 221.

المنطقة مصالح أبناءها واستقلاليتها وتقدمها الشامل ورسوخهـا على قواعد سليمة وقويمة لاهشة سهلة الاختراق وبالتالى سريعة الإنهيار.

إضافة إلى ذلك فهناك تشابه كبيـر بين الأنشطة الإنتاجية والخدمات وبالذات فى قطاعات الزراعة والصناعـة والمؤسسات التمويليـة وطبيعة النشاط الاسـتشارى للمستثمرين فى مجلس التعاون رهذه مـسألة ستولد تعدداً فى النشاط غير مرغوب فى عملية التكامل خاصـة فى ضوء العقبة الثانية. ومـن ضيق السوق المحلية لكل دولة فى مجلس التعاون عن استيعـاب إنتاجها سواء الزراعى أو الصناعى أو حتى فى النشاط الاستثمارى، والمالى وبالتالى فـمن الطبيعى أن يتجه تسويق هذه السلع فى أقرب سوق إليـها من الناحية الجغـرافية وهى السوق فى الجـزيرة العربية وهى مسـألة يمكن أن تسبب العـديد من المشاكل الخاصـة فى ضوء تباين مـعدلات نمو القطاعات الإنتـاجية بين دول المجلس حـيث إن بعض الدول قطعت شوطا كبـيرا والبعض لا يزال فى البداية. وهو الأسر الذى يمكن أن يدفع الدول الأقل نمواً إلى اتخاذ إجراءات للمحافظة على صناعاتها الناشئة النظرة الاقتصادية المستقبلية لمجلس التعـاون. واسـتشراف المسـتقبل كمـجازفـة: نجد أن التحليـلات والاستنتـاجات الاقتصـادية بين العرب المعنيين بشـؤون التنمية خلال مـا يمكن أن نسميه «حـقبة النفط» أى خلال فترة من عام 1973 ـ 1981 ـ 2002 وهى الحقبة التى انتهت مع دخول اقـتصاديات النفط الـعالمى والعربى وأزمـته الراهنة بانخفـاض الطلب على النفط وانخفاض انتاجه وانخفاض سعره وعائداته[أ]

فـلا بد من الحـيطة القـصوى فى النـهوض بالمحـاولة وتأكـيـد الندا يجب

(أ) ملحق الاتحاد 1985 بمناسبة انعقاد دول مجلس التعاون.

الانطلاق من توصيف المسار الانمائى خلال حقبة النفط المنصرمة أو حقبة[أ] لغورة النفطية، لأن الحقبة القادمة هى موضع الاستشراف تخرج من الحقبة الماضية فلابد من التعرف على كل خصائصها، وبعد ذلك لابد من نقص احتمالات المستقبل الاقتصادية فى ضوء مجموعة العوامل المرتكزة إلى أثر الماضى فى المستقبل من حين شرارة التغيير لصالح المستقبل الذى يؤمل من أن يصحح شوائب المسار الماضى ويوطد نقاط القوة فيه أى المستقبل الذى يمكن أن يعتبر لدى المجتمع مجلس التعاون جديرا بالجهد والموارد المتاحة وإضافة مدخل الإدارة الفاعلة لذلك الغرض من حين إلى أخرى. ثم تتطلب من التحليل لتفاعل آثار العوامل الخارجية الموضوعية فى هذا المستقبل مع العالم الداخلى أى إرادة التغيير الهادف فى المجتمع مجلس التعاون.

أما المسار الاقتصادى فى حقبة الثورة النفطية اختلف فى إنجازه وآثاره من قطر وآخر. فالصفات المشتركة بين دول مجلس التعاون التى تقتصر على تلك العلاقة بالمشكلات التى تعانى من أقطار مجلس التعاون حاليا والتى ستؤثر إلى مدى بعيد فى المسار الإنمائى فى الحقبة القادمة مثل الاقتصاد مجلس التعاون خلال العقد 1973 _ 1998 انحرافا حادا عن الأداء الذى تميزت فى فترة التاريخ الاقتصادى العربى الحديث لدرجة يصعب أن يتكرر حديث انحراف كثيرا فى المستقبل المنظور. وقد أدى التعديلات للأسعار جهودا عندما سيطرت الدول النفطية على مقدراتها النفطية والتى جاءت تعبيرا عن سيادتها على مواردها وثرواتها الطبقة بتصحيح هيكل الأسعار. وقد أدى التعديل بالأسعار والزيادة فى الفلس معا إلى تراكم عائدات تصدير النفط التى وفرت الأساس المالى للكثير من خطط التنمية الاقتصادية والاجتماعية ومشروعات على المستوى القطرى والإقليمى والقومى

(أ) جريدة الخليج الصادر بتاريخ 22 نوفمبر 1986 ص 28 _ 29 _ 30.

والدولى كذلك وهذه العائدات أتاحت الضريبة لتحقيق وتطورات مهمة فى المجالات التكنولوجية والاجتماعية والثقافية والمؤسسة لكا, قطر[1].

وفى أكتوبر 1973 عندما انتزعت الأقطار النفطية العربية أزمة القرار من شركات الامتياز الأجنبية، واستخدام هذا النفط كضاغط سياسى اقتصادى فى الصراع العربى الإسرائيلى. فحدثت مع تطورات اقتصادية رئيسية ذات علاقة بالنفط العربى وهى على النحو التالى: تزايد توظيف العائدات النفطية مما أدى إلى تحسين مستويات المعيشة وتوسيع العلاقات المختلفة مع الدول الأخرى خارج نطاق منطقة الجزيرة العربية. بدأت فرصة التنمية وتحسين بمستوى المعيشة فى أقطار الجزيرة العربية. أتاحت البترودولار الواسعة فى اقتصاديات النفط والدخول إلى مستوى العالمية والتوظيف المالى فى الأسواق المالية الغربية كما أتاحت للدول ممارسة دور كبير فى السياسة الدولية. نتيجة للنشاط العمرانى والانحنائى الكثيف فى جميع مجالات الخدمات المختلفة. بفضل توظيف العائدات النفطية وارتفاع الدخل وتزايد الإنفاق أتيحت للمواطنين قدرة شرائية مكنتهم من رفع مستوى استهلاكهم وتحسين مستوى المعيشة. إلى جانب قيام الأقطار فى مجلس التعاون بتوجيه الموارد المالية الضخمة لتحسين مستويات المعيشة والدفاع والأمن فإنها قامت بتوجيه مواردها بتسهيلات بها تكون أصغر حجما. التطور فى مسار التنمية فى حقبة 1981/ 1982 هو تفاهم تبعية الاقتصاديات النفطية للبلدان الصناعية الغربية أبرزها الولايات المتحدة[2].

يتضح من مضمون التطورات السابقة تشير إلى بروز إيجابيات نتيجة الموارد النفطية خلال 1973 ـ 1981 ـ 1982. الاحتمالات الاقتصادية فى الحقبة القادمة:

---

(1) جريدة الخليج العدد 275 صـ28 1986

(2) جريدة الخليج العدد 2751 صـ29 20/ 2/ 1986.

إن الاقتـصاد مستـقبل لمنطقة الجزيرة العـربية قد يكون هناك تبـاين بين قطر وآخر بسبب تباين المعطيـات من مادية ومضمون وأن هذا المستـقبل المتميز بحـدود حقبة واحدة أو عشر سنوات سـيكون معظم سنواته مجرد امتداد للحاضـر لعدة أسباب رئيسـية هى: قصـر المرء المعنية فحـقيقة واحـدة وفى الظروف القادمة وفى سـياق أوضاع الجـزيرة العربية لا تسـطيع أن تشهد تبـدلات عميـقة سيـاسية اجـتماعـية ومؤسـسة بنيـوية. انتشـار أنماط الاستـهلاك المنفـرط على نطاق واسع مع سـرعة تأصلها فى دولة فـى مجلس التعـاون، حيث الحصـول على خدمات اجـتماعـية وضمـانات اقتـصادية دون الاسـتقـرار لتحـمل بعض أعبـاء تمويل هذه الخـدمات والضمانات نتيجة الفلسفة الاتكالية التى ترعرعت فى إطار السياسات الاقتصادية. ارتباط إمكانية التغيير فى جانب أساسى ومركزى من جانب الموارد المالية فيمكن أن يكون أكثر الـتوقعات موثوقـية تشير إلى اسـتمرار غلبة وسوق المشـترين فى نطاق اقتـصاديات النفط. فشل مجـموعة البلدان العـربية من-تطوير القطاع الاقتـصادى العربى المشترك إلى الحدود التى تسمح إمكانيـات ومجالات هذا القطاع وهى كثيرة وواعده فالمجال إذا صدقت الضريحة وكانت الرؤية القومـية من سياسية واقتصادية واضحة تتقـيد بالمنطق الاقتصادى وتتحرك بما توحى به المصلحـة الاقتصادية، إلى جانب المصلحة السيـاسية. وإن استفادة الأقطار فى مجلس التـعاون من قيام قطاع مشـترك واسع إلا أن الأقطار العـربية الأخرى تشكل سـوقا لإنتـاج أقطار مجلس التعاون خاصة وقد أخذت أوربا الغربية والولايات المتحدة تضع صعوبات فى وجه العائدات مجلس التعاون من مشتقات بترولية وبتروكيماويات(1).

يزيد الوضع إيلاما، أن تثقل الأزمة الاقتصادية فى كل أقطار مجلس التعاون وأن معظم الحاجة لإجراء استثمـارات ضخمة مولدة للدخل من الأقطار العربية فى

---

(1) يومية سياسية مستقلة 1986 صـ 29.

مجلس التعاون حيث تتوافر موارد ضعيفة متنوعة وقوى كاملة متعددة المهارات وفى الوقت نفسه تشكو أقطار مجلس التعاون من قلة الموارد المالية الممكنة أن تثيرها فى الاقتصاد ثم عن تسجيل الأسباب والعوامل المقيدة من أجل القوى بنجاح للتحريات والصعوبات من حين وأن تلجم التوقعات المفرطة فى التفاؤل والطموح منجمة أخرى. أى أن المستهدف من تشخيص أسباب المتاعب الاقتصادية الحالية من تبين أوجه الخلاص من هذه المتاعب وإن لم يتحقق ذلك كليا لسنوات عدة. وأن فى ذلك احتمالا قويا بأن تحدث بعض التصحيحات الاقتصادية بشكل تلقائى أو بسبب انخفاض تصدير النفط مجلس التعاون وانخفاض أسعار عائداته ونجملها فيما يلى[1]: تقليص ميزانيات باعتماد معايير أكثر تسود الإدراج البرامج والمشروعات الجديدة وممارسة المزيد من المراقبة وتسعير المستوردات من السلع وخدمات متصلة بالتثمير الإنمائى. تقليص الميزانية العامة للمصروفات الجارية للسبب نفسه. تقليص المسارات الإنحائية الموجهة صوب الأقطار العربية الأخرى والمنظمات والمنشآت والمشروعات. من الواجب والمطلوب والذى بدونه لا يتحقق التعافى الحقيقى لاقتصاد الخليج يقع ضعف إطار إقليمى يتناول أخطار المجلس التعاون بسبب القطرية الإقليمية، أى يتناول علاقة الأقطار مجلس التعاون ومنظمتها الإقليمية أى مجلس التعاون بمجموعة الأقطار العربية عبر جامعة الدول العربية ومجلس الوحدة الاقتصادية والقطاع الاقتصادى العربى المشترك ما يتضخم من مؤسسات ومنظمات ومشروعات.

بالنسبة للتصحيح الجوهرى نرى أن العنصر الذى يحل موقعا حاسما وحرجا فى الإطار القطرى والإقليمى ووجود جهود أو قصور إنمائى سليم يأخذ باعتبار العراق الجانب الاجتماعى والاقتصادى من تفاعلها. أما العنصر الجوهرى فى

(1) جريدة الخليج ـ ص30 1986 ـ العدد 2751.

الإطار القومى من نمو ضـرورة حدوث تبدل عـميق فى مجلس التـعاون فى النظر إلى مجمل الاقتـصاد العربى بحيث تلغى النظرة بأن الاقتضـاد العربى بحيث يلى الاقتصاد مجلس التعاون. وبأن الاقتصاد مجلس التعاون قادر على النهوض بمفرده عبر عملية تنمـوية مقتصرة على الذات مجلس التعاون. فـتحتل محل النظرة التى تقـول بأن أقطارها أقاليم الوطن العـربى لا تشكل انحناء على بعض وإنما دعـائم لبعضها الـبعض بفضل تنوع معطيات البشرية والمادية والمالية. وإن اقـتصاد مجلس التعـاون يستطيع أن يحقق بعض العـافية فى المسـتقبل القـريب لمجابهة انخـفاض موارده المالية، وذلك بفضل ضغط الانفاق من عام وخاص. على أن يتحقق بشكل شبه تلقائى وأن التعاطى يتم عن اختيار مضمـون أكثر سلامة فى المستقبل مضمون يتركز على التحسين النوعى بدلا من التوسع الكمى. وأن مجتمع الاقتصاد لمجلس التعـاون وقوته أوردته نزعة انكفـائية منذ أواخر الســبعينيـات يخطى إذ أن بمقدوره منفرد أن يحـقق تنمية معـتمدة على الذات بمعـزل عن بقية المجتـمع العربى. وأن القيادة الفعالة فى مختلف مستوياتها وحلقاتها تضمنت القدرة على اتخاذ القرارات الصعبة ولكن الصائب والمقبول يتـحمل المعاناة فى سبيل تنفيذها وهنا يكمن الأمل فى تعاطى الاقتصاد مجلس التعاون المستقبلى.

نرى هكذا أن التعاون تم بين دول مجلس التـعاون فى جميع المجالات ومن ضمنها التـعاون الاقتصادى الذى شمل عـدة نواحى وما زالت دول المجلس تسعى إلى تنمية وتنسيق هذا التـعاون لتحقيق الرفاهية والتقدم لشـعوب مجلس التعاون. مما سبق من شرح للمـوضوع يتضح لنا أن دول المجلس قد حققت انجـازات كبيرة فى سعيـها نحو تحقيق الهـدف المنشود وهو التكامل الاقتصـادى بينها وصولا إلى الوحدة الاقتصادية. إلا أن هـذه الإنجازات يلزمها وضع استراتيجيـات مشتركة فى الصناعة والزراعـة والبترول لدول المجلـس فهى تمتلك الخيـرات من بترول وأرض

زراعية فـى بعض مناطقها بالإضافـة إلى الثروات البحرية ولديـها رؤوس الأموال التى تستطيع من خلالها خلق جيل لديه الخبـرات التى تؤهله للقيام بجهوده الذاتية فى رفع مســتوى دول المجلس من جـميع النواحى. وبذلك يحـدث الاكتـفاء فى الأيدى العاملة والخبرات ويقل الاعتماد على الأيدى الأجنـبية والخبرات الخارجية. وهذا هو الذى نأمله من أبناء دول مجـلس التعاون. إن هدف التكامل الاقتـصادى هو القضــاء على مظاهر التخلف الاقتـصادى الذى مرت به دول مجلس التـعاون وعلى أساس أن هذه الدول تعـتبر من الـدول النامية والتى اسـتغلت خيـراتها من النفط لصالح الدول المسيحية الأجنبية. وأن هذه الدول المسيحية الأجنبية أرادت أن تجعل الدول مـجلس التعاون تابعـة لها فى جـميع الحالات بحـيث لا تستطيع أن تستـغنى عنا وعن اقتصـادها. نرى أن دول مجلس التـعاون تنادى بضرورة إقـامة اقتصاد متكامـل وشامل لأبناء المنطقة. حتى يستطيعون القيـام بالصناعات المختلفة فى مجلس التعاون وبالتالى يستطيعون القيام بسوق مجلس التعاون مشتركة. وبهذا يتحـقق أساليب التعاون الاقـتصادى العالمى القـائم على المصالح والمنافع المشتـركة ويعنى أن تنتـفع الدول المجلس من هذا التعاون. وحـتى تسيـر الدول فى مجلس التعاون فى مصاف الدول المتقدمة اقـتصاديا وهذا الأمر يحتاج إلى سنوات عديدة.
فى ختام هذه الدراسة نستطيع أن نستنتج أن مختلف الروابط والعلاقات التى قامت والتى ستقوم بعد ذلك، يدل على حتمية التكامل الاقتصادى بين دولهم والاندماج الاجتمــاعى بين شعوبهم لأن الظروف المرحلية التى تعـيشها دول مـجلس التعاون والقضايا والمشاكل المتشابهة التى تواجهـها علاوة على تماثل نظمها الاقتصادية التى تقضى بوجوب وضع الأسس وإقامة المؤســسات، وإنشاء الأجهزة المؤدية إلى جعل ذلك الاندماج حقيقة. حتى لا تشعر الـدول الأخرى سواء الدول المسيحية الغربية أو الدول العربيــة، بأن المجتـمع فى مجلس التـعاون متـفكك ولا يربطهم روابط

الأخوة والوحدة لأن الفـرقة ليس فى صالح دولتهم، وأن عنصر الفـرقة قد يؤدى فى النهـاية إلى دخول أى عنصـر غريب قـد يهدد الأمن والاسـتقرار فى المنـطقة وبذلك يكون واجب دول مجلس التعاون هو حماية اقتـصاديات دولها واستثمارها داخل الدولة وتطوير مجتمعاتها إلى الأفضل.

الفصل السابع



جزيرة «فشت الديبل»
مشكلة الحدود القطرية - البحرينية - قراءة من خلال الصحافة العربية

مقدمة:

«فشت الدبيل» جزيرة مرجانية مساحتها أقل من 2 كيلو متر مربع وهذه الجزيرة شعب مرجانية تقع فى منتصف المسافة بين قطر والبحرين ومنذ أن سلمت الجزيرة إلى البحرين عام 1947، فقد احتجت قطر على هذا القرار لدى بريطانيا وأوقفت عملية إنشاء مركز لخفر السواحل كانت تقيمه إحدى الشركات الهولندية لحساب البحرين وقامت قطر باختطاف 29 من موظفى شركة بالاست نيدام الهولندية الذين يعملون فى جزيرة «فشت الديبل» لحساب وزارة الدفاع البحرينية ومن هؤلاء المخطوفين مواطن هولندى واثنان بريطانيان وعدد آخر من الفلبينيين والتايلانديين لم يصابوا بسوء، وإن هؤلاء الموظفين كانوا يقومون ببناء موقع لقوات حرس السواحل البحرينية على الجزيرة، وأفرجت قطر عن هؤلاء بعد تدخل من الملك فهد بن عبد العزيز.

النزاع الذى تجدد بين قطر والبحرين حول «منشأة الدبل» يمثل أزمة داخلية تواجه مجلس التعاون منذ إنشائه عام 1981. الأزمة التى استدعت إحياء وساطة المملكة العربية فى محاولة إنقاذ «الوئام» الذى يبديه مجلس التعاون باستمرار، خاصة وأن ظهور هذا النزاع كان سيزيد من تعقيد المشاكل المتراكمة أمام المجلس.

بداية المشكلة الحدودية حول الجزيرة

تزامن فى 26 ابريل 1986 إعلان راديو قطر أن جزيرة «فشت الديبل» منطقة محظورة مع قيام أربع طائرات هليوكبتر قطرية بمهاجمة الجزيرة وقصفها والهبوط عليها واعتقال 29 عاملا أجنبيا ينتمون إلى شركة «بالاست نيدام» الهولندية التى كانت تقوم بإنشاء محطة لحرس السواحل فى الجزيرة لحساب

البحرين. وقد ظهرت خلافات الحدود بين القطرين مع بداية ظهور النفط وتصاعدت مع بداية عهود الاستقلال وتزايد المصالح.

فقطر لم تخف من مطالبتها بالجزيرة وهذه المطالبة تزايدت فى السنوات الأخيرة، وبعد أن تزايدت شكوك قطر فى احتمال تسرب نفط حقل دخان. وهو أحد حقول البترول فى قطر. عبر تجويف الأرض إلى جزيرة حوار، الأمر الذى يمكن البحرين مستقبلا إذا أكدت سلطتها على الجزيرة أن تقوم باستخراج البترول القطرى من جوف حقل دخان. فقبل ذلك لم يكن حكام المنطقة يهتمون بمسألة الحدود بينهم، وهى الحدود التى كانت اتفاقية عام 1913 بين تركيا وبريطانيا أول محاولة لتحديدها. فقد كانت بريطانيا تسارع إلى تجميدها بهدف الإبقاء على الوضع هادئا، حماية وتأمينا لمصالحها الاستعمارية فى المنطقة.

يعنى ذلك أن خلافات الحدود لم تحل وظلت تظهر فى حين وتتصاعد أحيانا حول أكثر من نقطة حدودية، بحرية وبرية، وبين أكثر من دولة من دول المنطقة، وكان الخلاف بين قطر والبحرين، هو أكثر الخلافات حدة، وهو لا يدور فقط حول «فشت الديبل»، بل يشمل جزيرة «حوار» و«الزبارة». والخلاف بين قطر والبحرين ليس بالخلاف، بل هو فى الواقع إحياء لصراع ونزاع قديم بين البلدين تمتد جذوره فى تاريخ شرق الجزيرة العربية، وكان قد برز فى وقت سابق عام 1976 ثم طويت صفحته بعد وساطة سعودية بين الدولتين، لينفجر من جديد خلال شهر مارس 1980، ثم فى مارس 1982 عندما دشنت الحكومة البحرينية سفينة حربية اسمتها «حوار» خلال مناورات عسكرية، إلا أن تدخل السعودية هذه المرة أيضا منع تصاعد الخلاف وتم التوصل عام 1982 إلى اتفاق على تجميد النزاع على الأراضى وتشكيل لجنة تحكيم بين دول مجلس التعاون لحل جميع الخلافات، على أن يصار إلى وقف العمل بجميع الإنشاءات والمشاريع والتحصينات فى

«الأرخبيل» إلـى أن تبت لجنة التحكيم نهائيا بهـذه القضية وجـزر حوار التى يدور الخلاف حـولها تشتمل على جـزيرة كبيرة وثلاث جـزر صغيرة «حـوار» و «سواد الشمالية» و «سواد الجنوبية» و «ممزورة». وتحـتل ما مساحته 15,96 ميلا مربعا من الساحل الغربى لشبـه جزير قطر، طولها 11 ميلا وعـرضها ميلان، ويـفصلها عن البحرين من 17 إلى 18 ميلا فيما تبعد عن قطر ميلا واحدا.

تمتد مساحـتها لمسافة ميل ونصف الميل فوق مـياه الخليج العربى وهى تصبح ملاصـقة للأراضى القطرية وامـتدادا لها عندمـا تكون مياه البـحر هابطة فى فـترة الجزر. وفى العودة إلى جذور الخلاف القطرى البـحرينى نتبين أن هذا النزاع يرجع إلى أكثـر من مائتى عام، عندمـا كانت عائلة آل خـليفة التى تحكم البـحرين الآن تسكن فى منطقـة الزبارة فى شـمال شـبه جـزيرة قطر خلال رحلة هجـرتهم من الكويت عام 1766 قبـل تخليصـهم البحـرين من سيطرة أسـرة آل المطاريش من القبـائل العربية التـى هاجرت من عمـان وكانت تحكم إمارة «البـوشهر» فى عـهد الشيخ ناصـر آل المذكور والذى كان يحكم البـحرين أيضا، وبعد مـجىء عائلة آل خليفة إلى البحرين حافظت على اعتبار شبه جزيرة قطر كلها تابعة لها، وكان ذلك عام 1783 ميلادية، بينما أصرت عائلة آل ثانى، مـدعومة من الدولة العثمانية فى عام 1871، على عدم أحقـية حاكم البحرين فى قطر، وقـد تدخلت حكومة الهند البريطانيـة لدى الجانبين فى مـحاولة لفض النزاع، ومنع حاكم البـحرين آنذاك من التدخل فى الشؤون الداخلية لقطر.

تمثل البعد الآخر للمشكلة ادعاء حكومة البحرين مرات عدة كان آخرها عام 1937 بأن قبيلة النعـيمى التى هاجرت من اليمن إلى البريمى فى عمـان مع فرعها البوشامس والخـواطر والوخريبان ثم سكنت منطقة الزبـارة فى شمال قطر لازالت تعلن الولاء لها، وتطالبـها بمنع آل ثانى من التدخل فى شؤنـها، وفى عام 1949

حاول «مستر بيلى» المقيم السياسى البريطانى فى البحرين جمع العائلتين حول مائدة للحوار فى المنامة عاصمة البحرين، حيث أعلن إبقاء قبيلة النعيمى وولائها لحكام البحرين. كذلك يمتنع آل ثانى عن إعادة بناء قلعة أثرية بناها آل خليفة فى منطقة الزبارة مقابل أن تسقط مطالبها بشبه جزيرة قطر إلا أن الجانب البحرينى لم يسقط رسميا مطالبه بقطر حتى أواخر العام 1967 عندما زار الشيخ عيسى بن سلمان آل خليفة حاكم البحرين الدوحة واجتمع بحاكم قطر يومها الشيخ أحمد بن على فى محاولة لفض النزاع بين البلدين والوصول إلى اتفاقية لرسم الحدود بينهما، وفى تلك المناقشات أكدت قطر أن جزر حوار التى تبعد مسافة ميل فقط عن شبه الجزيرة القطرية تعتبر ضمن الحدود القطرية، كما طالبت بأن تشمل المياه الإقليمية القطرية «فشت الديبل» ذات الأعشاب المرجانية، وقد قوبل الطلب القطرى آنذاك برفض بحرينى اعتمد على أن الساحل الشمالى لقطر أى الزبارة هو نفسه نابع لحكومة البحرين تاريخيا، فإذا تنازلت البحرين عن المنطقة فهى لن تتخلى عن الجزر والأجراف البحرية القريبة منها. وأصر الإعلان البحرينى على تبعية جزر حوار.

وجهة نظر البحرين:

تتلخص وجهة النظر البحرينية فى جزيرة حوار بأنها تمثل جزءا من الأراضى البحرينية، وبالتالى فإنه لا يحق لدولة قطر المطالبة بها، وأكثر من هذا يقول المسئولون البحرينيون أن الساحل القطرى المقابل لجزيرة حوار كان هو الآخر فى يوم من الأيام وحتى الثلاثينيات من هذا القرن يمثل جزءا من أراضى البحرين، وأنه إذا سكتت البحرين عن المطالبة بالساحل المقابل لحوار فهذا لا يعطى الحق لقطر فى أن تطالب بالجزيرة المقابلة لهذا الساحل. ويضيفون «وكما هو واضح لا مجال للمساومة».

وجهة النظر القطرية:

أما القطريون فيطرحــون الموضوع من زاوية أخرى. إنهم يعتــرفون أن منطقة الزبارة الساحلية المقابلة لجزيرة حوار لم تــكن تابعة لحكومة قطر فى إحدى الفترات الزمنية وحتى ثلاثينات هذا القرن، ولكنهم ينفون أن تكون هذه المنطقة قد خضعت خلال هذه الفتــرة للحكم البحرينى. ويقولون أن إحدى القــبائل تمكنت من فرض سيطرتها على المنطقــة، وأن هذه القبيلة كانت تحظى بدعم البــحرين دون أن تنتقل السلطة البحــرينية إلى المنطقــة. وفى الثلاثينات تمكنت السلطة القطرية بعــد حرب خاضتــها مع هذه القبيلة من فــرض نفوذها على شبه جزيرة قطــر بكاملها، وغادر قسم من هــذه القبيلة قطر مــتوجــها إلى البــحرين، وبقى قسم آخــر أعلن الولاء للسلطة. ويتابع القطريون شرح وجهة نظرهم فيقولون أنه فى ذلك الوقت لم تكن جزيرة حوار تتمتع بأية أهمية، وهى تبعد مسافة ميل واحد عن البر القطرى فقط. وفى أوقات الجــزر يتمشى الــناس من قطر إلى الجزيرة على أقــدامهم، وعلى هذا الأساس فإنه يمكن اعتبــاره امتدادا طبيعيا للبر القطرى فى حــين أنها تبعد عن البر البحــرينى 18 مــيلا. ولذلك فلم يخــطر على بال القطريين أن يبــادروا حملتــهم العسكرية لتشمل الجــزيرة . ولم يتخيلوا أن تتحول هذه الجزيرة الصــغيرة إلى أزمة مستعصية فى علاقاتهم مع جارتهم البحرين التى سارعت إلى فرض سيطرتها على الجزيرة وقامة مركز للشرطة فيها.

انفراج الأزمة:

بدأت سيرة انفراج الأزمة عندما أطلقت قطر سراح العمال الذين احتجزتهم قواتها والبالغ تعدادهم 31 عاملا بينهم 26 فليبينيا، تايلنديان وبريطانيان وهولندى التابــعين للشــركة الهولــندية وجاء إطلاق ســراح هؤلاء العمــال بعد 17 يوما من احتجــازهم إثر نجاح المبادرة السعــودية ووصول الأمين العام لمجلس الــتعاون وفى

معيتـه اللواء الركن يوسف محمـد المدنى فى 24 مايو فى نطـاق جولاته فى العاصمتين القطرية والبحرينية للاجتماع مع قـادة البلدين للتباحث حول خطوات تنفيذ الاتفاق الذى تم التوصل إليه، وإبرام التسوية النهائية بين البلدين.

المشكلة الحدودية:

قامت السعودية ودول مجلس التعاون بحصر الخلاف بين قطر والبحرين فقد عقد الأمير سلطان بن عبد العزيز اجتماعين مع قطر والبحرين وكذلك أجرى عدد من رؤساء دول مجلس التعاون اتصالات هاتفـية مع شيخى قطر والبحرين وأكدوا فيها ضـرورة ضبط النفس وكذلك أن أوساطا مسئولة فـى دول التعاون تعمل على بلورة اقتراح يسـمح بإحلال وحدة رمزية من قوات درع الجـزيرة فى جزيرة (فشت الديبل) مكان القـوات القطرية التى احـتلت الجـزيرة أن بضع مـدرعات للجـيش القطرى تركزت فى (فشت الديبل) وأن زوارق دورية قطرية تقوم بدوريات فى هذه المنطقة وذكـرت كل دولة من دول مجلس التعاون آسـفة لهذا الموقف واستـعجلت ضرورة الصلح بين البلدين وقد نسبت الوكالات إلى دوائر مسئولة فى المنامة قولها أن الموقف بين قطر والبحرين قـد ينفجر بسبب النزاع الإقليمى بينهـما حول ملكية جزر فى الخليج العـربى وأن جهود دول مجلس التـعاون يقتضي فـقط على تسوية الموقف ولاتهتم بصلب المشـكلة التى تقبل مسألـة سيادة سواء لقطر أو البـحرين.
وفى 20 مايو 1986 قامت مـصادر سـياسـية فى الكويت بعـقد قمـة طارئة فى الرياض لمجلس التعـاون لإنهاء الخلاف القطرى ـ البحريـنى حول الجزيرة وأن هذا الخلاف بين هاتين الدولتـين لا يهدد قطر والبحـرين فقط وإنما يهدد كيـان مجلس التـعاون وأن دول المجلس وضـعت إطار مناسب لحل الخـلاف سلميـا عن طريق الحوار وتدخل باقى الدول فى الموضوع كأطراف محايدة.

أعلنت السعودية وفى 21 مايو أن الملك فهد حـصل على موافقة دولتى قطر

والبحـرين على الأسس التى اقترحهـا لخطة العمل الفورى لإزالة أسـباب الخلاف حول جزيرة فشت الديبـل والحدود البحرينية بين البلدين وأن السعـودية ستستكمل جميع الإجـراءات اللازمة لعودة الأمور إلى طبـيعتها وأنه قـد تم التوصل إلى هذا الاتفاق فى أعقاب تسلم الملك فهد رد قطر فى رسـالة من أميرها الشيخ خليفة بن حمد مـشير إلى أن البحرين كانت قـد استجابت فى وقت سابق لمقـترحات الملك فهد. وفى 22/ 5/ 1986 أكدت مصـادر فى مجلس التعاون أن حـل أزمة فشت الديبل قـد وصل إلى المرحلة الإجرائيـة الأخيـرة وأنه من المتوقع خـلال اليومـين القادميـن أن يصل مراقبون من مـجلس التعاون إلى البلدين للإشراف على عـملية إنهـاء الخلاف على المناطق البـحرية والبـرية بين البلدين وأن عـددا من المسئـولين بالمجلس سيتوجهون إلى البحـرين وقطر فى نطاق إبرام التسوية النهائية بين البلدين وأن التواجـد العسكرى فى الجـزيرة قد بدأ فى الانخـفاض وقد أكـد نائب رئيس الوزراء وزير الخارجيـة الكويتى انتهاء الخلاف بين قطر والبحرين وأنـه سيتم إعادة الوضع إلى ما كان عليه فى السابق وأضاف أن الأمـين العام لمجلس التعاون سيقوم بزيارة قطر والبـحرين لـتنفيـذ الاتفاق الذى تم التـوصل إليـه لإنهاء الخـلاف بين البلدين.

وصلت إلى قطر والبـحرين فى 24/ 5/ 1986 اللجنتان العـسكريتان وتضم كل لجنة عـسكرية ست مـراقـبين عـسكريين فـى كل من (الإمارات والسـعـودية والكويت وعمـان) للإشراف على تنفـيذ اتفاق إنهـاء الخلاف حول جـزيرة فشت الديبل وقد بدأت قطر بالفعل فى التـنفيذ حيث قامت بسحب تعـزيزاتها العسكرية التى أقامتـها على الشاطىء وأنهت الخط العـسكرى الذى قد فرضته حـول المنطقة وذكرت مصادر مجلس التعاون ان الأمور سوف ترجع كما كانت عليه قبل الخلاف وقد بعـث العاهل السعـودى برسالتـين إلى كل من قطر والبـحرين حول تـسوية

الموقف وحل الخلاف. وأن الحسن الثانى يثنى على فهد وأميرى قطر والبحرين لانتهاء أزمة فشت الديبل حيث بعث ثلاث برقيات لكل من السعودية وقطر تتعلق بجزيرة فشت الديبل وكذلك بعث برقيتين مماثلتين إلى قطر والبحرين وأعرب عن ارتياحه لحل الأزمة وتسوية الموقف بين البلدين. وفى 2 يونيو 1986 حدث تطوير جديد فيما يتعلق بالخلاف الحدودى بين البحرين وقطر فقد كشف الملك فهد عاهل المملكة العربية السعودية الذى يرعى جهود الوساطة بين البلدين بأن الاتفاق الذى تم التوصل إليه بين الجانبين يحوى مادة تقول أنه فى حال أى خلاف يحتكم الطرفان لمحكمين دوليين كل يقدم مستندات وقرار المحكمة سيكون مقبولا وسيمثل الخلاف الطارىء بين البلدين وقد أعرب الملك فهد عن قناعته بعدم اللجوء إلى تحكيم دولى لأن النوايا عند كلا الطرفين حسنة وأن الطرفين طلبا من السعودية انهاء هذه الأزمة العارضة. وقد طلبت قطر إضافة بند فى الاتفاق الذى أبرمته السعودية بين البلدين ينص على أن قطر تحفظ لنفسها الحق برفض أى قرار تتخذه لجنة التحكيم المزمع تشكيلها من قبل السعودية عقب تحقيق الانسحاب ما لم يتماشى مع مصالحها وكذلك بحثها فى عرض النزاع على محكمة لاهاى الدولية.

أن البحرين متجاوبة مع هذه الوساطة السعودية وراغبة فى إعادة الأمور إلى طبيعتها بين البلدين وكما أكدت البحرين ثقتها بالقرارات التى تصدر عن لجنة التحكيم السعودية غير أنها شددت على أنه إذا تمت إحالة النزاع إلى المحكمة الدولية فإن البحرين تتمسك بالنظر فى القضية بشكل كامل ومن جميع زواياها وتمثل ذلك مطالبة البحرين بالزيادة التى تقع على الساحل الغربى من شبه جزيرة قطر. وأن البحرين كانت تحكم «الزبارة» وأنها لم تتنازل عنها قط لقطر وأن لديها وثائق 9 مستندات تؤكد ملكيتها لها كما أن لدى عدد من المواطنين البحرينيين وثائق بملكيتهم لأراضى فى تلك المنطقة وكذلك الآثار التاريخية الموجودة من «الزبارة» كالقلعة التى بناها الشيخ محمد بن خليفه ما زالت موجودة هناك وتمتلك

البحرين عقد ميثاق أبرمت مع بريطانيا فى عام 1861 واتفاقيتين أبرمتهما معها فى 1880 و 1892 تعهـدت بريطانيا بموجبهـا بالدفاع عن البحرين وشـمل ذلك جزر حوار. إن قطر طـالبت بإزالة الجزيرة الصناعـية فى فـشت الديبل كشـرط لسحب قواتها من الفشت وقـد ردت البحرين بأن قرار إقامة المنشـآت فى الفشت لم يتخذ من قبلها وحدها وإنما من قبل اللجنة العـسكرية بمجلس التعاون وبموافقة قطر التى ساهمت أيضـا فى تمويل هذا المشروع وبالتـالى فإن قرار إزالة تلـك المنشآت يرجع إلى اللجنة نفسها وأن البحرين ليس لديها مانع فى ذلك. وفى 5 يونيو ألغت قطر الحظر الذى كانت قد فرضـت على المنطقة وأصبحت المنطقة مبـاحة لمرتاديها. وأما فى 6 يونيو قـال مصدر قطرى أن البـحرين وقطر بدأت عمـليات متزامـنة لتقليل حجم قواتهـما فى المناطق الحدودية المتنازع عليهـا، وأن تقليل القوات القطرية فى فشت الديبل والقوات البـحرينية فى جزر حوار بدأت بعد أن شـرعت البحرين فى تفكيك أعمال تشييد فى (فشت جراده) وهى جـزيرة مرجانية أخرى متنازع عليهما وقال المصدر إن الانسحاب الكامل لن يتم سوى بعد تفكيك جـميع أعمال التشييد التى قامت بها الـبحرين وأن وفد المراقبـين فى مجلس التعاون تشـرف على عملية التفكيك فى «فشت جرادة» وتحاول أن تقوم بعملية التفكيك فى فشت الديبل.

بدأت قطر فى 4/ 6/ 1986 بسحب قواتها فى فشت الديبل والبحرين بدأت بسـحب تعزيزاتهـا التى أرسلتهـا إلى حوار. أمـا فى 12 يوليو 1986 قدَّم وزير الخارجية السعودى اقتراحًا بعقد اجتماع ثلاثى بين قطر والبحرين والسعودية لبحث هذا الموضوع وقد شكلت السعودية لجنة تحكيم خاصة لبحث النزاع وذكر أن الأمل معقود على مؤتمر قمة مجلس التعاون المقرر عقده فى أبوظبى لحل الخلاف أو اتخاذ قرار بذلك. وخـلال الاجتمـاع الوزارى لمجلس التعـاون فى الرياض أكد خطورة استـخدام القـوة لحل الخلاف وحـاولت تسجـيل هذا الموقف فى البـيان الختـامى

للاجتماع إلا أن قطر أصرت على أن يظل الأمـر خارج نطاق مجلس التعاون طالما أن السعـودية تقوم لوحدها بدور الوسـيط بين البلدين. وفى 22 ديسمـبر 1987 ترأس الملك فهد اجتماع مجلس الوزراء الذى اطلع على نص البيان الذى بعث إلى كل من أمير قطر والبحرين حول الخـلافات بينهما واطلع المجلس على الاتصالات المكثفة التى أجـرتها السعودية ووافق عليه البلدان بعـرض الموضوع للتحكيم وذلك كمـا نص عليه حكم البند الخامس بحـيث تتعهد حكـومتا الطرفين بالتـشاور مع حكومة السعودية لتحديد أفضل سبيل للبت فى تلك المسألة أو المسائل على أساس من إحكام القانون الدولى ويكون قـرار الجهة التى يتم الاتفاق عليهـا لهذا الغرض نهائيا وملزما للطرفين وبذلك تم الاتفاق بين الطرفين على تشكيل لجنة تضم ممثلين عن دولة البحرين ودولة قطر وممثلين عن السعودية وذلك لغرض الاتصال بمحكمة العدل الدولية واستكمال المتطلبات اللازمة لرفع موضوع الخلاف إليها طبقا لأنظمة المحكمة وتعليماتها وذلك تمهيدا لصدور حكم نهائى ملزم للطرفين تنفيذه.

بدأت الخطوات العملية فى 23/ 12/ 1987 لرفع الخلاف إلى محكمة العدل الدولية ستتم خلال شهر يناير 1988 وأن اللجنة الثلاثية التى تتكون من ممثلين من السعـودية وقطر والبحـرين ستتـصل بمحكمة العـدل الدولية فى يناير لاسـتكمال الإجراءات الخاصة برفع موضوع الخلاف إليـها طبقا لأنظمة المحكمة وذلك لصدور حكم نهائى يلزم للطرفين تنـفيذه. أما فى 18 يناير 1988 وصل إلى الرياض وزير خارجية البـحرين ووزير الدولة القطرى للشئون الخارجيـة لمناقشة نزاع البلدين وأن هذه المباحثات فى الرياض أتت بعـد إعلان سعودى قبل عقد قمـة التعاون الأخيرة بأن البلدين وافقتا على إحالة خلافاتها حول الموضع إلى محكمة العدل الدولية فى لاهاى وكما وافقا على الالتزام بالقرار الذى ستصـدره المحكمة. وقد عقد اجتماعا ثلاثيا مغلقا من الأطراف الثـلاثية واستغرق ساعتين لبحث مـوضوع الخلاف تمهيدا

لإنهائه. وبحثوا استعراض تطورات ومقترحات قطر والبحرين لانهاء الخلاف والمبادرات السعودية المطروحة للتسوية تمهيدا لإبرام اتفاق فى هذا الصدد.

اتفقتا فى 6 أكتوبر قطر والبحرين على نزاعهما الحدودى حول جزيرة «فشت الديبل» فيما بينهما وداخل أسرة مجلس التعاون وإنهما لن تعرضا النزاع على محكمة العدل الدولية فى لاهاى للفصل فيه رغم موافقتهما سابقا على اقتراح ذلك وقالت المصادر ان الاتصالات الأخيرة بين البلدين على أعلى مستوى أسفرت عن اتفاق بأن اللجوء إلى محكمة العدل الدولية سيعمق من المشكلة وسيؤدى إلى توتر العلاقات بينهما والنظر فى هذه القضية قد تستغرق عدة سنوات. وذكروا أن قرار المحكمة سيصدر لصالح أحد الطرفين ويكون الطرف الآخر ملزما بقبوله وتنفيذه وهو مكره، وتوقعت المصادر أن يتم الوصول إلى تسوية نهائية لموضوع النزاع الحدودى من قمة مجلس التعاون المقبلة فى المنامة. وأن البحرين هى صاحبة المبادرة بالتقارب مع قطر وعدم السماح لخلاف حدودى يمثل العلاقات بين البلدين ورحبت قطر بذلك. وترى البحرين أن حل الأزمة سوف يتم فى انعقاد القمة التاسعة لمجلس التعاون فى المنامة فى شهر ديسمبر المقبل وأنه يجب أن تهيئ جوا يدفع بهذا اللقاء إلى نتائج حسنة. وأخيرا فى 29 ديسمبر 1988 كلفت لجنة من دول المجلس (الإمارات وعمان والكويت والسعودية)، للقيام بالعمل لإنهاء النزاع وقد تم الاتفاق خلال المحادثات الجانبية التى تمت على هامش قمة مجلس التعاون التاسعة والتى عقدت فى المنامة 19 ديسمبر وأن دول مجلس التعاون الأربع وافقت فى حال عدم التوصل إلى نتائج خلال الأشهر الست المقبلة فإن القضية يجب أن تعرض على محكمة العدل الدولية فى لاهاى وقد أعدت المستندات الخاصة بالقضية لتقديمها إلى المحكمة الدولية ولكنهم لم يتوصلوا بعد لاتفاق حول تحدد طبيعة النزاع.

الصحافة العربية والمشكلة القطرية ـ البحرينية:

سوف نورد ما ذكرته الصحافة العربية فى تلك الفترة وكيف كانت تغطيتها لتلك الأحداث الحدودية المؤسفة بين قطريين يجمعها عامل الدم والقرابة إضافة إلى اعتبارهما من أعضاء مجلس التعاون. فقد كانت الصحافة شاهداً على تلك الأحداث وتألمت كما يتألم كل عربى من المشرق إلى المغرب بسبب الصراع على جزيرة صغيرة غير مسكونة، وليس على ذلك فحسب وإنما المبدأ بعدم إثارة مشاكل الحدود ولكن مخلفات الاستعمار المسيحى الأوربى تبقى راسبة لفترة من الزمن وقد يكون الحل هو إيجاد أنظمة ديمقراطية ومشاركة شعبية فى الحكم حتى لا تنحرف وراء الأهداف ومصالح الشركات البترولية المسيحية الغربية مما يصعد المشكلة إلى شراء الأسلحة وما يتبع ذلك من انعكاسات اقتصادية واجتماعية سياسية ليس على الأقطار العربية وإنما على الأمن العربى.

بداية الأحداث بين قطر والبحرين:

قالت «الدستور» كأن الساحة العربية «المنهكة» كانت فى حاجة إلى خلاف جديد يزيدها إنهاكا ويستهلك من طاقاتها كما، ليس بيسير، لاحتواء ذلك الخلاف، القديم ـ الجديد، الذى انفجر فجأة حول جزيرة «فشت الديبل» بين قطرين عربيين تجمع بين حاكميها صلات قربى ويضمها مجلس واحد هو مجلس التعاون الذى يكاد يكون المؤسسة العربية الوحيدة التى يجتمع أعضاؤها بانتظام وعلى مختلف المستويات. ما حدث مساء يوم السبت، 26 أبريل 1986 لم يكن مفاجئا للمراقبين إلا من ناحية الأسلوب فقط. ذلك أن الخلاف بين قطر والبحرين حول نقاط حدودية هو خلاف قديم والجديد فى الأمر هو أسلوب اللجوء إلى السلاح، فانتقلت الأزمة من مرحلة التلاسن الإعلامى التى جمدت فى أوائل عام 1983 إلى مرحلة المواجهة العسكرية. ففى مساء ذلك اليوم تزامن إعلان راديو قطر

أن جزيرة «فشت الديبل» منطقة محظورة، مع قيام أربع طائرات هليوكبتر قطرية بمهاجمة الجزيرة وقصفها والهبوط عليها واعتقال 29 عاملا أجنبيا ينتمون إلى شركة هولندية كانت تقوم بإنشاء محطة لحرس السواحل فى الجزيرة لحساب البحرين[1].

هكذا دخل الخلاف بين القطرين العربيين الشقيقيين إلى مرحلة جديدة وأصبح يتطلب حلا جذريا يتجاوز إطار التعليق أو التجميد وهو الإطار الذى كان قائما منذ أن أصدر مجلس التعاون قراره الخاص بإبقاء الوضع على ما هو عليه وذلك فى لقاء الرياض عام 1982. غير أن تاريخ الخلاف يعود إلى ما قبل ذلك العام بأعوام عديدة. ويمكن القول باختصار أن خلافات الحدود فى المنطقة ظهرت مع بداية ظهور النفط وتصاعدت مع بداية عهود الاستقلال وتزايد المصالح المسيحية. قبل ذلك لم يكن حكام المنطقة يهتمون بمسألة الحدود بينهم، وهى الحدود التى كانت اتفاقية عام 1913 بين تركيا وبريطانيا أول محاولة لتحديدها. ومع بداية ظهور النفط بدأت الخلافات الحدودية تظهر وكانت بريطانيا تسارع إلى تجميدها بهدف الإبقاء على الوضع هادئا حماية وتأمينا لمصالحها الاستثمارية فى المنطقة. ويعنى ذلك أن خلافات الحدود لم تحل وظلت كامنة تظهر فى حين وتتصاعد أحيانا حول أكثر من نقطة حدودية، برية وبحرية، وبين أكثر من دولة من دول المنطقة. وكان الخلاف بين قطر والبحرين هو أكثر هذه الخلافات حدة. وهو لا يدور فقط حول فيشت الديبل بل يشمل كذلك نقاط أخرى منها جزيرة «حوار» وقرية «الزبارة»[2].

تصاعد الخلاف فى عام 1982 حول «فيشت الديبل» الجزيرة التى تمتد مساحتها لمسافة ميل ونصف الميل فوق مياه الخليج العربى وتبعد مسافة 12 ميلا

---

(1) الدستور 12/ 5/ 1986.

(2) الدستور ـ 12/ 5/ 1986.

شمال غرب قطر و 15 ميلا شرق جزيرة المحرق البحرينية. فى ذلك العام أخذ الخلاف شكل المواجهة الكلامية فتدخل مجلس التعاون وأصدر قراره الخاص بإبقاء الوضع على ما هو عليه وجاءت المواجهة لتزيد الخلاف تعقيدا وتدخله إلى مرحلة جديدة. ومنذ إنشاء مجلس التعاون ظلت قضية الخلافات الحدودية بين أعضائه بندا ثابتا من بنود جدول أعمال المجلس. وكان انتماء الدول الست «السعودية»، الكويت، قطر، البحرين، دولة الإمارات، سلطنة عمان، عاملا مساعدا فى تليين حدة الخلافات الحدودية بينهم من خلال تحسين العلاقات وتنشيط محاور التعاون. وفى هذا الإطار تمكن المجلس من تطويق العديد من الخلافات الحدودية إلى أن تفجر الخلاف الأخير بين قطر والبحرين[1].

قطر - البحرين التاريخ والجغرافيا والمصالح

ذكرت صحيفة السفير تحت هذا العنوان قولها:

النزاع الذى تجدد بين قطر والبحرين حول جزيرة «فشت الديبل» يمثل أخطر أزمة داخلية تواجه مجلس التعاون منذ إنشائه العام 1981، الأمر الذى استدعى إحياء المملكة العربية السعودية فى محاولة إنقاذ «الوئام» الذى يبديه مجلس التعاون باستمرار، خاصة وأن ظهور هذا النزاع سيزيد من تعقيد المشاكل المتراكمة أمام المجلس. والقائمة هنا طويلة تبدأ من هواجس الخوف من تصعيد الحرب العراقية - الإيرانية وصولا إلى المعاناة الاقتصادية التى يعيشها معظم الدول مجلس التعاون بسبب الانخفاض الحاد فى أسعار البترول والعجز عن التوصل إلى سياسة موحدة لمواجهة تدهور المورد الرئيسى لثرواتها والعنصر الأساسى فى بناء مكانة دول مجلس التعاون عربيا ودوليا. وكانت قوات قطرية قد قامت قبل أسبوعين بالتمركز فى جزيرة «فشت الديبل» الواقعة فى منتصف المسافة بين قطر والبحرين واحتجزت

---

(1) الدستور - 12/ 5/ 1986.

24 فليبينيا واثنين من التايلاند ومـواطنا هولنديا كانوا يعملون مع شركة «بالاست نيـدام» الهولندية فى بناء مـركز لحـرس السواحل التـابع للبحـرين، وقد اتهـمت الحكومة القطرية فى بيـان رسمى لها حول العمليـة البحرين بانتهاك سـيادتها على منطقتـها البـحرية وبنقض الاتفاق الـذى وقع فى العام 1982 تحت رعاية العـربية السعودية والذى تضمن تعهد الدولتين بتجميد نزاعها حول جزر «حوار»[1].

الخلاف بين قطر والبحرين حول جـزر «حوار» ليس بالخلاف الجديد بل هو فى الواقع إحياء لصراع ونزاع قديم بين البـلدين تمتد جذوره فى تاريخ منطقة شرق الجزيرة العربية، وكـان قد برز فى وقت سابق عام 1976 ثم طويت صفحـته بعد وساطة سعودية بين الدولتين، لينفجر من جديد خلال شهر مارس 1980، ثم فى مارس 1982 عندما دشنت الحكومة البحـرينية سفينة حربية أسمـتها «حوار» خلال مناورات عـسكرية، إلا أن تدخل المملكة العـربيـة السعـودية هذه المرة أيضـا منع تصاعد الخلاف وتم التوصل عام 1982 إلى اتفاق على تجميد النزاع على الأراضى وتشكيل لجنة تحكيم من دول مجلس التعاون الست لحل جميع الخلافات، على أن يصار إلى وقف العمل بجـميع الإنشاءات والمشاريع والتحصـينات فى «الأرخبيل» إلى أن تبت لجنة التحكيم نـهائيا بهذه القـضية. وجزر «حـوار» التى يدور الخلاف حولها تشمل على جزيرة كبيرة وثلاث جزر صغيرة ـ «حوار» و «سواد الشمالية» و «سواد الجنوبيـة» و «مزورة». وفى العودة إلى جـذور الخلاف القطرى ـ البـحرينى نتبيـن أن هذا النزاع يرجع إلى أكثر من مائتى عـام، عندما كانت عائلة آل خـليفة التى تحكم البـحرين الان تسكن فى منطقـة «الزبارة» فى شمـال شبه جـزيرة قطر خلال رحلة هجرتهم من الكويت عام 1766[2].

(1) السفير 21/ 5/ 1986.

(2) السفير 21/ 5/ 1986.

تمثل البعد الآخر للمشكلة فى ادعاء حكومة البحرين مرات عدة كان أخرها عام 1937 بأن قبيلة «النعيمى» التى تسكن منطقة «الزبارة» فى شمال قطر لا زالت تعلن الولاء لها، وتطالبها (أى حكومة البحرين) بمنع آل ثانى من التدخل فى شئونها، وفى عام 1949 حاول «مستر بيلى» المقيم السياسى البريطانى فى البحرين جمع العائلتين حول مائدة للحوار فى المنامة عاصمة البحرين، حيث أعلن عن إبقاء قبيلة «النعيمى» وولائها لحكام البحرين. كذلك يمتنع آل ثانى عن إعادة قلعة أثرية بناها آل خليفة فى منطقة «الزبارة» مقابل أن تسقط البحرين مطالبتها بشبه جزيرة قطر، إلا أن الجانب البحرينى لم يسقط رسميا مطالبته بقطر حتى أواخر العام 1967. واجتمع حاكم البحرين بحاكم قطر فى محاولة لفض النزاع بين الدولتين والوصول إلى اتفاقية لرسم الحدود بينهما، وفى تلك المناقشات أكدت قطر أن جزر «حوار» التى تبعد مسافة ميل فقط عن شبه الجزيرة القطرية تعتبر ضمن الحدود القطرية، كما طالبت بأن تشمل المياه الإقليمية القطرية «فشت الديبل» وأصر الإعلان البحرينى على تبعية جزر «حوار» التى يقال إنها غنية بالنفط كما هو الحال بالنسبة للساحل الشمالى لقطر كما تضمنت مناهج تدريس الجغرافيا والتاريخ فى المدارس البحرينية التأكيد على الجزر والمنطقة تابعة للبحرين، كما أعيد طبع الأوراق المالية حيث رسمت خارطة البحرين بما فيها جزر «حوار» المتنازع عليها ولم تسقط قطر مطالبها بالجزر على أسس جغرافية لقربها من شبه الجزيرة القطرية[1].

ظل هكذا الخلاف بين منطق الجغرافيا القطرى المدعوم ببعض الوثائق ومنطق التاريخ ـ المصالح البحرينى قائما دون حل على الرغم من الاتفاقيات الكثيرة التى عقدت برعاية بريطانيا تارة وبالاشتراك مع الدولة العثمانية تارة أخرى. إذ من

(1) السفير 21/ 5/ 1986.

المعلوم أن تركيا العثمانية وقعت على اتفاقية مع الحكومة البريطانية لحل الخلاف عام 1913 والتى نصت على عدم أحقية شيخ البحرين بالتدخل فى شئون قطر أو إلحاق «الزبارة» بالبحرين، وقد ظل الموقف البريطانى دائما حريصا على ألا يكون هناك حسم للخلافات، والأصح أن بريطانيا كان لها موقف مزدوج من هذا النزاع، فهى أصدرت عام 1939 قرارا يقضى بتبعية هذه الجزر للبحرين وأرسلت نسخة من القرار إلى قطر تفيد بذلك وهى أيضا بعد مرور عامين أعلنت عن تراجعها فى رسالة رسمية بعث بها المقيم السياسى البريطانى الرسمى المعتمد فى الخليج العربى سايمون برامور إلى حكومته فى لندن وفيه أن قرار الحكومة البريطانية الخاص بجزر حوار «مجحف بحق قطر ولا يستند إلى أى أساس مقبول ومقتنع» كما أشار برامور إلى أن مطالبة قطر بجزر «حوار» تجد أساسا قويا لها فى دليل «لوريمر» المعروف، وأن قرب الجزر جغرافيا من قطر يجعلها تابعة لها(1).

الحق القطرى حق تاريخى لا تريد قطر أن تضعه موضع نقاش أو أخذ ورد ومساومة فى حين أن البحرين، حسب ما تقوله مصادر مجلس التعاون، تطالب بالجزر بفعل ضغط اقتصادى أو نفطى فى الأصح، فمنابع النفط البحرينية (الأولى فى الخليج العربى من حيث تاريخ الإنتاج) نضبت، وباتت البحرين بفعل الحاجة تفتش عن البديل، فلم تجد أمامها إلا وسيلة التمسك بالجزر الواقعة بينها وبين قطر لعلها تجد فيها نفطا. إلى ذلك، ذكر أن دولة قطر أعلنت أنها تقبل بأى تحكيم فى شأن الجزر، شرط أن يعتمد على القانون والتاريخ، وقد بدأ الديوان الأميرى فى قطر مساعدة وزارة الخارجية إعداد دراسة قانونية تتعلق بجزيرة «حوار» و«فشت الديبل» وغيرها وتستند هذه الدراسة إلى وثائق تاريخية تعود إلى مئات السنين تتعلق بالنزاع القبلى القديم الذى كان قائما حول الحدود البحرية فى المنطقة. على

---

(1) السفير 21/ 5/ 1986.

أن خطورة الموقف تتفاقم فى ضوء المعلومات حول قيام البحرين بتعزيز قواتها فى جزر «حوار» مما اضطر بالقوات المسلحة القطرية اتخاذ «إجراءات وقائية» نتيجة لذلك. والسؤال: هل يكون النزاع القطرى - البحرينى مدخلا لإعادة فتح ملف نزاعات الحدود بين الدول العربية لمجلس التعاون بعد أن تم إغلاقه فى منتصف السبعينات خاصة وأن من شأن هذا الملف المتخم أن يستنزف طاقات دول المنطقة جميعا، وهل هناك من يسعى فى الخفاء إلى تحريك خلافات خافتة تمهيدا لتفتيت الجزيرة العربية بأسره[1].

قالت مجلة الوطن العربى: فى الثلث الأخير من شهر أبريل 1986، كانت الدوائر الدبلوماسية فى مختلف الأقطار العربية تلتقى عند نقطة واحدة، والاقتناع الصارم الذى يسود تلك الدوائر هو أن الوضع العربى العام سجل أعلى درجة من الخلل والاهتراء فى بقاع عديدة وحساسة من الأرض العربية وكانت التوقعات، مع ذلك تشير إلى أنه يحدث ما هو أسوأ فى ظل غياب العمل العربى المشترك، والاتفاق على موقف ما يوقف هذا التدهور. وحتى تلك اللحظة، لم يكن يتصور أحد، أن الأسوأ لن يأتى من نافذة مجلس التعاون، وبالتحديد دولتين صغيرتين مسالمتين ومتجاورتين، وعضوين فى مجلس التعاون هما: قطر والبحرين. كانت الصورة السياسية حتى عشية انفجار المفاجأة بحرانية - القطرية، تتضمن مشهدين لا ثالث لهما. المشهد الأول يتضمن الواقع العربى الراهن المشحون بالتوتر وفى هذا المشهد نرى[2]:

استمرار العدوان الإيران الخبيث والشرس على الأراضى العراقية. والمعارك البطولية التى يخوضها الجيش العراقى على جبهة طولها حوالى 1200 كيلو متر

(1) السفير 21/ 5/ 1986.

(2) الوطن العربى 9/ 5/ 1986.

من أقصى الشمـال وإلى أقصى الجنوب. ونرى تفاعلات العـدوان الأمريكى على الشعب الليبى، وتهـديدات واشنطن الصارخة بتوسيع نطاق عمليـاتها العسكرية، وربما بالتعاون مع حلفائها، تحت شعارها المستجد: «إعلان الحرب على الإرهاب»! ونرى استـمرار طاحونة الموت العـبثى فى لبنان فى غيـاب قدرة كل الأطراف على الحل، وانغلاق كل الأبواب، ووصول «الخيار السـورى» إلى نهاية طريق مسدود. أما المشهد الآخر من الصورة السياسية، فـقد كان انطلاق دعوات متعددة لعقد قمة عربية طارئة يـمهد لها اجتـماع وزراء الخارجية فـى «فاس». فى ظل هذه الأجواء القائمة أتت المفاجأة من حيث لا يتـوقعها أحد: يوم السبت (26/ 4/ 86) قامت طائرات سمـتية قطرية بمهاجـمة منطقة مـتنازع عليها تدعى «فـشت الديبل» حيث يجرى العمل فى إقـامة منشآت لحرس السواحل البحـرينى. وأسرت القوة القطرية المهاجمة 29 مهندسا وعاملا تابعين لشـركة «بالاست نيدام» الهولندية التى تتولى تنفيذ هذه المنشـآت لحساب البحرين. وقطعت الاتصـالات على الفور بين الدوحة عاصمة قطر والمنامة عاصمة البحرين، وجرت تحركات عسكرية وتعزيزات للمواقع من قبل الطرفـين وهكذا نشأت حالة حـرب غير مـعلنة بين الدولتين الصغـيرتين الجارتين، اللتين تتمتـعان بعضوية مجلس التعاون، واللتين التـقى رئيساهما الشيخ خليفـة بن حمد آل ثانـى رئيس دولة قطر، والشيخ عيـسى بن سلمان آل خليـفه رئيس دولة البحـرين، خمس مرات على الأقل فى إطار اجـتماعات القـمة لدول مجلس التـعاون. وعلى الرغم من أن هذا الحـادث بين قطر والبحـرين لا شأن له بالمقاييس العـسكرية، إلا أن أصداءه كانت كبـيرة فى المنطقة خصـوصا وفى المدى العربى عمـوما. والسبب الرئيسى لاتساع أصـداء هذا الحادث، الحديث الأول فى الأوساط الرسمية والديوانيات الشعبـية فى الجزيرة العربية، هو المفاجأة إذ لم يكن هنالك ما يشير علنا إلى وجود توتر فى العـلاقات فى الدوحة والمنامة. فضلا عن

أن الخلاف على ملكيه بعض الجزر بين الدولتين، وخصوص «حوار» بين حوبها. هو خلاف قديم، يعود إلى أيام الهيمنه البريطانيه على المنطقه

كثير من السياسيين المخضرمين فى الجزيرة العربيه ينظرون إلى هذا الحادث على أنه لغم بريطانى قديم انفجر فى وقت غير متوقع، تماما كما يحدث من وقت إلى آخر عندما يعثر الأطفال على قنبلة قديمه صدئة من بقايا الحرب العالميه الأخيرة، فيعبثون بها، ولا تلبث حتى تنفجر بين أيديهم. المناطق الحدوديه فى الجزيرة العربية مزروعة بألغام من هذا النوع، تركتها بريطانيا خلفها قبل اتخاذ قرار الانسحاب العسكرى من المناطق الواقعة وراء منطقة السويس فى أواخر الستينات، ونجد مثل هذه القضايا الحدودية مثلا بين سلطنة عمان واليمن الجنوبى، أو بين اليمنيين قبل الوحدة، أو حتى بين بعض الإمارات فى الدولة الواحدة كما هو الحال فى الإمارات العربية المتحدة[1]. وكان «اتفاق الجنتلمان» بين أقطار مجلس التعاون، هو تجميد كل الخلافات الحدودية، رغبة فى إنجاح مسيرة مجلس التعاون، ثم العمل على إنهائها بالحوار البناء، وبمساعدة الأعضاء الاخرين فى دول المجلس. وحتى فى ما يتعلق بالخلاف الحدودى بين قطر والبحرين، فقد سبق المملكة العربية السعودية أن قامت بمساع حثيثة منذ سنوات بعيدة، أسفرت عن اتفاق بين قطر والبحرين يعود تاريخه إلى عام 1978، وينص على أن يلتزم كل طرف بعدم تغيير الواقع القانونى أو الجغرافى للمنطقة المتنازع عليها، إلى أن يتم الاتفاق النهائى بشأنها. ويبدو أن قطر كانت تراقب منذ فترة التحركات البحرينية فى المنطقة المتنازع عليها ثم قررت التدخل بالطريقة التى حدثت فى حين كانت البحرين تعتبر أن المنشآت التى تقوم بها لها طابع أمنى ولا تهدف إلى الإخلال بالاتفاقيات السابقة[2].

---

(1) الوطن العربى ـ 9/ 5/ 1986.

(2) الوطن العربى ـ 9/ 5/ 1986

السبب الثانى الـذى أثار هذه الأصداء الواسعة للحادث القطـرى ـ البحرينى ناتج عما يمكن تسـميته بـ «الصدمـة النفسية» وإذ كان المواطن فى الجـزيرة العربية خاصة، والوطن العربى عامة، يفهم مبررات الصدام بين القوى العربية والأجنبية، ويعتبرها متوقعة بل ومنطقية، فإنه من العسير عليه القبول بمبدأ أى صدام عسكرى بين طرفين عربيين. وكون هذا الصدام حـدث بين اثنين من أصغر الدول العربية، كان فى حد ذاته مـؤشرا على مدى تفاقم حالة التـشرذم المسيطرة، فى هذه المرحلة على البلاد العـربية. والصدمة النفـسية الكبرى جـاءت نتيجة للاقـتناع السائد بأن ظاهرة مجلس التعاون كانت من النقاط القليلة المضيئة فى ظلمات الخلافات العربية المتفاقمة. وكـان الكل يعتقد ويتوقع أن قطر مثلا، ستلجـأ إلى هيئة حل النزاعات فى مجلس التعـاون، عندما تبين لها من خلال الرصد الذى قـامت به أن البحرين تقوم بعمل غـير مقبول لدى الدوحـة. ومن المعلوم أن مؤسسات مـجلس التعاون تشتـمل على نظام أساسى لتهيـئة تسوية المنازعات بين الأعـضاء تصدر توصيـاتها فتاويها وترفع تقاريرها إلى المجلس الأعلى(1).

جهود مجلس التعاون لحل الخلاف القطرى ـ البحرينى

استـجابت قطر والبـحرين لمساعى عـاجلة بذلتهـا السعـودية ودول مجلس التعاون الأخرى، لحصر نطاق الخلاف بينهما حول «فشت الديبل» وأبديتا استعدادا لتسوية عاجلـة له فبالإضافة إلى الاجتمـاعيين اللذين عقدهما وفـد سعودى رفيع المستوى يرأسه سلطان بن عبد العزيز، فى الدوحة مع أمير قطر وفى المنامة مع أمير البحرين. أجرى عدد من رؤساء دول مجلس التعاون اتصالات هاتفية مع الأميرين القطرى والبحرينى أكدوا فيها ضـرورة ضبط النفس. وكانت قوات قطرية محمولة بأربع طائرات هليوكبتر قد أنزلت على «فـشت الديبل» وأوقفت عملية إنشاء مركز لخفر السواحل كانت تـقيمه إحدى الشركات الهولندية لحسـاب البحرين. توقعت

(1) الوطن العربى ـ 9/ 5/ 1986.

المصادر أن تنجح المساعي السعودية في حل الخلاف، خصوصا وأن السعودية كانت الوسيط بين قطر والبحرين في الخلاف حول جزيرة «حوار». ولم يصدر في الدوحة أو المنامة أي تفصيلات حول طبيعة الوساطة السعودية. على صعيد آخر ذكر متحدث رسمي هولندي أن حكومة لاهاي تجرى حاليا اتصالات مع سلطات البحرين وقطر عقب حادث «الاختطاف» 29 من موظفي شركة «بالاست نيدام» الهولندية أمس الأول والذين يعملون في جزيرة فشت الديبل لحساب وزارة الدفاع البحرينية. وأوضح المصدر نفسه أن هذه الاتصالات أجرتها سفارة هولندا في الكويت (وهي السفارة التي تغطي أيضا دولتي قطر والبحرين المجاورتين) من أجل التوصل إلى إطلاق سراح موظفي الشركة الهولندية على وجه السرعة[1].

أكد المتحدث أن لاهاي لا تعتزم التدخل في النزاع القائم بين قطر والبحرين حول تبعية هذه الجزيرة. وأعرب المتحدث عن أمله في أن تتم تسوية هذه المسألة، خلال الأيام القادمة. من جهة ثانية، نسبت وكالة أنباء «دبا» لمصادر بحرينية غير رسمية قولها أن القوات الجوية القطرية المحمولة جوا استولت بالإضافة لجزيرة فشت الديبل على جزيرة «قطعة جاردة» المجاورة[2]. وكانت المملكة العربية السعودية هي أول من قام بتحرك سريع وعاجل بين قطر والبحرين لتطويق الخلاف بعد ساعات ليلة من وقوع الحادث. وفي ظروف الحادث الطارىء. وفي اليوم التالي لبى ولي عهد الشيخ حمد بن خليفه ولي العهد ووزير الدفاع دعوة لزيارة المملكة. وقبل مضي أسبوع واحد على هذا الحادث كانت المملكة قد نجحت باحتواء الخلاف الذي استنفر كذلك جهات في مجلس التعاون، ومن بينها جهود السلطان قابوس بوصفه رئيس آخر دورة لقمة مجلس التعاون، والشيخ زايد بن

(1) جريدة الخليج الإماراتية ـ 28/ 4/ 1986.

(2) جريدة الخليج الإماراتية ـ 28/ 4/ 1986.

سلطان رئيس دولة الإمارات العربية المتحدة، والكويت التى قامت بجهود دبلوماسية هادئة نظرا لعلاقاتها المميزة مع البحرين وروابطها مع قطر. ومساء يوم الخميس (1/ 5/ 86) أعلن رسميا فى الرياض أن الملك فهد بن عبد العزيز تمكن من احتواء الخلاف بين قطر والبحرين، وأن المملكة ستواصل مساعيها الخيرة لتحقيق الاتفاق بينهما. وكانت كل من الدوحة والمنامة قد فوضت المملكة بصورة رسمية لإيجاد الحلول المناسبة حول قضايا الحدود البحرية القائمة بينهما، وقبلت المملكة هذا التفويض. وأكد البيان الرسمى أن الملك فهد تمكن من احتواء الخلاف فى مهده بفضل تجاوب الشيخ خليفه بن حمد حاكم قطر، والشيخ عيسى حاكم البحرين(1).

على الرغم أن الحادث الحدودى بين البلدين قوبل بالدهشة والاستغراب، إلا أنه أثبت نقطة جوهرية إيجابية هى أن المملكة العربية السعوية بما لها من ثقل ووزن تشكل صمام الأمان فى المنطقة، شأنها فى ذلك كما فى القضايا العربية والإسلامية. والأمر الآخر، هو أن الصدام القطرى ـ البحرانى، كان محكا أثبت رسوخ دعائم مجلس التعاون، وقدرة قادرة على احتواء كل المستجدات بمزيد من الاقتدار والثقة. أن الخلاف القطرى ـ البحرانى، لن يكون مصيره التجميد هذه المرة، وأن المملكة العربية السعودية، بالتعاون مع الأطراف المعنية، تعمل على التوصل إلى حل نهائى للمشكلة وتصفية هذا الخلاف الحدودى المزمن بين قطر والبحرين(2).

قالت «الدستور» فى هذا الصدد:

وفى اليوم التالى لتفجير الخلاف شهدت المنطقة نشاطا دبلوماسيا مكثفا

---

(1) الوطن العربى ـ 9/ 5/ 1986.

(2) الوطن العربى ـ 9/ 5/ 1986.

لاحتواء الأزمة وقادت السعودية هذا النشاط ومعها الأمانة العامة لمجلس التعاون كما قام السيد عبد الله يعقوب بشاره، أمين عام مجلس التعاون بزيارات رافقه خلالها وفد من المجلس ضم بين أعضائه اللواء الركن يوسف محمد المدنى، رئيس اللجنة العسكرية فى الأمانة العامة للمجلس. ولم تتوقف الجهود عند هذا الحد بل شملت جهودا أخرى إضافية حيث وجه رؤساء الدول الأعضاء فى المجلس رسائل إلى أميرى القطرين المتنازعين حول الجزيرة كما اتصل زعماء دول عربية، بأميرى قطر والبحرين لتهدئة الموقف ومن بين هؤلاء الزعماء الرئيس المصرى والتونسى الحبيب بورقيبه. وكان واضحا أن جهود الوساطة تسعى أولا إلى تطويق الأزمة والتوقف بها عند الحد الذى وصلت إليه. ثم محاولة الجمع بين أميرى البلدين فى لقاء مصالحة. فى الوقت الذى دار فيه البحث داخل مجلس التعاون حول فكرتين الأولى هى إرسال قوة درع الجزيرة التابعة للمجلس للعمل كحماية سلام بين البلدين فى الجزيرة المتنازع عليها والفكرة الثانية هى تشكيل لجنة من المجلس تعمل من أجل التوصل إلى حل دائم للمشكلة[1].

يبدو، أن أحدا من الطرفين المتنازعين لا يريد التزحزح عن موقفه المعلن. قطر تقول إن البحرين خالفت قرار مجلس التعاون، فى اجتماع الرياض عام 1982، وذلك عندما بدأت فى إقامة إنشاءات على الجزيرة وأنها، أى قطر، لجأت إلى الخيار العسكرى بعد أن جربت كل الطرق الديبلوماسية. وتقول البحرين إنها آسفة لأن قطر لجأت إلى القيام بعمل عسكرى «ضد أراض بحرينية» ولم تسلك الطرق الديبلوماسية لإعلان وجهة نظرها وموقفها. ويبدو كذلك أن تمسك كل من قطر والبحرين بموقفيها هو الذى حال دون عقد لقاء فى الرياض بين أميرى البلدين، أما عدم تحرك قوة من «درع الجزيرة» للحلول محل القوات القطرية التى

(1) الدستور ـ 12/ 5/ 1986.

تمركزت هناك منذ مساء اليوم الذى بدأت فيه الأحداث يعود إلى وجود تخوف من أن ينظر طرف من طرفى النزاع إلى هذه الخطوة وكأنها موجهة ضده. وهذا الأمر دفع بالشيخ سالم الصباح، وزير الدفاع الكويتى، إلى تأكيد أن القوة لن تتدخل لمناصرة طرف ضد طرف آخر. وتظل مسألة تحرك هذه القوة إلى الجزيرة المتنازع عليها مسألة مطروحة خاصة إذا ما توصلت الجهود إلى اقتناع قطر بسحب قواتها المتمركزة فى الجزيرة. وهذا الاقتناع يتطلب بالتالى، ومن وجهة النظر القطرية أن تقتنع البحرين بضرورة التوقف عن إقامة المنشآت فوق الجزيرة إلى حين التوصل إلى حلول جذرية لهذه المشكلة الحدودية. وفى الوقت الذى تستمر فيه جهود، مجلس التعاون، بهدف التوصل إلى إطار لهذه الحلول، ويؤكد الملك فهد بن عبد العزيز تصميم بلاده على مواصلة مساعيها الرامية إلى إزالة أسباب الخلاف يصف الأمير سلطان بن عبد العزيز هذا الخلاف بأنه سحابة صيف وأن أجهزة الإعلام، فى العالم ضخمت الخلاف[1].

فى ضوء ما بين البلدين، قطر والبحرين، من أواصر قربى تجمع بين الأميرين الحاكمين، وكذلك فى ضوء هذه الجهود المبذولة لحل الخلاف بينهما، يمكن القول بأن هذا الخلاف، وبالفعل سحابة صيف قد تنقشع إذا لم يحدث تصعيد عسكرى جديد وإذا ما توصلت الجهود المبذولة إلى قيام حوار «قانونى» لحل النزاع سواء بالاستنارة بالقانون الدولى الخاص يمثل هذه المنازعات أو القوانين الإقليمية الخاصة بذلك. غير أن الهدف من تضخيم الخلاف، عبر وسائل الإعلام العالمية، يختلف بالتأكيد عن الهدف من التناول العربى لهذا الخلاف. التناول العربى لهذا الخلاف يمتزج بالتأكيد بمشاعر أسف وحسرة لأن الأوضاع العربية المتردية لا تحتمل، مهما كانت الأسباب ووجهات النظر حدوث مواجهة مسلحة بين قطرين عربيين، والسماء العربية، الملبدة غيوم الخلافات، لم يكن ينقصها سحابة

(1) الدستور ـ 12/ 5/ 1986.

صيف كان بالإمكان تجنب مرورها وخاصة فوق سماء إخوة يجمعهم سقف واحد هو سقف مجلس التعاون. ما حدث سحابة صيف. والمطلوب ليس فقط إبعاد هذه السحابة عن السماء العربية بل أيضا ضمان عدم مرور سحابة مماثلة وذلك باتخاذ ما لزم من اجراءات كفيلة بذلك والانتباه إلى الخلافات المماثلة وحلها جذريا حتى وإن كانت فى حالة كمون الآن(ا).

يبدو هذا الأمر ضروريا فى ضوء حالة الحرب المعلنة فى الخليج العربى منذ أكثر من ست سنوات وحالة العدوان لدول الخليج العربى التى من المؤكد أنها من غير حاجة لا إلى سحابة شتاء ولا إلى سحابة صيف تمر فى سمائها فتلتفت إليها الأنظار وتتجه الجهود وتكرس الطاقات لحلها واحتوائها لأن هذه الأنظار والجهود والطاقات يجب أن تتجه وتتكرس لقضية الحرب والعدوان الإيرانى. وعلى الصعيد العالمى يجب الاعتراف أولا أن تناول بعض أجهزة الإعلام العالمية لهذا الخلاف بطريقة تهدف إلى مزيد من التشويه للصورة العربية قد اعتمد بالأساس على وجود حالة الخلاف ذاته وهى، حالة لم تخترع السبت 26 أبريل والمراقب المتابع لكيفية تناول أجهزة الإعلام هذه للخلاف يضع يده وبسهولة ،على الهدف ألا وهو محاولة القول للعالم: انظروا إلى العرب وكيف يحلون خلافاتهم بقوة السلاح بدلا من الحوار لأنهم لا يعرفون كيف يتحاورون. ليس من المبالغة القول بأن المستفيد الأول والأخير من أى خلاف عربى هم أعداء العرب، وليس من الصعوبة تحديد من هم أعداء العرب. لكن الصعوبة الآن تكمن فى الإجابة على سؤال واحد: كيف يمكن تفويت الفرصة على أعداء العرب كى لا يستمرون فى تشويه الصورة العربية وتمزيقها. وإذا كان التضخيم الإعلامى العالمى للنزاع القطرى - البحرينى يقول بأن سبب النزاع يعود إلى انهيار أسعار النفط وحدوث حالة هيستيرية دفعت الأطراف إلى ذلك، من الإخوة بدلا من المطالبة بها من

(ا) الدستور - 12/ 5/ 1986.

«المستفيدين» فإن عاملا آخر في القضية يساهم في أن يظل الخلاف لقمة سائغة في أفواه أجهزة الإعلام الغربيــة. وهذا العامل هو مصير الـ 29 عاملا الذين أخذتهم القوات القطــرية إلى قطر عند هبوطهــا في الجزيرة المتنازع عليهــا. سيكون قــصة مفــضلة تروى على هامش الهدف الأســاسي هدف تشويه الحــرب، كيف لا وهم ضحايا الخلافات العربية ـ العربية؟!.

قالت هذه الاتصالات التي لم يعلن عنها مع أمــيري قطر والبحرين. ركزت على ضرورة حــل الخلاف وتجنب تصعــيده تحت أي ظروف. على صــعيــد آخر، أكدت مصادر أن قوات دفاع البحرين، وقوات قطر المسلحة لا زالتا في حالة تأهب قصوى. وفــي هذا الإطار، ذكرت مصادر دبلومــاسية في المنامة لوكــالة رويتر أنه يعتــقد أن البحرين أرسلت تعــزيزات عسكرية إلى جزر حــوار. وقالت أنه لم ترد تقارير عن وقــوع مواجهــات في تلك الجزر. ونسبت الصــحف البحرينيــة بمصادر ملاحية قولها إن هناك نشاطا عسكريا مكثفا على الساحل القطري مقابل البحرين. كمــا نسبت المصــادر مطلعة في المنامــة قولهــا إن بضع مدرعات للجــيش القطري تمركزت في فشت الديبل وأن زوارق دورية قطريــة تقوم بدوريات في هذه المنطقة. على صعيد جهود دول مجلس التعــاون قام يوسف العلوي عبد الله وزير خارجية عمــان بزيارة كل من قطر والبحــرين وسلم أميري البلدين الشــيخ خليفــه والشيخ عيسى رسائل من السلطان قابوس بن سعيد(أ).

أشار العلوي في تصريح له أن رسائل قــابوس تناولت الأحداث الأخيرة في فشت الديبل وقال «إننا نجري حاليا مباحثات ومشاورات مع أشقائنا أعضاء مجلس التعاون وبصفة خاصة البحرين وقطر بغية احتواء الأزمة وإعادة الوضع إلى ما كان عليه. من جهة ثانية، وصل الرياض الشيخ حمد بن خليفه آل ثاني ولي عهد قطر

(أ) الخليج ـ 29/ 4/ 1986

وقائد قواتها المسلحة فى زيارة رسمية للسعودية. وأعربت الكويت عن أسفها العميق للخلاف الذى وقع بين بلدين شقيقين عضوين فى مجلس التعاون هما قطر والبحرين. وقال نائب رئيس مجلس الوزراء الكويتى فى أول رد فعل رسمى يصدر عن الكويت إزاء الأحداث التى شهدتها جزيرة فشت الديبل أن الكويت تأسف لما حصل بين إخوة يضمهم مجلس واحد هو مجلس التعاون. وأعرب عن أمله فى أن تزول الغمة بين البلدين الشقيقين فى أسرع وقت ممكن. وأكد أن للكويت كل الثقة فى جهود العاهل السعودى ودوره فى حل هذه المشكلة وإنهاء الخلافات بين البلدين. وأبدى الشيخ صباح الأحمد الجابر تخوفه من تأثير الحادث على سير العلاقات بين دول مجلس التعاون إذا لم يتم التوصل إلى حل له بصورة عاجلة. وقال إن مثل حدث بين قطر والبحرين من خلاف حول الجزيرة الواقعة فى مياه الخليج العربى بمثابة سحابة عابرة سرعان ما تنقشع ليعود الوئام والصفاء. وعلاقات الأخوة والمود بين البلدين الشقيقين[1].

تزايد التوتر القطرى - البحرينى

نسب إلى دوائر مسئولة فى المنامة قولها أن الموقف بين قطر والبحرين، «قد ينفجر» بسبب النزاع الإقليمى بينهما حول ملكية جزر فى الخليج العربى، والمحت هذه الدوائر إلى توقف جهود الوساطة بين البلدين. ولكنها استبعدت أن تقع مجابهة عسكرية «قريبا جدا». فقد نقلت صحيفة «جلف نيوز» البحرينية الناطقة بالإنجليزية عن مصادر مطلعة قولها أن الدول فى مجلس التعاون تعتبر الموقف «متفجرا» وقالت الدوائر المسئولة فى المنامة أنه لم يظهر دليل ملموس على انفراج الموقف بعد أن أطلقت قطر سراح العاملين. وقالت هذه المصادر إن قطر «تسعى على ما يبدو إلى تصعيد النزاع وقد حشدت ترسانة هائلة من الأسلحة فى جزيرة

(أ) الخليج - 29/ 4/ 1986.

فشت الديبل». وأضافت أن قطر وضعت قطع مدفعية ومدافع مضادة للطائرات فى الجزيرة وكانت شركة «بالاست نيدام» الهولندية قد قامت بأعمال تعلية الجزيرة حتى لا يغمرها مد البحر. وذلك لحساب قوات الدفاع البحرينية من أجل إقامة موقع حراسة شرق البحرين. وتشعر الدوائر البحرينية المسئولة بالقلق بسبب تفاقم الأزمة» رغم محاولات الوساطة الكثيرة التى بذلتها دول مجلس التعاون وخاصة السعودية. وتقول هذه الدوائر أن القوات الجوية والبحرية القطرية تقوم منذ عدة أيام «بأعمال استفزازية» وقد حشدت قطر قوات أمام جزيرة «حوار» الكبيرة التى تطالب بالسيادة عليها[1].

قالت الدوائر إن قطر «تسعى إلى التصعيد» من خلال موقف تصفه بأنه «عنيد» وأشارت إلى أن قطر قامت مؤخرا بتعديل المسارات الجوية المخصصة للطائرات المدنية المتجهة للدوحة. وتقول وكالة الصحافة الفرنسية إن المراقبين فى الخليج يرون أن القلق الذى أعربت عنه الدوائر المسئولة فى البحرين فاجاءت منذ عدة أيام «يؤكد فشل محاولات الوساطة التى بذلت حتى الآن كما يؤكد «خشية هذه الدوائر من أن يفرض عليها الأمر الواقع» وقالت الوكالة أنه يبدو بعض الدول الأعضاء فى مجلس التعاون قد تخلت نهائيا عن القيام بجهود وساطة، ويبدو أن السعودية لم تنجح إلا فى منع وقوع الأسوأ بين البلدين. وأشارت الوكالة إلى أن البيانات السعودية الثلاثة التى صدرت منذ الإنزال العسكرى القطرى فى جزيرة فشت الديبل قد التزمت بتحفظ كبير تجاه احتمال التوصل قريبا إلى تسوية الأزمة، حيث لم تشر إلا إلى حلول تم التوصل إليها بصدد جوانب «عاجلة» ولا تتعلق بجوهر المشكلة التى تعتبر مسألة سيادة سواء لقطر أو للبحرين. وكانت بريطانيا قد سلمت جزيرة حوار إلى البحرين فى عام 1939 أما جزيرتا فشت الديبل وفشت

(1) الخليج ـ 16/ 5/ 1986.

الديبل وفشت جرادة ـ وهما شعبان مرجانيان يقعان فى منتصف المسافة بين قطر والبحرين ـ فسلمتا أيضا إلى البحرين فى عام 1947، واحتجت قطر على هذين القرارين لدى بريطانيا ـ التى كانت فى السابق القوة القائمة على احتلال منطقة الخليج العربى ـ على أساس أنهما يتعارضان والمبادىء الثابتة للقانون الدولى[1].

امتد النزاع القطرى ـ البحرينى إلى جزيرة «حوار»، والتى هى أيضا محل خلاف بين قطر والبحرين وتعود هذه المشكلة أيضا إلى الحماية البريطانية كما أثيرت هذه المشكلة فى مايو عام 1977 حيث ذكرت صحيفة القبس الكويتية:

أثر الزيارة الأخيرة التى قام بها الشيخ زايد بن سلطان رئيس دولة الإمارات العربية المتحدة قطر، برزت مسألة الخلاف القطرى البحرينى على ملكية جزيرة حوار على سطح الأحداث من جديد حيث أن هذه المسألة كانت من ضمن النقاط التى تناولتها محادثات رئيس دولة الإمارات مع أمير دولة قطر، وكان الهدف من تناول هذه المسألة هو قيام الإمارات بجهود توفيقية بين الجارتين الشقيقتين. وهذه ليست المرة الأولى التى يقوم فيها الشيخ زايد ببحث هذه المسألة مع الشيخ خليفه فقد سبق له أن فعل ذلك أثناء زيارة أمير قطر لدولة الإمارات فى ديسمبر عام 1975، ووافق الشيخ خليفة على توسط الشيخ زايد، ولكن حتى يتمكن زايد من السير قدما فى الجهود الخيرة لابد من موافقة الطرف الآخر المعنى بهذه المسألة، وهو البحرين، التى تكتفى لدى مفاتحتها بهذا الأمر بشرح وجهة نظرها التاريخية فيه دون أن تقبل أية وساطة. وهذا ما يقفل الطريق دائما أمام وساطات الأشقاء، ويبقى مسألة الجزيرة بمثابة قنبلة موقوتة تهدد علاقات الجارتين الشقيقتين بشكل يقلق جميع الأشقاء فى المنطقة[2].

(1) الخليج ـ 16/ 5/ 1986.

(2) القبس ـ 17/ 5/ 1977.

وجهة نظر البحرين

تتلخص وجهة النظر البحرينية فى أن جزيرة حوار تمثل جزءا لا يتجزأ من الأرض البحرينية، وبالتالى فإنه لا يحق لدولة قطر المطالبة بها، وأكثر من هذا يقول المسئولون البحرينيون إن الساحل القطرى المقابل لجزيرة حوار كان هو الآخر فى يوم من الأيام وحتى الثلاثينيات من هذا القرن يمثل جزءا من أراضى البحرين، وأنه إذا سكتت البحرين عن المطالبة بالساحل المقابل لحوار فهذا لا يعطى الحق لقطر فى أن تطالب بالجزيرة المقابلة لهذا الساحل. وبعد أن يقدم المسئولون البحرينيون وجهة نظرهم هذه يضيفون: «وكما هو واضح لا مجال للمساومة»(1).

وجهة النظر القطرية

أما القطريون فيقترحون الموضوع من زاوية أخرى. أنهم يعترفون أن منطقة الزبارة الساحلية المقابلة لجزيرة حوار لم تكن تابعة لحكومة قطر فى إحدى الفترات الزمنية وحتى الثلاثينات هذا القرن ولكنهم ينفون أن تكون هذه المنطقة قد خضعت خلال هذه الفترة للحكم البحرينى. ويقولون أن إحدى القبائل تمكنت من فرض سيطرتها على المنطقة، وأن هذه القبيلة كانت تحظى بدعم البحرين دون أن تنتقل السلطة البحرينية إلى المنطقة. وفى الثلاثينيات تمكنت السلطة القطرية بعد حرب خاضتها مع هذه القبيلة من فرض نفوذها على شبه جزيرة قطر بكاملها، وغادر قسم من هذه القبيلة قطر متوجها إلى البحرين وبقى قسم آخر أعلن الولاء للسلطة. ويتبع القطريون شرح وجهة نظرهم فيقولون إنه فى ذلك الوقت لم تكن جزيرة حوار تتمتع بأية أهمية، وهى تبعد مسافة ميل واحد عن البر القطرى فقط. وفى أوقات الجزر يتمشى الناس من بر قطر إلى الجزيرة على أقدامهم، وعلى هذا الأساس فإنه يمكن اعتبارها امتدادا طبيعيا للبر القطرى فى حين أنها تبعد عن البر

(1) القبس ـ 17/ 5/ 1986.

البحريني 18 ميلا. ولذلك فلم يخطر على بال القطريين أن يتابعون حملتهم العسكرية لتشمل الجزيرة. ولم يكن يدور فى خلدهم أن تتحول هذه الجزيرة الصغيرة إلى أزمة مستعصية فى علاقاتهم مع جارتهم البحرين التى سارعت إلى فرض سيطرتها على الجزيرة وإقامة مركز للشرطة فيها. ولكن، حتى إقامة مركز الشرطة البحريني لم يؤثر على العلاقات الودية بين الدولتين الشقيقين. وحتى هذه اللحظة فإن جزيرة حوار تستخدم كمحطة انطلاق من قبل صيادى السمك فى كل من قطر والبحرين دون تمييز، ودون وجود أية حساسيات فى علاقاتهم، ولا يتعرض رجال الشرطة البحرينيون لصيادى السمك القطريين، ومما يساعد على عدم وجود الحساسيات أو الاحتكاكات هو أن الجزيرة غير مأهولة[1].

فتش عن النفط

غير أن ذلك لا يخفف من مطالبة قطر المستمرة من جزيرة، وهذه المطالبة تزايدت فى السنوات الأخيرة بعد أن تزايدت شكوك قطر فى احتمال نضوب نفط حقل «دخان» ـ وهو أن حقول البترول فى قطر تتحرك عبر تجويفات الأرض إلى جزيرة حوار، الأمر الذى يمكن البحرين مستقبلا إذا أكدت سلطتها على الجزيرة أن تقوم باستخراج البترول القطرى من جوف الجزيرة والحقيقة أن دولة الإمارات ليست الدولة الوحيدة التى سعت للتوسط ما بين قطر والبحرين، فالمملكة العربية السعودية أبدت استعدادها للتوسط أثناء الجولة التى قام بها الملك خالد لبلدان المنطقة، عير أن المبادرة السعودية توقفت بسبب عدة عوامل، منها انشغال القيادة السعودية ببعض القضايا الملحة مثل الاتصالات مجلس التعاون حول أمن الخليج والحرب اللبنانية، كما أن مرض الملك خالد لعب دورا آخر فى تأجيل متابعة المبادرة السعودية أما وبعد الهدوء النسبى فى لبنان وتركيز السياسة السعودية على

(1) القبس ـ 17/ 5/ 1986.

قضية الأمن على البحر الأحمر، واستطرادا فى الخليج العربى بعد فترة، فإن الخلافات الحدودية الصغيرة بين دول المنطقة ستأخذ نصيبها من الاهتمام تمهيدا لحلها وتجاوزها على طريق التنسيق والتعاون[1].

اتهمت مصادر قطرية، وصفت بأنها مسؤولة ومطلعة، البحرين بتعزيز قواتها العسكرية قبالة سواحل قطر، والاستيلاء على عدد من الجزر الصغيرة التى تبعد نحو 25 مترا عن الساحل القطرى، وبمضايقة الصيادين القطريين، لكن مسؤولين بحرينيين نفو هذه الاتهامات وأعربوا عن أسفهم للبيانات القطرية. وجددوا ثقتهم بالوساطات التى تبذلها الدول العربية لأنها أزمة بين البلدين الشقيقين. وقالت وكالة «اسوشيتدبرس» أن مصدرا حسن الاطلاع اتصل من الدوحة بمكتبها فى المنامة، وقرأ إعلانًا بدا أنه بيان يشرح موقف قطر من نزاعها الإقليمى مع البحرين. وقال المصدر الذى اشترط عدم ذكر اسمه أن «حكومة البحرين قامت مؤخرا بسلسلة من الأعمال العسكرية التى تتنافى كليا مع جهود الوساطة الجارية لتسوية النزاع بين البلدين حول بعض الحدود البحرية. وأضاف أن البحرين تعبىء قواتها فى جزيرة حوار التى لا تبعد سوى كيلو متر واحد عن الساحل القطرى، مما يشكل تهديدا لحقول قطر البترولية ومجالها الجوى. ومضى يقول إن القوات البحرينية احتلت أيضا بعض الجزر الصغيرة التى تبعد نحو 250 مترا فقط عن الساحل القطرى إضافة إلى مواصلة القيام بأعمال استفزازية ضد مدنيين من بينهم صيادو الأسماك القطريون[2].

قال المصدر إن السلطات القطرية ما كانت لتكشف عن الأعمال العسكرية البحرينية حفاظا على جهود الوساطة والتزاما بقرار مجلس التعاون عام 1982

---

(1) القبس ـ 17/ 5/ 1986.

(2) الخليج 19/ 5/ 1986

بتجميد النزاع لو لم ترفق السلطات البحرينية تعزيزاتها العسكرية بحملة إعلامية تشوه الوقائع، وأضاف أن حكومته تدخلت فى جزيرة (فشت الديبل) فقط بعد أن انتهكت البحرين قرار مجلس التعاون لعام 1982 الذى نص على ألا يدعم أى من الجانبين موقفه القانونى أو يغير وضع المناطق المتنازع عليها. وأكد المصدر استعداد قطر للتعاون مع الوساطة السعودية على أساس قرارات مجلس التعاون، ولكنه اتهم السلطات البحرينية بأنها تسرب تقارير تفيد بأن العمل جارٍ لإعداد فشت الديبل لمشروع رادارى مشترك لمجلس التعاون الخليجى. وقال إن المشروع البحرينى لتطوير فشت الديبل، كان فقط عملا فرديا ينتهك القرار الوزارى لمجلس التعاون، وكان يستهدف بناء محطة خفر السواحل للبحرين، كما نقلت وكالة «رويتر» عن مصادر مطلعة قولها أن البحرين عززت قواتها فى جزر حوار بالمدفعية والصواريخ، وأن القوات القطرية اتخذت نتيجة لذلك «إجراءات وقائية»، لمواجهة أية احتمالات. وكانت مصادر دبلوماسية قد قالت أن قطر وضعت قواتها المسلحة على أهبة الاستعداد وطلبت من أفرادها عدم مغادرة مواقعهم خلال إجازة عيد الفطر المبارك وقالت صحف فى البحرين إن قطر نقلت قطع مدفعية وقاذفات صواريخ إلى داخل جزيرة فشت الديبل ووضعت قوات على الساحل المقابل لجزر حوار. ونقلت وكالة الصحافة الفرنسية عن دوائر مسئولة فى الدوحة قولها أن «حدة التوتر توشك أن تعصف بفرص التوصل إلى حل يرمى لإعادة السلام والأمن إلى الخليج العربى[1].

ألقت هذه الدوائر بمسئولية التوتر على البحرين واتهمتها بأنها تسعى إلى تصعيد النزاع. غير أن هذه الدوائر استبعدت - شأنها فى ذلك شأن المنامة - نشوب مواجهة عسكرية بين البلدين وقالت إن قطر تنتهج سياسة اعتدال وتعقل وضبط نفس. وأشارت هذه الدوائر إلى القرار الذى اتخذه المجلس الوزارى لمجلس

(1) الخليج - 19/ 5/ 1986.

التعاون عام 1982، وقالت إن هدف التدخل العسكرى القطرى كان إعادة الموقف إلى ما كان عليه قبل أن تحول البحرين رصيف (فشت الديبل) إلى جزيرة صناعية. ورفضت الدوائر تأكيد البحرين بأن بناء مركـز للحراسة فى فشت الديبل تباع لقوة الدفاع البحرينيـة قد تم بقرار من مجلس التعاون وقالت «أن مجلس الـتعاون خير من يعلم ذلك مكانته. ويلاحظ أن مجلس التعـاون لم يعلن موقفه حتى الآن من هذه المسألة ويفضل أن يحيط وساطته بتكتم شـديد. يرى المراقبون أن وفقا لما قالته وكالة «فـرانس برس» من الدوحة أن الأزمـة بين البلدين الشقـيقـين وصلت حدا يصعب معه التوفـيق بينهما بعد مرور 23 يوما على اشتعال الخلاف بين الجانبين. فى المنامة، رد مسئولون بحرينيـون لم تذكر أسماؤهم على «البيان القطرى» برفض الاتهامات الواردة فيه باعـتبارها غير صحيحة. وأعـرب مصدر حكومى عن أسفه لأن قطر تسـعى لتصعـيد النزاع فى الوقت الـذى تستمـر فيـه وساطة الملك فـهد وحكومته. كما أعرب المصدر عن أسفـه للبيان القطرى لأنه كما قال صدر بعد أن عبرت قطر والبـحرين من اتفاقها بشـأن الامتناع عن حرب كلامية طالما اسـتمرت الوساطة. وقال مسئولون بحرينيون إن البحرين تثق ثقة كاملة بالوساطة السعودية، فيـما أعربت مـصادر بحرينيـة أخرى عن تفاؤلهـا بنتائج هذه الوسـاطة. وكانت البحرين وقطر قـد أصدرت كل منها بيانا رسـميا واحدا منذ النزاع بينهـما بصورة علنيـة عقب اسـتيـلاء قطر فى السادس والـعشـرين من أبريل على جزيرة فـشت الديبل. وقد تعهدت البحرين بضبط النفس على الرغم مما اعتبرته انتهاكا لسياستها بينما ذكرت قطر أنه كان لزاما عليها أن تتـخذ إجراء ما لأن البحرين كانت تنشىء مركزا لخفر السواحل وأنها كانت تقيم لها وجود فى أرض متنازع عليها(1).

توقعت مصادر سـياسية فى الكويت عقد قمـة طارئة فى وقت قريب لإنهاء الخلاف القطرى البـحرينى حول جـزيرة «فشت الديبل» بعـد أن بات هذا الخلاف

---

(1) الخليج _ 19/ 5/ 1986.

يهدد كيان مجلس التعاون حسب ما قالته هذه المصادر. وأضافت المصادر أن تحرك دول مجلس التعاون لإنهاء الخلاف سوف يأخذ منحا جديدا للحقة الأحداث المتصاعدة فى أضيق نطاق ممكن. وقالت المصادر إن هناك اتجاهًا لتجاوز مؤتمر وزراء خارجية دول التعاون إلى عقد قمة طارئة فى الرياض لحسم الخلاف الذى لم يعد يهدد فقط العلاقات البحرينية ـ القطرية وإنما كيان مجلس التعاون. وقالت أيضا إن الخلاف بين الدولتين الشقيقتين يمثل أول تحد حقيقى لمجلس التعاون وأشارت إلى أن الجهود التى بذلت خلال الفترة الماضية والمتمثلة فى الزيارات التى قام بها أكثر من مسؤول من مجلس التعاون وعدم الوصول إلى مرحلة الاشتعال إلا أن الحل النهائى للمشكلة لن يتم الوصول إليه. وأكدت أن أى تصاعد فى الموقف بين قطر والبحرين سوف يؤثر تأثيرا سلبيا على جهود دول مجلس التعاون خاصة أن اجتماعات دول المجلس سبق أن وضعت الإطار المناسب لحل الخلافات والمنازعات التى قد تحصل بين دول المجلس بحيث يتم حل الخلافات سلميا عن طريق الحوار وتدخل باقى الدول فى الموضوع كأطراف محايدة تعمل على إزالة الخلاف وإعادة العلاقات الطبيعية وبالنسبة للجزيرة المتنازع عليها فقد سبق كذلك أن وضع مجلس التعاون صيغة محددة لإنهاء الخلاف إلا أن الوضع الذى برز بين قطر والبحرين نسف الجهود فى مجلس التعاون خاصة بعد تصاعد حدة التوتر، ومن جهة أخرى وصل وزير التربية والتعليم القطرى الشيخ محمد بن حمد آل ثانى إلى السعودية لتسليم الملك فهد رسالة من أمير قطر الشيخ خليفه بن حمد آل ثانى. وقالت وكالة الأنباء القطرية أن الرسالة تتعلق بالعلاقات الأخوية القائمة بين السعودية وقطر والقضايا ذات الاهتمام المشترك[1].

حل الخلاف الحدودى القطرى ـ البحرينى

أعلنت السعودية ـ أن الملك فهد حصل على موافقة دولتى قطر والبحرين

(1) الخليج 20/ 5/ 1986.

على الأسس التى اقترحتها لحظة العمل الفورى لإزالة أسباب الخلاف حول جزيرة فشت الديبل والحدود البحرية بين البلدين. وقال الشاعر وزير الإعلام السعودى أن الملك فهد أكد خلال اجتماع مجلس الوزراء السعودى الليلة قبل الماضية أن السعودية، ستستكمل جميع الإجراءات اللازمة لعودة الأمور إلى طبيعتها وعودة الأجواء إلى صفائها الدائم فى منطقة الخليج العربى. وأضاف الشاعر فى تصريح وزعته وكالة الأنباء السعودية أن الملك فهد أعرب عن تقدير بلاده للروح الإيجابية الأخوية التى أبداها الأشقاء فى البلدين ولكل ما أسهم به الأشقاء قادة دول مجلس التعاون فى هذا الصدد. وأوضح الشاعر أنه تم التوصل إلى هذا الاتفاق فى أعقاب تسليم الملك فهد رد قطر فى رسالة من أميرها الشيخ خليفه بن حمد آل ثانى نقلها وزير التربية والتعليم القطرى. مشيرا إلى أن البحرين كانت قد استجابت فى وقت سابق لمقترحات التعاون العربية الأخرى قد بذلت جهودا حثيثة لمنع تفاقم خلاف البلدين الشقيقين وقام وزراء سعوديون بزيارات مكوكية متصلة للدوحة والمنامة. أكدت مصادر من مجلس التعاون أنّ حل أزمة «فشت الديبل» بين قطر والبحرين قد وصل إلى مراحله الإجرائية الأخيرة. ومن المتوقع أن يصل مراقبون من مجلس التعاون إلى البلدين للإشراف على إنهاء الخلاف على المناطق البحرية والبرية بين البلدين. وأن الأمين العام لدول مجلس التعاون وعددا من المسئولين بالمجلس سيتوجهون إلى البحرين وقطر فى نطاق إبرام التسوية النهائية بين البلدين. وأشارت المصادر المطلعة أن التواجد العسكرى فى المناطق البحرية المتنازع عليها قد بدأ بالفعل فى الانخفاض مما قلل من احتمالات المواجهة بين البلدين الشقيقين(1).

أرجعت المصادر نفسها النجاح فى تطويق الأزمة إلى الجهود التى بذلها ملك المملكة العربية السعودية، إلى جانب الجهود الطيبة التى بذلها قادة دول مجلس

---

(1) الخليج _ 21/ 5/ 1986.

التعاون لحل هذه الأزمة التى طرأت على العلاقات بين قطر والبحرين وقال مصدر مطلع فى المنامة أن ضبط النفس وعدم تصعيد الموقف قـد ساهما إلى حد كبير فى الوصول إلى هذه النتيجة الإيجابية وتجنب منطقة الجزيرة العربية للآثار السلبية التى تتركها أية خلافات تشوب العلاقات بين الأشقاء وتؤثر على كيان مجلس التعاون. الذى يحـرص الجمـيع على دعـمه وتـعزيزه. وكـان على الشـاعر وزير الإعـلام السعودى قد أشار إلى موافقة قطر والبحـرين على خطة اقترحها العاهل السعودى لحل الخلاف بين الشقيقتين بما يصون المصلحـة المشتركة للجميع. ومن جهة أخرى أكد نائب رئيس الوزراء وزير الخارجية الكويتى. انتـهاء الخلاف بين قطر والبحرين حول جزيرة (فشت الديبل) وقـال للصحفيين سيتم إعـادة الوضع إلى ما كان عليه فى السابق. وأضاف أن الأمـين العام لمجلس التعاون سيقـوم بزيارة قطر والبحرين لتنفيذ الاتفاق الذى تم التوصل إليـه لإنهاء الخلاف بين البلدين. وأشار إلى أنه لن يكون هناك اجتماع طارىء لوزراء خـارجية دول التعاون خلال شهـر رمضان لهذا الغرض(1).

وصلت إلى كل من قطر والبحرين اللجنتان العـسكريتان المكلفتان بالإشراف على تنفيذ الاتفاق الخاص بانتهاء الخلاف الدولتين حول جزيرة فشت الديبل وإعادة الأمور إلى ما كانت علـيه قبل بدء الخلاف فى 26 أبريل وتضم كل لجنة عسكرية ستة مراقبين عسكريين من كل من الإمارات والسعودية والكويت وعمان. وأن قطر بدأت بالفعل فى سحب تعـزيزاتها العسكرية التى كانت قد أقامـتها على الشاطىء الغربى كما أنها أنهت بالفعل الحظر العسكرى الذى كـانت قد فرضته حول المنطقة محل النزاع(2).

---

(1) الخليج ـ 22/ 5/ 1986.

(2) الاتحاد ـ 24/ 5/ 1986.

علمت أن الاتفاق الذى سيستغرق تنفيذه ما بين أسبوع وأسبوعين يتضمن انسحاب القوات القطرية من جزيرة فشت الديبل كما أنه من المقرر إرجاء النظر فى مسألة النقطة الحدودية التى يجرى العمل فيها بالجزيرة إلى مفاوضات لاحقة وقالت مصادر أن وحدات خفر السواحل البحرينية ستواصل دورياتها حول الجزيرة كما كان الأمر من قبل الخلاف. وبعث العاهل السعودى الملك فهد برسالتين إلى كل من الشيخ خليفه بن حمد دولة قطر والشيخ عيسى أمير دولة البحرين وحمل الرسالتين الدكتور عبد العزيز الخويطر وزير المعارف السعودى خلال زيارته إلى كل من الدوحة والمنامة. ولم يكشف النقاب عن مضمون الرسالتين إلا أنه من المعتقد أنهما تتعلقان بحل خلاف فشت الديبل وإجراءات تنفيذ اتفاق الحل والتى يتم فى نطاقها زيارة الأمين العام لمجلس التعاون للدوحة والمنامة والتى يرافقها تمركز اللجنتين العسكريتين من دول المجلس والتى تشمل مهمتها مراقبة خفض القوات المسلحة للبلدين فى مناطق الحدود. وفى وقت لاحق زار وزير المعارف السعودى الكويت وسلم رسالة من الملك فهد إلى أمير دولة الكويت(1).

قالت صحيفة الشرق الأوسط إن الملك الحسن الثانى بعث ثلاث برقيات إلى الملك فهد بن عبد العزيز وأمير البحرين عيسى بن سلمان وأمير قطر الشيخ خليفه بن حمد تتعلق بجزيرة (فشت الديبل) الواقعة فى الخليج العربى. وأضافت الصحيفة أن العاهل المغربى أشاد فى رسالته إلى العاهل السعودى بالجهود التى قام بها (الملك فهد) لحل الخلاف الذى نشب مؤخرا بين قطر والبحرين حول جزيرة (فشت الديبل). وقال فى رسالته أنه خامره السرور بالنجاح الكبير والمساعى الحميدة التى قام بها العاهل السعودى للقضاء على أسباب الخلاف الناشىء بين الشقيقتين قطر والبحرين بسبب الحدود البحرية وكانت دول مجلس التعاون الست وفى مقدمتها العربية السعودية قد سارعت عقب نشوب الخلاف بين قطر والبحرين

(1) الاتحاد 24/ 5/ 1986.

فى شهــر أبريل لرأب الصدع فى الخلاف المزمن بين الدولتـين حول مجمـوعة من الجزر المرجـانية تتـوسط ميـاه البلدين فى الخليج العـربى. وبعث العاهل المغـربى برقيتين مماثلتين إلى أمير قطر والبحرين وأعرب فيهما عن ارتياحه للنتائج الإيجابية التى تم التـوصل إليها فى الخـلاف بين الدولتيـن الجارتين. وأعرب الملـك الحسن الثانى فى البرقيتين عن سروره لما وصلت إليـه الجهود التى بذلها العاهل السعودى من أجل إنهاء هذا الخلاف[1].

حدث تطور فيـما يتعلق بالخلاف الحـدودى بين البحرين وقطر فـقد كشف الملك فـهد بن عـبد العـزيز عاهل المملـكة العربيـة السعـودية الذى يرعى جهـود الوساطة بين البلـدين بأن الاتفاق الذى تم التوصل إليـه بين الجانبين يحـوى مادة تقول أنه وفى حال أى خلاف يحتكم الطرفان لمحكمين دوليين كل يقدم مستنداته. وقرار المحكمة سيكون مقبولا ويشمل الخلاف الطارىء بين البلدين. وأعرب الملك فهـد فى مقابلة مع جريدة السـياسة الكويتيـة عن قناعته بعـدم اللجوء إلى تحكيم دولى فـالنوايا عند كلا الطرفـين حسنـة فلذلك فإن نهـاية أى أشكال يصبح أمـرا سهلا. وقال بأن الطرفين طلبا من السعـودية إنهاء الأزمة العارضة. وأن السعودية تريد أن تكون الحلول غيـر مفروضــة على الطرفين بل مقـبولة منهمـا حتى يكون للوساطة طعم العدالة. وأن هذا البند هو الذى عرقل الانسحاب العسكرى القطرى من جزيرة فشت الديبل الذى كـان من المقرر أن يكتمل تحت إشراف هيئـة المراقبة والإشراف. المشكلة من مجلس التعاون[2].

طلبت قطر إضافـة بند فى الاتفاق الذى أبرمته السـعودية بين البلدين ينص على أن قطر تحـتفظ لنفـسـها الحق برفض أى قـرار تتخـذه لجنة التـحكيم المزمع تشكيلها من قبل السـعودية عقب تحقيق الانسـحاب. ما لم يتماشى مع مصـالحها

(1) الخليج 26/ 5/ 1986.

(2) الخليج 2/ 6/ 1986.

وكذلك بحقهـا فى عرض النزاع على محكمة لاهاى الدولية. أكـدت تجاوبها التام مع الوسـاطة السـعودية والإسـهام إلـى أقصى الحـدود فى إنجـاحهـا واعطاء هذه الوساطة الفـرصة الكاملة للوصول إلى غـايتها فى إعادة الأمـور إلى طبيعتـها بين البلدين. كـما أكـدت البحـرين ثقـتهـا بالقرارات التى تـصدر عن لجنة التـحكيم السعودية. غير أنها تشـددت على أنه إذا تمت إحالة النزاع إلى المحكمة الدولية فإن البحرين تتـمسك بالنظر فى القضية بشكل كامل ومن جـميع زواياها ويشمل ذلك مطالبـة البحـرين بالزيادة التى تقع عـلى الساحل الغـربى من شـبه جـزيرة قطر. وأشارت هذه المصادر إلى أن البحريـن كانت تحكم الزبارة وأنها لم تتنازل عنها قط لقطر. وأن لديهـا وثائق ومسـتندات تؤكد ملكـيتهـا لها. كـما أن لدى عـدد من المواطنين البحريـنيين وثائق بملكيتهم لأراض فى تلك المنطقـة إضافة إلى أن الآثار التاريخيـة الموجودة فى الزبارة كالقلعة التى بناها الشـيخ محمد بن خليـفه فى عام 1770 مـا زالت هناك مـوجودة وتشكـل شاهدا على تـواجد وحكم آل خلـيفـه للزبارة. وتمتلك البحرين عـقد ميثاق أبرمتـه مع بريطانياً فى عام 1861 واتفاقيتين أبرمتهـما معها فى 1880 و1882 تعهدت بريطانيـا بموجبها بالدفـاع عن البحرين وشمل ذلك جزر حوار. من ناحـية أخرى علمت «الخليج» بأن قطر طالبت بإزالة الجزيرة الصناعـية فى فشت الديبل كشـرط لسحب قواتها من الفـشت. وقد ردت البحرين بأن قرار إقامة المنشآت فى الفشت لم يتخذ من قبلها وحدها وإنما من قبل اللجنة العسكرية بمجلس التـعاون وبموافقة قطر التى سـاهمت أيضا فى تمويل هذا المشـروع. وبالتالى فـإن قرار إزالة تلك المنـشآت يرجع إلى اللجنة نفـسهـا، وأن البحرين ليس لديها مانع فى ذلك(1). وبالفعل باشرت القوات القطرية بإزالة تلك المنشآت والرمال والصخور من الفشت.

استؤنفت عملية الانسـحاب القطرى التى من المؤمل أن يتم الانتهاء منها مع

---

(1) الخليج ـ 2/ 6/ 1986.

مطلع الأسبوع المقبل بحيث يترك «الفشت» خاليا. وكانت قطر قد نقلت صواريخ مضادة للطائرات ومدرعات إلى الفشت في أعقاب إنزالها العسكرى في الجزيرة يوم 26 من أبريل. من جهة أخرى علمت بأن الاتفاق المبرم بين البلدين يقضى بتنازلهما عن موقفيهما بحيث تسحب قطر قواتها من الفشت في مقابل إزالة الجزيرة الصناعية من عليها. كما ينص على أن تقوم البحرين بتخفيف تواجدها العسكرى في جزيرة حوار في مقابل أن تقلل من حشودها العسكرية على سواحلها المقابلة للبحرين. وكذلك يتم تقليص التواجد العسكرى البحرى بين البلدين بحيث يقتصر على سفن الدورية والحراسة كما كان قبل يوم 26 أبريل الماضى وذلك لتجنب حدوث أى تصادم عسكرى بالخطأ وإبعاد احتمالات المواجهة المسلحة بين الدولتين. وكان البلدان قد وقعا على اتفاق برعاية السعودية لإعادة الأمور إلى ما كانت عليه قبل 26 أبريل ونص على ثلاث نقاط. الأولى تقضى بانسحاب القوات القطرية من الفشت وإعادة الوضع العسكرى في حوار والسواحل القطرية والمياه واللجوء إلى سابق عهدها. والثانية تؤكد على عدم استخدام القوة بين البلدين. والثالثة منع الإثارة والحرب الإعلامية بينهما(1).

تفيد مصادر ملاحية في الخليج بأنه على الرغم من التوقيع على هذا الاتفاق إلا أن الأجواء التى سبق وأن حظرت قطر استخدامها ما زالت معلقة. كما أن الصيادين البحرينيين لا يقتربون من تلك المنطقة. وأبلغ مسئول بحرينى بأن زيارة أمير البحرين لمكة المكرمة كانت لأداء مناسك العمرة بالدرجة الأولى. إلا أنه انتهز هذه الفرصة لإجراء محادثات مع الملك فهد حول النزاع حيث أبدى الشيخ عيسى استعداد البحرين للتجاوب التام مع الجهود السعودية والإسهام في إنجاح وساطتها. وقد كانت تلك المحادثات صريحة للغاية وناجحة جدا. أما فيما يتعلق بالجولة التى قام بها الشيخ محمد بن مبارك آل خليفة وزير الخارجية البحرينى لكل من الكويت

(1) الخليج _ 2/ 6/ 1986.

والإمارات وعمان. فإنها كانت تـهدف نقل شكر وامتنان البحرين لمواقف قادة هذه الدول إزاء هذه الأزمـة وكـذلك اطلاعـهم عـلى التطورات الأخـيـرة حـول هذا الموضوع. وقالت مصادر علميـة فى الرياض بأن السعودية تمارس ضغوطا على كلا البلدين لابداء المزيد من المرونة والوصـول إلى حل يرضى الطرفين. وتـضيف هذه المصادر بأن البحرين لم تحدد مدة زمنية لنجاح الوساطة السعودية لكنها مصرة على إعادة الأوضاع إلى ما قبل 26 أبريل فى أسرع وقت ممكن. فى حين أن قطر تريد حسم الموضوع فى أسرع وقت ممكن. وأكدت بأن البحرين متمسكة بحقها فى جزر حوار وأن موقفـها المبدئى هو عدم التنازل عنها، وأنه غيـر صحيح ما تردد من أن السعودية عرضت على البحرين ترك تلك الجزر خالية مقابل منحها تعويضات مالية سنوية[1].

يدور الخلاف بين البحرين وقطر منذ سنوات على جزر حوار ومجموعة جزر صغيـرة تحيط بها. وتوجـد فى هذه الجزر حاليا منشـآت مدنية وعسكرية بحـرينية ومحطة لتـوليد الكهرباء. وأرض يـملكها مواطنون بحـرينيون. وتجرى قـوة دفاع البحرين مناورات عسكرية فى تلك المنطقة مـرتين سنويا وذلك نظرا لصغر مساحة البحرين الجغرافية. ونفى دبلومـاسى من مجلس التعاون ما يتردد من أن هذه الجزر مرتبطة بحقول النفط القطرية. مشيـرا إلى أن شركات بريطانية نقبت عن النفط فى تلك المنطقة فى الخمسنيات لصالح البحـرين دون أن تحصل على نتائج مشجعة فى ذلك الوقت. كما أن قطر نقبت منذ سنوات فى المناطـق القريبة من حوار ولـم تجد فيها النـفط مما يدل على عدم ارتباط الجزر بحقول النفط القطـرية. وأكدت مصادر مطلعة أن التركيبة الجيولوجية لحوار وفشت الـديبل شبيهة بتركيبة جزيرة البحرين. كما أن آبار المياه أسفل البحرين فى تلك المناطق متصلة بالجزيرة الأم ولا علاقة لها بقطر. وقد أعرب مـسؤول من مجلس التعاون عن قلقه لاسـتمرار النزاع بين قطر

(1) الخليج ـ 2/ 6/ 1986.

والبحرين. ولعدم قدرة مجلس التعاون فى احتواء هذه الأزمة مما وضع هذه المؤسسة في موقف حرج أمام مواطنى المنطقة. وأشار إلى أن السعودية تحركت بشكل فردى وأن دور المجلس فى جهود الوساطة لا يعدو كونه دورا رمزيا. وواضح بأن حل هذا الخلاف لا يمكن أن يتم إلا بقبول البلدين بمبدأ التحكيم بحيث تشكل لجنة تحكيم محايدة يوافق عليها الطرفان ويكون حكمها ملزما لهما. وقال بأن الخلاف البحرينى القطرى سيكون على رأس جدول أعمال المجلس الوزارى لدول مجلس التعاون الذى سيجتمع بالرياض فى 28 يونيو 1986[1].

زائر كل من قطر والبحرين يلمس لأول وهلة حين تطأ قدماه أرض البلدين، أن الأمور عادت إلى حالتها الطبيعية فى الممرات المائية والجوية فى المنطقة، بعد أسابيع من القلق الناجم عن تجدد الخلاف الحدودى بين الدولتين الشقيقتين الذى ظهر على السطح فى السادس والعشرين من أبريل حول جزيرة فشت الديبل. وكانت قطر والبحرين وافقتا على الأسس التى اقترحها الملك فهد بن عبد العزيز لحظة العمل الفورى فى مبادرة أخوية منه لإزالة الخلاف الطارىء على قضية الحدود البحرية بينهما حيث أعلن العاهل السعودى فى جلسته فى التاسع عشر من مايو وقامت الأمانة العامة لمجلس التعاون بتولى الإشراف على تنفيذ مراحل الحل. وبدأت مسيرة انفراج الأزمة عندما أطلقت قطر سراح العمال الذين احتجزتهم قواتها، التابعين للشركة الهولندية «بالاست نيدام» التى كانت تنفذ مشروعا لإنشاء محطة رادار للرقابة البحرية لخفر السواحل البحرينية. وجاء إطلاق سراح هؤلاء العمال بعد 17 يوما من احتجازهم أثر نجاح المبادرة السعودية ووصول الأمين العام لمجلس التعاون فى نطاق جولاته فى العاصمتين القطرية والبحرينية للاجتماع مع قادة البلدين للتباحث حول خطوات تنفيذ الاتفاق الذى تم التوصل إليه وابرام التسوية النهائية بين البلدين[2].

---

(1) الخليج ـ 4/ 6/ 1986

(2) المجلة ـ العدد ـ 330 بتاريخ 4/ 6/ 1986.

ومع نهـاية الأسبـوع الرابع من بدء الخلاف جـاءت الموافقـة على استـئناف صيادى الأسماك فى البلدين عملهم فى المواقع البحرية الواقعة بينهما، وقد وجدوا فى ذلك تأكـيدا عـلى عودة الأمـور إلى اسـتقـرارها الطبـيعى، ويـتبـقى أن تتم انسحـابات بقية القوات تـدريجيا من منطقة الجـزر تحت إشراف الهيـئة التى بدأت ممارسة مسـؤولياتها اعتبـارا من الخامس والعشرين من مـايو الذى صادف الذكرى الخامـسة لقـيام مـجلس التعـاون وتنفست المنطـقة الصعـداء مع انسحـاب طلائع الوحدات العسكرية من مـواقعها فى الجزر الحدودية تباعـا تحت اشراف لجنتين من مراقبين عسكريين من المملكة العربية السـعودية والكويت والإمارات العربية المتحدة وسلطنة عـمان، احـداهـما فى البـحرين والأخـرى فى قطر، وينتظر أن تفـرغ اللجنتان من مهمامها فى غضون أيام[1].

اجواء طبيعية:

يمكن فى الأيام القائظة التى يشتد فيها ارتفاع معدل درجة الحرارة فى الخليج التنقل بين البلدين بصـورة طبيعيـة لا تشير إلى أن خـلافا قد مر بأجـواء المنطقة. فليست هناك إجراءات نوعـية إضافية على الركاب القادمـين جوا إلى أحد البلدين من البلد الآخـر، وقد تـكون الإجراءات عـادية إن لم تكن أكـثر إثارة للراحـة. وستظل الحال عادية لدى المسـافر بين البلدين كما هى فى السابق، غيـر إنه سيتنبه إلى الدقائق الـ15 الإضافية التى سيسـتغرقها زمن الرحلة على ارتفاع 15 ألف قدم عن سطح الخليج العربى وذلك بفـعل الانعطاف جهة اليـمين فى الطريق إلى قطر وجهة اليسار فى الطريق إلى البحرين قليلا عن أجوائها جزر حوار بسبب ما فرض من حظر على اجوائها أمام الملاحـة الجوية، وهو انعطاف ظل طيلة شهر من بداية الخلاف غـير ذلك لا يوجد مـا يثير التـحسب. فبـالمقدور التعـامل بعملة أى من البلدين فى البلد الآخر تعاملا شعبيا، والتحدث بالهاتف من أى منهما مع أى كان

(1) المجلة ـ العدد ـ 330 ـ بتاريخ 4/ 6/ 1986.

فى القطر الثانى، مسؤولا أو مواطنا دونما تحسب أما صحف البلدين فقد تجنبت اثارة الخلاف وتطوراته مفسحة المجال لإبراز المعطيات الإيجابية المتوالية للمساعى الودية لإنهائه. ويمكن التحدث عن الأزمة مع المواطنين وهم يجدون فيها ما لا يبرر استمرارها ويصرحون بسعادتهم لتوصل إلى حل لها مشيرا إلى الجهود المبذولة فى هذا المجال، ومنهم من يؤكد إنه لا يعلم كيف سيتمكن لو استمر الخلاف من تلبية الحقوق العائلية، فأسر كثيرة موزعة بين البلدين، ومعظم العائلات فى أى من القطرين الشقيقين لها جذور فى البلد الآخر(1).

يذكر مواطن بحرينى، إن بعض افراد عائلته يعمل فى الجيش القطرى وآخرين يعملون فى معظم قطاعات القوات المسلحة وقطاعات أخرى وهو يستبعد جميع الاحتمالات لنشوب مواجهة مسلحة سواء على المدى القريب أو البعيد وتاريخ عائلات البلدين يكشف عن وجود الكثير منها موزعا بينهما وعلى اتصال دائم ولكل من القسمين جنسية أخرى. من تلك العائلات الكبيسى والمناعى والسويدى والكوارى، حتى إن عائلة آل خليفة الحاكمة انتقلت إلى البحرين بعد أن أقامت فى قرية الزبارة القطرية - إلى الشمال الغربى من الدوحة العاصمة على الساحل الغربى بقطر وهى قرية تقع إلى الشمال الشرقى من جزيرة حوار - وغير هذه عديد من العائلات مواطن قطرى - اثنان من اخوته بحرينيان - يشير إلى أن هذه واحدة من أخطر مخلفات الاستعمار، وقد اراد لقطر والبحرين أن تعيشا هذه التجربة المريرة كما أريد لمعظم الدول العربية مثل مصر والسودان والجزائر والمغرب والكويت والعراق وبقية أخرى وذلك تقليد فى الاستعمار البريطانى خاصة الذى لم يشأ ترك منطقة وصل إليها دون أن يزرع نواة للخلاف فكان يحرص على غرز نقاط توتر دائمة فى المنطقة قبيل انسحابه(2).

---

(1) المجلة - العدد 330 بتاريخ 4/ 6/ 1986.

(2) المجلة - العدد 330 بتاريخ 4/ 6/ 1986.

خلفية تاريخية

يقول مؤرخون سياسيون إن الخلاف حول الجزر بين ألبحرين وقطر نشب فى عام 1868 وهو التاريخ المقترن بمعاهدة الحماية البريطانية، أن ثارت المشكلة آنذاك حول ملكية مجموعة من الجزر المحيطة بهما وأهمها جزر حالول وشراوتة وحوار ويذكر أخرون أن قضية النزاع الحدودى بينهما ترجع إلى بداية تقسيم الحدود ابان عهد الاحتلال البريطانى، وتوقيع بريطانيا وتركيا اتفايتهما عام 1913 لرسم الحدود السياسية لشرق الجزيرة العربية وتقسيم المنطقة بين الدولتين المحتلتين فى ذلك الوقت ولم يكن النزاع عبر تاريخه، إلا هادئا. فأمر الجزيرة (حوار) ظل بلا حل ولم تعر الدولتان المشكلة اهتماما كبيرا فى السنتين الأوليتين بعد الانسحاب. لكن الجزيرة استقطبت اهتمام الحكومتين كمنطقة حدودية، وأخذت بعدا كبيرا فى الخمسينات مع ظهور النفط وتزايد الشعور بأهمية كل قطعة من أرض شرق الجزيرة العربية. فبدأت مطالبة كل منهما بحقها فى جزيرة حوار والجزر الصغيرة المجاورة لها. وظل الهدوء يسود أجواء الجزر حتى السادس والعشرين من أبريل بقيام القوات القطرية بعملية إنزال كرد فعل لبناء البحرين لمحطة مراقبة لخفر السواحل فى الفشت (الفشت معروف فى الخليج العربى بهذا الاسم وهو يعنى الجزيرة التى يطمرها ماء البحر فى حالات المد) وقد اعتبرت الحكومة القطرية ذلك خروجا على اتفاق سابق واحتجزت العمال الواحد والثلاثين وبرغم هذه الحوادث التاريخية فى ملف المشكلة الحدودية إلا أن الاعتقاد لايسود بأن حوار والجزر المجاورة لها كجزيرة فشت الديبل المرجانية، ستكون سببا فى قطيعة دائمة. فالدولتان بحكم عضويتهما فى مجلس التعاون ترتبطان بالعديد من الاتفاقيات التى لاتعطى الفرصة للجوء إلى الحلول العسكرية، إلى جانب مابين الشعبين من روابط الدم والدين واللغة والحوار، وجانب السعي الأخوى لقادة دول مجلس التعاون لوضع نهاية سلمية ودودة. ويبقى مجلس التعاون أحد أهم الضمانات لعدم وقوع مواجهات

خطرة، وكما قال المواطن القطرى المسن ذو الستين عاما «لايهمنى كمواطن أن تمسى هذه القطعة من الأرض أو تلك بيننا وبين أشقائنا قطرية أو بحرينية لأن المآل الأخير للأمر تذوب فيه الحدود كلها ليستمر الشعب واحدا»[1].

بدأت قطر سحب قواتها من فشت الديبل فى الوقت الذى بدأت البحرين سحب التعزيزات التى أرسلتها أخيرا إلى جزر «حوار» وأوضحت مصادر مطلعة أن عملية انسحاب القوات القطرية من فشت الديبل «ستستغرق حوالى أسبوع. وأنه مع انتهائها ستقوم الحكومة البحرينية بإزالة المنشآت التى بدأت فى اقامتها على الجزيرة. وستخفف وجودها على أرضها بحيث يعود الوضع إلى ما كان عليه قبل 26 أبريل. وهو اليوم الذى انزلت فيه قطر قوات عسكرية واحتجزت ثلاثين عاملا أجنبيا كانوا يشرفون على إقامة هذه المنشآت، وأضافت المصادر أن الحظر البحرى والجوى الذى فرضته قطر على فشت الديبل سيرفع فور استكمال عملية انسحاب القوات وحول الأنباء التى ترددت أخيرا عن احتمال إحالة النزاع إلى التحكيم الدولى قالت المصادر الخليجية أن البحرين تفضل اللجوء إلى هيئة فض المنازعات لمجلس التعاون نظرا لفهمها للواقع فى مجلس التعاون. كما ترى ضرورة منح الوسيط السعودى الثقة والوقت اللازمين لضمان نجاح وساطته، بسبب خصوصية أوضاع المنطقة ولأن حدود كل دولة فى الجزيرة العربية لايمكن أن تكون واضحة لأى وسيط دولى قد يكلف بالتحكيم خصوصا أنه لم تكن هناك فى السابق خطوط محددة واضحة للتخوم والمصالح على غرار ماهو معروف فى مناطق أخرى من العالم[2].

ألغت دولة قطر الحظر الذى كانت فرضته على منطقة فشت الديبل المتنازع عليها مع البحرين فى بداية الخلاف بين البلدين قبل أكثر من شهر وأصدرت

---

(1) المجلة ـ العدد 330 ـ بتاريخ 4/ 6/ 1986.

(2) الخليج ـ 6/ 6/ 1986.

الحكومة بيانا جـاء فيه أن منطقة فشت الديبل تعـتبر منطقة غيـر محظورة لمرتاديها اعتـبارا من منتصف الليلة ويعـد البيان تنفـيذا للاتفاق الذى تم التـوصل إليه بين البلدين الشقيقين بفعل الوساطة السعودية مجلس التعاون(1).

سحب القوات العسكرية من الجزيرة

قال مصدر قطرى مطلع فى الدوحة أن البحـرين وقطر بدأتا عمليات متزامنة لتقليل حـجم قواهما فى المناطق الحـدودية المتنازع عليها وذكـر المصدر القطرى أن تقليل القوات القطرية من فشـت الديبل والقوات البحرينية من جزر حـوار القريبة بدأ بعد أن شرعت البحرين فى تفكيك أعمـال تشييد فى فشت جراده وهى جزيرة مرجانيـة أخرى متنازع عليهـما تبعد ميلين إلى الجنوب الغـربى من فشت الديبل. وذكر المـصدر أن العـمل فى فشت جـراده ان يتضـمن إنشاء منصـة عائـمة لخـفر السواحل البحرينى وأعمال تجريف وتطهير لتحويل الجزيرة المرجانية إلى جزيرة من صنع الأيدى العاملة وقالت إن «انسحابا كاملا لقوات القطرية من فشت الديبل لن يتحقق سوى بعد تفكيك جميع أعمال التشـييد والتجريف والتطهير التى قامت بها البحرين خلال الشهور الستة أو السبـعة الماضية. وأضاف قوله أن وفدا من المراقبين من أمانة مجلس التعاون والدول الأعضـاء الأربعة الآخرين تتولى بالفعل الاشراف على عمليات التفكيك من فشت جراده كما تقوم بوضع القواعد الأساسية للتفكيك فى فشت الديبـل والذى قال انه سيـبدأ قريبـا ووصف المصدر التطور الأخـير بأنه خطوة أولى على الطريق لحل الـنزاع، وأضاف قـوله أنه خفف إلى حـد ما حـدة التوتر(2).

أشار المصدر إلى أن لجنة وزارية تمثل البحرين وقطر والسعودية التى تزعمت

(1) الخليج ـ 6/ 6/ 1986.

(2) الخليج ـ 7/ 6/ 1986.

«الوساطة ستجتمع قريبا ولكنه لم يحدد موعد أو مكان الاجتماع وذكر أنه إذا *اخفقت جهود الوساطة، فإن قطر ستحاول عرض الخلاف على التحكيم الدولى.* مازالت شركة (بلاست نيدام) الهولندية تقوم بعملية مسح وتنظيف لجزيرة فشت الديبل تحت إشراف السفينة الحربية السعودية وذلك بعد انسحاب القوات القطرية منها. من جهة أخرى علمت بأن ماتردد عن تشكيل لجنة ثلاثية تضم البحرين وقطر بالإضافة إلى السعودية للنظر فى الخلاف غير وارد حاليا. وأن الخطوة السعودية التالية فى وساطتها بين البلدين لن تبدأ إلا على ضوء مناقشات المجلس الوزارى لدول مجلس التعاون للقضية فى يونيو 1986(1).

علمت من مصادر مطلعة فى الرياض أن الأمير سعود الفيصل وزير الخارجية السعودى حمل إلى كل من البحرين وقطر افكارا ومقترحات جديدة فى إطار الجهود المبذولة لحل النزاع الحدودى القائم بين البلدين ونفت هذه المصادر ما تردد حول اجتماع ثلاثى وشيك بين البحرين وقطر بحضور السعودية لبحث هذا الموضوع. وكشفت المصادر أن السعودية شكلت لجنة تحكيم خاصة لبحث النزاع، غير أن اللجنة لم تتصل بطرفى النزاع بعد، وستبدأ عملها قريبا. وأكدت المصادر بأن نزاعا من هذا النوع يتعلق بترسيم الحدود ومسألة السيادة لايمكن حسمه من خلال اجتمعات للجان وزارية أو فنية، بل إنه يحسم أو يتخذ بشأنه قرار على مستوى رؤساء الدول. واستبعدت فى نفس الوقت أن يعقد لقاء ثلاثى بين أميرى البحرين وقطر والعاهل السعودى لبحث هذه المسألة. وقالت بأن الأمل معقود على مؤتمر قمة مجلس التعاون المقرر عقده فى أبوظبى خلال نوفمبر لحل الخلاف بين البحرين وقطر أو اتخاذ قرار بذلك. وأوضحت المصادر إلى أنه خلال الاجتماع الوزارى لمجلس التعاون فى الرياض مؤخرا تمت مناقشة النزاع والتأكيد على خطورة مبدأ استخدام القوة لحل الخلافات بين الدول الأعضاء. وقد بذلت

---

(1) الخليج ـ 19/ 6/ 1986.

محـاولات لتسجيل هذا الموقف فى البيان الختامى للاجتماع. إلا أن دولة قطر أصرت على أن يظل الأمر خارج نطاق مجلس التعاون. طالما أن السعودية تقوم لوحدها بدور الوسيط بين البلدين.. وقد تم التوصل إلى حل وسط وهو تضمين البيان الختامى إشادة بجهود الملك فهد للوساطة بين قطر والبحرين[1].

عرض الخلاف على المحكمة الدولية

ترأس الملك فهد بن عبدالعزيز اجتماع مجلس الوزراء الذى أطلع المجلس على نص البيان الذى بعث به إلى كل من الشيخ خليفة بن حمد آل ثانى أمير دولة قطر الشيخ عيسى بن سلمان آل خليفة أمير دولة البحرين حول الخلافات بينهما. وقال على الشاعر وزير الإعلام السعودى عقب الاجتماع إن الملك فهد أطلع المجلس كذلك على الاتصالات المكثفة التى أجرتها السعودية مؤخرا عبر القنوات الدبلوماسية مع كل من الدولتين الشقيقتين قطر والبحرين وذلك فى نطاق المساعى المبذولة لتقريب وجهات النظر بينهما. وأعلن على الشاعر نص بيان الملك فهد بن عبدالعزيز.. وفيما يلى النص:

انطلاقا من حتمية الروابط الودية القوية التى تربط البلدان العربية فى الجزيرة العربية بالذات بصلات خاصة. وتعزيزا للأواصر الأخوية المتينة التى تربط بين دول المنطقة واستجابة لرغبة كريمة من الدولتين الشقيقتين دولة البحرين ودولة قطر قامت السعودية بمساع حميدة هادفة إلى التوفيق بين الدولتين الشقيقتين فى موضوع الخلاف القائم بينهما وقد أسفرت الاتصالات التى قامت بها السعودية مع البلدين الشقيقين عن اقتراح تقدمت به السعودية ووافق عليه البلدان بعرض الموضوع للتحكيم. وذلك انطلاقا من المبادئ المكونة لإعطاء الحل والتى سبق الاتفاق عليها بين الدولتين الشقيقتين عن اقتراح تقدمت به السعودية ووافق عليه البلدان بعرض

---

(1) الخليج ـ 2/ 7/ 1986.

الموضـوع للتـحكيم، وذلك انطلاقـا من المبـادئ المكونة لإعطاء الحل والتى سـبق الاتفاق عليـها بين الدولتيـن الشقيـقتين وبوجـه خاص ما نص عليـه حكم المبدأ الخامس والـذى ينص على الآتى تتعـهد حكومـتا الطرفيـن بالتشاور مع حـكومة السعـودية لتحديد أفضل سـبيل للبت فى تلك المسألة أو المسـائل على أساس من أحكام القانون الدولى ويكون قرار الجهة التى يتم الاتفاق عليها لهذا الغرض نهائيا وملزما للطرفين. وعليه تم الاتفاق بين الطرفين وفقا للمبادئ الخمسة على تشكيل لجنة تضم ممثلين عن دولة البحرين ودولة قطر وممثلـين عن السعودية وذلك لغرض الاتصال بمحكمة العدل الدولية واستكمـال المتطلبات اللازمة لرفع موضوع الخلاف إليهـا طبقا لأنظمـة المحكمة وتعليـماتها وذلك تمهـيدا لصدور حكـم نهائى ملزم للطرفين تنفيذه (1).

صرح مـصدر مطلع فى الـدوحة بأن الخطوات العـملية بشـأن رفع الخلاف القطرى ـ البـحـرينى حول «فـشت الديبل» والمنـاطق المتنازع عليـها الأخـرى إلى محكمة العـدل الدولية ستتم خلال شـهر يناير القادم وأكد المصـدر فى تصريحات خاصة «للاتحاد» أن اللجنة الثلاثية التى نص عليها البيان السعودى والتى تتكون من ممثلين عن قطر والبحرين والسـعودية ستبدأ خلال الشهـر القادم بالاتصال بمحكمة العدل الدوليـة لاستكمـال الإجراءات الخاصـة برفع موضوع الخـلاف إليها طبـقا لأنظمة المحكمـة وذلك تمهيـدا لصدور حكم نهائى يلزم الطـرفين بتنفيـذه. وقال المصدر إن اتفاق قطر والبـحرين بشأن رفع الخلاف إلى التحـكيم الدولى يعبر عن رغبة البلدين الشقيقين الصادقة فى تحسين وتطوير العلاقات وتثيقها. واستعدادهما لقبول قرار مـحكمة العدل الدولية وتنفيذه. وتوقع المصدر أن تبـحث قمة مجلس التعاون القـادمة بالرياض موضوع الاتفاق القطرى ـ البحـرينى بإحالة الخلاف إلى التحكيم الدولى. كما ستتم لقاءات ومـشاورات جانبية بين قادة دول التعاون على

---

(1) الخليج ـ 22/ 12/ 1987.

هامش القمـة لدعم جهود تسـوية الخلاف بين البلدين الشـقيقـين وأوضح المصدر للاتحاد أن الرسالتين اللتين بعث بهما الملك فهد بن عبدالعزيز عاهل السعودية إلى كل من أمير البحرين الشيخ عيسى والشيخ خليفة أمير دولة قطر، وحملهما الأمير سعود الفيصل وزير الخارجية السـعودى، تضمنتا اقتراح رفع الخلاف إلى التحكيم الدولى وقد وافق عليه أميرا البحرين وقطر(1).

ذكر من ناحية أخـرى خبير متخـصص فى القانون الدولى أنه فى حال رفع الخلاف البحرينى القطرى بشأن «فيـشت الديبل» والمناطق التنازع عليها إلى محكمة العدل الدولية فى لاهاى. فإن الاجراءات أمام المحكمـة ستتم وفقا للمادة 30 من النظام الأساسى للمحكمة، وتنظم هذه المادة إلى جانب المواد من 39 إلى 64 من النظام الأساسى قـواعد الإجراءات أمـام المحكمة، حيث تضـم هذه المحكمة قلم كتاب يرأسه سجل ويتم رفع القضايا إلى المحكمة، أما إعلان الاتفاق الخاص الذى تم بين الدول المتنازعة حول رفعها للمـحكمة، وأما بطلب كتابى إذا كانت أطراف النزاع من الدول التى سبق أن قـبلت الولاية الجبرية للمـحكمة، ويجب أن يكون الإعلان أو الطلب متضـمنا تعيين موضوع النزاع وبيان المتنازعـين، ويقوم مسجل المحكمة بإبلاغ هذا الطلب فـور وصوله إلى المعنيين به وكذلـك إلى أعضاء الأمم المتحـدة، عن طريق الأمين العام للهيـئة. وإلى أية دولة أخرى يحق لهـا الحضور أمام المحكمة. ويمثل الدول أطراف النزاع أمام المحكمة وكلاء عنهم. ويعتبر هؤلاء ممثلين لهـذه الدول. ومن ثم فهى تتقـيد بالتـصرفات الصـادرة عنهم، ويستـعين الوكلاء فى الإجـراءات المتعلقة بالخصـومة بمستشـارين أو محامين أمـام المحكمة، وللمحكمـة أيضا طبـقا لنص المادة 41 من النظام الأسـاسى أن تقرر اتخـاذ تدابير مؤقتة بقصد حفظ حقوق الدول المتنازعة، إلى أن يصدر الحكم النهائى. من ناحية أخرى. ذكرت وكـالة الأنباء السعودية أن البـحرين وقطر قد وافقتـا على الوساطة

(1) الاتحاد ـ 23/ 12/ 1987.

السعودية لحل الخلاف وتكوين لجنة تتولى اعـداد وجهات نظر البلدان الثلاثة بشأن مسألة «فيشت الديبل» لعرضها أمام المحكمة الدولية[1].

وصل الرياض محمد بن مبارك آل خليفـة وزير خارجية البحرين وأحمد بن سيف آل ثاني وزيـر الدولة القطرى للشئـون الخارجيـة لمناقشة نزاع الـبلدين حول منطقـة فيشـت الديبل وقالت مـصادر دبلومـاسية فى الـرياض أن هذه المباحـثات المفاجئـة فى الرياض تأتى بعد إعلان سعودى قـبل عقد قمة التعـاون الأخيرة بأن البلدين وافقا على إحالـة خلافاتهما حول الموضوع إلى مـحكمة العدل الدولية فى لاهاى. كما وافقا على الالتزام بالقرار الذى ستصدره المحكمة[2].

ذكرت مصادر صحفيـة أن المشاورات والاتصالات بين المسئولين فى كل من قطر والبحرين والسعودية مستمرة بهدف إنهاء الخلاف الحدودى بين قطر والبحرين حول جزيرة «فيشت الديبـل» وذكرت صحيفة «عرب نيوز» السعـودية ان اجتماعا ثلاثيا مغلقا ضم الأمير سعود الفيصـل وزير الخارجية السعودى والشيخ محمد بن مبـارك آل خليفة وزير خارجـية البحـرين، والشيخ أحمـد بن سيف آل ثاني وزير الدولة القطرى للشئـون الخارجيـة وقد استـغرق هذا الاجتمـاع ساعتـين، لبحث موضوع الخلاف الحدودى بين قطر والبحرين فى اطار المبادرة السعودية لاحتواء هذا الخلاف تمهـيدا لانهائه. كـما تناول البـحث استعـراض تطورات ومقتـرحات قطر والبحرين لانهاء الخلاف والمبادرات السعـودية المطروحة للتسوية تمهيدا لابرام اتفاق فى هذا الصدد[3].

علمت «الخليج» من مصادر وثيقة الاطلاع أن قطر والبحرين اتفقتا على حل

---

(1) الاتحاد ـ 23/ 12/ 1987.

(2) الخليج ـ 18/ 1/ 1988.

(3) الاتحاد ـ 19/ 1/ 1988.

نزاعهما الحدودى حول جزيرة «فشت الديبل» فيما بينهما وداخل الأسرة الخليجية، وأنهما لن تعرضا النزاع على محكمة العدل الدولية فى لاهاى للفصل فيه رغم موافقتهما سابقا على اقتراح بذلك قدمه وسطاء من مجلس التعاون. وقالت المصادر أن الاتصالات الأخيرة بين البلدين على أعلى مستوى أسفرت عن اتفاق بأن اللجوء إلى محكمة العدل الدولية سيعمق من المشكلة. وسيؤدى إلى توتر العلاقات بينهما طيلة فرة النظر فى هذه القضية التى قد تستغرق عدة سنوات. وكانت اتصالات شخصية وهاتفية قد تمت خلال الأشهر الماضية بين أميرى قطر والبحرين، كما تبادل وليا عهدى البلدين الزيارات. وأوضحت المصادر أن من الأسباب الأخرى التى دعت البلدين لاستبعاد اللجوء إلى التحكيم لفض النزاع بينهما، أن قرار المحكمة سيصدر لصالح أحد الطرفين، ويكون الطرف الآخر ملزمًا بقبوله وتنفيذه مكرهًا، الأمر الذى سيخلف لديه مرارة لايمكن أن ينساها بسهولة(1).

توقعت المصادر أن يتم الوصول إلى تسوية نهائية لموضوع النزاع الحدودى فى قمة مجلس التعاون الخليجى المقبلة فى المنامة وكشفت المصادر أن ولى عهد البحرين الشيخ حمد بن عيسى آل خليفة هو صاحب المبادرة بالتقارب مع قطر وعدم السماح لخلاف حدودى بشل العلاقات بين البلدين. وقد وجدت المبادرة استجابة وترحيبا من قطر التى أكدت أنها تؤمن بالتوجهات نفسها، وسارعت بالرد على زيارة ولى عهد البحرين للدوحة بزيارة قام بها ولى عهد قطر الشيخ حمد بن خليفة آل ثانى للمنامة. ونقلت أوساط مطلعة عن أمير البحرين الشيخ عيسى بن سلمان آل خليفة قوله بأن هذه المبادرة البحرينية تأتى فى إطار تهيئة الأجواء لانعقاد القمة الخليجة التاسعة فى المنامة فى شهر ديسمبر. وكان الأمير قد قال فى حديث

---

(1) الخليج - 9/ 10/ 1988.

صحفى نشر مؤخرا فى الكويت بأن البحرين وهى تستعد للقاء القمة الخليجية لابد وأن تهيئ جوا يدفع بهذا اللقاء إلى نتائج حسنة، حيث أنها تريد أن يدفع هذا اللقاء القوة التكتيكية لمجلس التعاون إلى الأمام عبر المكاشفة الصادقة بين الأعضاء، وتوقع الشيخ عيسى أن يكون لقاء القمة المقبل مناسبة لنبذ الحساسيات وتصفية الأمور العالقة بين دول المجلس، عن طريق الصفاء والصدق وروح الأخوة تمهيدا لإعادة ترتيب البيت الخليجى.

بشكل أفضل ولربط شعوبه ربطا مصلحيا ومعنويا ووصف مراقبون تطور العلاقات بين قطر والبحرين بأنها تتجه إلى إنهاء فترة سابقة حكمتها الكثير من عوامل الحساسية واستحكمت بها الكثير من الأمور العالقة. ويضيفون بأن ولى عهد البحرين يؤمن بأن كثيرا من حروب العالم تندلع بسبب العلاقات الشخصية التى تستبد بالحكام وبالمقابل فإن كثيرا من الانفراجات وفترات السلم تعود أيضا إلى العلاقات الشخصية التى تستبد بالحكام كما أنه يرى الكثير من الخلافات العربية التى تبدو مستعصية غالبا ماتنهيها مصافحة بين الزعيمين المختلفين، ومقابل ذلك فإن الكثير من الخلافات التى تنفجر كالصواعق تعود إلى الموقف المجافى أو باستدارة الظهر. ويرى ولى عهد البحرين بأن الخلاف بين الأشقاء لايجيزه الخلاف على نقطة حدود، أو على كيلو متر من الأرض هنا أو هناك طالما أن منطقة الخليج وشبه الجزيرة تعتنق استراتيجية التكتل الواحدة التى يعبر عنها مجلس التعاون أكبر تعبير(أ).

أكد مسؤول بحرينى كبير اتفاق قطر والبحرين على تكليف لجنة من دول مجلس التعاون. الإمارات وعمان والكويت والسعودية للقيام بالعمل لانهاء نزاع البلدين حول قشت الديبل ومجموعة من الجزر الصغيرة بين البلدين. وقال

(أ) الخليج ـ 9/ 10/ 1988.

المسؤول فى تصريحات «للخليج» أن الاتفاق تم خلال المحادثات الجانبية التى تمت على هامش قمة مجلس التعاون التاسعة التى عقدت فى المنامة 19 ديسمبر.

تمنى المسؤول البحرينى نجاح مساعى دول التعاون الأربع فى الوصول إلى حل ودى وعدم اضطرار قطر والبحرين للذهاب إلى محكمة العدل الدولية فى لاهاى. وكانت «رويتر» قد نسبت إلى مسئول خليجى أمس قوله أن دول مجلس التعاون الأربع وافقت على طلب من قطر بأنه فى حال عدم التوصل إلى نتائج خلال الأشهر الستة المقبلة فإن القضية يجب أن تعرض على محكمة العدل الدولية فى لاهاى(1).

وأضافت «رويتر» نقلا عن مصادر دبلوماسية أن الدائرتين القانونيتين فى وزارتى الخارجية القطرية والبحرينية، أعدتا المستندات الخاصة بالقضية لتقديمها إلى المحكمة الدولية، إلا أنهما لم تتوصلا بعد لاتفاق حول تحديد طبيعة النزاع، وهو شرط مسبق لعرض القضية على محكمة لاهاى. ومن ثم قدمت المستندات اللازمة ليس حول هذه القضية وإنما حول جميع قضايا الحدود العالقة بين المشيختين وصدر قرار التحكيم باعتبار جزيرة حدار تحت السيادة البحرينية وفشت تحت السيادة القطرية اضافة إلى تحديد الحرف القارى بينهما وكذلك بقية الجزر الصغيرة ويمكن مراجعة هذه الدراسة من خلال كتابنا عن الحدود فى الجزيرة العربية أكثر تفصيلا.

---

(1) الخليج 29/ 12/ 1988.

الفصل الثامن



التراث الشعبى والتاريخ الشفهى

مقدمة:

ترتبط دول الجزيرة العربيـة بتراث شعبى متـقارب ومتجانس ومتـوارث عبر العصور المختلفة، ويجب المحافظة على هذا التاريخ الشفهى فى المجمعات المعاصرة التى شهدت متـغيرات سريعة مما قد يؤثر على التـراث الشعبى من الاندثار إذا لم نحاول من خـلال الدراسات العلميـة الحفاظ عليـه مما يعنى الحفـاظ على الأصالة الشعبية مع مسايرة المعاصرة.

تثار عدة تساؤلات لدراسة التراث الشعبى وعلاقته بالتاريخ الشفهى، فما هو التاريخ الشفهى؟ ومـا علاقته بالتراث الشعبى؟ ومـا هى العناصر المؤلفة له؟ وماذا نعنى بالتراث الشـعبى؟ وكيف يمكن الاسـتعانة بالتـاريخ الشفهى لدراسـة التراث الشعبى، وهذا ما سوف نحاول الإجابة عليه من خلال دراستنا للتاريخ الشفهى.

يضم مفـهوم التراث الشـعبى عدة معـانى، منها الفكر والممارسـة والعرف والمعتقـدات والطقوس والحكايات والموسيقى والأغانى والرقصـات وسائر الألعاب والتسليات الأخرى، والزفاف، والحـرف الشعبية التى تنتقل متوارثة ومـتشافهة من جيل إلى جيل عبر عصور مختلفة دون انقطاع.

ندرس علاقة التـاريخ الشفهى بالتراث الشعبى وأثره فى البنـاء الاجتماعى، وعن ما مدى التفاعل بين الأفراد، وعن القيم والسـمات التى يشترك فيها الأفراد، وكذلك عن نوع العلاقـات الاجتماعيـة القائمة بين الأفراد وبين الأجـيال المتوارثة مـثل الآباء والأبناء والأجداد واسـتمـرارية التـراث الشعـبى المتوارث فى التـاريخ الشفهى.

إن أهمية دراسة التاريخ الشفهى من خلال التراث الشعبى، فإنه يمكن التعرف على أنواع القيم الاجتماعية والأخلاقية السائدة والمشتركة التى تحكم وتوجه سلوك الأفراد والتى قد تصبح سمة من السمات الشخصية مثل ميزة الصبر أو الأمانة أو التسامح وغيرها.

قمنا أيضا بدراسة ميدانية من خلال بعض المقابلات لتسجيل التاريخ الشفهى، وكان اختيارنا لأصحاب بعض المهن والحرف الشعبية التى كانت سائدة قبل ظهور النفط، واندثرت حاليًا مع تطور الحياة المعاصرة، وهى مهنة «القلاف»، ودوره فى صناعة السفن المحلية فى الخليج العربى.

نحاول دراسة كيفية الحفاظ على هذا التراث والصناعات التقليدية القديمة المتوارثة من جيل إلى جيل، وكيف كان الجيل السابق يحافظ على تراث مهنة الأجداد ومن ثم كيفية انتقال هذه المهنة من جيل إلى جيل عبر العصور الزمنية دون أن تنقرض هذه المهنة، وهناك بعض الأشخاص الذين ساهموا فى هذا التراث ولا زالوا على قيد الحياة مما يمكن التعرف على هذا التراث التقليدى الحرفى والشعبى وبالتالى الحفاظ عليه من خلال التسجيل الشفهى للتاريخ قبل الاندثار وهذا العبء يقع على المؤسسات الرسمية قبل الخاصة وذلك لأنه يحتاج إلى الدعم المادى إضافة إلى التسهيلات الرسمية وبالتالى فإن المؤسسات والمراكز الرسمية تلعب دور أساسى فى حفظ وتوثيق هذا التراث مما يساهم فى النهضة العلمية الأكاديمية بتوفير تلك المادة العلمية للباحثين وكذلك لأفراد المجتمع بصفة عامة.

مفهوم التراث الشعبى:

تعنى كلمة التراث فى معناها العام الدائرة الكاملة من الفكر والممارسة والعرف، والمعتقدات والطقوس والحكايات والموسيقى والأغانى والرقصات وسائر التسليات الأخرى والفلسفة والخرافات والسنن التى تنقل مشافهة من جيل إلى جيل

عبر العصور غير مذكورة، وأن كل الناس تفعل أو تسلك وتفكر طبقًا لما يكتسبونه من سلوك وأفكار من المجتمع أو الجماعة التى يعيشون فيها، وذلك هو الكل من مجموع الظواهر السيكولوجية للإنسان، ويفهم التراث على أنه يعنى كل ما ينتقل من جيل إلى جيل حيث يشير إلى المعنى الحرفى الدال على الانتقال وعلى هذا الأساس من التصور فإن كل عناصر الحياة الاجتماعية تصبح تقليدية أو تراثية ما عدا تلك المستحدثات التى يوجدها كل عصر وكذلك التى تكون معارة من المجتمعات الأخرى، والتى يمكن ملاحظتها فى أثناء الانتشار فى المجتمع وبذلك يحتوى التراث على كل العادات والأعراف والنظم والكلام والملبس والقوانين والأغانى والحكايات المنقولة أو المتوارثة، وهو مفهوم الاتصال المستمر بين الأجيال وأنه عملية اجتماعية تنتقل خلالها عناصر التراث الثقافى من جيل إلى جيل عن طريق الاتصال وهو المضمون المادى المنقول عن القديم، ويحتوى التراث خبرة الإنسان المتراكمة والمكتسبة التى تنتقل اجتماعيًا أو هو مجموع ما يكتسبه الفرد من مجتمعه والكل المركب الذى يشمل المعرفة والمعتقدات والفن والأخلاق والقانون والعرف وكل القدرات والعادات الأخرى التى يكتسبها الإنسان من حيث هو عضو فى مجتمع، وكذلك الرواسب التى انتقلت من جيل إلى جيل واستمرت باقية فى المجتمع وأن الفولكلور بهذا المعنى من حيث أنه يدرس تلك الرواسب يتسع مفهومه بحيث يصبح من الصعب فصله أو تمييزه عن الأنثربولوجيا العامة(أ).

جاءت كلمة «التراث»، من «الوارثة» أو «الإرث»، أى انتقال ملكية إنسان إلى آخر عن طريق العقد بيعًا أو ما يشبه العقد، وصية أو هبة أو وقفا سواء تم هذا الانتقال فى حياة المورث أو بعد موته، ويتسع مفهوم «الإرث» إلى معانى أخرى كأن نقول:- ورث المجد عن آبائه أو أورثه العلم مالا، مما يفيد الاستمرارية

(أ) السيد حافظ الأسود ـ التراث الشفاهى ودراسة الشخصية القومية ـ مجلة عالم الفكر ـ المجلد السادس عشر ـ العدد الأول ص12.

والتواصل وتتابع العطاء، وهى دلالات مقصودة عنه، إحياء التراث والحفاظ عليه، بحيث يكون الماضي بينه فى الحاضر والمستقبل، وتراث العرب يراد به كل مدونات هذه اللغة ومرادات الناطقين بها كاملة أو مبتورة دون النظر إلى الراوى وأصله لأن المجتمع العربى لم يكن يضع فروقًا ولم يكن يضع قيودًا على الانتقال بين الأفراد والجماعات ولم يحظر المعرفة على طائفة دون أخرى أو على علم دون آخر ومن ثم اتسعت الساحة باتساع التنقل والانتقال والاحتكاك[ا].

أصبح للعرب تراث غنى وخصيب من كل تراث عرفته البشرية وهو تراث لا يتميز بغناه وخصوبته فقط بل بقدرته وفاعليته فى الأجيال، فاعلية موصولة الحلقات ويمتد موغلا فى أعماق الزمن ومع الحضارات الفكرية التى ازدهرت وآتت ثمرات لا تزال تمدنا بالقوة والقدرة على التنامى، ثم إنه تراث اتصلت جذوره بجذور المجتمعات المجاورة مثل الهند، إيران، شرق أفريقيا، وإنه تراث ذو صفة إنسانية عالمية حيث كان أفراد وجماعات المجتمع العربى فى شرق الجزيرة العربية وجنوبها يقومون برحلات التجارة إلى المجتمعات الأخرى التى تقيم على سواحل المحيط الهندى ومع الاحتكاك والاتصال جلبوا معهم مورثات جديدة لم تكن موجودة فى المجتمع العربى فى شرق وجنوب الجزيرة العربية ومع الزمن أصبحت بعض تلك المورثات من التراث الشعبى.

يستخدم كثير من علماء الفلكلور والأنثربولوجيا مفهوم التراث الشفهى أو الشعبى بحيث يعنى الفولكلور الذى هو جزء شعبى من التراث مرتبط بالعادات والمعتقدات القديمة الباقية بين أفراد المجتمع، ويمكن أن يعرف الفولكلور على أنه علم أو معرفة الجماهير مهتمًا بالعرف والمعتقد والرواية والفن المبكر الذى استمر باقيًا بينهم من الماضى، وأن الفولكلور فى معناه الواسع يتضمن الأعراف

(ا) كامل سعفان ـ التراث واجبنا نحوه ـ مكتبة الأنجلو المصرية ـ القاهرة ـ 1983 ـ ص 274.

والمعتقدات التقليدية التى تظهر نتيجـة للفعل الجمعى للمجتمع والتى لا يتمكن أن تنتسب إلى التأثير الفردى للناس العظماء، وهناك بعض العلماء يحددون الفولكلور ويقصرونه على الأدب أو التراث الشفهى أو الشعبى، لأن الفولكلور مصطلح أكثر اتساعًا وشمولا ولـكى يتم تمييز الحكايات الشعبية، والحكايات الخرافـية والأساطير والأمثـال والألغاز والشعـر وسائر الأشكال الأدبية الأخـرى عن المواد التى تندرج تحت مفهـوم الفولكلور، مثل الفن الشعـبى، والأدوات الشعبية واللبـاس الشعبى والطب الشعبى والموسـيقى الفولكلورية أو الشعبيـة حيث إن تلك المواد تخرج عن نطاق الأدب الشـعبى، ويتـضح من ذلك بأن الفولكلور يعنـى التراث الشـعبى أو التراث الشفـهى أو الفنون الكلامية أو الآداب الشفوية، وهذا ما نجـده فى قواميس ودوائر المعارف الأنثـربولوجيـة وأن الفولكلور يعنى كل مـا هو منقول شـفاهة من المأثورات والأسـاطيـر والاحتـفـالات والأغانى والخـرافـات والقـصص الخاصـة بالشـعـوب، أو هو الأدب الشـفهـى الذى يعنى ذلك الكيـان المؤلف من التـراث والتاريخ والأسطورة والقـصص والحكايات التى تروى شفاهة وبشكل غـير رسمى من جيل إلى جيل والذى لا يكون مقتصرًا على المجتـمعات غير المتأدبة أو السابقة على الأدب بل يوجـد أيضًا فى الحـضارات المتـقدمـة ذات التاريخ القـديم وذات التراث المكتوب وأنه يصلح كمصدر للمعرفة عن ماضى تلك الحضارات(1).

نجد أن التـاريخ المبكر أو القديم للأمم يتـألف بصورة كبـيرة أو صغـيرة من التراث الشفهـى أو المأثورات المتوالية أو المنقولة عن عصور سـابقة على الكتابة عن طريق الذاكرة، كما نجد أن أحد تعريفات التراث الشفهى تشير إلى أنه كل الشواهد القولـية والتى تكون روايات شـائعة متـعلقة بالمـاضى، ونجد أن هذا التـعريف لا يحتوى إلا على المأثورات الشفهية، سـواء كانت تنطبق أو تغنى، كما أنه لا يتميز فقط عن الروايات المكتوبة بل أيضًا عن الموضـوعات المادية التى يمكن أن تستخدم

(1) السيد حافظ الأسود ـ المرجع السابق ص 274.

كمصدر لمعرفة الماضى، فالخاصة الأساسية للفولكلور تتمثل فى أنه الفن الشفهى أو التراث الشفهى الذى هو خلاصة مجموع إبداع أو خلق الجماعة ككل عبر الزمن إذ أنه يمثل ما هو متوارث من جيل إلى جيل وأنه يعيش فى أفواه المجتمع على الأقل لعدة أجيال، كما أن أهم عنصر فى تعريفات الفولكلور أو التراث الشفهى هو وسيلة أو واسطة الانتقال التى تكون أساسًا وصلة شفاهية أى ينتقل من شخص إلى شخصية آخر شفاهة دون نصوص مكتوبة وأن الاتصال الشفهى بين أفراد المجتمع كان أسبق فى تاريخه على فن الكتابة بالآلاف السنين، وأن مصطلح فولكلور يعنون به أساسًا التراث الروحي وخصوصًا التراث الشفهى الذى هو إبداع أو خلق جمعى يقوم من خلال عناصره بدور الوساطة بين أفراد التجمع أى أنه الوسيط الذى من خلاله يستطيع أعضاء جماعة ما أن يشاركوا فى تفسير وتهذيب أو حتى تعديل مدركاتهم المشتركة كما أنه يوجد ويستمر فى وجوده بين الناس الذين يكونون فى اتصال معًا وجهًا لوجه(أ).

يختص التراث الشفهى أو الشعبى بخصائص تخصه وهى العرافة والواقعية والجماعية والتداخل مع فروع المعارف والفنون الشعبية الأخرى، وأنه يجب الا يعتقد أن الآداب الشفاهية ذات مضمون متهافت أو أسلوب بسيط واهتمامات جمالية ضحلة بل هى آداب حقيقية بالرغم من أنها ابتكرت ونقلت وعبر عنها بطرق تختلف عما هو موجود فى الآداب المكتوبة كما أن أهمية تلك التراث الشفهى تظهر فى أن البصيرة الاجتماعية والشعر والفلسفة والفكاهة بها المهارة الفنية التى تظهر فيها تستحق الاهتمام مثلها مثل الأشكال الأخرى المقبولة والمتفق عليها من التعبير الفنى المبدع فى أى نوع أو نمط من النسق الاجتماعى، وأن العناصر المؤلفة للتراث الشفهى هى أساطير وملاحم وروايات وقصص وحكايات شعبية وأنماط وحكم وأمثال شعبية تستخدم هنا كمادة فولكلورية أو ظواهر

(أ) السيد حافظ الأسود ـ نفس المرجع ص 275.

فولكلورية على أساس أن الفـولكلور واللغة هما ظواهر اجتماعيـة، فاللغة التى من خلالها يمكن التعبير عن تلك العناصر الفولكلورية ترتبط دائمًا بجماعات من الناس وليس بفرد واحـد بالذات، كما أن الفرد يكتـسبها من المجـتمع التى يعيش فـيها لا العكس، ومـعنى هذا أنه لا يمكن أن تعـزل اللغـة وعناصـر التراث الـشفـهى عن مضامينها أو تضميناتها الاجتماعيـة والذى يمكن أن يتمثل فى جماعة ما جغرافية أو لغوية أو اثنية «عرقية» أو جماعة مهنية كما أنها تعبيراً عن جماعة ما متكاملة وتؤلف علاقة أو سمة لمجتمع ما تقليدى، وأن عناصر التراث الشفهى تعتبر حقائق اجتماعية وأنها بالتالى من حيث هى مادة تخضع للدراسة والتحليل وذلك للتعرف على أصلها الاجتماعى ووظيـفتها الاجتماعـية فى المجتمع وفى الأنماط السلوكية لثقـافة المجتمع ومدى تعبيرها عن العلاقات والقيم السائد(أ).

يجب معـالجة التـراث الشفهـى أو الشعبى بطريقـة منهجـية علمـية وظروف موضوعية، بعـيداً عن نزعه من مفارقته وفضائيتـه لربطهِ بواقعه وبزمنه وبظروفه مع الوعى التاريخى والعلمية التاريخية والتذكير التاريخى، مع علمنا بأن التراث هو لغة «وإرث» موروث عن الأسـلاف تركوا لنـا فيه ناتج خـبراتهم ومـعارفـهم لنصل أن التراث الشـفهى أو الشعـبى كموروث وأن أفـراد المجتمـع هم صنَّاع ذلك التراث، يصوغونه وفق ظروفـهم وحاجاتهم، وأن التراث ناتج تراكمى كمى وكـيفى لخبرات طويلة وأنه ناتج تفـاعل داخل هذا المجتـمع وبينه وبين بيـئتـه الطبيـعيـة وبينه وبين المجتـمعات الأخرى التى تتيح لهـا الأحداث أن تتمـاس مع ثقافته عـبر تطور زمنى يشكل فى النهاية منظومة فكرية تندرج فى إطارها مفاهيمـه الاجتماعية وتتشكل فى ضوئها أنماطه السـلوكية، ومن هنا يأتى دراسة التراث الشـفهى أو الشعبى وأهمـيته ودوره الفاعل والوجوه التى يكشف فيها عن نفسه وأن التراث ليس مرحلة بعينها ولا

(أ) السيد حافظ الأسود ـ نفس المرجع ص 276.

يقتصر على نسق بذاته إزاء بعض الإهمال من بعض الدارسين للتراث الشفهى أو الشعبى كما لو كان مرحلة ميتة منتهية أو مجرد أساطير وقصص أو حكايات شعبية(1).

تأتى دراسة الحكايات والأساطير فى التراث الشفهى أو الشعبى، بأهميتها وقيمتها باعتبارها جزءاً لا يتجزأ من التراث وهى الجانب الذى لم يحظ بأدنى قدر من الاهتمام إزاء صدور الحكم المسبق عليه بأنه اللامعقول الذى ينبغى طرحه جانبًا من تاريخنا قبل درسه الدرس الكافى لإصدار مثل هذا الحكم وربما جار لنا هذا الطرح، لكن بعد الدراسة العلمية الكاملة وليس قبل ذلك، وإذا كان الباحثين قد تأخروا كثيراً فى إدراك أهمية دراسة التراث الشفهى والشعبى وتناوله بالمنهج العلمى وإذا كان ثمة إهمال واضح لمن لديهم إمكانية الاضطلاع بهذه المهمة فإن إلقاء التراث الشفهى أو الشعبى فى سلة مهملات التاريخ سيكون خطأ كبيراً لا يمكن تجاهله سواء كانت تلك الدعوة مقصودة أم بحسن نية، وأن الباحثين لم يهملوا التراث إلا لأنه أسطورة تهتم بالخرافات واللا معقول والقصص وأن هذا الفهم لم يأت بعد درس صادق وعميق للأساطير والحكايات الشعبية، قدر ما انبنى على حكم تأسس على فهم شائع عن الأسطورة كخرافة وتلفيقات لحكايات شعبية بدائية لا أساس لها من الصحة. والأساطير والحكايات الشعبية هى فى الفهم الكلاسيكى مجموعة خرافات وأقاصيص وهى اشتقاقًا من سطر الأحاديث، وموضوعاتها يتناول الأبطال الغابرين وفق لغة وتصورات وتخيلات وتأملات وأحكام تناسب العصر والمكان الذى صيغت فيه وشكل الأنظمة والمستوى المعرفى وهى فى الوقت ذاته تشكل ثقافة عصرها بحيث تبدو ذات خصوصية تربطها ببيئتها ومجتمعها بحيث يمكن من دراستنا استقراء التاريخ الأصدق لزمنها ومكانها(2)

(1) د. سعيد القمينى ـ الأسطورة والتراث ـ سينا للنشر ـ القاهرة ـ 1993 ـ ص 18.

(2)ـ د. سيد القمينى ـ نفس المرجع ص 21.

فنجد فى الأساطير والحكايات الشعبية مشاعر إنسانية جياشة وأحاسيس وتصورات ومواقف تطلعنا على فلسفة الإنسان فى الوجود وعلى محاولاته الفكرية الأولى والتى تتضمن خلاصة تجاربه وماضيه وكيف كان يستنتج من هذه التجارب منطقة ومفاهيمه وتعامله مع واقعه وفق منطق خاص ووفق مضامين أخلاقية تمت صياغتها فى قوالب أدبية ذات خصوصية شعبية، توارثتها الأجيال وعدلت فيها وأضافت إليها مما جعل الأسطورة أو الحكاية الشعبية محل عمل دائب لا يتوقف، فهى حفرية حية رغم كونها تأكل بعضها وتتناسخ وتتكرر إلا أن لها تاريخا حيًا يمكن قراءاته فى تفاصيلها التكوينية إذا بذلنا الجهد اللازم للتعامل مع كائن حى يعيش منذ فترة طويلة بين أفراد المجتمع، بما دخل عليه من تبدلات وتغيرات خلال تلك السنين وبشرط أن نملك المنهج المناسب والأدوات اللازمة لقراءة كل حركات وسكنات التراث الشفهى أو الشعبى، وأن الأسطورة أو الحكايات الشعبية تسجيلا للوعى الإنسانى واللاوعى فى آن معًا وأنها أخذت مسارًا تطوريًا بطيئًا استثمرت أثناءه مبدأ لا يزال بحاجة لتفسير لكنه قائم وهو أن كل عنصر من الماضى يفرض نفسه وتأثيره على المجتمع بقدر لا يقاوم ولا يقف أمامه أى اعتراض منطقى، ويمكننا أن نجد مظاهر سلوكية لا معقولة ولا مبررة ولا يبقى لتفسيرها سوى البحث فى جذورها به حسابها الذى يصر على الاستمرار، وأن الأسطورة وإن اشتملت على أحلام وانفعالات وتصورات داخلية فإنها اشتملت أيضًا على حقائق يمكن أن تنكشف بوضوح إذا عرفنا كيف نفسرها بعد ربطها بشرطها التاريخى ومكانها فى النسق المعرفى لزمنها ومكانها. وأن قراءة التاريخ القديم دون الأسطورة أو الحكايات الشعبية أمر غير تام العملية باحتسابنا الأسطورة السجل الأمثل للفكر وواقعه فى مراحله الابتدائية عندما كان يحاول تفسير الوجود من حوله ويحاول قراءة الواقع الاجتماعى وتغييره وهذا ما تدخله الأسطورة من بصمات وانطباعات النفس الجماعية عليها ولا يمكن لأحد أن يدعى حق تأليف الأسطورة أو الحكايات

الشعبية فـهى مجهولة الأصل والمؤلف وأحيانًا المنشأ والتاريخ وكونهـا ثقافة أجيال متعاقبة ظلت تجرح فيها وتعدل(1).

تختلف الروايات الشعبية عن الأساطير أو الأسطورة الشـعبية، حيث تعتمد الرواية الشعـبية على بنى سـردية بسيطة، تتمـيز عادة بالاستـقرار النسبى وبثـبات الموضوعـات، أما التغيـر فيصيب عـادة الدلالات وضع التعبـير، وتتميـز بكونها تتصف بالعمدية وتعتمد أساسًا على حسن التقدير، وكل ثقافة لها طريقتها الخاصة فى تقسيم وتنظيم تعبيرها الشعـبى والشفهى وهى طريقة نابعة من الإطار الحضارى والسيرورة التاريخية المنتجة لمظاهر الثقـافة الشعبية مما ينتج عنه عدم تطابق عمليات تضـيف الأنواع الشفـاهية من منطـقة إلى أخـرى مما يضطر الدارس إلى محـاولة التوفيق بين إخضاع موارد الثقافـة والتراث الشعبى للأطر النظرية الأدبية العامة من ناحية ومراعاة التـصنيف والتسميات الخاصة التى تضعـها كل أنواع التراث الشعبى لمواردها، وأن التحـديد النوعى لهذا الشكل السرى لرواية الشـعبيـة الشفهيـة يقوم على بيان الأســس التالية وهى مـراحل تطوره، شروط أدائه، منطلقـاته المعرفـية، ملامـحه السردية النمطية، مـلامحه الشكليـة المتعلقة بصـيغه وبمعجـمه التعبـيرى وبموافقة الحوارية وبخصائصه البنيـوية بالبنى السردية إلى جانب الخصائص الخطابية المتعلقة بالحركة والتنويع الصوتى والوسائل المختلفة التى يستعين بها الراوى لإيصال الرسالة المبثوثة الـشعبية، إضافة إلى تأليف الرواية الشـعبية الشفهـية ما بين ما هو واقعى ومـا هو خيـالى مما يطيع دلالاته بالتنوع ومعـانيه بالكثافـة، تعتـمد الرواية الشعبية فى بث الرسالة على نظام رمزى معين يمثل نموذجًا للتراث الشعبى مستمدًا من الإطار الحضارى يحمل رؤية للعالم خاصة بالمجتمع المحلى الذى يتدوله(2).

---

(1) د. سيد القمينى ـ نفس المرجع ص 22.

(2) عبد الحـميد بورايو ـ الرواية الشعبـية الاحترافيـة ومتحولات المجتـمع الجزائرى ـ مجلة دراسات عربية ـ العدد 9/ 10 ـ يوليو أغسطس 1994 ص 1.

يأخذ الشكل الأدبى مركز الصدارة فى حلقات الرواية الشعبية التى يقيمها الرواة المحترفون وتأخذ أشكال التعبير الشعبى المختلف مثل قصص الأولياء، والمعجزات، وحكايات الحيوان والنوادر والمقاطع الشعرية الغنائية فتأتى لتمثيل روافد للحلقة تصب فى المجرى الأساسى للقصة، وتأخذ بذلك موقعًا ثانويًا وتكون بمثابة نقاط الاستراحة بالنسبة للراوى وبالنسبة للمستمعين، والرواية الشعبية الشفهية عبارة عن قصة وأحيانًا قصيدة قصصية طويلة يتم تقطيعها إلى مجموعة من المقاطع، يؤدى الراوى كل مقطع غناء بمصاحبة العزف على الآلات الموسيقية التقليدية وخاصة «الربابة» عند أفراد القبائل فى المجتمع القبلى، ثم يتوقف لينثر الأحداث المختزلة فى المقطع الشعرى ويتوسع فيها ويبرز خلالها قدراته الخيالية والتعبيرية فى الوصف والتعليق ورسم صور الشخصيات وتصوير المشاهد القصصية وخلق المواقف الحوارية، وتتسم روايات الغزوات القبلية الشعبية عادة بالجدية وإثارة مشاعر الحماسة والخوف والرهبة وخلق حالات ترقب دائمة للنتائج لدى المستمع، كما تعمل على إضفاء الجو المأساوى على الصراعات القَبلية التى يخوضها الأبطال وتنتهى عادة بخلق حالة رضى نفسى عند نهاية الغزوة إما عن طريق انتصار الأبطال فى حالة النهاية السعيدة أو تدخل القوى الخارقة أو الخارجية فى حالة النهاية المأسوية(1).

يقسم الراوى الغزوات القبلية إلى أقسام كبرى تنتهى عادة بلحظة تأزم وتصعيد لدرجة الترقب لدى المتلقين وذلك من أجل التخفيف من الجو الجدى المشحون بالمشاعر المثارة وكذلك من أجل جمع شمل العشيرة أو الأسرة، وأثناء بعض الاستراتيجيات يقدم الراوى أشكالا سردية أخرى مثل النوادر وحكايات الحيوان وقصص الأولياء والصالحين بهدف كسر رقابة الرواية الشعبية وخاصة إذا كانت من روايات الغزوات والحروب، وتنويع مواد الحلقة من أجل المحافظة على

---

(1) عبد الحميد يورايو - نفس المرجع ص 120.

انتباه المستمع وجلب أكبر عدد ممكن من أفراد المستمعين المتنوع الأذواق، ويمثل الأساس المعروف الذى تعمد على الروايات الشعبية فى وقائع التاريخ، يقوم بعضها على أحداث تاريخية حقيقية تتعرض للتحرير والتنمية ويعتمد بعضها الآخر على أحداث خيالية نسجت على منوال الأحداث التاريخية نفسه، كما أن الشخصيات الرئيسية تحمل أسماء معروفة فى التاريخ، يسعى هذا الشكل الأدبى الشعبى لإثبات مصداقية لدى مستمعيه إلى إيهامهم بطابعه التاريخى فيستمد السلسلة الإسنادية من مجالات أخرى ذات طابع تاريخى، كما يعمل الرواة دائمًا على إيهام مستمعيهم بأنهم مجرد ناقلين لأخبار تاريخية، وتمثل روايات الشعبية للغزوات والحروب سردًا متواصلا لقصص مكتملة لها بداية ونهاية ووسط، وكل قصة ترتبط بمثيلاتها بوحدة ملحمية بحيث نجد إسناد الفعل البطولى يقع دائمًا لصالح عدد محدد من الشخصيات[1].

نجد أن التاريخ يلعب دوراً فى التراث الشعبى والشفهى فى الدراسة الشخصية للمجتمع، وأن المنهج الذى يجب أن يتبع فى مثل هذه الدراسة هو المنهج البنائى الوظيفى أما النظرية فهى نظرية الفعل الاجتماعى وتطبيق لذلك على عناصر التراث الشفهى وذلك بتحليلها كجزء من الثقافة العامة الكلية السائدة فى المجتمع، ودور ذلك التراث أو الآداب الشفوية فى المحافظة على بقاء المجتمع واستمرار وجوده، وذلك يمثل الوظيفة الحقيقية أو الغرض الحقيقى للتراث الشفهى الذى يتمثل فى دور التراث الشافى بما يتضمنه من حكايات وروايات وقصص وأساطير على أنها وسيلة للترفيه أو أداة لإبراز المكانة الاجتماعية التى تتمتع بها إحدى العشائر أو القبائل فى المجتمع ولو أنها أسلوب من أساليب التربية الاجتماعية ونقل القيم والمثل والمعايير للآخرين، وهذا الغرض الظاهر أو البادى يختلف تمامًا عن الغرض الحقيقى الذى يؤلف العلة الأخيرة أو الوظيفة التى لا

(1) عبد الحميد يورايو ـ نفس المرجع ص 120.

تكون فى الأغلب حاضـرة على الإطلاق فى أذهان المجتمع لأنهـا كثيـراً ما تكون هى النتيجة غير المقصودة لشىء ما يعتقد الناس أنهم يمارسونه لسبب آخر مختلف تمامًـا بل كثـيراً مـا لا تكون لديهم أية فكرة واضـحة عن السـبب الذى من أجله يمارسون ذلك الفعل، وتلاحظ أن العلاقة الاجتماعية مع التراث الشفهى المتفاعلة تؤلف الوحدة الكلية للبناء الاجتماعى والتـفاعل الاجتماعى بين الأفراد فى التراث الشفهى وتعـبيره عن القيم والسمـات التى يشترك فيهـا هؤلاء الأفراد فى سلوكهم وتفاعلهم بحيث يـعطى فى النهاية صورة شاملة لأنماط السلوك المعـيارية والمنوالية والسمات السائدة التى تؤلف مجموعات سمـات الشخصية الخاصة للمجتمع المراد دراسته[1].

يتوقف نجـاح الدراسـة للتاريخ الـشفهى الشـعبى للتـراث بحجم المجـتمع المدروس والمدة التى يمضيها الباحث فى ذلك المجتمع، وكلما صغر حجم المجتمع وتحددت رقعـته ومساحـته وتميزت معـالمه وحدوده سهل على الباحث تتـبع نظمه الاجتمـاعية ودراسة نسقه الاجـتماعى كوحدة متـميزة، أما بالنسبـة للمدة الزمنية فلابد للباحث أن يمضى عامًا كامـلا على الأقل فى المجتمع حتى يستطيع التعرف على كل مظاهر الحيـاة وأنواع النشاط الاجتـماعى على مدار السنة وهذا مـا يظهر بصورة أوضـح عند عمليـة تسجـيل كل عناصر التـراث الشفـهى المحلية الخـاصة بالمجتمع الصـغير الذى يدرسه الباحث كالقـرية أو القبيلة ومعرفة سـمات سلوكية معينة خلال الـتفاعل مثل السيادة والتـبعية والسيطرة والخضوع والاحـترام والطاعة والقسوة واللين والحب والكره والعدوانية والتسامح والغضب والحلم أو الصبر، مع ربط ذلك التراث المحلى بالتراث الشـعبى العام الخاص بالمجتمع الأكـبر والاهتمام بالتـعرف على المواقف والظروف والمناسـبات التى تسـتخـدم فيـها تلك العنـاصر الشفهية وما تتـضمنه من مغزى ومعنى وما تحتويه من قيم اجتـماعية وكيف ترتبط

---

(1)ـ السيد حافظ الأسود ـ المرجع السابق ص 284.

تلك العناصر المؤلفة للتراث الشفهى بـالسلوك اليومى للأفراد بحيث تدل على أكثر السمـات والقيم التى يمكـن استخـلاصها مـن تلك المأثورات المرتبطة بالسلوك أو بالفعل، فـالتراث الشفـهى يقدم صـورة منفـردة للمجتـمع من الداخل وليس من الخارج أو الظاهر(1).

علاقة التراث بالتاريخ:

لا توجد تفرقة بين الثقافـة الشعبية الشفهية والثقافيـة الخاصة بالصفوة بينما نجد أن المجتمعات الأكثر تقدمًا أو ذات التاريخ المكتوب تمتاز، بالإضافة إلى وجود التراث الشفهى، بأن لـها تراثًا قديمًا مكتوبًا أو أدبًا مكتوبًا والذى يعـتبر جزءًا من الواقع الثقافى للمـجتمع وأهميته تتـمثل فى أنه يعتبر دليلا على اسـتمرار التراث وخصوصًا فى الثقافة الشفهية التى يحرص فيها الرجل الشعبى لأن يستمع للأقوال الثمينة والمأثورات المتعلقة بالماضى بالإضـافة إلى التعرف على الأساطير والحكايات القديمة المميزة للمجتـمع المدروس، وأن كل مجتمع ذا تاريخ قـديم ومكتوب قد طور أشكالا أسطورية متميزة خاصة به، بالإضافة إلى التعرف على الأساطير التى يعيش فيها المجتمع فى الوقت الحاضـر حيث يمكن التعرف على القيم والمعتقدات القديمة، والاهتمام بإبراز ما ترسب فى الحكايات والروايات الشـعبية من معتقدات وتصورات قديمة وإن بدت هذه المعتقدات والتصورات فى شكل جديد يتناسب مع الظروف الحـضارية التى يعـيشهـا الإنسان، ويجـب الاهتمام بالـبعد التـاريخى، وخصوصًا عند مقارنة عناصر التراث الشفهى الموجودة فى المجتمع الحاضر بعناصر الأدب أو التراث المكتوب والقديم الخاص بالمجتمـع، والتعرف على الثابت والمتغير فى سمات الشخصية للمجتمع من خلال تلك المقارنة، وأن المجتمعات التقليدية أو ذات التاريخ المكتوب، فنجد أن التراث الشـفهى يرادف التراث الشعبى الذى يكون

(1)ـ السيد حافظ الأسود ـ نفس المرجع ص 284.

مميزاً للأغلبية الكبيرة من السكان، فالتراث الشعبى الذى يؤلف الثقافة الشعبية يشارك فيه أكبر عدد من أفراد المجتمع حيث يتميز عن ثقافة الصفوة وبذلك يمثل أصدق تمثيل للمجتمع وشخصيته، لأن الثقافة لا تخضع لثقافة الصفوة بل هى نتاج الشعب نفسه الذى يكون موجهًا بالتراث الشعبى، والثقافة الشفهية ليس تعليم خاص، وأن التراث الشعبى والشفهى يصبح راسخًا فإن نمط الحياة تتكيف معه أجيال المستقبل ويصبح دائمًا (1).

فنسأل هل التراث حقيقة تاريخية مكتملة وهل هو متجانس العناصر وما علاقته بالبنية الاجتماعية بكل تناقضاتها وتباين مصالح بعض شرائحها على مدى حركة التاريخ؟ وما هى آلية التراث كظاهرة إنسانية مجتمعية؟ وما هو دور كل من الخيال والعقل والعمل المنتج فى التراث الشعبى؟ ومتى يغلب دور الخيال ومتى يغلب دور العقل؟ وماذا يحدث إذا ساءت مظاهر العزلة فى التاريخ؟ وهل التراث هو الماضى؟ والماضى فحسب أم التراث عملية ممتدة مع التاريخ تتعرض للاختزال والتجديد دائمًا وأبدًا مع وجود خيط متصل زمانى ومكانى أشبه بالعمود الفقرى يكفل الاستمرارية وإطراد الهوية؟ وما هو الأسلوب الأمثل للعلاقة بين الماضى أو بين التراث الشعبى وبين الحاضر أو الواقع الذى هو تحديات متجددة؟ ترى أليس لكل هذه العناصر دور فى التراث الشعبى، وأن هذا التراث يمثل عناصر البنية الشخصية للمجتمع للقبيلة أو المنطقة فى اتصالها التاريخى، والتراث الشعبى واقع إنسانى إجتماعى تاريخى، وأنه واقع لضرورته وأن نفيه نفى لوجود الإنسان ذاته بحكم تكوينه البيولوجى وتطوره، وأنه اجتماعى لأنه رهن بوجود المجتمع ولا حياة إلا به، وأنه تاريخى لأنه حركة متصلة معبرة عن حركة المجتمع فى تحول وتجدد مع وجود خيط جامع رابط يمثل هوية المجتمع صعودًا وهبوطًا(2).

---

(1) السيد حافظ الأسود ـ نفس المرجع ص 285.

(2)ـ شوقى جلال ـ التراث والتاريخ ـ سينا للنشر ـ القاهرة 1995 ـ ص 112.

جاء الاهتمام بالتراث الشعبى بعد الإنجازات العلمية فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر، مما استتبع تغييراً جذريًا فى نظرة الإنسان إلى نفسه وإلى المجتمع، وصياغة إطار معرفى للنزعة التطورية وتاريخية الوعى وعلاقة التفاعل بين واقع المجتمع والحياة والطبيعة أى الحركة فى الزمان أو التاريخ، وأن الفكر والتراث الشعبى حدث تاريخى يجرى فى بعدى الزمان والمكان، وأنه لا وجود للتراث الشعبى فى المطلق خارج شروط تكونه فى التاريخ أى فى الزمان والمكان، وأسهمت تطورات علم تاريخ المجتمعات وتاريخ الفكر فى الكشف عن دور الفكر الموروث وعن تلاحم الفكر والإنسان والمجتمع أو اللغة والفكر والتاريخ والتفاعل الدينامى بينها، وما هى حركته فى التاريخ وفى المجتمع وإذا كان التراث الشعبى جزء من التاريخ فما هى قوانين حركته؟ وأن التراث الشعبى متصل اجتماعى زمانى متعدد وأن تاريخ التراث الشعبى مجموعة متواكبة ومتلاصقة من العصور ومتراتبة ومتراكمة كطبقات الأرض فى تاريخها، ولهذا يجب التوصل إلى العصور الماضية من خلال الحفر والتعرية وإزاحة الركام واكتشاف الطبقات العميقة للحقيقة التاريخية دون الأسطورة الشائعة اجتماعيًا، والتراث معنى شامل لكل ما هو موروث من قيم وتقاليد ورؤى من طبقات متراكمة وهذا لا يعنى أنه ينتمى إلى الماضى فقط أى أنه ليس حدثًا ماضيًا بل إنه متصل ثقافى معرفى وأنه يعيش فى الحاضر بين المجتمع ويؤثر على حياته، وبحكم السياق التاريخى، فإن التراث الشعبى فى ازدهار بفعل الاحتكاك وعمليات التخصيب المتبادل من خلال التفاعل مع الثقافات الأخرى وأنه ليس إرثًا راكدًا(أ).

تؤكد شواهد التاريخ أن هجرة القبائل من منطقة إلى أخرى تحمل معه تراثها الشعبى ويساعد فى إطار تغير اجتماعى من المجتمع المحلى مما نتج معه تفاعل ويسهل المواءمة بين الطرفين المهاجر والمقيم وتحمل بين طياتها رواسب التراث الشعبى القادم مع المقيم.

(أ) شوقى جلال ـ نفس المرجع ص 159.

يتصدر التاريخ أولويات دراسة التراث الشعبى، والتاريخ ليس هو الماضى وليس شتاتًا من وقائع نرويها بل هو البعد الزمانى لوعى المجتمع فى إطار وظيفى هادف يكشف عن طبيعة العلاقة بينها داخل المجتمع، وإن علم التاريخ هو البعد الزمانى للعلوم الاجتماعية وارتبط فى تقدمه بتقدم العلوم الإنسانية والعلوم العامة وإن التاريخ والعلوم الأخرى أجزاء من متصل واحد وصولا إلى نظرة شاملة إلى الإنسان، وإنه نسق أشمل لتاريخ الإنسان، ولا توجد أية فوارق بينها، وهناك صلة بين الزمن التاريخى والبيولوجى وتأثير عناصرها فى تطور الحياة والحضارات، وليست هناك قطيعة بين الحضارات والشعوب، والتاريخ الشفهى والمكتوب يمثل رؤية ورأيًا فى صياغة لغوية داخل سياق اجتماعى له شروطه، ومن ثم يلزم فهم الرواية أو التاريخ الشفهى وفحصها فى ضوء التحليل اللغوى والاجتماعى، وأن التراث الشعبى والتاريخ الشفهى هو شعور المجتمع الذى يمثل شاهد صدق ومحك اختبار لصواب الرواية التاريخية التى هى التعبير الواعى القادر على التحرير والتزييف أو تزيين الكلام.

لم يعد ممكن دراسة التاريخ أو دراسة الإنسان فى بعده الزمانى بوصفه حدثًا أو أحداثًا مفردة بل إن التاريخ منتج اجتماعى جامع لعناصر كثيرة تتكامل فى دراستها وتحليلها وفهمها علوم متباينة، وإن رؤية الحدث التاريخى هو المنتج الاجتماعى وفى سياقه الاجتماعى الكامل، ومن هنا لم يعد بالإمكان وجود عالم تاريخ ولا علم تاريخ فى بيئة علمية منعزلة عن العلوم الأخرى، وماذا أفعل بما هو غير عقلانى فى المجتمع والتاريخ وخاصة الرواية الشعبية الشفهية، وكيف يتم فهم المعلومة التاريخية من التراث الشعبى الشفهى لتوظيفها فى إطار حركة المجتمع المستقبلية، وإننا فى رؤيتها للتاريخ الشفهى تحت سطوة المنهج التقليدى المعتمد على الرواية دون التحليل، وتحكمها سياق اجتماعى وفى ضوء حاجة تمليها السلطة التى لها دور مركزى على النهج السائد فى كتابة التاريخ وانحياز الرواية والتاريخ

الشفهى وتعذر التحقيق من صدق الواقعة نظراً لغياب الوثائق وجاءت الرواية للتبرير وليس للتسجيل، وأفضى هذا إلى إغفال كل قوى المعارضة فى التاريخ فمن الذى أهمله التاريخ، ومن الذين أهملهم التاريخ المروى أى التاريخ الشفهى أو زيف تاريخهم من قادة فكر أو حركات سياسية أو قبائل أو معتقدات أو حضارات، لقد اشتمل تاريخنا على مساحات متواترة صماء مظلمة ولكنها ليست خرساء، بمعنى أن الرواية التاريخية لا تلغى الواقع فالتاريخ الممنوع أو غير المعلن موجود تحت السطح منفياً إلا أنه المنفى الفاعل وله دلالته التاريخية بل ودوره الاجتماعى الذى يتعين الكشف عنه(1).

أفضى نهج التبرير الأيديولوجى فى رواية التاريخ والتاريخ الشفهى خاصة إلى إنكار واستنكار مراحل كاملة من تاريخنا وبات من أخطر أمراضنا وافتقاد الحس التاريخى بوحدة الذاتية القومية فى بعدها الزمنى وحجب مراحل تاريخية والعيش أسرى الحدث المرحلى الأخير والتاريخ ينم للأسف عن البنية الحاكمة لسولكنا والمتمثلة فى التراث السياسى الاجتماعى الذى تحالفت فيه السلطة الحاكمة من موقع السيادة والقوة مع المثقف من موقع التبعية والخضوع، ومن عارض ذلك فهو خارج التاريخ المسجل رسمياً ويصبح منفياً وإن لم يكن عاطلا عن الفعل من وراء الحجب والستار والحدث الراهن هو السلطة الحاكمة وهو رأى ورؤية صاحب السلطان ومن ثم التاريخ الشفهى رواية تأويلية دائماً حسب المشيئة السلطانية. ومن هنا يكتب التاريخ الشفهى أو المروى وهذه خطورة كبيرة على تزيف التاريخ، وإن بيئتنا لا تحتمل ولا تقبل التعددية وإنما هى رؤية حدية تلتزم منطق «إما أنا أو لا» ولذا فإن كل حدث تاريخى يختلف مع رؤيتى محكوم عليه بالنفى والإعدام فهو غير موجود أو نسبغ عليه قيماً أخلاقية سلبية تصل إلى حد وصفه بالدنس لأن وجوده ينفى لوجودى، وطالما سقطت الرابطة السببية أو سقط

(1) شوقى جلال ـ نفس المرجع ص 309.

معها الامتداد التاريخى لإيقاع الأحداث فإن الوحدة التاريخية أو الحدث هو وجود مطلق يعيش بذاته وكذلك الإنسان وجوده ليس امتداداً تاريخيًا وليس للماضى فضل أو أثر على الحاضر إلا أن يكون على نسق رؤية صاحب السلطان القائم الآن تأكيداً لوحدة «الأنا»(1)

التراث الشعبى:

أخذ منهج الرواية والنقل هذا منذ القدم، يتحرك فى أحشاء الوعى والضمير العربى فى شكل رواة ذوى حافظة قوية يسجلون ما يقوله الشعراء أو يتناقلونه وقد يسطرونه على الوسائل المتاحة، وقد صاحب عملية النقل هذه تعرف إلى خصائص شعر الشاعر أو شعر القبيلة وتعرف إلى الأحداث والظروف التى أحاطت بهذا الشعر حتى أصبحت عملية النقل بهذه الصورة الشاملة للعرب أو القبيلة وسجلا لمفاخرهم وقيمهم وعاداتهم وانفعالاتهم وحروبهم وأوجه تقبلهم فى الحياة(2).

يجب أن يكون الراوى فى الرواية أو فى التاريخ الشفهى أن يكون عارفًا باللغة العربية وأن لا يختل البيان ولا تختلف الدلالة فيما نقله بترك ما تركه، وأن ينقل الرواية فى التاريخ الشفهى كما وصلت إليه ولا يغيرها فى قوله، وإذا كان بزيادة شىء قد سقط وجب ألا تكون مغايرة فى المعنى، وإذا كان الإصلاح بالزيادة يشتمل على معنى مغاير لما وقع فى الأصل تأكد فيه الحكم بأن يذكر ما فى الأصل مقرونًا بالتنبيه على ما سقط ليسلم من معرة الخطأ(3).

يجب أن تكون الرواية أو القصة أو الحكاية فى التاريخ الشفهى مرتبطة أساسًا بطريقة غير مباشرة بالموقف الذى تشير إليه حيث يصبح لها معنى بسبب

---

(1)ـ شوقى جلال ـ نفس المرجع ص 312.
(2)ـ د. كامل سعفان ـ المرجع السابق ص 16.
(3)ـ د. كامل سعفان ـ نفس المرجع ص 22.

الخبرة السابقة للمستمعين، وأن الكلام الروائى يشير إلى الموقف ولكن بطريقة غير مباشرة أما الطريقة التى يكسب فيها معناها فيمكن أن تفهم فقط من الوظيفة المباشرة للكلام فى الفعل بحيث إن الأبطال والأفعال والموضوعات فى الرواية الشفاهية لا تكون منفصلة عن الواقع الإنسانى.

ينقسم التراث الشعبى الشفهى إلى قسمين، الأول:- الأساطير والروايات والملاحم والقصص والحكايات الشعبية وهو يؤلف «الواقع الروائى»، وثانيًا:- المرثيات والأغانى الشعبية والمأثورات والحكم والأمثال الشعبية، وبالنسبة للقسم الأول الذى يؤلف الواقع الروائى بما يحتويه من أساطير وروايات وملاحم وقصص وحكايات شعبية، فإنه يمكن تجريد الفعل الاجتماعى أو السلوك من القصة على أساس أن الفعل المثالى ينمو من خلال إنسان الفعل وأن كل نسق يحاول أن يوجد أو يخلق فعلا مناسبًا يوافق نوع القيمة التى من خلالها يعتبر النسق أفضل، وعند تحليل الرواية أو القصة يجب أن نهتم بخمسة مصطلحات ضرورية فى البناء الروائى وهى «الفعل» و «المنظر» و «الفاعل» و «الوسيلة» و «الغرض» وكلها تدور حول الدوافع فيجب أن يكون لديك عمل ما الذى يسمى الفعل وهى أسماء ما يحدث فى الفكر والعمل والآخر الذى نطلق عليه «المنظر» وهو الخلفية التى يقع فيها الفكر والعمل وأيضًا يجب الإشارة إلى الشخص الفاعل الذى يؤى الفعل وما الوسائل والأدوات التى يستخدمها، أى «الوسيلة» أما «الغرض» فهو الذى يكون خلف فعل ما أو حول شخصية الذى فعل أو كيف فعله ثم الدوافع التى تدفعه ويمكن وضع الأسئلة الآتية:- ماذا حدث؟ الفعل، متى وأين وقع؟ المنظر، من فعله؟ الفاعل، وكيف فعله؟ «الوسيلة» ولماذا؟ «الغرض». وإن حكايات الناس التى تدور أحداثها عن الحياة اليومية تكون ذات أهمية بالنسبة لهم وهى دلائل وشواهد على حال أو نمط حياتهم كما أنها تعتبر انعكاسًا دقيقًا لعاداتهم وأن الاختلافات فى الحياة الثقافية التى تنعكس فى الأدب لها تأثير بعيد المدى ليس فقط على مضمونها

أو محـتويات الرواية بل على شكلهـا، فدوافع الفعل تكـون محددة بنمط الحـياة والاهتمامات الأساسية للناس، وأن الروايات أو القصص تعطينا صورة عن ذلك، لأنها تكون مـرتبطة بمحاكـاة الواقع، كما ينطبق ذلك عـلى الأساطير حـيث إنها تكون مؤسـسة على تجارب وخبـرات الحياة اليـومية وإن الأحداث أو الأفـعال فى الأساطير تعكس الحياة الاجتماعية الواقعة للناس واهتماماتهم وشواغلهم(أ).

فنجد فـى القسم الثانـى من عناصر التـراث الشعبى وهى الأغـانى والمراثى الشعبيـة والمأثورات والحكم والأمثال الشعبيـة، أن ما ينطبق على القسم الأول من الأساطير والروايات والحكايات الشعبيـة من تجريد للفعل الاجتماعى والكشف عن الأنماط المثالية للسلوك فى الواقع الروائى، لا ينطبق على تلك العناصر الشفهية من أنماط ومراث وحكم ومثال شعبية، وأن الاهتمام ينصب على الوحدات الاجتماعية أو الأفـراد الذين يؤلفون المجـتمع، والذين يسـتخـدمون تـلك الحكم والأمثـال والمأثورات الشعبـية فى مواقف بعينها ويرثـون المرثيات ويتغنون بالأغانى الشعـبية على اختلاف موضوعاتها وأهدافها والظروف المرتبطة بها، وخصوصًا إذا أدركنا أن تلك المراثى والأغانى والحكم والأمـثال والأقوال المأثورة بصفة عـامة تكون مرتبطة بواقع الفعل، كـما أن أفراد المجتـمع غير المتعلمـين يقيمون المعـرفة الشفهـية مثل الأمثال والأقوال المأثورة على أنها الشكل الوحيد من الحكمة، وأنه توجد فى أمثال المجتمع تقارير وحقائق تخص شخصـياتهم وطباعهم وآرءهم ومشاعرهم وعاداتهم وعرفـهم، فالسلوك والشخصـية يتحـددان بصورة أساسيـة بطبيعـة الكلمات التى نستخدمها سواء كانت فى شكل حكمة أو مثل أو مأثور شعبى أو أغنية شعبية، إذ إن الأغنية هى الأخـرى تعبر عن الانفعال مـثلما تعبر عن الأفكار فـهى مزج بين الموسيقى ـ اللحن ـ الذى يكون شعبيًـا والذى يعبر عن الانفعال والكلام الذى هو

(أ)ـ السيد حافظ الأسود ـ المرجع السابق ص 288.

تعبـير عن الأفكار وخصوصـًا أن الأغنية الشعبـية تكون نابعة من الجمـاعة وتدين بوجودها إلى الجماعة(1).

ترجع أهمية دراسـة المرثيات والأغانى والمأثورات والحكم والأمثال الشـعبية إلى واقع الفعل الاجتـماعى، وملاحظة الدوافع والمعتقدات والسلوك الاجـتماعى الفعلى الواقعى أو المـتوالى للأفراد فى مجتـمع معين ومن خلال التركـيز على ما يقولونه أو ينطقون به بصـورة متكررة أو بشكل اعتيادى وتلقـائى من حكم وأمثال شعبية أو ما يتغنون به من أغان ويرثون من المرثيات الشعبية فى حياتهم الواقعية أو فى تفاعلهم الاجتماعى فإنه يمكن التعرف على نوع القـيم الاجتماعية والأخلاقية السائدة أو المشتركـة وتوجه سلوكهم وتلك القيم تصبح سمات شخـصية مميزة لهم مثل قيم الصبر والشجاعة والأمانة والـوداعة والتسامح والمبادأة أو القسوة والخشونة والعـدوانية، وإن هذه العناصـر أى المراثى والأغـانى والحكم والمأثورات والأمثـال الشعبية بالإضـافة إلى أنها تشترك مع الأساطير والقصص والحكـايات الشعبية فى أنها تؤلف التراث الشفهى أو الثقافة الشعبية الظاهرة التى تتبلور فيها سمات وأنماط السلوك المثالى إلا أنها تمتاز بأنها تندرج فى السلـوك الواقعى أو المتوالى وخصوصًا ذلك الذى يسترشد بالمأثورات والنصائح والأمثال الشعبية التى هى خلاصة التجربة اليومية التى صارت ملكًا لمجموعة اجتماعية وأصبحت جزءًا لا ينفصل من سلوكها فى حيـاتها اليومـية الجارية، وإن المرثـيات والأغانى والمأثورات والحكم والأمـثال الشعبيـة لا تعكس فقط الواقع الاجتماعى والقيم الاجـتماعية وسمات الشـخصية المشـتـركة الـتى تظهـر فى كل من السلوك المثـالى والواقـعى بل هى - أيضًـا - تلخيـصات مركزة للواقع الروائى بما فـيه من أساطير ومـلاحم وقصص وحكايات شعـبية لذلك المجـتمع مما يؤكد على رسـوخ القيم وسمـات الشخصـية المشتـركة ووجودها فى صور مختلفة من أشكال التعبير(2).

---

(1) ـ السيد حافظ الأسود ـ نفس المرجع ص 288.

(2) ـ السيد حافظ الأسود ـ نفس المرجع ص 290.

التاريخ الشفهي:

لم يكن التاريخ الشفـهي بدعًا من حيث قيامه في بعض أجـزائه على جهود مفكرين ومـؤرخين وعلى آراء لهم من ناحـية البحـث الميداني، وإنما كان امـتداداً لفكرة التاريخ، وإن الإحساس الحقيقي بتـاريخ الشفهي في مجال التطبيق وتطويره لا يتم إلا بالإدراك السـابق للحـدث التاريخي والتـأثيـر به، أي بين ذلك الإدراك الناتج عن خبرة ما بالموضوع أو عن محاولة التذكـير العقلي وأن لا يستغله صاحبه أو آخرون استغلالا واضحًا من ناحية، وبين التأثير الذي يمكن أن يمارسه صاحبه على آخرين يـأتون من بعده ويطورونه في سـياق أكبـر من ناحيـة أخرى، وهناك بعض من التاريخ الشفهي قد التفت إليـها منذ زمن طويل قد يصل إلى قرون أكثر من باحث أو أناس عاديون قبل أن تصبح ذلك جزء من التاريخ الشفهي.

نجـد أن بعض رواة التاريخ الشـفـهي والتراث الشـعـبي، قد لا يحـفظ أو يستـوعب ما شاهده كامـلا، بل أنه قد يتذكـر الأحداث الرئيسـية أكثر مما يتـذكر الأحداث الشـانوية والتي قـد تكون أهم من الأحداث الرئيـسية أو تـكون الأساس لتلك الأحداث، وأحيانًـا قد يتذكر الأحداث التي هو تأثير بهـا أكثر من الأحداث الأخرى إضافة إلى الجانب العاطفي أو الموروثـات العقلية سواء الروحية والمادية، أو السمعـية السابقة لهذا الشـخص أو الحادثة قد تلعب دوراً في الرواية الشفـهية في التاريخ الشفهي والتراث الشعبي من الإضافة أو الحذ ف[أ].

برغم الجذور الشـفهية لأي تعـبير بالكلمات فـقد سردت الدراسة العلـمية والأدبية للغـة والآداب لقرون خلت بعيـداً عن الشـفاهيـة، وقد ظلت النصـوص المكتـوبة تلح على اهتـمـام الباحـثين بصورة جـعلتـهم بشكل عـام ينظرون إلى

(أ) والترج أونج ـ ترجمة حسن البنا عز الدين ـ الشـفاهة والكتابة ـ عالم المعرفة ـ العدد 82 ـ فبراير 1994 ص 17.

الإبداعات الشفهية، بوصفها تابعة للإنتاج المكتوب أو إن لم تكن كذلك فبوصفها غير جديرة بالاهتمام البحثى الجاد، وقد تركزت دراسة التاريخ دائمًا إلا فى الفترة المتأخرة على النصوص والوثائق المكتوبة دون الشفهى، وذلك بسبب واضح هو علاقة الدراسة نفسها بالكتابة، فأيما فكر بما فى ذلك الفكر المتمثل فى الثقافات الشفهية الأولية، هو إلى حد ما فكر تحليلى يفتت مواده إلى أجزاء مختلفة، لكن الفحص المتتابع بشكل مجرد والذى يحاول تفسير الظواهر أو الحقائق المقررة وتصنيفها يستحيل دون الكتابة أو القراءة، أما أهل الثقافات الشفهية الأولية تلك التى لم تمسها الكتابة بأى صورة فيتعلمون كثيراً وعندهم قدر أكبر من الحكمة التى يمارسونها ولكنهم لا يدرسون[1].

يتعلم كثيرون وخاصة فى المهن بالخبرة وبالدراسة التطبيقية بالخبرة وبالتلمذة، مثل الصيد مع صيادى الحيوانات والأسماك واللؤلؤ ذوى خبرة سابقة فى هذا المجال وغيره على سبيل المثال، وبالأخذ عن «النوخذة» أى ربان السفينة والسير فى الليل عن طريق النجوم، وهو نوع من التلمذة أو الدراسة العلمية والتطبيقية دون النظرية، وكذلك بالاستماع عن شيوخ العلم وعلماء الدين وبإعادة ما يسمعونه وبإجادة الأمثال وطرق التأليف بينها، وإعادة التأليف وباستيعاب مواد أخرى قائمة على الصيغ وبالاشتراك فى نوع من التأمل الجمعى فى الماضى، إنهم يتعلمون بكل هذه الطرق وليس بالدراسة بمعناها الدقيق.

عندما تصبح الدراسة بمعنى التحليل المتتابع المطول أمراً ممكنًا مع دخول الكتابة فى وعى الإنسان حين تكون اللغة نفسها واستخداماتها من أول الأشياء التى غالبًا ما يقوم أصحاب الكتابة بدراستها، ذلك أن الكلام غير منفصل عن وعينا، قد أسر لب البشر ودفعهم إلى التأمل الجاد فيه منذ المراحل المبكرة جدًا من الوعى قبل أن توجد الكتابة بزمن طويل وأمثال الشعوب من كل أنحاء العالم غنية

(1)ـ والترج أونج ـ نفس المرجع ـ ص 56.

بالملاحظات حول هذه الظاهرة الإنسانية المدهشة ظاهرة اللغة فى صورتها الشفهية، وحول طاقتـها وأشكال جمالها، وقد استمر الافتنان نفسه بالكلام الشفهى دون فتور أو كلل لقرون طويلة حتى بعد أن شاع استخدام الكتابة(ا).

تكمن مشكلة التاريخ الشفهى والتراث الشعبى فى الحفظ بطريقة تقليدية قديمة ودور المجتمع والتشكيل المتعدد للأحداث التاريخية والتراث الشعبى، والخليط من الثورات والتوارد من جيل قديم إلى جيل جديد فى التاريخ الشفهى ومناقشة لدلالة حالات عدم الانتظام فى التواتر والأحداث التاريخية أو التواريخ الزمنية.

فنجد أن بعض إرادات المؤرخين وخاصة فى التاريخ الشفهى تصطلح مع كل عهد جديد لكى يهيلوا التراب على القديم ويستلقطون سلبيات الماضى أو أن يستدل كل عهد جديد ستاراً من الصمت على ما مضى زاعمًا أن ليس له وجود فاعل يتصل بالحاضر، تبدأ الذاكرة الجمعية لأفراد المجتمع صفحة جديدة هى فى واقعها وعي زائف، وهذا هو ما نجد فى الرواية الشفهية، وأننا نعيش تاريخا ممزق الأوصال يدعم اختلال «الأنا» ويشوه الحس التاريخى وهذا من شأنه أن يطمس عوامل التضافر الاجتماعى، وأن نفهم التاريخ الشفهى علميا فهمًا نقديًا فى وحدته وحركته الدينامية ليكون ولاؤنا إبداعًا وليكن الحس التاريخى صادقًا وإننا نريد تاريخًا حقيقيًا من التاريخ الشفهى والتزامًا بمنهج مبحث علمى لدراسة واقع التاريخ والعوامل الاجتماعية المحركة له بكل ما فى هذه الحركة من تناقض وواقع العوامل المؤثرة سلبيًا وإيجابيًا على هذا التاريخ الشفهى إلى أن وصل إلينا، وتحليل هذا الواقع فى إطاره الثقافى للمجتمع الذى نشأ فيه والواقع مفهوم واسع يشمل الأبنية الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية والفكرية حتى تتوفر من خلال تعاون

(ا)- والترج أونج - نفس المرجع ص 57.

علم التاريخ مع علوم الإنسان الأخرى، ورؤية شاملة مقننة عن المجتمع والفرد ونهج استجاباته وفعالياته ومن ثم تعيد إليه تعبئة طاقة المجتمع فى حركته نحو المستقبل(1).

يجب على التاريخ الشفهى أن يكشف عن حقيقة البنى المفهومية القائمة وراء شتى مراحل التاريخ ليغدو التاريخ خريطة معرفية لتراث الشعب للمجتمع على مدى الزمان فى ضوء دراسات اجتماعية ولغوية واقتصادية وسياسية بحيث تمهد لنا هذه الدراسة الطريق إلى صياغة نظرية عن الإنسان فى تطوره على هذه الأصعدة مما يخلق أرضًا قوية تدعم حركة المجتمع المستقبلية، وإن الوعى فى التاريخ الشفهى ليس مجرد ذاكرة انتقائية لأحداث متفرقة وقعت دون علاقة فيما بينها، وإنما الوعى فى التاريخ الشفهى، وعى جمعى يمثل نسقًا فكريًا ترتكز عليه التنشئة الاجتماعية ويبلور الشعور بوحدة «الأنا» الجماعية ويفرز روح الانتماء عند اقترانه بالمجتمع، والوعى التاريخى ليس وعيًا (بمن نحن؟) فقط من حيث البعد الزمانى بل (ومن نحن؟) أيضًا بالنسبة للآخرين فى الزمان والمكان إنه صورة الذات ولن تكتمل الصورة ولن يتضح الدور بل لن يتعزز دور «الأنا» الجماعى ووحدته إلا من خلال تحديد الذات فى إطار الوعى بالآخر أيضًا، أى التفاعل سلبًا وإيجابًا مع الآخر ومتصلا فى الزمان والمكان، ولا يزال التاريخ الشفهى عبارة عن رواية لوقائع يجرى انتقاؤها وفاء لانحياز أيديولوجى وشخصى على نحو يتفق مع هوى أصحاب وقائع متناثرة تنتقى منها ما تشاء دون سند من الحقيقة الموضوعية ونسوق الرواية المنتزعة من سياقها التاريخى الاجتماعى لذويها على سبيل العبرة من موقف تفرضه المصلحة واللحظة ثم تسقط العبرة بزوال الظروف(2).

---

(1) شوقى جلال ـ المرجع السابق ص 313.

(2) شوقى جلال ـ نفس المرجع ص 318.

ولهذا يجب العودة إلى التاريخ الحقيقى بالموضوعية والإسناد الصحيح والمنهج العلمى. وسوف نرفق فى نهاية البحث المقابلة مع أحد صانعى السفن التى كانت تسمى بمهنة «القلاف» ليردى لنا وليجيب على بعض الأسئلة التى طرحت عليه.

﴿المقابلة﴾

يوم الجمعة

الموافق 15/ 5/ 1998م

س1: ما اسمك؟

حمود عبد الله القلاف

كم عمرك؟

60 سنة

س2: كيف توارثت المهنة من أجدادك؟

الولد يتبع الأب فى القديم يناول الأب مساعدة مثل المنشارة أو باقى الأغراض.

س3: هل أحدًا أولادك تعلم المهنة منك الآن؟

لا لم يتعلم واحد من أولادى هذه المهنة.

س4: هل كانت هناك مدارس متخصصة لتعلم هذه الحرفة؟

لا لم تكن هناك مدارس بل يأخذها بالتعليم من أبيه وجده. والآن يتدرب البعض على هذه الحرفة، ومع هذا لا يصير قلافًا.

س5: هل كان هناك أحد من أجدادك قام ببناء سفينة للغوص أو سفينة للسفر؟

نعم أبى حمـود بن حسن بسط بومًـا - اسمه المنـصور - لأحمـد الخرافى والبوم حمولته 5000 طن، وبسطه سنة 32 او 38.

س6: متى بدأت هذه الحرفة؟

كان عمرى 15 سنة وكنت أشتغل عند الأسـتاذ محمد حسـين القلاف كان باسط بوم لابن عصـفور والبوم اسـمه (لم يذكر) وكنت أجـدح وأضرب مسـمار يعنى ضراب ويوميتى 3 روبيات. واللى كانوا مـعى الله يرحمهم «محـمد البزاز، عمران بو بدر».

س7: مما تكون السفينة؟

أول البيض فوقه الأميال وبعـدها المالج ويوضع الخد واللوح جافتوة ويوضع الخـد واللوح السادس وبعـدها الأمـيال والفـروقات ويضـعـون العطف ويصلونه بالشلامين وبعدهـا سلبيس وفوق سلبيس صوارة للسطحة ومـشايات فوق السطحة وفوق السطحة العنج وبعد الفرار والفايم والحنتسات والساطور وحمار محار.

س8: كم نوع من الأخشاب تستخدم فى السفينة؟

خشب ساج، حطب الفنص، ساج، ميط، فرط.

س9: من هم أشهر القلافين فى الكويت قديماً؟

1 ـ حجى حسين المنصور
2 ـ محمد بن راشد
3 ـ حمود بن حسن
4 ـ حسين الغضبان.
5 ـ حجى راشد
6 ـ حجى محمد حسين

7 ـ حجي علي عبد الرسول   8 ـ ناصر بوعليان

س10: ما هي الأدوات التي تستخدم في صناعة السفن؟

منشارة، الجدوم، المنقر، المجدع، القوس، مغراص، منقر جوبار، منشارة يراة، منشارة صحاح، منقر كلفات، مدح حاويات، مدح تثبيت.

س11: أين تصنع السفن؟

على البحر فوق مكان الناشف بالعمارة محوطة عمارة حجي أحمد عمارة محمد حسين عمارة حجي راشد.

س12: كم عدد العمال الذين يشتغلون على السفينة الواحدة؟

كل سفينة فيها عشرة قلاليف وضراريب 16،6 نفر يشتغلون فيها.

س13: كم كان أجر كل عامل على السفينة؟

القلاف أيام الصيف في النفقة 15 روبية.

في الورشة عشر روبيات أو 12 روبية

س14: كيف كان الترتيب الوظيفي للمهنة؟

القلاف: هو يجبي الحطب.

الأستاذ: هو المشرف على صناعة السفن يعطي القياسات فقط ويرشدهم.

الضراب: دق المسامير.

س15: هل لازالت الحرفة مستمرة حتى الآن ومدى إقبال الناس على شراء السفن؟

الآن انتهت الحرفة والذي نهاها هو حجي حسن بن عبد الرسول هو الذي

كان يشتغل ويعـمل لنجات للصيد فى العيشرج ويوجـد واحد من أبناء عمه تعلم هول يشتـغل ويأتى بالهنود من النيبـار ليشتغلون والآن مـوجوْد فقط أبوام صـغار للتحف والزينة ولا تزال ديوانية موجودة للحرفة هذه.

س16: ما هى أنواع السفن؟

1 ـ بوم سفار يذهب للسفر ويصل لليمن.

2 ـ شوعى للغوص وأيضًا السنبوك، والبيتل، جالبوت طواش.

فهرس المحتويات

الصفحة

مقدمة 5

الفصل الأول: الصراع على زعامة الحزب الهنائى فى ساحل عمان من خلال أحداث عام 1845 فى ضوء الوثائق البريطانية. 9

الفصل الثانى: الكويت فى عهد عبدالله الصباح 1776 ـ 1814. 45

الفصل الثالث: الحكم العثمانى فى شرق الجزيرة العربية 1871 ـ 1914م. 69

الفصل الرابع: وقوف ابن سعود إلى جانب طالب النقيب فى محنته عام 1915م. 115

الفصل الخامس: إيران وعلاقتها بالغرب المسيحى حتى سقوط نظام الشاه. 151

الفصل السادس: مجلس التعاون ومسيرة التكامل والتنمية الاقتصادية. 195

الفصل السابع: جزيرة فشت الديبل ـ مشكلة الحدود القطرية ـ البحرينية قراءة من خلال الصحافة العربية. 269

الفصل الثامن: التراث الشعبى والتاريخ الشفهى. 329

المؤلف في سطور

- من مواطني دولة الإمارات العربية المتحدة.
- رئيس مركز العيدروس للدراسات والاستشارات ومجموعة العيدروس التجارية.
- حاصل على الليسانس من لبنان والماجستير في التطورات السياسية في الإمارات العربية 1932 - 1971 والدكتوراه من مصر عام 1983 في العلاقات العربية الإيرانية 1921 - 1971.
- عمل في دائرة الإسكان والمشتريات بالحكومة المحلية في إمارة أبو ظبي 1970 - 1973 ثم مديرا للعلاقات الثقافية بالحكومة الاتحادية لدولة الإمارات العربية المتحدة 1979 - 1984، ثم جامعة الإمارات العربية المتحدة 1984 - 1993 وقام بالتدريس في كلية زايد العسكرية في مدينة العين وكذلك بكلية الظفرة الجوية في أبو ظبي، كما شارك في دورة تدريب الدبلوماسيين في وزارة الخارجية بدولة الإمارات العربية المتحدة، ثم في جامعة الكويت 1993 - 2000 ثم في جامعة روتردام الإسلامية بهولندا 2000 - 2002، ثم في القوات المسلحة لدولة الإمارات العربية المتحدة في الفترة من 2002-2006: الأمين العام للجنة الإمارات للتاريخ العسكري، ثم رئيس مؤسسة اسكاندافيا للاتصال الثقافي والتجاري في السويد من عام 2007 حتى الآن، وهو عضو في العديد من الجمعيات العلمية الإقليمية والدولية وعضو في الأمانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب منذ عام 1991 وحتى الآن ورئيس تحرير مجلة دراسات روتردام الإسلامية.
- صدر له أكثر من اثنى عشر كتابا وأكثر من أربعين بحثا معظمها في الخليج العربي والدراسات العربية والإسلامية.

هذا الكتاب

الفصل الأول: الصراع على زعامة التحزب الهنائي في ساحل عمان من خلال أحداث عام 1845 في ضوء الوثائق البريطانية.

الفصل الثاني: لمحات من تاريخ الكويت الحديث.

الفصل الثالث: الحكم العثماني في شرق الجزيرة العربية 1871- 1914.

الفصل الرابع: وقوف ابن سعود إلى جانب طالب النقيب في محنته عام 1915.

الفصل الخامس: إيران وعلاقاتها بالغرب.

الفصل السادس: مجلس التعاون الخليجي ومسيرة التكامل والتنمية الاقتصادية.

الفصل السابع: جزيرة "قشت الديبل" مشكلة الحدود القطرية- البحرينية، قراءة من خلال الصحافة العربية.

الفصل الثامن: التراث الشعبي والتاريخ الشفهي.